حياة
السعداء
في الفرار إلى الله تعالى

مجموعة من خطب الجمعة تبين حياة السعداء في الفرار الى الله تعالى

نبدأها بنصائح ذهبية لمحدث العصر

فضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله

تفيد السعداء في فرارهم إلى الله تعالى

قدّم لها

فضيلة الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان -حفظه الله-

أعدّها

أبو إسلام

صالح بن طه عبد الواحد

إمام وخطيب مسجد إبراهيم الحاج حسن

الأردن - عمان

تقديم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فإن السعادة عند بني البشر مطلب غالٍ ونفيس، ويعملون بجد واجتهاد لتحصيله، ولكن الكثير منهم لا يعرفون السعادة ولا طرق تحصيلها، فهي عند من لا مال له متمثلة في (المال)، وعند من لا ولد له متحققة في (الولد)، وعند من لا جاه ولا سلطان له، متحصلة بـ (الجاه)، وهكذا.

ومن رحمة الله عز وجل بنا، أنه هو الذي تكفَّل بتنظيم حياتنا في جميع شؤونها، وعلى جميع مستوياتها، سواء بين العبد وربه، وبين العبد ونفسه، وبين العبد وغيره، ووضَّح لنا (لماذا) خلقنا، ومن (أين) جئنا، و(إلى) أين نحن سائرون، (وكيف) نعمل لنحقق ذلك كله، ولن تتحقق السعادة –في الحق والحقيقة– إلا باجتماع هذه الأمور، بحيث يسير العبد، وهو يعلم الغاية التي خلق لها، ومن الذي خلقه وما هو حق خالقه عليه، وكيف يؤدي هذا الحق، وما له إن أدّاه، فهو يعمل على نور، وفي نور، وإلى نور، أو قل: يعمل وهو سعيد، وينتظر السعادة الكبرى، وكلما قطع شوطاً من الغاية التي وجد من أجلها، حَصَّل نشوةَ السعادة، وذاق طعمها، ومصداق ذلك كله قول نبينا ﷺ: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيّاً ورسولا**».

فمن لم يذق طعم الإيمان (السعادة) فرضاه بالله ربّاً غير كامل، ورضاه بالإسلام ديناً غير تام، ورضاه بمحمد ﷺ نبيّاً ورسولاً ناقص، ومن هنا جاء الشرع في أوامره ونواهيه ليدخل السعادة على الإنسان، ويحقق له مصالحه في العاجل والآجل، وليس هنالك مصلحة معتبرة للإنسان في مخالفة أمر المولى، واتباع الهوى، وركوب ما لا يرتضى، وإن وجدت فهي – على التحقيق– مصلحة وهمية وليست بحقيقيّة.

فالسعيد من كان عبداً لله بالاختيار، كما أنه عبد لله سبحانه بالاضطرار.

ولا شك عند أحد أن موضوع (السعادة) ومن هم (السعداء)، وبم يحقق الناس ذلك من الأمور المطلوبة، وقد أولاها بالأهمية أخونا فضيلة الشيخ أبي إسلام صالح بن طه في سلسلة خطب نافعة ماتعة، ألقاها على منبر مسجد ضاحية الحاج حسن، وهو المسجد الذي يخطب فيه نحو ثلاثة عقود من الزمن، وقد نفع الله به أهل تلك المحلَّة، وكان شيخنا الألباني -رحمه الله تعالى- في أواخر حياته يحضر أحياناً صلاة الجمعة عنده، وكان ينصحه نصائح غالية، عمل أخونا أبو إسلام على تدوينها في مطلع هذا الكتاب، ليعم بها النَّفع، وقد مكثتُ فترة من الزمن أصلِّي عنده، وأحضر خطبه، وأتأثَّر به، فهو -فيما أرجو- خطيبُ أهلِ السُّنّة في بلدنا الأردن المحروس.

وأخيراً.. أرجو لأخينا فضيلة الشيخ أبي إسلام مزيداً من التوفيق والقبول، وهذا يدل -إن شاء الله- على إخلاصه وصدقه، وأسأل الله تعالى أن ينفع بهذه المجموعة من الخطب من لم يتيسر له سماعها، بواسطة قرائتها، والنظر فيها، إنه سبحانه أكرم مسؤول، وخير مأمول، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتب

أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

قبيل مغرب يوم الجمعة

الموافق ١٦/جمادى الآخرة ١٤٢٩

الأردن — عمان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة وكل ضلالة في النار.

عباد الله! الناسُ في بطون أمهاتهم فريقان: سعداءُ وأشقياءُ يقول ابن مسعود رضي الله عنه: حدّثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال: «**إنّ أحدَكم يُجمَعُ خَلْقُهُ في بطن أمِّهِ أربعين يوماً، ثم يكونُ علقةً مثل ذلك، ثم يكون مضغةً مثل ذلك، ثم يبعثُ الله ملكاً يُؤمَرُ بأربعِ كلماتٍ ويقال لهُ: اكتبْ عَمَلهُ ورزقهُ وأجله وشقيٌّ أو سعيد، ثم يُنفخُ فيه الرُّوحُ، فإنّ الرجلُ**

منكم ليعملُ حتى ما يكون بينهُ وبين الجنة إلا ذِراع، فيَسبِقُ عليه كتابُه فيعمَلُ بعملِ أهل النار، ويعملُ حتى ما يكونُ بينه وبين النار إلا ذراعُ، فيسبِقُ عليه الكتابُ فيعمل بعملِ أهلِ الجنة»(١).

والناسُ في الدنيا (دار العمل) فريقان: سعداءُ وأشقياءُ يقول عليّ رضي الله عنه: كنا في جنازةٍ في بقيع الغرقد فأتانا رسولُ الله ﷺ فقعدَ وقعدْنا حولَهُ ومعه مِخصَرةٌ -أي: عصا- فنكَّس -أي: خفض رأسه وطأطأه إلى الأرض على هيئة المهموم- فجعل ينكتُ -أي: يخط بها خطاً يسيراً مرة بعد مرة -بمخصرتهِ ثم قال: «**ما منكم من أحدٍ، ما من نفس منفوسةٍ، إلا وقد كتب اللهُ مكانها من الجنة والنار. وإلا وقد كُتبتْ شقيةً أو سعيدةً**» قال: فقال رجلٌ: يا رسول الله! أفلا نمكُثُ على كِتابنا، وندعُ العمل؟ فقال: «**من كان من أهل السعادة فسيصيرُ إلى عمل أهل السعادةِ، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصيرُ إلى عمل أهل الشقاوة**». فقال: «**اعمَلُوا فكلٌ مُيسَّرٌ. أمّا أهلُ السعادةِ فييسَّرُون لعملِ أهلِ السعادة، وأما أهلُ الشقاوةِ فييسّرون لعمل أهلِ الشقاوة**». ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾[الليل]»(٢).

والناسُ يوم القيامة بعد الحساب والجزاء فريقان: سعداءُ وأشقياء قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ۝١٠٣ وَمَا

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٣٦٢)، ومسلم (٢٦٤٧).

نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [هود].

عباد الله! فالسعداء هم الذين سكنوا الجنة دار السلام، والأشقياء هم الذين سكنوا النار دار البوار. وذلك لأن الله -عز وجل- ربط بين السعادة في الدنيا والآخرة وبين الإيمان والعمل الصالح فقال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل].

وربط الله -عز وجل- بين الشقاء في الدنيا والآخرة وبين الكفر والمعاصي فقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [طه].

فمن أراد يا عباد الله أن يكون من السعداء في الدنيا والآخرة فعليه أن يفرَّ إلى الله بالإيمان الصادق والعمل الصالح استجابةً لقوله تعالى: ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الذاريات:٥٠].

فالفرارُ نوعان: فرارُ السعداء، وفرارُ الأشقياء.

فالأشقياء يفرون من الله وخابوا وخسروا فأين المفرُ والإله الطالبُ، والسعداء يفرون من الله إلى الله، فإذا أصابتهم نعمةٌ من الله فروا إلى الله

بشكرها استجابة لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾ [البقرة].

ولقوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١١٤﴾ [النحل].

وإذا أصابتهم مصيبةٌ فروا إلى الله بالصبر عليها، والرضا بقضاء الله وقدره استجابة لقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٥﴾ [الحج].

ولقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة].

فالمؤمن السعيد يشكر في السراء ويصبر في الضراء، قال ﷺ: «**عجباً لأمر المؤمن، إن أمرَهُ كلّهُ له خيرٌ، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن، إن أصابتهُ سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابتهُ ضراءُ صبر فكان خيراً لهُ**»(1).

وإذا اقترفوا ذنباً أو معصيةً فروا إلى الله بالتوبة النصوح استجابة لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ [التحريم]

ولقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١﴾ [النور].

عباد الله! وهذه مجموعة من خطب الجمعة ألقيتها في مسجد إبراهيم الحاج حسن، الأردن – عمان، بينتُ فيها حياة السعداء في الفرار إلى الله

---

(1) **صحيح**: أخرجه مسلم (2999).

تعالى لنتأسى بهم. سائلاً المولى في علاه أن يتقبلها مني ويجعلها في ميزان حسناتي وينفعني بها وأهلي وأولادي ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء].

وأسأله سبحانه أن ينفع بها من سمعها ومن قرأها إنه وليُ ذلك والقادرُ عليه.

كتبه

أبو إسلام

صالح بن طه عبدالواحد

إمام وخطيب مسجد إبراهيم الحاج حسن

الأردن - عمان

بعد صلاة الظهر يوم الثلاثاء

٢٤ من ربيع الأول ١٤٢٩هـ

الموافق ٢٠٠٨/٤/١م.

نصائح العلماء إلى السعداء

نصائح إمام العصر وناصر السنة

فضيلة الشيخ / محمد ناصر الألباني رحمه الله

أيها الأخوة عباد الله! أنصحُ الناسِ للناس هم الأنبياء.

قال تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ [الأعراف:٦٢].

وقال تعالى على لسان هود عليه السلام: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى على لسان صالح عليه السلام: ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأعراف].

وورثة الأنبياء هم العلماء، ولذلك فأنصحُ الناسِ للناسِ بعد الأنبياء هم العلماء. فالعلماءُ هم أعلمُ الناس بالحق وأرحم الناس بالخلق.

عباد الله! وهذه مجموعةٌ من النصائح لشيخنا الألباني -رحمه الله تعالى- تنفعُ -إن شاء الله تعالى- السعداء الذين فروا إلى الله تعالى من الكفر إلى الإيمان، ومن الشرك إلى التوحيد ومن البدعة إلى السنة، ومن الجهل إلى العلم، ومن المعاصي إلى الطاعات.

النصيحة الأولى: الإخلاص لله -عز وجل- في كل شيء.

كان شيخنا الألباني -رحمه الله تعالى- إذا قلتُ لهُ: يا شيخنا، الإخلاصُ سر النجاح في كل شيء. فيقولُ -رحمه الله-: صدقت يا أبا إسلام وحب

الظهور يُقصم الظهور وقال -رحمه الله- في كتابه «حجة النبي ﷺ» (ص١٠٠): (... ذلك لأن العمل لا يقبلهُ الله -تبارك وتعالى- إلا إذا توفر فيه شرطان اثنان:

الأول: أن يكون خالصاً لوجهه -عز وجل-.

والآخر: أن يكون صالحاً ولا يكون صالحاً إلا إذا كان موافقاً للسنةِ، غير مخالف لها)[1].

النصيحة الثانية: العلم النافع والعملُ الصالح.

إخواني في الله! كنا كثيراً ما نخرج مع شيخنا إلى البر، وكان شيخنا -رحمه الله- لا يكلُ ولا يمل من الإجابة على أسئلتنا، وفي آخر مجلس جلسناه مع شيخنا في مزرعةٍ لأحد إخواننا في منطقة (الغور) بالأردن والشيخ في مرضه الذي مات فيه وبعد أن أجاب على أسئلتنا قلنا له: أوصنا يا شيخنا فقال -رحمه الله-: (أوصيكم بالعلم النافع، والعمل الصالح. والعلم النافع هو قال الله، قال رسوله، قال الصحابة، والعمل الصالح هو ما كان لله ووافق السنة).

فيا معشر المسلمين! من أراد سعادة الدنيا والآخرة فعليه بالعلم النافع والعمل الصالح، فالعلم النافع يرفع صاحبه في الدنيا والآخرة، والعمل الصالح يُقربُ صاحبَهُ من رحمة الله.

(١) نقلاً من «قاموس البدع» (ص٣١) لأخينا الفاضل/ مشهور بن حسن -حفظه الله-.

النصيحة الثالثة: التمسك بالكتاب والسنة بفهم سلف الأمة وترك التقليد الأعمى.

لقد كان شيخنا -رحمه الله- واحداً من كبار العلماء العاملين بعلمهم، لم نر مثله في اتباعه للسنة، فهو أحد المجددين بحق، إذ كان الشيخ -رحمه الله- من فحول علماء السنة الناصرين لها، المتبعين لها، المميزين لصحيحها من سقيمها، الرافعين لِواءها، فكان -نحسبه كذلك، ولا نزكي على الله أحدًا -كما قال الله عز وجل: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١] إذ كان شديد الاتباع للنبي ﷺ بل كان شديد الفرح بكل مُتَّبع للنبي ﷺ، وكان لا يقدمُ قول أحد كائناً من كان على كتاب الله -عز وجل-، ولا على سنة النبي ﷺ مع عودةٍ بالكتاب والسنة إلى فهم السلف الصالح، وكان هذا القيد أحد ركائز دعوته المباركة.

وكتبُه -رحمه الله- تدل على شدة اتباعه للسنة ونصرته لها، بما لا يدع مجالاً للشك في ذلك.

وأكتفي هنا بنقل واحدٍ عنه في بيان تعظيمه للسنة، ونصرته لها، يقول: (إني حين وضعتُ هذا المنهج لنفسي -وهو التمسك بالسنة الصحيحة- وجريت عليه في كتبي، كنت على علم أنه سوف لا يُرْضي ذلك كلَّ الطوائف والمذاهب، بل سوف يوجه بعضُهم أو كثير منهم ألسنة الطعن، وأقلام اللوم إلي، ولا بأس من ذلك عليَّ؛ فإني أعلمُ أيضاً أن إرضاء الناس

غاية لا تدرك، وأن: «من أرضى الناس بسخطِ الله وكَلَهُ الله إلى الناس[1]» كما قال رسول الله ﷺ. ولله درّ من قال:

ولستُ بناجٍ من مقالة طاعنٍ ولو كنت في غارٍ على جبل وَعْرِ

ومَن ذا الذي ينجو من الناس سالماً ولو غاب عنهم بين خافيتي نَسْرِ

فحسبي أنني معتقد أن ذلك هو الطريق الأقوم الذي أمر الله تعالى به المؤمنين، وبينه نبينا محمدٌ سيد المرسلين، وهو الذي سلكه السلفُ الصالح من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم، وفيهم الأئمة الأربعة -الذي ينتمي اليوم إلى مذاهبهم جمهور المسلمين- وكلهم متفق على وجوب التمسك بالسنة، والرجوع إليها، وترك كل قول يخالفها، مهما كان القائل عظيماً، فإن شأنه ﷺ أعظم، وسبيله أقوم، ولذلك فإني اقتديت بهداهم واقتفيت آثارهم، وتبعت أوامرهم بالتمسك بالحديث؛ وإن خالف أقوالهم، ولقد كان لهذه الأوامر أكبر الأثر في نهجي هذا النهج المستقيم، وإعراضي عن التقليد الأعمى، فجزاهم الله تعالى عني خيراً»[2].

فيا معشر المسلمين! عليكم بالكتاب والسنة بفهم سلف الأمة وهم الصحابة رضي الله عنهم ومن سلك سبيلهم إلى يوم الدين.

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة].

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٤١٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢٠٢)، [«صحيح الجامع» (٦٠١٠)].
(٢) كتاب «صفة صلاة النبي ﷺ» (ص٤٤).

النصيحة الرابعة: العملُ بالعلم، وعدمُ التطلُعِ إلى ما في أيـدي النـاس، وتركُ ما يُعتذَرُ منهُ.

إخواني في الله! هذه النصيحة عزيزةٌ جداً عليّ وذلك لأنني أخذْتُها مـن الشيخ وليس معنا أحدٌ ونفعني اللهُ بها نفعاً عظيماً فأحببـتُ أن أذكرهـا لأن في التمسك بها سعادة الدنيا والآخرة -إن شاء الله تعالى-.

في يوم من الأيام صليتُ الفجر في مسجدي ثم ذهبتُ إلى منزل الـشيخ فوجدته في مكتبتهِ كعادتهِ، فبعد أن فرغ الشيخ مـن الإجابـة عـلى أسـئلتي قلتُ له: يا شيخنا أريدُ منك نصيحةً تخصني بها.

فقال الشيخ: أنصحك بما نصحتُ به نفـسي فقـد أخـذتُ عـلى نفـسي ثلاثة أمور:

الأمر الأول: أن أعمل بما أعلم في حدود استطاعتي.

لأن الله أثنى على الذين يعملون بعلمهم.

فقـــال تعـــالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر].

وعاب الله على الذين لا يعملون بعلمهم.

فقــال تعــالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [البقرة]، وقال تعـالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [الجمعة].

• وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: (إنما أخشى من ربي يوم القيامة أن يدعوني على رؤوس الخلائق فيقول لي: يا عويمر! فأقول: لبيك ربِّ. فيقول: ما عمِلتَ فيما علمت)[1].

وذكر شيخنا -رحمه الله- حديث الثلاثة الذين أولُ من تسعر بهم جهنم، منهم: العالم الذي لم يعمل بعلمه.

يقول الله -عز وجل- له: «ألم أعلِّمْك ما أنزلتُ على رسولي؟ قال: بلى يا رب، قال: فما عمِلتَ فيما عَلِمت؟»[2].

وكان شيخنا إذا ذكر هذا الحديث بكى بكاءً شديداً.

قال صلى الله عليه وسلم: «**لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع**» منها: «**وعن علمه فيم فعل فيه**»[3].

وقال صلى الله عليه وسلم: «**مثل العالم الذي يُعَلِّم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج؛ يضيء للناس ويحرق نفسه**»[4].

وكان صلى الله عليه وسلم يستعيذُ بالله من العلم الذي لا ينفع فيقول صلى الله عليه وسلم: «**اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يُستجاب لها**»[5].

---

(١) **صحيح لغيره موقوف**: أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٢٩٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٧٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٢٩)]

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣٨٢)، وابن خزيمة (٢٤٨٢) [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢)].

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٤١٧)، والدارمي (٥٤٠)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٢٦)].

(٤) **صحيح**: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢/ ١٦٥)، وابن ابي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٣١٤) [«صحيح الجامع»: (٥٨٣١)].

(٥) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٧٢٢).

إخواني في الله! وكان شيخنا من أحرص الناسِ على العمل بما يعلم فكان لباسهُ وطعامه وشرابهُ ونومهُ ومزحهُ وصلاتهُ وصيامهُ وعبادتهُ وحياته كلُّها حتى موته كان على السنة -نحسبهُ ولا نزكيه على الله-.

فكنا نخرج معه إلى البر في يوم الاثنين ونفاجأ جميعاً أن الشيخ بعد الثمانين من عمره وكان صائماً وهذا عملٌ بالعلم واحتفالٌ منه على السنةِ بمولد رسول الله ﷺ.

وفي يوم من الأيام خرجنا معهُ إلى البر وبعد أن انتهى الشيخ من الإجابة على الأسئلة كان بعض الأخوة معهُ البندقية التي يُصادُ بها العصافير فوضعوا هدفاً بعيداً وأخذوا يرمونه فلم يستطيعوا إصابة الهدف فأخذ الشيخ البندقية ووضعها عند عينه ثم ضرب فأصاب الهدف فتعجب الجميع وظنوا أن هذا وقع هكذا مع الشيخ فوضعوا الهدف مرة ثانية وطلبوا من الشيخ أن يعيد، فوضع الشيخ البندقية عند عينه ثم أطلق فأصاب الهدف فتبين لنا جميعاً أن الشيخ يجيد الرمي وهذا أخذه من قول رسول الله ﷺ: «﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال:٦٠] ألا إن القوة الرميّ، ألا إن القوة الرميُ، ألا إن القوة الرمي»(١).

وعندما ذكرت ذلك لولد الشيخ الأخ عبداللطيف -حفظه الله- عندما زارني بعد موت والده قال لي: بل هناك ما هو أعجبُ من ذلك فقد كان

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٩١٧).

الشيخ ونحن بالشام إذا خرجنا إلى البر وأنا أقودُ بـه الـسيارة يفـتح شـباك السيارة ويخرج البندقية ويصيدُ الطائر وهو راكب بالسيارة والسيارة تسير.

الأمر الثاني: لا أتطلعُ إلى ما في أيدي الناس لقوله ﷺ للرجل الـذي قـال له: يا رسول الله! عظني وأوجز فقال: «**واجْمعِ الإياس مما في أيدي الناس**»(١).

فإن في اليأس مما في أيدي الناس عزَّ النفس كما قال جبريل عليه السلام لرسـولنا ﷺ: «**واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزهُ استغناؤهُ عن الناس**»(٢).

وقال ﷺ للرجل الذي قال له: دلني على عمـل إذا عملتـه أحبنـي اللهُ وأحبني الناس. فقال ﷺ: «**ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فـيما في أيـدي الناس يحبك الناس**»(٣).

وكلما ازداد استغناء العبد عن الناس ازداد حبهم لـه وتـوقيرهم حتـى يُسَوِّدوه عليهم، ولذلك دخل أعرابي البـصرة فقـال: مـن سـيد أهـل هـذه القرية؟ قالوا: الحسن. قال: بما سـادهم؟ قـالوا: احتـاج النـاس إلى علمـه واستغنى هو عن دنياهم(٤).

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٥/ ٤١٢)، وابن ماجه (٤١٧١)، [«الصحيحة» (٤٠١)].

(٢) **حسن**: أخرجه الحاكم (٤/ ٣٦٠)، والطبراني في «الأوسط» (٤/ ٣٠٦)، والبيهقي في «الشعب» (٧/ ٣٤٩)، [«الصحيحة» (٨٣١)].

(٣) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٤١٠٢)، والحاكم (٤/ ٣٤٨)، [«صحيح الجامع» (٩٢٢)].

(٤) «فيض القدير» (١/ ٤٨١).

ولذلك كان الأنبياء أزهد الناس فيما في أيدي الناس، وكانوا يعلِّمونهم الخير بلا أجر، وإنما كان شعارُ كل واحدٍ منهم: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ [يونس:٧٢].

إخواني في الله! وكان شيخنا -رحمه الله تعالى- من أزهد الناس فيما في أيدي الناس ولذلك ملك قلوبهم -نحسبه ولا نزكيه على الله-.

يقول -رحمه الله- عن نفسه: (من توفيق الله تعالى وفضله عليّ أن وجّهني منذ أول شبابي إلى تعلم مهنة تصليح الساعات؛ لأنها مهنة حرة لا تتعارض مع جُهودي في علم السنة، فقد أعطيت لها من وقتي كل يوم عدا الثلاثاء والجمعة ثلاث ساعات زمنية، وهذا القدر مكنني من الحصول على القوت الضروري لي ولعيالي على طريقة الكفاف). وقد صحح هو -رحمه الله- حديث النبي ﷺ: «**خير الزرق الكفاف**»[1].

وقال -رحمه الله- في «الصحيحة» (١/ ٢٥٠): «ومما لا ريب فيه أن الكفاف يختلف باختلاف الأشخاص والأزمان والأحوال، فينبغي للعاقل أن يحرص على تحقيق الوضع الوسط المناسب له، بحيث لا ترهقه الفاقة، ولا يسعى وراء الفضول، الذي يوصله إلى التبسط والترفه؛ فإنه في هذه الحال قلما يسلم من عواقب جمع المال، لاسيما في هذا الزمان الذي كثرت فيه مفاتنه، وتيسرت على الأغنياء سبله، أعاذنا الله تعالى من ذلك، ورزقنا الكفاف من العيش».

(١) حسن: [«الصحيحة» (١٨٣٤)].

ولقد سألته ذات مرة عن حقوق التأليف؟

فأجاب: هي من أطيب الكسب.

قلت: وكان -رحمه الله- لا يشترط مبلغاً محدداً لكتبه، بل كثيراً ما كان يقول للناشر -أي ناشر-: قدّر أنت الذي تراه مناسباً ونحسبه -والله حسيبه- أنه ممن ينطبق عليه قول النبي ﷺ: «**أطيب الكسب عمل الرجل بيده**»(١).

فيا عباد الله! من أراد السعادة في الدنيا والآخرة فلا يتطلع إلى ما في أيدي الناس ولا يغتر بهذه الدنيا الفانية.

الأمر الثالث: أن لا أقول قولاً أعتذر عنه غداً فإن رسول الله ﷺ قال للرجل الذي قال له: يا رسول الله! عظني وأوجز: «**إذا قُمت في صلاتك فصلِّ؛ صلاة مُوَدِّع، ولا تكلمْ بكلام تعتذر منه غداً، واجْمَعِ الإياس ممّا في أيدي الناس**»(٢).

عباد الله! ومعنى: «**لا تتكلم بكلامٍ تعتذر منه غداً**» -أي: كن مالكاً للسانِك، لا يملكك لسانُك:

وَزِنِ الكلامَ إذا نطقتَ فإنَّما ... يُبدي عيوبَ ذوي العقولِ المنطقُ

---

(١) **صحيح:** أخرجه أحمد (٤/ ١٤١)، والحاكم (٢/ ١٢)، والطبراني في «الأوسط» (٢/ ٣٣٢) [«الصحيحة» (٦٠٧)]، وانظر كتاب «محدث العصر الألباني» لأخينا سمير الزهيري (ص٤٦).

(٢) **صحيح:** تقدم تخريجه (ص٢٠).

فأنت سالم ما سكت، فإذا تكلمت غنمت أو غرمت، فزن الكلام قبل النطق، وتأمل ما فيه من الغُنْم والغُرْم، واعرف هل هو لك أم عليك، فما كان فيه غنم لك فتكلم به، وما كان فيه غرم عليك فأمسك لسانك عنه، وأمسك لسانك عن كل قبيح تُعاب به، وعن كل عيب تُلام عليه وتعتذر منه، ولا تُذل نفسك بالتأسف والاعتذار فـ«**لا ينبغي لمؤمن أن يُذلّ نفسه**»(١).

وربّ كلمة أورثت ذل العمر، وكنت في غنى عنها، فعليك بالحَسن دائماً من الكلام، ودع عنك القبيح وانأ بنفسك عن ذل الاعتذار والتأسف، واستجب لربك حيث قال: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ [الإسراء].

وما أحسن قول القائل:

إذا شئتَ أن تحيا سليماً من الأذى ... وحظُّك موفورٌ وعرضُك صَيِّنُ
لسانُك لا تذكرْ بهِ عورةَ امرئ ... فكلك عوراتٌ وللناسِ ألسنُ

وما أجمل هذه الحكمة: (إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب)(٢).

عباد الله! كيف لا والله -عز وجل- يقول: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء].

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٢٥٤)، وابن ماجه (٤٠١٦)، وأحمد (٥/ ٤٠٥) [«صحيح الجامع» (٧٧٩٧)].

(٢) انظر كتاب: «الوصايا المنبرية» (ص٢١٢) لأخي وشيخي فضيلة الدكتور/ عبدالعظيم بن بدوي -حفظه الله-.

والنبي ﷺ يقول للرجل الذي سأل عن النجاة: «**أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك**»(١).

فيا معشر المسلمين عامةً، ويا معشر طلاب العلم خاصةً، عضوا على هذه النصيحة بالنواجذ لأن فيها سعادة الدنيا والآخرة وهي تتلخصُ في:

أولاً: العمل بالعلم.

ثانياً: عدم التطلع إلى ما في أيدي الناس.

ثالثاً: إياك وما يُعْتذَر منه.

النصيحة الخامسة: عليكم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة.

ينصحُ شيخنا الألباني -رحمه الله- المسلمين عامةً وطلاب العلم خاصةً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة استجابة لقوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾[النحل:١٢٥].

ولقوله ﷺ: «**بشروا ولا تنفروا، ويسّروا ولا تعسّروا**»(٢).

عباد الله! ولقد كان شيخنا -رحمه الله- آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، لا يخشى في الله لومة لائم، ومن لازمه -ولو لوقت قصير- يلاحظ ذلك،

---

(١) **صحيح لغيره**: أخرجه الترمذي (٢٤٠٦)، وأحمد (٥/ ٢٥٩)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٢٧٠)، والبيهقي في «الشعب» (١/ ٤٩٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٧٤١)].

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٩)، ومسلم (١٧٣٢).

بل من سمع أشرطته، أو قرأ كتبه وجد هذا الجانب بارزاً عنده -رحمه الله-، بل لا يكاد يضاهيه أحد في ذلك.

ومن الأمثلة على ذلك:

١- رأي الشيخ -رحمه الله- رجلاً يأكل بشماله، فقال له: لا تأكل بشمالك؛ فإن الشيطان يأكل بالشمال وذكر له الأحاديث في ذلك.

٢- صلى ذات يوم صلاة الجمعة، فذكر الخطيب من جملة ما ذكر حديث: «المؤمن للمؤمن كالبنيان [المرصوص] يشد بعضه بعضاً». فزاد فيه لفظ: «المرصوص».

فبعد أن انتهت الصلاة قام الشيخ وأقبل على الملأ، وبيّن عدم وجود هذا اللفظ في رواية الحديث، وحض على رواية الأحاديث كما جاءت دون زيادة فكان والله تعقيبه أفضل من خطبة الإمام.

٣- ودخل ضابطُ أمنٍ يوماً المسجد والشيخ يعطي درساً فأراد الضابط أن يصلي في وسط المسجد بدون سترة فقطع الشيخ درسه وقال له: استتر يا شرطي، فقال له الشرطي: كيف أستتر؟ فقال له الشيخ: اقترب من العمود أو الحائط، فاقترب الضابط من الحائط وصلى وبعد الصلاة قال للشيخ: جزاك الله خيراً يا شيخ.

٤- وفي المستشفى وهو مريض دخل عليه أحدُ المعالجين وكان حليق اللحية، وبعد أن أعطى المعالجُ الدواء للشيخ، وهمّ بالانصراف قال

للشيخ: ادعُ الله لنا يا شيخ. فقال الشيخ -رحمه الله-: جمَّلك الله بما جمَّلَ به الرجال.

٥- كان -رحمه الله- حكيماً في نصحه، يُنزِل الناسَ منازلَهم، وقد حضر عندي يوماً خطبة الجمعة، وكنت لا أعلم بوجوده، فسبق لساني بكلمة وأنا على المنبر لا دليل عليها من السنة، وبعد الصلاة فوجئت بوجود الشيخ، وطلب أن يزورني، فرحبت به، وجلسنا في البيت، وأخذ الإخوة من طلاب العلم يسألونه وهو يجيب، ثم قال لي: يا أبا إسلام .. ذكرت جملة كذا على المنبر وأنا لا أعلم دليلاً عليها، فهلا أعلمتنا يا أبا إسلام بدليلها لنستفيد منك (فانظروا -أيها الإخوة- إلى حكمة الشيخ في إسداء النصح دون تجريح ..)، فقلت له: يا شيخنا إنها سبقُ لسان ولا أذكر أنا أيضاً لها دليلاً. فقال الشيخ: جزاك الله خيراً أرحتنا وقصّرت علينا الطريق.

عباد الله! ولعله من المفيد هنا أن أنقل رأي الإمام الألباني -رحمه الله- حول «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» وما يتعلق بذلك من ضوابط، ومراعاة المصالح والمفاسد؛ وذلك لما ينم عن فقه دقيق، ورأي سديد، يزيد ذلك كله أهمية صدوره عن إمامٍ في هذا الباب، لا ريبة ولا شبهة في محاباته لأحدٍ -حكاماً ومحكومين-.

عسى الله أن يهدي بسبب كلمته هذه شباباً في كثير من البلدان الإسلامية، هم أحوج ما يكونون إلى علمٍ صحيحٍ من عالم رباني، ولعلهم يجدونه في كلام الإمام الألباني:

قال – رحمه الله –ما ملخصه –: «تكررت الآيات الكريمة في كـلام الله –عز وجل– آمرة أن تكون هناك أمة وجماعة تقوم بواجب الأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر، فهذا أمر لا خلاف فيه بين المسلمين قاطبة.

وإنما قد يكون الخلاف في تطبيق هذا الأمـر الواجـب؛ لأن كثـيراً مـن المسلمين الذين أوتوا حظاً ولو قليلاً من العلم، يظنون أن مجرد المعرفة بأمر مما يجب تغييره يبادرون إلى تغييره دون أن يفكروا بعاقبة هذا التغيير.

ولكن ينبغي أن يلاحِظ القائمون عـلى الأمـر بـالمعروف والنهـي عـن المنكر على اختلاف مناهجهم ودعواتهم ما يلي:

أولاً: أن العلم يسبق العمل.

ثانياً: أن العلم يقتضي العمل، وإلا كان العلم وبالاً على صـاحبه. فـإذا كان هذا معروفاً لدى كافة طلاب العلم فضلاً عن العلماء، فإنـه ينبغـي أن يكون قائماً في أذهانهم، غير غائب عن بالهم:

ثالثاً: قد تقتضي مصلحة الدعوة (مصلحة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر) تأجيل اقتران العمل بالعلم.

وإن كان الأصل أن يتبـع العلـمَ العمـلُ، لكـن هـذه القاعـدة ليـست مضطردة ففي بعض الأحيان قد تُوْجِب المصلحة الـشرعية تأجيـل العمـل وتأخيره عن العلم.

ومن أوضح الأمثلة الثابتة في السنة المطهرة على ذلك، هو حديث عائشة رضي الله عنها وقول النبي ﷺ لها: «**يا عائشة! لو لا أن قومك حديثو عهدٍ بشركٍ، [وليس عندي من النفقة ما يقوِّيني على بِنائِهِ]؛ [لأنفقتُ كنز الكعبةِ في سبيل الله، أو] لهدمتُ الكعبة، فألزقتها بالأرض، [ولجعلتها على أساس إبراهيم]، وجعلتُ لها بابين [موضوعين في الأرض]؛ باباً شرقياً [يدخل الناس منه] وباباً غربياً [يخرجون منه]، وزدتُ فيها ستة أذرُع من الحجر [ولأدخلتُ فيها الحِجْرَ]؛ فإن قريشاً اقتصرتها حيثُ بنت الكعبة**»(١).

فأبقى ﷺ بناء الكعبة على ما بناه عليه المشركون في الجاهلية، ولم يُعِدهُ سيرته الأولى على قواعد إبراهيم ﷺ، مع قدرته ﷺ وتمكنه وخاصةً بعد أن فتح الله -عز وجل- له مكة؛ خشية أن يترتب من وراء هذا الإصلاح الواجب فتنة لبعض الضعفاء من المؤمنين حديثي العهد بالإسلام، فقد نظر ﷺ إلى عاقبة الأمر.

ومن حديث عائشة هذا أخذ العلماء والفقهاء تلك الحكمة المستنبطة ألا وهي قولهم: «من كان آمراً بالمعروف، فليكن أمره بالمعروف»، ولا يكون الأمر بالمعروف معروفاً إلا إذا كانت المصلحة من الأمر بالمعروف راجحةً على المفسدة.

ولذلك نحن نقول: إنه لا ينبغي لبعض الأفراد أو الجماعات القيام ببعض الأعمال التي تدخل في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دون ملاحظة القاعدة المذكورة آنفاً.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٣٣٣).

ولا ينبغي لبعض الأفراد أو الجماعات الإقدام على التغيير، إذا ترتب من وراء ذلك مفسدة أكبر من المصلحة المرجوة.

وما نسمع عنه في كثير من البلدان الإسلامية، من قيام بعض الجماعات أو الأفراد بمثل هذا الذي ندندن حوله من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن بطريقة غير حكيمة، بحيث تكون مفاسدُ التغيير أكثر من الصلاح الذي يرجونه، هو نتيجة الإعراض عن هذه الحكمة، لاسيما وربنا -عز وجل- حينما ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قرن ذلك بالحكمة، والموعظة الحسنة ومن أجل ذلك نحن ندندن دائماً وأبداً، وننصح هؤلاء في كل بلدٍ أن يستنوا بسنة النبي ﷺ في الإصلاح، حيث أنه لم يبدأ الدعوة إلى الإسلام وإلى الإيمان والتوحيد بالقوة، وإنما باللسان والحجة والبينة.

ومن أجل ذلك قال الله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل:١٢٥].

ولهذا نحن ننكر بشدة استعمال بعض الجماعات أو الأفراد القوة أو ما نسمعه بين آونةٍ وأخرى من قيام بعض الناس بالتكسير أو بالتحطيم لبعض الأمور المنكرة شرعاً، وهم بعدُ لَـمَّا يؤسسوا لهذه الدعوة أُسسها، ولـمّا يضعوا لها قواعدها.

فهؤلاء -في اعتقادي- يصدق عليهم الحكمة التي تكلم بها بعضهم ألا وهي: «من استعجل الشيء قبل أوانه ابتلي بحرمانه».

ونحن نعرف أنه من الأمور المنكرة شرعاً اليوم انتشار آلات المعازف والطرب، ونقرأ أقوالاً لبعض أئمة السنة والفقه وأخصّ بالذكر منهم إمام السنة أحمد بن حنبل -رحمه الله- الذي يقول بتكسير هذه الآلات ولكنه يقيد ذلك بالاستطاعة، وعدم جلب المفسدة[1].

وخلاصة القول في هذه المسألة هو:

الأصل الأول فيها الآية المذكورة ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل:١٢٥].، ولا شك أن من أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً.

ثم حديث عائشة الذي بين لنا أنه لا يجب تغيير كل منكر، أو تحقيق كل معروف، إلا إذا لم يُخْشَ من وراء ذلك مفسدة كبرى.

وأسأل الله -عز وجل- أن يلهم المسلمين -حكاماً ومحكومين- أن يلتزموا كتاب الله، وسنة الرسول ﷺ، وأن يعودوا إلى ما كان عليه السلف الصالح من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالتي هي أحسن[2].

النصيحة السادسة: الثبات على منهج الصحابة رضي الله عنهم (المنهج السلفي)

كان شيخنا -رحمه الله- دائماً يقول: عليكم بالثبات على التوحيد، والتمسك بالسنة، والسير على منهج الصحابة -رضوان الله عليهم- وكان

(١) انظر: «كتاب الورع» رقم (٤٩٩ وما بعده).

(٢) انظر كتاب: «محدث العصر الألباني» (ص٣٢-٣٧) للأخ/ سمير الزهيري.

دائماً يردد في مجالسه قوله -تعالى-: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة] وقوله -تعالى-: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء].

وقوله ﷺ: « .. . **وستفترق أمتي على ثلاثٍ وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة**». فلما سئل عنها قال: «**ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»(١) .

وكان -رحمه الله- يُسِرُّ لي فيقول: أدعياءُ المنهج كثير، والذين يثبتون عليه قليل، وستعرف ذلك بعد موتي .. وكان ما كان مما ذكر .. فكم ممن كان يدّعي محبة الشيخ واتباع المنهج قد تركوا المنهجّ وناصبوا الشيخ العداء ورموه بما هو منه براء، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

وقد علم الجميع حرص الشيخ على اتباع المنهج السلفيّ الصحيح البعيد عن الإفراط والتفريط في حياته كلها ..

وهذه بشرى أسوقها -لكلِّ من أحبَّ الشيخ- في رؤيا -أرجو أن تكون صالحة- رأيتها للشيخ -رحمه الله- وهي بالحرف الواحد كما رأيتها: رأيت فيما يرى النائم أحد طلاب العلم الذين كانوا في حياة الشيخ يحبُّونه وبعد موته بدأوا يرمونه بالإرجاء .. رأيته وقد دخل عليّ في منزلي، وكان مضطرباً فلما جلس قال لي: يا أبا إسلام، هل عندك علم بتأويل الرؤى؟

(١) حسن: أخرجه الترمذي (٢٦٤١)، والحاكم (١/ ٢١٨)، [«صحيح الجامع» (٥٣٤٣)].

قلت له: لا.

قال لي: أنا أصبح عندي علمٌ جيدٌ بتأويل الرؤى.

فقلت: لقد رأيت اليوم رؤيا ففسِّرها لي.

قال: أفعلُ.

قلت: رأيت شيخنا الألباني -رحمه الله- وهو جالسٌ في بستان مليءٍ بالزهور والثمار، والمطر الخفيف ينزل عليه وهو يشير بيده إلى الأمام كأنه يخط خطاً مستقيماً.

فقال هذا الأخ: هذه الرؤيا تبشر أن الشيخ في نعيم، وهذه الإشارة من الشيخ يقول فيها لطلابه: اثبتوا عل المنهج السلفي الذي تركتكم عليه.

فقلت أنا لهذا الأخ: إذا كان الأمر كذلك فلماذا اتهمت الشيخ بالإرجاء؟

فقال لي: لهوىً في نفسي، ودفعني لذلك مبالغة بعض الإخوة في الدفاع عن الشيخ.

واستيقظت من النوم مسروراً بهذه البشرى التي فيها أن الشيخ نحسبه عند الله -كما أوّلها الأخ- في نعيم لأن البستان والثمار والزهور والمطر كلّها يؤوّل بالنعيم والرحمة.

وكذلك لوصية الشيخ بالثبات على المنهج والاستقامة عليه بلا إفراط أو تفريط. ومن شدة حرصي على هذه الرؤيا وسروري بها حدّثت بها طلاب العلم في درس العقيدة في اليوم نفسه الذي رأيتها فيه.

النصيحة السابعة: الاتباعُ وعدم الابتداع.

كان شيخنا الألباني -رحمه الله- من أشد الناس اتباعاً للسنةِ ونشراً لها بين الناس، وتحذيراً من البدعة، وكتبه وأشرطتهُ أكبرُ شاهدٍ على ذلك.

وقد قام أخي في الله فضيلة الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان -حفظه الله- بجمع أقوال الشيخ في الاتباع وعدم الابتداع وإنكاره على المبتدعة في كتابه الكبير في الحجم والفائدة «قاموس البدع» والذي أنصح السعداء عامة وطلاب العلم خاصةً به فهو كتابٌ نافع ومفيدٌ وها أنا أنقلُ جزءاً من هذا الكتاب ليتبين من خلالِهِ اهتمام الشيخ بالإتباع وعدم الابتداع في الدين.

١- الأصل في العبادات التوقيف:

قال شيخنا -رحمه الله تعالى- في «صلاة التراويح» (ص٢٩):

«الأصل في العبادات أنها لا تثبت إلا بتوقيف من رسول الله ﷺ، وهذا الأصل متفق عليه بين العلماء، ولا نتصور مسلماً عالماً يخالفه فيه، ولولا هذا الأصل لجاز لأي مسلم أن يزيد في عدد ركعات السنن، بل والفرائض الثابت عددها بفعله ﷺ واستمراره عليه، بزعم أنه ﷺ لم ينه عن الزيادة عليها! وهذا بيِّن ظاهر البطلان، فلا ضرورة لأن نطيل فيه الكلام.

وقال شيخنا في المصدر المذكور آنفاً (ص٧٦) أثناء حديثه أنّ الزيادة على عدد ركعات التراويح:

«.. ونحن نرى أن الزيادة[1] عليها مخالفة لها؛ لأنّ الأمر في العبادات على التوقيف والاتباع، لا على التحسين العقلي والابتداع ... ».

٢- الأصل في العبادات المنع إلا لنص، وفي العادات الإباحة إلا لنص.

قال شيخنا -رحمه الله تعالى- في «التوسل» (ص٣٠):

ومما يجب التنبه له، أن ما ثبت كونه وسيلة كونية، فإنه يكفي في إباحته والأخذ به، أن لا يكون في الشرع النهي عنه، وفي مثله يقول الفقهاء: الأصل في الأشياء الإباحة، **وأما الوسائل الشرعية، فلا يكفي في جواز الأخذ بها، أن الشارع الحكيم لم ينه عنها، كما يتوهمه الكثيرون، بل لا بد فيه من ثبوت النصّ الشرعي المستلزم مشروعيتها واستحبابها**؛ لأن الاستحباب شيء زائد على الإباحة، فإنه مما يتقرب إلى الله -تعالى-، والقربات لا تثبت بمجرد عدم ورود النهي عنها، ومن هنا قال بعض السلف: «**كل عبادة لم يتعبدها أصحاب رسول الله ﷺ فلا تتعبدوها**»[2]، **وهذا مستفاد من أحاديث النهي عن الابتداع في الدين وهي معروفة، ومن هنا قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: «الأصل في العبادات المنع إلا لنص، وفي العادات الإباحة إلا لنص»**. فاحفظ هذا فإنه هام جدّاً، يساعدك على استبصار الحق فيما اختلف فيه الناس.

---

(١) أي: سنة النبي ﷺ وهديه في صلاة التراويح إحدى عشرة ركعة.

(٢) هذه مقولة لحذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

وقال شيخنا في «الإرواء» (٥/ ٢٩٤):

إن الأصل في المعاملات الجواز إلا لنص، بخلاف العبادات فالأصل فيها المنع إلا لنص، كما فصّله شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-.

٣- قاعدة مهمة: في أن الأوراد والأذكار توقيفية:.

قال شيخنا -رحمه الله تعالى- في «صحيح الترغيب» (١/ ٣٨٨) بتصرف يسير:

الأوراد والأذكار توقيفية، ولا يجوز فيها التصرف بزيادة أو نقص، ولو بتغيير لفظ لا يفسد المعنى .. فأين منه أولئك المبتدعة الذين لا يتحرّجون من أي زيادة في الذكر أو نقص منه؟! فهل من معتبر؟

٤- هجر المبتدع.

قال شيخنا -رحمه الله تعالى- معلقًا على حديث عبدالله بن مغفل، قال:

نهى رسول الله ﷺ عن الخَذف[1] .. وفي رواية:

أنَّ قريباً لابن مغفَّل خذف فنهاه، وقال: إنّ رسول الله ﷺ نهى عن الخذف .. ثم عاد، فقال: أحدّثك أن رسول الله ﷺ نهى عنه، ثم عدت تخذف! لا أكلمك أبداً[2] .

(١) رمي الحصى بالسبابة والإبهام. (منه).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٤٧٩)، ومسلم (١٩٥٤).

قال شيخنا -رحمه الله تعالى- في حاشية «رياض الصالحين» (١٧٠) (ص١٠٥):

في الحديث: جواز هجر أهل البدع والفسوق ومنابذي السنة مع العلم، وأنه يجوز هجرهم أبداً.

٥- العبادات مبناها على الاتباع لا الابتداع.

قال شيخنا -رحمه الله تعالى- في «التوسل» (ص١٤٣-١٤٤):

قال شيخ الإسلام في «الردّ على البكري» (ص٦٨-٧٤):

« ... وأما الشرع فيقال: العبادات كلها مبناها على الاتباع لا على الابتداع، فليس لأحد أن يشرع من الدين ما لم يأذن به الله، فليس لأحد أن يصلي إلى قبره ويقول هو أحق بالصلاة إليه من الكعبة، وقد ثبت عنه ﷺ في «الصحيح» أنه قال: «**لا تجلسوا على القبور، ولا تصلوا إليها**[1]» . مع أن طائفة من غلاة العبَّاد يصلُّون إلى قبور شيوخهم، بل يستدبرون القبلة، ويصلُّون إلى قبر الشيخ ويقولون: هذه قبلة الخاصة، والكعبة قبلة العامة!

وطائفة أخرى يرون الصلاة عند قبور شيوخهم أفضل من الصلاة في المساجد حتى المسجد الحرام (والنبوي) والأقصى، وكثير من الناس يرى أن

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٩٧٢).

الدعاء عند قبور الأنبياء والصالحين أفضل منه في المساجد، وهذا كله مما قد علم جميع أهل العلم بديانة الإسلام، أنه مناف لشريعة الإسلام، ومن لم يعتصم في هذا الباب وغيره بالكتاب والسنة فقد ضل وأضل، ووقع في مهواة من التلف، فعلى العبد أن يسلم للشريعة المحمدية الكاملة البيضاء الواضحة، ويسلم أنها جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وإذا رأى من العبادات والتقشفات وغيرها التي يظنها حسنة ونافعة ما ليس بمشروع، علم أن ضررها راجح على نفعها، ومفسدتها راجحة عل مصلحتها، إذ الشارع حكيم لا يهمل المصالح»، ثم قال(١):

«والدعاء من أَجَلِّ العبادات، فينبغي للإنسان أن يلزم الأدعية المشروعة فإنها معصومة كما يتحرى في سائر عباداته الصور المشروعة، فإن هذا هو الصراط المستقيم، والله -تعالى- يوفقنا وسائر إخواننا المؤمنين».

٦- كيف يكون الاتباع الحقيقي للنبي ﷺ؟

قال شيخنا -رحمه الله تعالى- في «التوسل» (ص١٣٠) بتصرف يسير:

هذا؛ وإن من جاهه ﷺ أنه يجب علينا اتباعه وطاعته، كما يجب طاعة ربّه، وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**ما تركت شيئاً يقربكم إلى الله إلا أمرتكم به**»(٢).

(١) يعني: شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-.

(٢) رواه الشافعي والطبراني وغيرهما. (منه).

فيجب علينا اتباعه، وأن ندع العواطف جانباً، ولا نفسح لها المجال حتى نُدْخِلَ في دين الله ما ليس منه بدعوى حبه ﷺ، فالحبُّ الصادق إنما هو بالاتباع، وليس بابتداع كما قال -عز وجل-: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١]، ومنه قول الشاعر:

تَعصي الإلهَ وأنتَ تُظهرُ حُبَّهُ ... هذا لعمرك في القياس بديعُ
لو كان حُبُّكَ صادِقاً لأطَعْتَهُ ... إنّ المُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطيعُ

٧- كلمة في الاتباع.

قال شيخنا الألباني في «تمام المنة» (ص١٨٥):

«.. فمقتضى الاتباع الصحيح الوقوفُ عند الوارد، وعدم التوسع فيه بالقياس والرأي، فإنه لو كان ذلك مشروعاً في الفرائض[١] أيضاً -لفعله ﷺ، ولو فَعَلَهُ لنُقِل، بل لكان نقله أولى من نقل ذلك في النوافل كما لا يخفى».

٨- علامة أهل الأهواء والبدع.

قال شيخنا -رحمه الله تعالى- في «الصحيحة» (٢/ ٧١٣):

قال العلامة الشاطبي -رحمه الله- في كتابه «الاعتصام» -وهو في صدد بيان علامات أهل الأهواء والبدع (٣/ ٩٩):

(١) أي: سؤال الله -تعالى- من فضله إذا مرت آية رحمة ...

«والعالم (تأملوا لم يقل: طالب العلم!)[1] إذا لم يشهد له العلماء فهو في الحكم باقٍ على الأصل من عدم العلم حتى يشهد فيه غيره، ويعلم هو من نفسه ما شهد له به، وإلا فهو على يقين من عدم العلم أو على شك، فاختيار الإقدام في هاتين الحالتين على الإحجام لا يكون إلا باتباع الهوى، إذ كان ينبغي له أن يستفتي في نفسه غيره، ولم يفعل، وكان من حقه أن لا يقدم إلا أن يقدمه غيرُه، ولم يفعل».

قال شيخنا -رحمه الله تعالى- معلقاً على كلام الشاطبي -رحمه الله تعالى-:

هذه نصيحة الإمام الشاطبي إلى (العالم) الذي بإمكانه أن يتقدّم إلى الناس بشيء من العلم، ينصحه بأن لا يتقدم حتى يشهد له العلماء؛ خشية أن يكون من أهل الأهواء، فماذا كان ينصح يا ترى لو رأى بعض هؤلاء المتعلقين بهذا العلم في زمننا هذا؟! لا شك أنه كان يقول: «**ليس هذا عُشُّك فادرجي**»، فهل من معتبر؟!

٩- من علامات أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر.

قال شيخنا -رحمه الله تعالى- تحت حديث (٢٣) من «الضعيفة» (١/ ٨١) أثناء ردّه على الكوثري:

ومن عجيب أمر هذا الرجل؛ أنه مع سعة علمه يغلب عليه الهوى والتعصب للمذهب ضدّ أنصار السنة، وأتباع الحديث، الذين يرميهم ظلماً بـ «الحشوية»![2]:

(١) الزيادة ما بين القوسين من شيخنا الألباني.

(٢) انظر: «مختصر العلو» (ص١٤، ١٥، ٧٢، ١٥٦، ٢٥٦).

ثم قال شيخنا في حاشية «الضعيفة» (١/ ٨١) معلقاً على كلمة (الحشوية)!:

وقد رأيت الإمام ابن أبي حاتم الرازي -رحمه الله- يقول في خاتمة رسالة «أصول السنة واعتقاد الدّين»:

«سمعت أبي رحمه الله يقول: علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر، وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل الأثر حشوية، يريدون إبطال الآثار .. »[1].

وهي رسالة نافعة.

١٠ - اتباع السنة أوجب من اتباع الآباء والآراء.

قال الحافظ: «وكان ابن عمر يتبع في ذلك أباه، فإنه كان يكره استدامة الطيب بعد الإحرام كما سيأتي، وكانت عائشة تنكر عليه ذلك، وقد روى سعيد بن منصور من طريق عبدالله بن عبدالله بن عمر أن عائشة كانت تقول: لا بأس بأن يمس الطيب عند الإحرام، قال: فدعوت رجلاً وأنا جالس بجنب ابن عمر، فأرسلته إليها، وقد علمت قولها، ولكن أحببت أن يسمعه أبي! فجاءني رسولي، فقال: إن عائشة تقول: لا بأس بالطيب عند الإحرام، فأصب ما بدا لك، قال: فسكت ابن عمر، وكذلك كان سالم بن عبدالله بن عمر يخالف أباه وجده في ذلك لحديث عائشة، قال ابن عيينة:

(١) انظر: «مختصر العلو» (ص٢٠٧) ترجمة أبي حاتم الرازي رقم (٧٨).

أخبرنا عمرو بن دينار، عن سالم أنه ذكر قول عمر في الطيب، ثم قال: قالت عائشة .. فذكر الحديث، قال سالم: سنة رسول الله ﷺ أحق أن تتبع».

قال شيخنا الألباني -رحمه الله تعالى- في «مختصر صحيح البخاري» (١/ ٤٥٥)[1] رقم (٧٣٣):

وهكذا فليكن تحقيق الاتباع لرسول الله ﷺ، فرحم الله أولئك الآباء، الذين خلفوا مثال هؤلاء الأبناء، الذين يقدمون سنة رسول الله ﷺ على اجتهاد آبائهم، فأين منهم هؤلاء الخلف الذين تتضح لهم السنة الصريحة في المسألة، ثم لا يتبعونها، ويؤثرون عليها تقليد المذهب أو الجمهور بحجة أنهم أعلم منا بالسنة، أفلم يكن عمر وابنه عبدالله أعلم من عبدالله وسالم ابني عبد الله بن عمر بالسنة بصورة عامة، فما الذي حملهما على مخالفة أبويهما؟ أهو اعتقادهما أنهما أعلم منهما؟ حاشاهما من ذلك، وإنما هو ثبوت السنة لديهما وليس معنى ذلك عندهما أنهما أعلم من أبويهما في كل ما سواها، فهل للمقلدين أن يعتبروا بذلك ويفردوا رسول الله ﷺ بالاتباع؟

١١- الاتباع الخالص دليل على حُبّ الله عز وجل.

قال شيخنا -رحمه الله تعالى- في «الصحيحة» (٣/ ٨٧) شارحاً لحديث (١٠٩٥): «**يا أبا أمامة! إنّ من المؤمنين من يلين لي قلبه**»:

---

(١) «مختصر البخاري» (١/ ٣٦٦) رقم (٧٦٣) -ط. المكتب الإسلامي.

ومعنى «يلين لي قلبه»؛ أي: يسكن ويميل إليّ بالمودة والمحبة، والله أعلم.

وليس ذلك إلا بإخلاص الاتباع له ﷺ دون سواه من البشر؛ لأن الله -تعالى- جعل ذلك وحده دليلاً على حبه عز وجل، فقال: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ﴾ [آل عمران:٣١] أفلم يأن للذين يزعمون حبه ﷺ في أحاديثهم وأناشيدهم، أن يرجعوا إلى التمسك بهذا الحب الصادق الموصل إلى حب الله -تعالى- ولا يكونوا كالذي قال فيه الشاعر:

تَعصي الإلهَ وأنتَ تُظهرُ حُبَّهُ ... هذا لعمرك في القياس بديعُ
لو كان حُبُّكَ صادِقاً لأطَعْتَهُ ... إنّ المُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطيعُ

ماذا يصنع المسلم عند كثرة الابتداع فيما يتعلق بالجنائز؟

قال شيخنا -رحمه الله تعالى- في «أحكام الجنائز» (ص١٧-١٨)، و«تلخيص الجنائز» (ص١٠):

ولّما كان الغالبُ على كثير من الناس في هذا الزمان الابتداعَ في دينهم، ولا سيما فيما يتعلّق بالجنائز، كان من الواجب أن يُوصي المسلمُ بأن يُجهّز ويُدفَن على السنة؛ عملاً بقوله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم].

ولذلك كان أصحاب رسول الله ﷺ يُوصون بذلك، والآثار عنهم بما ذكرنا كثيرة[1]....

(١) انظرها في: «الجنائز» (ص١٧-١٨).

ولِمَا سبق قال النووي -رحمه الله تعالى- في «الأذكار»:

«ويستحب له استحباباً مؤكداً أن يوصيهم باجتناب ما جرت العادة به من البدع في الجنائز، ويؤكد العهد بذلك».

١٣- فضائل العبادات المقيدة بعدد مسمّى، لا بُدّ فيها من التمسك بالعدد.

قال شيخنا -رحمه الله تعالى- في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٦) معلقاً على حديث رقم (١١٣٩)، وفيه: «**ومن طاف أسبوعاً يحصيه، وصلى ركعتين؛ كان كعدل رقبة**»:

أي: يحصر عدده فيجعله سبعاً لا زيادة ولا نقص. وفيه إشارة إلى أنّ فضائل العبادات المقيدة بعدد مسمّى، لا بد فيها من التمسك بالعدد لا يزيد ولا ينقص، فتنبّه.

١٤- التمسك بعمومات النص التي لم يجر عليه العمل ليس من فقه السلف.

قال شيخنا -رحمه الله تعالى- في تحقيقه لـ «رياض الصالحين» (ص١٣٦) تحت حديث رقم (٢٥٠) ما نَصُّه:

التمسك بعمومات النص التي لم يجرِ عليه العمل ليس من فقه السلف، فإن كلّ بدعة يستحسنها بعض الناس لا تخلو غالباً من دليل عام، كما لا يخفى على أهل العلم، وليس هذا مجال تفصيل القول في ذلك، فراجع «الاعتصام» وغيره من كتب أصول البدع.

١٥- لا يشترط في إنكار مفردات البدع أن يكون عندنا نقل بـ (إسناد صحيح) عن أحد من السلف.

قال شيخنا -رحمه الله تعالى- في «الرد على التعقيب الحثيث» (ص٥٤) أثناء ردّه على الشيخ الحبشيّ ومناقشته إياه في بدعة السبحة:

.. وهل يشترط عند أهل العلم والعقل في إنكار مفردات البدع أن يكون عندنا نقل بـ (إسناد صحيح) عن أحدٍ من السلف بإنكارها بدعة بدعة؟ هذا مما لا يقوله من شَمَّ رائحة العلم.

١٦- البدعة في العبادات المحضة لا تكون إلا سيئة.

نقل شيخنا -رحمه الله تعالى- في «صلاة التراويح» (ص٢٥): قول الشيخ ملا أحمد الحنفي صاحب «مجالس الأبرار» ما ملخصه:

« ... فمن أحدث شيئاً يتقرب به إلى الله -تعالى- من قول أو فعل فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله، فعلم أن كلّ بدعة في العبادات البدنية المحضة لا تكون إلا سيئة».

١٧- قاعدة: لا يجوز تخصيص العبادات بأوقات وأماكن، لم يأت بها الشرع.

قال شيخنا -رحمه الله تعالى- في «الثمر المستطاب» (٢/ ٥٧٥-٥٧٨) -بعد أن ذكر حديث رسول الله ﷺ: أنه «كان يأتي قباء [كل سبت] راكباً وماشياً [فيصلي فيه ركعتين]»[1].

(١) الحديث في البخاري ومسلم، وانظر تخريجه موسعاً في «الثمر المستطاب» (١/ ٥٧٤).

«وفي هذا الحديث -على اختلاف طرقه- دلالة على جواز تخصيص بعض الأيام ببعض الأعمال الصالحة والمداومة على ذلك، وفيه أن النهي عن شدّ الرحال لغير المساجد الثلاثة ليس على التحريم؛ لكون النبي ﷺ كان يأتي مسجد قباء راكباً، وتُعُقِّب بأن مجيئه ﷺ إلى قباء إنما كان لمواصلة الأنصار وتفقّد حالهم وحال من تأخّر منهم عن حضور الجمعة معه، وهذا هو السر في تخصيص ذلك بالسبت».

قلت: فعلى هذا؛ فذهابه -عليه الصلاة والسلام- يوم السبت لم يكن مقصوداً بالذات، بل مراعاة لمصلحة التفقد المذكور، وعليه؛ فالأيام كلها سواء في الفضيلة في زيارة قباء؛ لعدم وجود قصد التخصيص، فما ذكره القاري في «المرقاة» (١/ ٤٤٨) عن الطيبي أن:

«الزيارة يوم السبت سنة»، ليس كما ينبغي.

وكذلك الاستدلال بالحديث على جواز التخصيص المذكور ليس بجيد -أيضاً-؛ إلا أن يكون المراد به التخصيص مراعاة للمصلحة لا ترجيحاً ليوم على آخر بدون نص من النبي ﷺ؛ مثال ذلك: تخصيص يوم للتدريس أو إلقاء محاضرة ليجتمع الناس لسماع ذلك؛ فهذا لا مانع منه؛ لأنّ اليوم ليس مقصوداً بالذات، ولذلك ينتقل منه إلى غيره مراراً ملاحقة للمصلحة، وهذا بخلاف تخصيص بعض الأيام ببعض العبادات بزعم أنها فيها أفضل منها في غيرها؛ كتخصيص ليلتي العيدين بالقيام والعبادة،

وتخصيص يوميهما بالزيارة -أعني: زيارة القبور-، وتخصيص شهر ربيع الأول بقراءة قصة مولد الرسول -عليه الصلاة والسلام-؛ فكل هذا وأمثاله بدع ومنكرات يجب نبذها والنهي عنها، ولذلك لما استدل النووي في «شرح مسلم» بالحديث على جواز التخصيص قال:

«وكره ابن مسلمة المالكي ذلك، ولعله لم تبلغه هذه الأحاديث».

قلت: هذا بعيد، والأقرب أنها بلغته، ولكنه لم يفهم منها ما ذهب إليه النووي وغيره، وقد بيّنا ما هو الحق -عندنا- في المسألة، والله أعلم.

(فائدة): قال شيخ الإسلام في «الفتاوى» (٦/ ١٨٢):

«ذكر بعض المتأخرين من العلماء، أنه لا بأس بالسفر إلى المشاهد، واحتجوا بأن النبي ﷺ كان يأتي قباء كل سبت راكباً وماشياً، ولا حجة لهم فيه؛ لأنّ قباء ليس مشهداً، بل مسجد، وهي منهي عن السفر إليها باتفاق الأئمة؛ لأنّ ذلك ليس بسفر مشروع، بل لو سافر إلى قباء من دويرة أهله لم يجز، ولكن لو سافر إلى المسجد النبوي، ثم ذهب منه إلى قباء؛ فهذا يستحب، كما يستحب زيادة قبور أهل البقيع وشهداء أحد».

١٨- تنفير بعض الناس من الدعوة إلى الكتاب والسنة، والتحذير مما يخالفهما من محدثات الأمور.

قال شيخنا الألباني -رحمه الله تعالى- تعليقاً على حديث رقم (٢٨٢٣) من «الصحيحة» (٦/ ٧٨١).

قلت: ففي الحديث دليل صريح أن التفريق ليس مذموماً لذاته، فتنفير بعض الناس من الدعوة إلى الكتاب والسنة، والتحذير مما يخالفهما من محدثات الأمور، أو الزعم بأنه ما جاء وقتها بعد! بدعوى أنها تنفّر الناس وتفرقهم، جهل عظيم بدعوة الحق وما يقترن بها من الخلاف والتعادي حولها كما هو مشاهد في كل زمان ومكان، سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلاً ولا تحويلاً.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾[هود].

البدع الإضافية

قال شيخنا الألباني -رحمه الله تعالى- في مقدمة «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٥٤-٥٥):

غالب البدع تندرج تحت أصل عام، ومع ذلك فهي غير مشروعة، وهي التي يسميها الإمام الشاطبي بالبدع الإضافية، وواضح أن الحديث الضعيف لا ينهض لإثبات شرعيتها.

وقال شيخنا -رحمه الله تعالى- في «الرد على التعقيب الحثيث» (ص٤٨): قال الشاطبي (٢/ ١٤٠):

«**فصل**: ومن البدع الإضافية التي تقرب من الحقيقة، أن يكون أصل العبادة مشروعاً، إلا أنها تخرج عن أصل شرعيتها بغير دليل، توهماً أنها باقية على إطلاقها تحت مقتضى الدليل، وذلك بأن يقيد إطلاقها بالرأي أو يطلق تقييدها».

ثم أتى في سبيل توضيح ذلك بأمثلة كثيرة مقيدة فليراجعها من شاء التوسع في هذا البحث الهام.

وأشار شيخنا إلى البدعة الإضافية كذلك في «الضعيفة» (٥/ ٥، ٣٨٠).

القواعد والأسس في معرفة البدع

قال شيخنا العلاّمة الألباني -رحمه الله- في «أحكام الجنائز» (ص٣٠٦)، و«تلخيص الجنائز» (ص٩٦):

إنّ البدعة المنصوص على ضلالتها من الشارع هي:

أ- كُلُّ ما عارض السُّنة من الأقوال أو الأفعال أو العقائد ولو كانت عن اجتهاد.

ب- كُلّ أمر يُتقرب إلى الله به، وقد نهى عنه رسولُ الله ﷺ.

ج- كلّ أمر لا يمكن أن يُشرع إلا بنص أو توقيف، ولا نصّ عليه، فهو بدعة إلا ما كان عن صحابي، تكرر ذلك العمل منه دون نكير.

د- ما أُلصق بالعبادة من عادات الكفار.

هـ- ما نصّ على استحبابه بعض العلماء، سيّما المتأخرين منهم ولا دليل عليه.

و- كلّ عبادة لم تأتي كيفيّتها إلا في حديث ضعيف أو موضوع.

ز- الغُلّو في العبادة.

ح- كلّ عبادة أطلقها الشارع وقيّدها الناس ببعض القيود مثل المكان أو الزمان أو صفة أو عددٍ.

وأكد شيخنا ما قاله في «أحكام الجنائز» (ص٣٠٦) تحت عنوان: «البدعة المنصوص على ضلالتها من الشارع» في «حجة النبي ﷺ» (ص١٠٢-١٠٣) بأنّ مرجع البدع في أمور أربعة[1]، فقال -رحمه الله تعالى:

الأول: أحاديث ضعيفة لا يجوز الاحتجاج بها ولا نسبتها إلى النبي ﷺ[2]، ومثل هذا لا يجوز العمل به عندنا على ما بينته في مقدمة «صفة صلاة النبي ﷺ»، وهو مذهب جماعة من أهل العلم كابن تيمية وغيره.

الثاني: أحاديث موضوعة، أو لا أصل لها، خفي أمرها على بعض الفقهاء فبنوا عليها أحكاماً! هي من صميم البدع ومحدثات الأمور!

الثالث: اجتهادات واستحسانات صدرت من بعض الفقهاء خاصة المتأخرين منهم، لم يدعموها بأي دليل شرعي، بل ساقوها مساق الأمور المسلمات، حتى صارت سنناً تتبع!

ولا يخفى على المتبصر في دينه، أن ذلك مما لا يسوغ اتباعه، إذ لا شرع إلا ما شرعه الله -تعالى-، وحسب المستحسن -إن كان مجتهداً- أن يجوز له هو العمل بما استحسنه، وأن لا يؤاخذه الله به، أما أن يتخذ الناس ذلك شريعة وسنة فلا، ثم لا، فكيف وبعضها مخالف للسنة العملية.

---

(١) الأمور الثلاثة الأولى تتوافق مع ما ذكره -تقريباً- في «أحكام الجنائز» (ص٣٠٦)، والأمر الرابع زائد عليها، ومع هذه الموافقة، اجتهدنا في وضع كلّ ما سطره ذراع الشيخ -رحمه الله- بما يتعلق في هذه المسألة المهمة: «مرجع البدع».

(٢) انظر: مقدمة «صحيح الترغيب والترهيب» (ص٥٤)- ط. المعارف.

رابعاً: عادات وخرافات لا يدل عليها شرع ولا يـشهد لهـا عقـل، وإن عمل بها بعض الجهال واتخذوها شرعة لهم، ولم يعدموا[1] من يؤيدهم ولـو في بعض ذلك ممن يدعي العلم ويتزيَّى بزيهم.

(١) في الأصل: «يعمدوا»!

البدع تتفاوت في الخطورة؛ إلا أن جميعها محرمة صغيرها وكبيرها

قال شيخنا الألباني -رحمه الله تعالى- في «حجة النبي ﷺ» (ص١٠٣):

ثم ليعلم أن البدع ليست خطورتها في نسبة واحدة، بل هي على درجات، بعضها شرك وكفر صريح، وبعضها دون ذلك، ولكن يجب أن نعلم أن أصغر بدعة يأتي الرجل بها في الدين هي محرمة بعد تبين كونها بدعة، فليس في البدع -كما يتوهم البعض- ما هو في رتبة المكروه فقط، كيف ورسول الله ﷺ يقول: «**كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**»؛ أي: صاحبها، وقد حقق هذا أتم تحقيق الإمام الشاطبي -رحمه الله- في كتابه العظيم «الاعتصام».

ولذلك فأمر البدعة خطير جداً، لا يزال أكثر الناس في غفلة عنه، ولا يعرف ذلك إلا طائفة من أهل العلم، وحسبك دليلاً على خطورة البدعة قوله ﷺ: «**إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة، حتى يدع بدعته**»، رواه الطبراني والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة»، وغيرها بسند صحيح، وحسّنه المنذري.

صغار المحدثات تعود حتى تصير كباراً
ونصيحة ذهبية للإمام البربهاري

وختم شيخنا كتابه «حجة النبي ﷺ» (ص١٠٣-١٠٤) بنصيحة من إمام كبير من علماء المسلمين الأولين، وهو الشيخ حسن بن علي البربهاري من أصحاب الإمام أحمد -رحمه الله- المتوفى سنة (٣٢٩هـ)، قال -رحمه الله تعالى-:

«واحذر من صغار المحدثات، فإن صغار البدع تعود حتى تصير كباراً، وكذلك كل بدعة أُحدثت في هذه الأمة كان أولها صغيراً يشبه الحق، فاغترّ بذلك من دخل فيها، ثم لم يستطع المخرج منها، فعظمت، وصارت ديناً يُدان به، فانظر -رحمك الله- كل من سمعت كلامه من أهل زمانك خاصة فلا تعجلن، ولا تدخل في شيء منه حتى تسأل وتنظر: هل تكلم فيه أحد من أصحاب الرسول ﷺ أو أحد من العلماء، فإن أصبت أثراً عنهم فتمسك به ولا تجاوزه لشيء، ولا تختر عليه شيئاً فتسقط في النار.

واعلم -رحمك الله- أنه لا يتم إسلام عبد حتى يكون متبعاً مصدقاً مسلماً، فمن زعم أنه قد بقي شيء من أمر الإسلام لم يكفوناه أصحاب رسول الله ﷺ فقد كذّبهم، وكفى بهذا فرقة وطعناً عليهم، فهو مبتدع ضال مضل، محدث في الإسلام ما ليس فيه»[1]*.

(١) «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى (٢/ ١٨-١٩). (منه).

* إلى هنا ينتهي النقل من «قاموس البدع»، بتصرف يسير.

عباد الله! وقد أخذ شيخنا الألباني -رحمه الله- هذه النصيحة (وهي الاتباع وعدم الابتداع) من كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ ومن كلام السلف الصالح.

الأدلة من كتاب الله:

- قال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ [هود]

أمر بالاتباع ونهيٌ عن الابتداع.

- وقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف] أمرٌ بالاتباع ونهي عن الابتداع.

- وقال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف]

- وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران].

- وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر:٧].

- وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور].

- وقال تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء:٥٩]

قال الشافعي -رحمه الله- في قوله: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ -أي: إلى ما قاله الله والرسول[1].

الأدلة من السنة:

• عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطاً ثم قال: «**هذا سبيل الله**»، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله وقال: «**هذه سُبلٌ على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**»، **وقرأ**: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾» [الأنعام:١٥٣][2].

• وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله! كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟

فقال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثةٍ بدعة وكل بدعة ضلالة**»[3].

---

(١) انظر «الرسالة» فقرة رقم (٢٦٤).

(٢) حسن: أخرجه الإمام أحمد (١/ ٤٣٥)، والدارمي (٢٠٧)، وابن حبان (٦) [«المشكاة» (١٦٦)].

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وأحمد (٤/ ١٢٦-١٢٧) [«صحيح سنن أبي داود» (٣٨٥١)].

• وعن أنس رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهطٍ إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

قال أحدهم: أمّا أنا فإني أُصلي الليل أبداً، **وقال الآخر**: أنا أصومُ الدهر أبداً ولا أُفطر **وقال آخر**: أنا أعتزلُ النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصومُ وأُفطر، وأُصلي وأرقدُ وأتزوج النِساء، فمن رغِبَ عن سنتي فليس مني**»(١).

• وقال ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»(٢).

• وقال ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»(٣).

والأدلة من أقوال السلف:

١ - يقول أبو بكر الصديق رضي الله عنه: (إنما أنا متبعٌ ولستُ بمبتدعٍ فإن استقمت فتابعوني، وإن زغتُ فقوموني) (٤).

وقال رضي الله عنه أيضاً: (لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملتُ به، إني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ)(٥).

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٧١٨).

(٤) «البداية والنهاية».

(٥) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٠٩٣)، ومسلم (١٧٥٩).

٢- ويقول ابن عباس رضي الله عنهما: (عليكم بالاستقامة والأثر وإياكم والتبدع)[(١)].

٣- ويقول ابن عمر رضي الله عنهما: (كلُ بدعةٍ ضلالة وإن رآها الناس حسنة) [(٢)].

٤- وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (الاقتصاد في السنة خيرٌ من الاجتهاد في البدعة)[(٣)].

وقال رضي الله عنه أيضاً: (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم)[(٤)] .

٥- قال الإمام مالك -رحمه الله-: (من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم خان الرسالة، لأن الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣] فما لم يكن يومئذ ديناً، فلا يكون اليوم ديناً) [(٥)].

٦- وعن عثمان الأزدي قال: (دخلتُ على ابن عباس رضي الله عنهما فقلت له: أوصني؟ فقال: عليك بتقوى الله والاستقامة، اتبع ولا تبتدع) [(٦)].

٧- وقال سفيان: (لا يستقيم قول وعمل إلا بموافقة السنة) [(٧)].

---

(١) ابن وضاح (١/ ٥٤).

(٢) «اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة» (ص١٢٦).

(٣) «جامع بيان العلم» (٢/ ٣٢٠).

(٤) **صحيح موقوف**: أخرجه الدارمي (٢١٠)، والبيهقي في «الشعب» (٢/ ٤٠٧)، [«مجمع الزوائد» (٨٥٣)].

(٥) «الابتداع» (١٧١)، «السنن والمبتدعات» (٦).

(٦) «ابن وضاح (ص٢٥).

(٧) «تلبيس إبليس» (ص٩).

أمثلة في الإتباع وعدم الابتداع والإنكار على المبتدعة:

١ – هذا الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين أراد أن يُقبل الحجر الأسود فقال له: (إني أعلم أنك حجرٌ لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم قبَّلك ما قبَّلتُك)(١).

٢ – وهذا عثمان بن عفان رضي الله عنه قعد يوماً على المقاعد -يعني مقاعد الوضوء- فتوضأ ثم دعا بطعام مما مسته النار فأكل منه، ثم قام إلى الصلاة فصلى ثم قال عثمان: قعدت مقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأكلت طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصليت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم)(٢).

٣– وسمع ابن عمر رضي الله عنهما رجلاً عطس فقال: الحمد لله والسلام على رسول الله. فقال له: (ليس هكذا علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، علمنا أن نقول: «**الحمد لله على كل حال**»(٣)، ولم يقل: (وليُصل على رسول الله).

٤ – وجاء رجل إلى الإمام مالك فقال له: من أين أُحرم؟

قال له: (من ذي الحليفة، من حيث أحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٥٩٧)، ومسلم (١٢٧٠).

(٢) **حسن لغيره**: أخرجه أحمد (١/ ٧٠)، [«الموسوعة الحديثية»].

(٣) **إسناده صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٧٣٨)، والحاكم (٤/ ٢٩٥)، والبيهقي في «الشعب» (٧/ ٢٤)، [«إرواء الغليل» (٣/ ٢٤٥/ ٧٨٠)].

فقال الرجل: إني أريد أن أحرم من المسجد -أي: النبوي- من عند القبر.

فقال له: (لا تفعل، فإني أخشى عليك الفتنة).

فقال الرجل: أي فتنة هذه؟ إنما هي أميال أزيدها.

فقال له: (وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصرَّ عنها رسول الله ﷺ؟. إني سمعت الله -عز وجل يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور](١).

٥- وهذا سعيد بن المسيب -رحمه الله- رأى رجلاً يصلي بعد طلوع الفجر أكثر من ركعتين، يكثر فيها الركوع والسجود، فنهاه عن ذلك -لأن الإنسان إذا طلع الفجر وصلى ركعتي السنة لا يجوز له أن يتنفل بعد ذلك حتى يصلي الفريضة فهذا الرجل قام يتنفل بعد أن صلى ركعتي سنة الفجر فنهاه سعيد بن المسيب عن ذلك - فقال الرجل: (يا أبا محمد! يعذبني الله على الصلاة؟ قال له: لا، ولكن يعذبك على مخالفة السنة) (٢).

---

(١) أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٢٦).

(٢) انظر: «البدعة»/ سليم الهلالي (ص٥٧).

بشرى للسعداء

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة! بعد كتابة هذهِ النصائح بيومين رأيت الشيخ الألباني رحمه الله في المنام وقد جاء إلى بسيارته ومعه كتبه فدخل عليَّ مبتسماً سعيداً يقول لي: يا أبا إسلام، أُريد أن أنزل عندك، فرحبت به وأجلسته في مكاني على مكتبي في مكتبتي وقلت له: هنا أضع كُتبك عن يمينك وشمالك، وهنا (أي: أمامه) نضع مكتبين للموظفَينِ عندك، فرضي الشيخ ذلك، ثم أخذته من يده وقلت له: يا شيخنا، وهذهِ غرفة لتستريح فيها، وإذا أردت غرفة أوسع من ذلك فهذهِ غرفة أُخرى أوسع لتستريح فيها، ثم أخذته من يدهِ وقلت له: هذا (كراج) (أي: موقف) لسيارتك، فرضي الشيخ ذلك وابتسم، وقال لي: جزاك الله خيراً، ثم قال لي: يا أبا إسلام، اجمع لي طلاب العلم لأدرسهم، فجهزّت خيمة كبيرة جداً، وجمعت فيها طلاب العلم، وجاء الشيخ وجلس يدرسهم، ثم استيقظت من نومي، وقمت فرحاً مستبشراً بهذهِ الرؤيا، وخاصة بعد أن بشرني بتأويلها بعض أحبابي وإخواني من أهل العلم.

إخواني! وبعد الرؤيا بيوم واحد قرر مركز الإمام الألباني عندنا في عمّان عقد دورة علمية لطلاب العلم في مسجدي (مسجد إبراهيم الحاج حسن) ولمدة سبعة عشر يوماً، وكان موضوعي في التدريس في هذهِ الدورة في موضوع «فقه الدعوة إلى الله» فاستبشرت بذلك خيراً.

إخواني! وبعد هذهِ الرؤيا بيومين وفي يوم الجمعة بعد الخطبة جاءني رجلٌ من الذين يحضرون الخطبة عندي وقال لي: رأيتك بالأمسِ في المنام تَخْطُب الناس على مكانٍ مرتفع جداً، وتقول للناس: أحذركم من الكذب على رسول الله ﷺ، فإن النبي ﷺ قد جاءني في المنام وأقسم لي، أن هناك أحاديثَ ضعيفةً يتداولها الناس فيما بينهم، والله ما قلتها.

إخواني! فاستبشرت بهذهِ الرؤيا خيراً، وقلت بأن الشيخ قضى عمره مدافعاً عن السنة، محذراً من البدع التي انتشرت في الأمة بسبب الأحاديث الضعيفة والموضوعة، فلما نزل الشيخ عندي بكتبه في بيتي وبعد هذهِ الرؤيا من الأخ التي بشرني بها قررت مستعيناً بالله وحده ومتوكلاً عليه، أن أعمل ليلاً ونهاراً في نشر السنة ومحاربة البدعة حتى ألقى ربي.

﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة:٤]

١

الفرار إلى الله تعالى بالتوبة النصوح

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع سلسلة جديدة من المواعظ بعنوان «حياة السعداء في الفرار إلى الله تعالى».

وهذا العنوان أخذناهُ من كتاب ربنا من قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠﴾ [الذاريات].

عباد الله! في هذه الآية يأمرُ ربنا -جل وعلا- عبادَهُ أن يفروا إليه؛ من الكفر إلى الإيمان .. ومن الشرك إلى التوحيد .. ومن البدعة إلى السنة .. ومن المعاصي إلى الطاعات .. ومن الجهل إلى العلم .. ومن الغفلة إلى الذكر.. ومن الضلال إلى الهدى

عباد الله! اللهُ -عز وجل- يبتلي عبادَهُ بالسراء والضراء، وبالشر والخير وبالحسنات والسيئات، وينزل عليهم العذاب ليفروا إليه وليرجعوا إليه.

- قال تعالى: ﴿وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ۝١٦٨﴾ [الأعراف].
- وقال تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ۝٢١﴾ [السجدة].

- وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأحقاف].

- وقال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم].

فالله -عز وجل- يبتلي عباده بالغنى والفقر، والصحة والمرض، ويزلزل الأرض من تحت أقدامهم، وينزل عليهم العذاب، ويضيق عليهم في معايشهم بسبب ذنوبهم؛ لعلهم يفرون إلى الله، لعلهم يتوبون، ومع ذلك ما يزداد كثير من الناس إلا نفوراً.

عباد الله! والفرار نوعان: فرارُ السعداء وفرار الأشقياء.

ففرارُ السعداء: هو الفرار من الله إلى الله، أي: أنهم يفرون مما يكرَهُهُ اللهُ ظاهراً وباطناً إلى ما يُحبه اللهُ ظاهراً وباطناً.

- كما قال ابنُ عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ [الذاريات:٥٠] أي: (فروا منه إليه، واعملوا بطاعته)[١].

- وكان ﷺ يقولُ في دعائه: «**اللهم إني أعوذ برضاك من سَخَطِكَ، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أُحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك**»[٢].

---

(١) «تفسير القرطبي» (١٧/ ٤٩).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٤٨٦).

ففي هذا الدعاء يعلمُنا النبي ﷺ كيف أن الفِرار يكون مـن الله إلى الله -أي: من معصيته إلى طاعته-.

- وكان ﷺ يقولُ إذا أراد النوم: «**اللهم أسلمتُ نفسي إليك، ووجهـتُ وجهي إليك، وفوَّضتُ أمـري إليـك، وألجـأت ظهـري إليـك، رغبـةً ورهبةً إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنـتُ بكتابـك الـذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت**»(1).

وفي هذا الذكر أيضاً يبين لنا النبي ﷺ أن الفرارَ يكون من الله إلى الله.

عباد الله! أما فرار الأشقياء فهو الفرارُ من الله لا إليه، و(أين المفر والإله الطالب؟!) وأين المفرُ من الموت؟! والله عز وجـل يقـول: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨)﴾ [الجمعة].

وهناك في يوم القيامة: ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (١٠) كَلَّا لَا وَزَرَ (١١) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (١٢) يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١٣) بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ (١٥)﴾ [القيامة].

عباد الله! الناظرُ في أحوال كثـيرٍ مـن النـاس، في هـذا الزمـان -إذا مـا تناقلت الأخبار نبأَ زلـزالٍ أو عـذابٍ نـزل بالنـاس- يـراهم يفـرون فـرار الأشقياء -وهو الفرارُ من الله لا إلى الله-.

أما المؤمنون الذين رضوا بالله رباً وبالإسلام دينـاً وبمحمـد ﷺ نبيـاً ورسولاً وآمنوا بقضاء الله وقدره فإنهم يفرون فرار الـسعداء -أي: يفـرون من الله إلى الله-.

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٣١٥)، ومسلم (٢٧١٠).

وانطلاقاً مما سمعتم فنحن في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- نعيش مع أول فرار يفره السعداء ألا وهو: «**الفرار إلى الله بالتوبة النصوح**».

عباد الله! تشتكون غلاء الأسعار والضنك في المعيشة؟! اعلموا أن هذا كلَّه بما اقترفت أيدينا من الذنوب والمعاصي.

فحياة الضنك مرتبطة بالمعاصي، قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا** ﴾ [طه: ١٢٤].

والحياة الطيبة مرتبطة بالأعمال الصالحة قال تعالى: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً** ﴾ [النحل: ٩٧].

عباد الله! التوبةُ من أهم قواعد الإسلام، وهي أولُ الطريق إلى السعادة في الدنيا وفي الدار الآخرة، وهي واجبة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة سلفاً وخلفاً.

- قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا**﴾ [التحريم: ٨].
- وقال تعالى: ﴿**وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾**﴾ [هود].
- وقال تعالى: ﴿**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾**﴾ [النور].
- وقال ﷻ: ﴿**وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾**﴾ [الحجرات].

وهذه الآيات فيها تهديد وتحذير وأَمرٌ يفيد الوجوب.

- وقال ﷺ: «**يا أيها النـاس! توبـوا إلى الله؛ فـإني أتـوب إلى الله في اليـوم مائة مرة**»[1].

عباد الله! الخلقُ جميعاً في حاجةٍ إلى التوبة النصوح.

- فالكافر عليه أن يتوبَ من كفره، والمشرك عليه أن يتـوبَ مـن شركـه، والمبتدع عليـه أن يتـوب مـن بدعتـه، والعـاصي عليـه أن يتـوبَ مـن معصيته، والطائع عليه أن يتوب من تقصيره، وإليكم الأدلة على ذلـك من الكتاب والسنة.

- قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٣١﴾ [النور]. فالله -عز وجل- أمر المؤمنين جمعياً بالتوبة إلى الله، مما يـدل عـلى أن الطـائع والعـاصي في أمـس الحاجـة إلى التوبـة إلى الله، فالعـاصي يتـوب مـن معصيته، والطائع يتوب من تقصيره.

- وقال ﷺ: «**يا أيها الناس توبوا إلى الله**»، فالنبي ﷺ أمر النـاس جميعـاً بالتوبة إلى الله.

- وقال ﷺ: «**كُلُّ بني آدم خطاءٌ، وخيرُ الخطائين التوابون**»[2].

عباد الله! ومما يدلُ على أن الناس جميعاً في حاجة إلى التوبة، أن الطاعات العظيمة شُرِعَ أن تُختم بالاستغفار، فمن ذلك:

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٧٠٢).

(٢) **حسن**: أخرجه الترمذي (٢٤٩٩)، وابن ماجه (٤٢٥١)، وأحمد (٣/ ١٩٨)، والدارمي (٢٧٢٧)، والحاكم (٤/ ٢٧٢)، [«صحيح ابن ماجه» (٣٤٤٧)].

• الصلاة:

فعن ثوبان رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً)(١).

• قيام الليل:

شُرِعَ الاستغفار بعد صلاة الليل، قال تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات].

انظروا عباد الله إلى أولئك الذين قاموا الليل إلى السحر، ثم جلسوا في خاتمة قيامهم بالليل يستغفرون الله تعالى استغفار المذنب لذنبه.

• الحج:

شُرِع الاستغفارُ بعد أداء عبادة الحج، قال تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾ [البقرة].

•الوضوء:

شُرِعَ الاستغفار بعد الوضوء، يقول المتوضئ بعد الوضوء: «**اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين**»(٢)، ثم يقول بعدها «**سبحانك**

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٥٩١).

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٥٥)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٥/ ١٤٠)، [«صحيح الجامع» (٦١٦٧)].

اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك»(١).

•الاستقامة:

شرع الاستغفار بعدالاستقامة قال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت:٦].

وفي كتاب الله بعد أن أمر اللهُ عبادهُ بالعديد من الأعمال الصالحة، أمرهم بعدها بالاستغفار.

•قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ [المزمل].

عباد الله! وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ بعد أن بلغ الرسالة، وأدى الأمانة ونصح الأمة، وأنعم الله تعالى عليه بالنصر والفتح؛ بأن يسبح بحمد الله ويستغفره؛ فقال سبحانه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾ [النصر].

فكان رسول الله ﷺ يكثر من قول: «**سبحان الله وبحمدِهِ، أستغفرُ الله وأتوب إليه**»(٢).

عباد الله! فالناسُ جميعاً في حاجةٍ إلى التوبةِ النصوح إلى الله، والله ﷻ فتح أمامهم أبواب التوبةِ على مصراعيها لمن أراد أن يتوب منهم.

---

(١) **صحيح**: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٧٥٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٢١)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٢٥)، [«الصحيحة» (٢٣٣٣)].

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٤٨٤).

- قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٦٥].

- وقال تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [غافر:٣].

- وقال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩)﴾ [الحجر].

- وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٠٤)﴾ [التوبة].

- وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣)﴾ [الزمر: ٥٣].

- وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٠)﴾ [الفرقان].

- وقال ﷺ: «**إن الله عز وجل يَبسُطُ يدهُ بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسُطُ يده بالنهار ليتوب مُسيءُ الليل، حتى تطلُعَ الشمسُ من مغربها**»(١).

عباد الله! كُلُّنَا في حاجةٍ إلى التوبة إلى الله من الذنوب والمعاصي والتقصير في حق الله، والله -عز وجل- فتح أمامنا أبواب التوبة على مصراعيها. فالعاقل هو الذي يفرُ إلى الله بالتوبة النصوح قبل أن تباغته أمور:

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٧٥٩).

أولاً: قبل طلوع الشمس من مغربها:

لأن التوبة لا تقبل إذا طلعت الشمس من مغربها.

- قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأنعام].

- وقال ﷺ: «**إن الله عز وجل يبسطُ يدَهُ بالليل ليتوب مُسيءُ النهار، ويبسُطُ يدهُ بالنهار ليتوب مُسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها**»(١).

- وقال ﷺ: «**من تاب قبل أن تطلُعَ الشمس من مغربها تاب الله عليه**»(٢).

ثانياً: وقبل الموت:

لأن العبد إذا تاب عند الموت لم تقبل توبته.

- قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ [النساء].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٧٠٣).

- وقال ﷺ: «**إن الله -عز وجل- ليقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»(1).

ومن الأمثلة على أن توبة التائب لا تقبل عند الموت: فرعون.

عباد الله! فهذا فرعون الشقي كان يفرُ من الله لا إليه، فلما نزل به الموت فرَّ إلى الله فرُدت عليه توبته، والعاقل من اتعظ بغيره.

- قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس].

عباد الله! أما من تاب قبل الموت فإن الله عز وجل يتوب عليه، فهذا الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً وقبضته ملائكة الرحمة، كان قد تاب قبل أن يموت.

عباد الله! والتوبة التي وعد اللهُ صاحبها بتكفير السيئات، ودخول الجنات والفوز والفلاح هي التوبة النصوح.

- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٨﴾﴾ [التحريم].

عباد الله! وهذه التوبة النصوح هي التي تتوفرُ فيها الشروط التالية:

---

(1) **حسن**: أخرجه الترمذي (٣٥٣٧)، وابن ماجه (٤٢٥٣)، وأحمد (٦١٦٠)، وابن حبان (٦٢٨)، والحاكم (٤/ ٢٨٦)، وأبويعلى (٩/ ٤٦٢)، [«صحيح ابن ماجه» (٣٤٤٩)].

الشرط الأول: النية؛ بأن تكون نيتهُ في توبته خالصة لوجه الله تعالى؛ محبة له سبحانه وتعالى، أو حياءً منه، أو إجلالاً له وتعظيماً لشأنه، أو خوفاً من عقابه، أو رغبة فيما أعده الله -تعالى- للتائبين من خيري الدنيا والآخرة.

- قال تعالى: ﴿تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾.
- وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾.
- وقال ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**»[1].
- وقال ﷺ: «**قالت الملائكة: رب ذاك عبدُكَ يُريدُ أن يعمل سيئةً وهو أبصر به، فقال: ارقبُوهُ، فإن عَمِلَها فاكتبوها له بمثلها، وإن تركها فاكتبُوها له حسنةً، إنما تركها من جَرَّآئي**»[2].

والشاهد من الحديث قوله تعالى للملائكة: «**إنما تركها من جَرَّآئي**» -أي: من أجلي-.

فمن ترك الخمر خوفاً من قرحة المعدة؛ فليس بتائب إلى الله.

ومن ترك التدخين خوفاً من السرطان؛ فليس بتائب إلى الله.

ومن ترك الزنا خوفاً من (الإيدز)؛ فليس بتائب إلى الله.

وأما من تاب من المعصية خوفاً من الله فهو التائب إلى الله.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (١) وهو جزء من حديث.

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٢٩) وهو جزء من حديث.

الشرط الثاني: الإقلاع عن الذنب.

الشرط الثالث: الندمُ على فعل ذلك الذنب.

- قال ﷺ: «**الندمُ توبة**»(١).

- وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! ما النجاة؟ قال: «**أملِك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك**»(٢).

- وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**طوبى لِمن مَلَكَ لسانَهُ ووسعهُ بيتُهُ، وبكى على خطيئته**»(٣).

فمن تفكر في ذنوبه بكى ونَدِمَ على معصيته.

الشرط الرابع: العزم على أن لا يعود إلى الذنب مرة أخرى.

الشرط الخامس: أن يتوب قبل الغرغرة.

الشرط السادس: أن يتوب قبل طلوع الشمس من مغربها.

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٤٢٥٢)، وأحمد (١/ ٣٧٦)، وابن حبان (٦١٢)، والحاكم (٤/ ٢٧١)، والطيالسي (٣٨١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢٧٥)، [«صحيح ابن ماجه» (٣٤٤٨)].

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٤٠٦)، وأحمد (٥/ ٢٥٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٢٧٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٤٩٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٠)، [«صحيح الجامع» (١٣٩٢)].

(٣) **حسن**: أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣/ ٢١)، وفي «الصغير» (١/ ١٤٠)، وفي «مسند الشاميين» (١/ ٣١٣)، [«صحيح الجامع» (٣٩٢٩)].

الشرط السابع: أن يكثر من عمل الصالحات بعد التوبة.

- قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه].
- وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [القصص].
- وقال تعال: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾ [الفرقان].

الشرط الثامن: إذا كان الذنب متعلقاً بمخلوق فيجب على التائب إعادة الحقوق إلى أهلها أو استحلالهم منها.

- قال ﷺ: «**من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيءٍ فليتحلَّلْهُ منه اليوم قبل أن لا يكون دينارٌ ولا درهم، إن كان له عملُ صالح أُخذ منه بقدر مظلمتِه، وإن لم تكن له حسناتٌ أُخِذَ من سيئات صاحبه فحُمِلَ عليه**»[1].

وإن لم يفعل ذلك فإنه سيكون هو المفلسَ الذي يوزع حسناته يوم القيامة على الناس.

عباد الله! وإليكم هذه الصور الصادقة في الفرارِ إلى الله بالتوبة النصوح:

١ – عن عمران بن حصين رضي الله عنه: أن امرأةً من جُهينة أتت نبي الله ﷺ وهي حُبْلَى من الزنى؛ فقالت: يا نبي الله! أصبت حداً، فأقمهُ عليَّ،

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٤٤٩).

فدعا نبيُّ الله ﷺ وليَّها؛ فقال: «**أحسِن إليها، فإذا وضعت فائْتِني بها**» ففعل، فأمر بها نبيُّ الله ﷺ فشُكَّت عليها ثيابُها، ثم أمر بها فرُجمتْ، ثم صلى عليها، فقال له عمرُ: تصلي عليها يا نبي الله! وقد زنت؟ قال: «**لقد تابت توبة لو قُسمت بين سبعين مِن أهل المدينة لوسِعتهُم، وهل وجدتَ توبةً أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى**»(١).

٢- وهذا ماعزُ بنُ مالك جاء إلى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله! طهِّرني.

فقال: «**ويحك! ارجع فاستغفر الله وتب إليه**».

قال: فرجع غير بعيد. ثم جاء فقال: يا رسول الله! طهِّرني.

فقال النبي ﷺ: «**ويحك! ارجع فاستغفر الله وتُبْ إليه**».

قال: فرجع غير بعيد. ثم جاء فقال: يا رسول الله! طهِّرني.

فقال النبي ﷺ مثل ذلك.

حتى إذا كانت الرابعة قال له رسول الله ﷺ: «**فيم أُطهِّرُكَ؟**».

فقال: من الزنى.

فسأل رسول الله ﷺ: «**أبِهِ جُنونٌ؟**».

فأُخبر أنه ليس بمجنونٍ.

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٦٩٦).

فقال: «**أشرب خمراً؟**».

فقام رجلٌ فاستنكهَهُ -أي: شم رائحة فمه- فلم يجد منه ريح خمر.

قال: فقال رسول الله ﷺ: «**أزنيت؟**».

فقال: نعم. فأَمر بِهِ فرجُم.

فكان الناسُ فيه فرقتين: قائل يقولُ: لقد هلك، لقد أحاطت به خطيئتهُ.

وقائل يقول: ما توبةٌ أفضل من توبةِ ماعزٍ: أنهُ جاء إلى النبي ﷺ فوضع يده في يده ثم قال: اقتُلني بالحجارة.

قال: فلبثوا بذلك يومين أو ثلاثة. ثم جاء رسول الله ﷺ وهم جلوسٌ فسلَّم ثم جلس.

فقال: «**استغفروا لماعِز بن مالك**» فقالوا: غفر اللهُ لماعِز بن مالك.

فقال رسول الله ﷺ: «**لقد تاب توبةً لو قُسِمتْ بين أمةٍ لوسعَتْهُم**»(١).

٣- وهذه المرأة الغامدية قالت: يا رسول الله! إني قد زنيتُ فطهرني، فردّها النبي ﷺ.

فلما كان الغد قالت: يا رسول الله! لِمَ ترُدُّني؟ لعلّك أن ترُدّني كما رددت ماعزاً فوالله! إني لحُبلى.

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٦٩٥).

قال: «**إمّا لا، فاذهبي حتى تلدي**» -أي: إذا أبيتي أن تستري على نفسك وتتوبي وترجعي عن قولك فاذهبي حتى تلدي، ثم ترجمين بعد ذلك- قال: فلما ولدت أتتهُ بالصبيِّ في خرقةٍ. قالت: هذا قد ولدتُهُ.

قال: «**اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه**».

فلما فطمتهُ أتته بالصبيِّ في يده كِسرة خُبزٍ.

فقالت: هذا، يا نبي الله! قد فطمتُهُ، وقد أكل الطعام.

فدفع الصبيّ إلى رجلٍ من المسلمين. ثم أمر بها فحُفِرَ لها إلى صدرِها. وأمر الناسَ فرجموها.

فيُقبلُ خالدُ بنُ الوليد بحجر فرمى رأسها فتنضح -أي ترشش- الدم على وجه خالد، فسبَّها.

فسَمِعَ نبيُّ الله ﷺ سَبّهُ إياها فقال: «**مهلاً! يا خالد! فوالذي نفسي بيده! لقد تابت توبةً، لو تابها صاحب مكس لغُفِرَ له**». ثم أمر بها فصلى عليها ودُفنت[1].

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[الحديد:١٦].

أما آن الأوان أيها العاصي -وأنت أعلم بمعصيتك- أن تتوب إلى الله؟!

(١) ما سبق.

ماذا تنتظر؟ ولماذا تسوف بالتوبة، وأبواب التوبة فتحت على مصراعيها؟!

عباد الله! ما هي الأسباب التي تدفع إلى التوبة؟ وما هي الأسباب التي تمنع الكثير من الناس من التوبة؟

هذا ما سنعرفه في الجمعة القادمة -إن شاء الله تعالى- إن كان في العمر بقية.

اللهم ارزقنا توبة نصوحاً قبل الموت

٢

١- الأمور التي تعين على الفرار إلى اللّه بالتوبة النصوح

٢- العوائق التي تمنع من الفرار إلى اللّه بالتوبة النصوح

عباد الله! يقول اللهُ -عز وجل-: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠﴾ [الذاريات]، في هذه الآية يأمرُ الله -عز وجل- عبادَه أن يفروا إليه.

وقلنا في الجمعة الماضية: إن الفرار نوعان: فرارُ السعداء وفرار الأشقياء، أما فرارُ السعداءِ فهو الفرارُ من الله إلى الله، أي: أنهم يفرون مما يكرهه اللهُ -عز وجل- ظاهراً وباطناً إلى ما يحبه اللهُ ظاهراً وباطناً.

أما فرار الأشقياء: فهو الفرارُ من الله لا إليه وأولئك خابوا وخسروا؛ إذ: أين المفر والإله الطالب؟!

عباد الله! وتكلمنا في الجمعة الماضية عن فرار السعداءِ إلى الله بالتوبة النصوح وتكلمنا عن التوبة وعن شروطها وذكرنا صوراً صادقة في الفرار إلى الله بالتوبة النصوح.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع الحديث عن:

أولاً: الأمورِ التي تُعينُ على الفرار إلى الله بالتوبة النصوح.

ثانياً: العوائقِ التي تمنع من الفرار إلى الله -تعالى-.

أولاً: الأمور التي تعين على الفرار إلى الله -تعالى- بالتوبة النصوح.

الأمر الأول: الإيمان الصادقُ بالله -تعالى- وباليوم الآخر.

عباد الله! الإيمان الصادقُ بالله -تعالى- يدفعُ صاحبه إلى الفرار إلى الله -تعالى- بالتوبة النصوح.

ومن الأمثلة على ذلك: أولئك السحرةُ الذين كانوا قبل إيمانهم يفرون إلى فرعون يطلبون منه الدنيا الفانية ويحلفون به. وبعد إيمانهم فروا إلى الله -تعالى- بالتوبة النصوح من كفرهم وسحرهم وطلبوا من الله عز وجل المغفرة والجنة.

- قال تعالى عنهم قبل إيمانهم: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الشعراء].

هذا يا عباد الله، قبل الإيمان إذ كان الواحد منهم يطلب الدنيا الفانية بل ويقسم أحدهم بعزة فرعون!! أما بعد الإيمان فانظروا كيف فروا إلى الله.

قال تعالى عنهم: ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الشعراء].

وحتى لما هددهم فرعون: ﴿قَالُواْ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الشعراء].

و ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾ [طه].

وقالوا: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الأعراف].

عباد الله! إذاً فاحرصوا على زيادة الإيمان في قلوبكم.

فالإيمان: قولٌ باللسان، واعتقاد في القلب، وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

الأمر الثاني: تقوى الله -عز وجل-.

عباد الله! تقوى الله -عز وجل- تمنع صاحبها إذا فكر في المعصية أن يقترفها.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف].

تقوى الله -عز وجل- تمنع صاحبها من الوقوع في المعصية إذا قدر عليها، ومثال ذلك:

الثلاثة الذين دخلوا الغار

حيث قال أحدهم: (اللهم إنه كانت لِيَ بنت عمّ كانت أحبَّ الناسِ إليَّ، (وفي رواية: أحببتها كأشدِّ ما يحِبُّ الرجال النساء)، فأردتُها عن نفسها فامتنعت مني حتى ألّمّتْ بها سَنَةٌ من السنين فجاءتني فأعطيتُها عشرين ومائة دينار على أن تُخلِّيَ بيني وبين نفسِها ففعلت، حتى إذا قدرتُ عليها (وفي رواية: فلما وقعت بين رجليها)، قالت: يا عبد الله، اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه -وهذا هو الشاهد- فتحرجت، من الوقوع عليها فانصرفتُ عنها وهي أحبُّ الناسِ إليّ وتركتُ الذهبَ الذي أعطيتُها- اللهم إن كنتَ تعلم أني قد فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت عنهم الصخرة، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها)[1].

- ثم إن تقوى الله -عز وجل- تدفع صاحبها إذا فعل المعصية أن يفر إلى الله بالتوبة النصوح.

- قال تعالى: ﴿**وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣**﴾ [آل عمران]، الذين من صفاتهم: ﴿**وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥**﴾ [آل عمران].

(١) **صحيح**: «مختصر صحيح البخاري» (١٠٦٥)، ومسلم (٢٧٤٣).

الأمر الثالث: الإكثارُ من ذكر الموت والقبر.

عباد الله! العبدُ إذا تذكر الموت دفعه ذلك إلى الفرار إلى الله -تعالى- بالتوبة النصوح.

ولذلك يُذكرنا ربنا -جل وعلا- في كتابه كثيراً بالموت.

- قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران:١٨٥].
- وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن].
- وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [الجمعة].
- وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر:].

وجبريل عليه السلام يذكرنا بالموت فيقول لرسول الله ﷺ: «**يا محمد، عش ما شئت فإنك ميت**»(١).

ورسولنا ﷺ أمرنا أن نذكر الموت دائماً، قال ﷺ: «**أكثروا من ذكر هاذم اللذات**» يعني: الموت(٢).

---

(١) **حسن**: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٦٠)، والطيالسي (١٧٥٥)، والطبراني في «الأوسط» (٤/ ٣٠٦)، والبيهقي في «الشعب» (٧/ ٣٤٨)، [«صحيح الجامع» (٤٣٥٥)]

(٢) **حسن صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣٠٧)، والنسائي (١٨٢٤)، وابن ماجه (٤٢٥٨)، وأحمد (٢/ ٢٩٢)، وابن حبان (٢٩٩٢)، [«صحيح ابن ماجه» (٣٤٥٣)]

وكان الفاروق عمر رضي الله عنه يتمثل دائماً بهذه الأبيات:

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته ... يبقى الإله ويفنى المال والولدُ
لم تغن عن هرمز يوماً خزائنه ... والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجري الرياح له ... والإنس والجن فيما بينها ترد
أين الملوك التي كانت لعزتها ... من كل أوب إليها وافدٌ يفد
حوض هنالك موردٌ بلا كذب ... لا بد من ورده يوماً كما وردوا

عباد الله! والعبد إذا تذكر القبر وما فيه دفعه ذلك إلى الفرار إلى الله -تعالى- بالتوبة النصوح.

- قال صلى الله عليه وسلم: «**كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها؛ فإنها تذكُركم الآخرى، ولتزدكم زيارتها خيراً، فمن أراد أن يزورَ فليزُرْ ولا تقولوا هُجراً**»(١).

ابن آدم! لا تنسَ الموت، لا تنسَ سكرات الموت لا تنسَ عذاب القبر، لا تنسَ ظلمة القبر، لا تنسَ الدود، لا تنسَ أن القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار.

والناظر في أحوال كثير من المسلمين يراهم عن الموت غافلين، وعن القبر غافلين، وعن الحشر والقيامة غافلين. كما قال القائل:

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٩٧٧)،، وأبو داود (٣٢٣٥)، وأحمد (٥/ ٣٥٥)، [«أحكام الجنائز» (ص٢٢٧)].

أمـــا والله لـــو علـــم الأنـــام　　لمـا خلقـوا لمـا هجعـوا ونـاموا
لقــد خلقــوا لأمــر لــو رأتــه　　عيـون قلـوبهم تـاهوا وهـاموا
ممــات ثــم قــبر ثــم حــشر　　وتـــوبيخ وأهـــوالٌ عظـــامُ
ليـوم الحـشر قـد عملـت رجـال　　فـصلوا مـن مخافتـه وصـاموا
ونحـــن إذا أمرنـــا أو نهينـــا　　كأهـــل الكهــف أيقــاظٌ نيــامُ

الأمر الرابع: معرفة ما أعده اللهُ للتائبين.

عباد الله! إذا عرف العبدُ ما أعده الله للتائبين من المغفرة والمحبة والنعيم المقيم دفعهُ ذلك إلى الفرار إلى الله بالتوبة النصوح.

عباد الله! ومما أعده اللهُ للتائبين الذين فروا إليه بالتوبة النصوح.

أولاً: المحبة.

فالله -عز وجل- يحبُّ الذين يفرون إليه بالتوبة النصوح.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة].

وإذا أحب اللهُ عبدَه نادى جبريل: إني أحب فلان فأحبه وينادي جبريل أهل السموات: إن الله يحب فلاناً فأحبوه وتلقى محبته في الأرض.

وإذا أحب الله العبد استجاب دعاءَه إذا دعاه، وغفر له إذا استغفره، وإذا أحب اللهُ عبده لا يعذبه في النار أبداً. قال ﷺ: «**والله، لا يلقي الله حبيبه في النار**»[1].

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٣/ ٢٣٥)، والحاكم (٤/ ١٩٥)، [«صحيح الجامع» (٧٠٩٥)].

ثانياً: يفرحُ به.

قال ﷺ: «للهُ أشدُّ فرحاً بتوبة عبده حين يتوبُ إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه، وعليها طعامُه وشرابُه، فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، قد أيس مِن راحلته، فبينا هو كذلك إذ هو بها قائمةً عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم! أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدَّة الفرح»(١).

ثالثاً: مغفرة الذنوب.

قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ﴾ لمن يا ربنا؟: ﴿لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه].

وقال في الحديث القدسي: «يا ابن آدم! إنك ما دعوتني ورجوتني، غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم! لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني، غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم! إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»(٢).

وقال تعالى: ﴿۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر].

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧٤٧).

(٢) حسن: أخرجه الترمذي (٣٥٤٠)، وأحمد (٥/ ١٦٧)، والدارمي (٢٧٨٨)، والطبراني في «الكبير» (١٢/ ١٩)، وفي «الصغير» (٢/ ٨٢)، [«الصحيحة» (١٢٧)].

وقال ﷺ: «النَّدمُ توبة، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له»(١).

رابعاً: يُبدل سيئاتهم حسنات.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان].

الأمر الخامس: الخوف من الله ومن عذابه الذي أعده للعصاة.

عباد الله! إن الله -عز وجل- يخوف عباده ليفروا إليه بالتوبة النصوح.

- قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر].
- وقال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة:٩٨].
- وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾ [إبراهيم].
- وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم].
- وقال تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ۚ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر].

(١) **حسن**: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٣٠٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ١٥٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٤٣٢)، [«صحيح الجامع» (٦٨٠٣)].

- وقال تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣﴾ [المزمل].

عباد الله! ورسولنا ﷺ يخوف أمته من عذاب الله ليفروا إلى الله بالتوبة النصوح.

- يقول ﷺ: «**يؤتى بأنعم أهل الدنيا مِن أهل النار يوم القيامة، فيُصبغُ في النار صبغةً، ثم يُقالُ: يا ابن آدم! هل رأيت خيراً قط؟ هل مرَّ بِكَ نعيمٌ قطُّ؟فيقول: لا، والله يا رب!**.. الحديث» (1).

- ويقول ﷺ: «**يؤتى بجهنم يومئذٍ، لها سبعون ألف زمامٍ، مع كُلِّ زمامٍ سبعون ألف ملكٍ يجرونها**» (2).

- وقال ﷺ: «**إن أهل النار ليبكون؛ حتى لو أُجرِيتِ السُّفُنُ في دُموعِهم، جرتْ، وإنهم ليبكون الدَّمَ**» (3) -يعني: مكان الدمع-.

الأمر السادس: الدعاء.

عباد الله! مما يعين على الفرار إلى الله -تعالى- بالتوبة النصوح: الدعاء، فعلى العبد أن يدعو الله عز وجل دائماً بأن يمن عليه بتوبة نصوح، لأن الله -عز وجل- هو الذي يوفق العبد للفرار إليه بالتوبة النصوح.

---

(1) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٨٠٧).

(2) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٨٤٢).

(3) **حسن**: أخرجه الحاكم (٤/ ٦٤٨)، [«صحيح الجامع» (٢٠٣٢)].

- قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [التوبة].

- وقال تعالى على لسان إبراهيم وإسماعيل: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [البقرة].

- وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأحقاف].

ثانياً: العوائق التي تمنع من الفِرار إلى اللهّ -تعالى-

العائق الأول: الشيطان.

عباد الله! الشيطان هو عدو الإنسان الأكبر، الشيطان هو عدو الإنسان المبين، يأمره بالفحشاء والمنكر، ويدعوه إلى كل شر ويصده عن كل خير، ولذلك حذر الله عباده من هذا العدو.

- فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر].

- وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [النور:٢١].

- وقال تعالى: ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزخرف].

- وقال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ ﴾ [الأعراف:٢٧].
- الشيطان قعد لابن آدم على الصراط المستقيم ليمنعه من كل خير.

قال تعالى: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧ ﴾ [الأعراف].

فالشيطان يمنعك عن الصلاة والصيام، والصدقة، ويدفعك إلى الشر لتكون من أصحاب السعير.

وإذا أردت أن تحصن نفسك من الشيطان فعليك بالعقيدة الصحيحة وقراءة القرآن والأذكار التي جاءتنا عن رسول الله ﷺ.

العائق الثاني: النفس الأمارة بالسوء.

- قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣ ﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠ ﴾ [المائدة].

فاحرص أن تحول نفسك الأمارة بالسوء إلى نفس مطمئنة تطمئن بقضاء الله وقدره.

العائق الثالث: الهوى.

- قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٢٣ ﴾ [الجاثية].

- وقال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [القصص: ٥٠].

الهوى هو الذي دفعك إلى أكل الربا وإلى التدخين!!

الهوى هو الذي دفعك إلى الزنا وإلى معصية الله!!

العائق الرابع: الدنيا.

وكم من مسلم ترك الصلاة من أجل الدنيا؟! كم من مسلم قطع الرحم من أجل الدنيا؟! ولكن اعلم أن الدنيا غرورة خداعة.

العائق الخامس: قرين السوء.

الصاحب السيء يمنعك عن كل خير ويمنعك من الفرار إلى الله ويمنعك من التوبة، فعليك بالصاحب المؤمن.

- يقول ﷺ: «**لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي**»[1].

اللهم رد المسلمين إلى دينك رداً جميلا

(١) **حسن**: أخرجه أبو داود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣٩٥)، والدارمي (٢٠٥٧)، وابن حبان (٥٥٤)، والحاكم (٤/ ١٤٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢/ ٤٨٤) [«صحيح الجامع» (٧٣٤١)].

٣

الفرار إلى الله تعالى بالتصدق على الفقراء والمساكين

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠﴾ [الذاريات] في هذه الآية يأمر ربنا -جل وعلا- عباده جميعاً أن يفروا إليه مما يكرهه سبحانه وتعالى، ظاهراً وباطناً إلى ما يحبه ظاهراً وباطناً.

- والفرار كما قلنا نوعان: فرار السعداء وفرار الأشقياء، فالأشقياء يفرون من الله إلى غيره وأولئك خابوا وخسروا؛ أين المفر والإله الطالب؟! والسعداء يفرون من الله إلى الله لأنهم قد علموا أنه لا ملجأ من الله إلا إليه.
- وقد تكلمنا عن فرار السعداءِ إلى الله بالتوبة النصوح.
- وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع فرار السعداء إلى الله بالتصدق سراً وعلانيةً على الفقراء والمساكين، وذلك لأن الله -تعالى-

قد ربط في كتابه بين الفرار إلى الله بالتوبة النصوح وبين التصدق على الفقراء والمساكين.

- فقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ أي: إذا تابوا إليه- ﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ -أي: إذا تصدقوا- ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ [التوبة].

عباد الله! وها نحن في شهر الجود والكرم والإنفاق والتصدق، ففروا يا عباد الله إلى الله بالتصدق سراً وعلانيةً على الفقراء والمساكين، وتصدقوا قبل أن لا تتصدقوا؛ فاليوم حياةٌ، وغداً موت، واليوم غنى وغداً فقر.

- قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ [المنافقون].

فيا عباد الله! ومن منطلق هذهِ الآية الكريمة أقول لكم:

١- تصدقوا يا عباد الله! فإن المتصدق يكون في ظل صدقته يوم القيامة حتى يقضي اللهُ بين العباد.

- يقول ﷺ: «**كلُّ امرئٍ في ظل صدقتهِ** -أي: يوم القيامة- **حتى يُقْضَى بين الناس**»(١).

٢- تصدقوا يا عباد الله! من مال الله الذي أعطاكم؛ فإن الصدقة سبب لمغفرة الذنوب.

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ١٤٧)، وابن خزيمة (٢٤٣١)، وابن حبان (٣٣١٠)، والحاكم (١/ ٥٧٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٩٣)، [«صحيح الجامع» (٤٥١٠)].

- قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ ماذا أعددت لهم يا ربنا؟ ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب].

٣- تصدقوا يا عباد الله مما أعطاكم الله؛ فإن المتصدق يوم القيامة يكون في ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظلهُ.

- قال ﷺ: «**سبعةٌ يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظلَ إلا ظلـهُ**» -وذكر منهم- «**ورجل تصدق بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تعلم شمالُه ما تنفق يمينه**»[1].

٤- تصدقوا يا عباد الله! فإن الصدقة تطهرُ النفسَ والمالَ.

- قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة:١٠٣].

٥- تصدقوا يا عباد الله! فإن الصدقة سببٌ لزيادةِ المال.

- قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سبأ].

- وقال تعالى: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [التغابن].

- وقال ﷺ: «**ثلاثٌ أقسمُ عليهن: ما نقص مالُ عبدٍ من صدقة ...**»[2].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١).

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣٢٥)، وأحمد (٤/ ٢٣١)، والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٣٤١)، [«صحيح الجامع» (٣٠٢٤)].

- وقال ﷺ: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم! أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم! أعط ممسكاً تلفاً**»(١).

٦- تصدقوا يا عباد الله! فإن الصدقة تُطفئ غضب الرب.

- قال ﷺ: «**صدقةُ السر تُطفئ غضب الرب، وصلةُ الرحم تزيد في العمر، وفعل المعروف يقي مصارع السوء**»(٢).

٧- تصدقوا يا عباد الله! فإن الصدقة تُطفئ الخطيئة.

- قال ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: «**ألا أدُلُّك على أبواب الخير**»؟ قلت: بلى يا رسول الله! قال: «**الصوم جُنةٌ، والصدقةُ تُطفئُ الخطيئة كما يُطفئ الماء النار**»(٣).

٨- تصدقوا يا عباد الله! فإن الصدقة تُنجي من عذاب النار.

- قال ﷺ: «**ما منكم من أحدٍ إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة، ولو بكلمة طيبة**»(٤).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).

(٢) **صحيح**: أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٢٤٤)، [«صحيح الجامع» (٣٧٦٠)].

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وأحمد (٥/ ٢٣١)، والحاكم (٢/ ٤٤٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٨٦٨)].

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٥١٢)، ومسلم (١٠١٦).

- وقال ﷺ: «**اجعلوا بينكم وبين النار حجاباً؛ ولو بشق تمرة**»(١).

عباد الله! الصدقةُ في الشرع قسمان: فرضٌ ونافلةٌ.

أما صدقةُ النافلة فهي كما في قوله تعالى: ﴿**إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ**﴾ [البقرة:٢٧١].

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١٨)**﴾ [الحديد].

ومن الأمثلة على ذلك:

١- خبر أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه الذي كان من أغنياء الأنصار في المدينة فلما أنزل اللهُ -عز وجل- على رسوله ﷺ: ﴿**لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ [آل عمران:٩٢]، قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله! إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿**لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ وإن أحبَ أموالي إليَّ بيرحاء، وإنها صدقةٌ لله -تعالى-، أرجو برها وذخرها عند الله -تعالى- فضعها يا رسول الله حيث أراك الله.

فقال رسول الله ﷺ: «**بخ، ذلك مالٌ رابح، ذلك مالٌ رابح وقد سمعت ما قلت وإني أرى أن تجعلها في الأقربين**».

(١) **حسن**: أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٨/ ٣٠٣)، [«الصحيحة» (٨٩٧)].

فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله! فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه[1].

٢- قال ﷺ: «**قال رجلٌ: لأتصدقنَّ الليلة بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية، فأصبحوا يتحدثون: تُصُدِّق الليلة على زانية.**

قال: اللهم! لك الحمد على زانية، لأتصدقنَّ بصدقة.

فخرج بصدقته فوضعها في يد غني، فأصبحوا يتحدثون: تُصدِّق على غني.

قال: اللهم! لك الحمد على غني، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تُصدِّق على سارق.

فقال: اللهم! لك الحمد على زانية وعلى غني وعلى سارق، فأُتي فقيل له: أما صدقتُك فقد قُبلت، أما الزانية، فعلها تستعف بها عن زناها، ولعل الغني يعتبر فينفق مما أعطاه الله، ولعل السارق يستعف بها عن سرقته»[2].

٣- وأيضاً صاحب البستان الذي أمر الله السحابة أن تفرغَ ماءها في بستانه حتى لقد سُمع في السحابة صوتٌ يقول: «اسقِ حديقة فلان». فلما سئل الرجل عن ذلك قال: «فإني أنظر إلى ما يخرجُ منها فأتصدق بثلثه، وآكُلُ أنا وعيالي ثلثاً، وأرد فيها ثلثه»[3].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٤٦١)، ومسلم (٩٩٨).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٠٢٢).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٨٤).

أما صدقة الفرض فهي كزكاة المال بأنواعه وأصنافه، وكزكاة الفطر.

قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة:١٠٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦٠)﴾ [التوبة].

عباد الله! وقد حذر الله -عز وجل- في كتابه من منع الزكاة، والرسول ﷺ حذر أيضاً في سنته من منع الزكاة.

فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ (٣٥)﴾ [التوبة].

ويفسر لنا ذلك النبي ﷺ فيقول: «**ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صُفحت له صفائح من نار، فأُحمي عليها في نار جهنم فيُكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما رُدَّت أعيدت له في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يُقضى بين العباد، فيرى سبيله، إما إلى الجنة، وإما إلى النار**»(١).

أيها الغني المانع للزكاة أتقدر على هذا العذاب؟

ويقول ﷺ: «**من آتاهُ الله مالاً فلم يؤدِّ زكاته، مُثِّلَ له ماله يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يُطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه يعني بشدقيه**

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٩٨٧).

ثم يقول: أنا مالك أنا كنزك!» ثم تلا -ﷺ هذه الآية-: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠]»(١) الآية.

- وقال ﷺ: «**مانع الزكاة يوم القيامة في النار**»(٢).
- وقال ﷺ: «**ما منع قوم الزكاة؛ إلا ابتلاهم الله بالسنين**»(٣) أي: بالفقر والجدب.
- وقال ﷺ: «**ولا منع قوم الزكاة؛ إلا حَبَسَ الله عنهم القطر**»(٤) أي: المطر.

عباد الله! أمَّا زكاة الفطر وهي ما يخرجه المسلم في نهاية رمضان وقبل صلاة العيد.

- **فحكمها**: أنها فريضة واجبة على كل مسلم ذكراً أو أنثى حراً أو عبداً؛ لحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: (فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير، على العبد والحر والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين، وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة)(٥).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٤٠٣).

(٢) **حسن صحيح**: أخرجه الطبراني في «المعجم الصغير» (٢/ ١٤٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٧٦٢)].

(٣) **صحيح لغيره**: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧/ ٤٠)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٧٦٣)].

(٤) **صحيح لغيره**: أخرجه الحاكم (٢/ ١٣٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ١٩٦)، وفي «السنن» (٣/ ٣٤٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٧٦٣)].

(٥) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٥٠٣).

- **حكمتها**: أنها طهرةٌ للصائم من اللغو والرفث، وطعمةٌ للمساكين.

يقول ابن عباس رضي الله عنه: (فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرةٌ للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين)[1].

- **وقتها**: تخرج في نهاية رمضان وقبل صلاة العيد فمن أخرجها قبل صلاة العيد فهي زكاة، ومن أخرجها بعد صلاة العيد فهي صدقة من الصدقات.

يقول ابن عمر رضي الله عنهما: (أمر بها -أي: بزكاة الفطر- أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة)[2].

- **مقدارها**: يقول أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: (كنا نخرج زكاة الفطر صاعاً من طعام أو صاعاً من شعير، أو صاعاً من تمر أو صاعاً من أقط، أو صاعاً من زبيب)[3].

اللهم فقهنا في ديننا

---

(١) **حسن**: أخرجه أبو داود (١٦٠٩)، وابن ماجه (١٨٢٧)، والدارقطني (٢/ ١٣٨)، [«صحيح ابن ماجه» (١٤٩٢)].

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٥٠٣).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٥٠٦)، ومسلم (٩٨٥).

٤

الفرار إلى الله تعالى بالاستقامة

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠﴾ [الذاريات] في هذه الآية يأمر ربنا -جل وعلا- عباده جميعاً أن يفروا إليه:

من الكفر إلى الإيمان .. ومن الشرك إلى التوحيد .. ومن البدعة إلى السنة .. ومن المعاصي إلى الطاعات.

- والفرارُ كما قلنا نوعان: فرارُ السعداء وفرارُ الأشقياء، فالأشقياءُ يفرون من الله إلى غيره وأولئك خابوا وخسروا؛ فأين المفر والإله الطالب؟! والسعداءُ يفرون من الله إلى الله؛ لأنهم قد علموا وأيقنوا أنه لا ملجأ من الله إلا إليه.

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع فرار السعداء إلى الله **بالاستقامة على طاعته** وذلك لأن الله -عز وجل- في كتابه ربط بين التوبة النصوح وبين الاستقامة على طاعته.

فقال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه] .

التوبة النصوح والاستقامة على طاعة الله بهما يتحصل العبدُ على مغفرة الذنوب.

وقال تعالى لرسوله ﷺ وللمؤمنين: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ [هود] أمرٌ من الله -تعالى- لرسوله ﷺ ولمن تاب معه بالاستقامة على طاعة الله.

عباد الله! فالتوبة النصوح تحتاج إلى استقامة على طاعة الله -تعالى- حتى الموت.

قال تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر] والاستقامة تحتاج إلى توبة واستغفار لتدوم لصاحبها لأن الإنسان ليس معصوماً فإذا اقترف ذنباً أو معصية فعليه أن يتوب إلى الله -عز وجل- ولذلك أمر الله -عز وجل- بالاستقامةِ والاستغفار فقال تعالى: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت: ٦].

- وأمر رسول الله ﷺ بالاستقامة فقال ﷺ للرجل الذي سأله: «**قل آمنتُ بالله ثم استقم**»(١).

عباد الله! وها نحن قبل يوم واحدٍ ودعنا شهر رمضان الذي فرَّ النـاسُ فيه إلى الله بالتوبة النصوح واستقاموا فيه على طاعة الله، وبعد رمضان انقسم الناسُ إلى فريقين:

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٣٨).

فريقٌ استمر على استقامته بعد رمضان كما كان في رمضان وقليلٌ ما هم.

وفريقٌ انتكس على أم رأسه فرجع إلى المعاصي والذنوب، بل وودع المساجد وقال لها: إلى اللقاء في رمضان المقبل!! فإنا لله وإنا إليه راجعون.

عباد الله! وإلى الفريق الأول: الذين استقاموا على طاعة الله -في رمضان وبعد رمضان- نقول لهم مبشرين ومذكرين:

١- أبشروا بالحياة الطيبة في هذه الدنيا وفي الآخرة فإن الله -عز وجل- ربط بين الحياة الطيبة والسعادة في الدنيا وبين الاستقامة على طاعة الله والعمل الصالح.

فقال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الجن].

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل:٩٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾ -أي: استقاموا على طاعة الله- ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف].

ولذلك قال بعض الصالحين: (لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من السعادة لجالدونا عليها بالسيوف).

والسعادة التي هم فيها هي الاستقامة على طاعة الله وليس الحصول على الجاه والسلطان، ثم نقول لهم:

٢- أبشروا ببشرى الملائكة لكم عند الموت.

- قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ - وذلك عند الموت- ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت].

٣- ونقول لهم: أبشروا بالأمن يوم القيامة من الفزع الأكبر.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الأحقاف].

الذين فروا إلى الله -تعالى- بالتوبة النصوح واستقاموا على توبتهم وعلى طاعة الله في رمضان وبعد رمضان حتى الموت، فحالهم يوم القيامة كما قال الله -عز وجل-: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ -تقول لهم- ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ - [الأنبياء].

٤- ونقول للذين استقاموا على طاعة ربهم -في رمضان وبعد رمضان- احذروا أعداء الاستقامة:

أ- الشيطان. ب- النفس الأمارة بالسوء.

ج- الهوى. د- الدنيا.

هـ- قرناء السوء. و- اللسان.

لأن النبي ﷺ عندما قال للرجل: «**قل ربي الله، ثم استقم**» قال الرجل: يا رسول الله! ما أخوفُ ما تخاف عليَّ؟ فأخذ بلسان نفسه، ثم قال: «**هذا**»(١).

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٤١٠)، وابن ماجه (٣٩٧٢)، وابن حبان (٥٦٩٨)، والحاكم (٤/ ٣٤٩)، والطبراني في «الكبير» (٧/ ٦٩)، [«صحيح الترمذي» (١٩٦٥)].

- ونقول للذين استقاموا على طاعة ربهم -في رمضان وبعد رمضان- عليكم بما يلي:

١- عليكم بالعلم الشرعي، علم الكتاب والسنة بفهم الصحابة رضي الله عنهم فبالعلم الشرعي تميز يا عبد الله بين الحلال والحرام، وبين التوحيد والشرك، وبين السنة والبدعة، وبين الهدى والضلال، فالعالم بدينه بصير والجاهل بدينه أعمى، والعلم يورث الخشية من الله.

٢- وعليكم بمصاحبة الصالحين ومجالستهم.

- قال ﷺ: «**لا تصاحب إلا مومناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي**»(١).

فالصاحب التقي يدفع صاحبه دائماً إلى الاستقامة، أما قرين السوء فهو سبب للرجوع إلى المعاصي مرة أخرى.

- وقال ﷺ: «**إنما مثلُ الجليس الصالح وجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك، إما أن يُحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منهُ ريحاً طيباً، ونافخ الكير إما أن يُحرق ثيابَكَ، وإما أن تجد ريحاً خبيثة**»(٢).

٣- عليكم بالمداومة على الأعمال الصالحة وإن قلّت.

---

(١) **حسن**: أخرجه أبو داود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣٩٥)، وابن حبان (٥٥٤)، والحاكم (٤/ ١٤٣)، [«صحيح الجامع» (٧٣٤١)].

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٥٣٤)، ومسلم (٢٦٢٨).

- قال ﷺ: «**أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومُها وإن قلَّ**»(١).

فمن صام رمضان فلا يحرم نفسه من صيام ستٍ من شوال، أو من صيام الاثنين والخميس من كل أسبوع، أو صيام ثلاثة أيامٍ من كل شهر، أو صيام عرفة أو عاشوراء، ومن قام رمضان فلا يحرم نفسه من قيام الليل بعد رمضان.

قال ﷺ: «**نِعْمَ الرجلُ عبدالله لو كان يصلي من الليل**»(٢).

ومن تصدق في رمضان فلا يحرم نفسه من الصدقة بعد رمضان، ومن أطعم الطعام في رمضان فلا يحرم نفسه من إطعام الطعام بعد رمضان، لقوله ﷺ: «**أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**»(٣).

عباد الله! أما الفريق الثاني الذي انتكس بعد رمضان وعاد إلى الذنوب والمعاصي، وودع المساجد فنقول لهم محذرين ومذكرين:

١- أرضيتم بالحياة الدنيا عن الآخرة فركنتم إليها، قال تعالى: ﴿**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ**

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٤٦٥)، ومسلم (٧٨٣).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٧٣٩)، ومسلم (٢٤٧٩).

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجه (١٣٣٤)، و«مسند أحمد» (٥/ ٤٥١)، والدارمي (١٤٦٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٤)، وابن أبي شيبة (٥/ ٢١٧)، [«إرواء الغليل» (٣/ ٢٣٩/ ٧٧٧)].

﴿...﴾ [التوبة]. وقال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت].

٢- نقول لهم: العمر قليل والأيام تمر، بالأمس القريب استقبلنا رمضان وها نحن بالأمس ودعنا رمضان، وهكذا الأيام تمر والعمر ينقضي وأنت تسير إلى الموت.

نسير إلى الآجال في كل لحظة	وأيامُنا تطوى وهن مراحلُ
ولم أر مثل الموت حقاً كأنه	إذا ما تخطته الأماني باطل
وما أقبح التفريط في زمن الصبا	فكيف به والشيب للرأس شاعل
ترحل من الدنيا بزاد من التقى	فعمرك أيام وهن قلائل

٣- نقول لهم: الموت يأتي بغتة.

- قال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء:٧٨].
- وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [الجمعة].

فيندم أحدنا عند الموت ويتمنى الرجوع إلى الدنيا مرة أخرى ليعمل صالحاً، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ -فيقال له: - ﴿كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون].

٤- اعلموا أن الله يسجل عليكم ما تفعلون إن خيراً فخير وإن شراً فشر جزاءً وفاقاً ولا يظلم ربك أحداً.

- قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾ [المجادلة].

- وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف].

- وقال تعالى في الحديث القدسي: «**يا عبادي! إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفِّيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**»[1].

٥- نقول لهم: اعلموا أن الله لا يُسَوِّي بين المؤمن والفاسق، ولا بين الصالح والطالح.

- قال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾﴾ [السجدة].

- وقال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [القلم: ٣٥].

- وقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص].

وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية].

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

نقول لهؤلاء: توبوا إلى الله قبل فوات الأوان وقبل أن ينزل بأحدكم الموت.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يثبتنا وإياكم على الإيمان

٥

الفرار إلى الله تعالى بتقواه في السرِّ والعَلن

عباد الله! يقول اللهُ -عز وجل- في كتابه: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الذاريات] في هذه الآية يأمرُ ربنا -جل وعلا- عبادَهُ جميعاً أن يفروا إليه من المعاصي إلى الطاعات، ومن الضلال إلى الهدى.

والفرار كما قلنا نوعان: فرارُ السعداء وفرار الأشقياء، فالأشقياء يفرون من الله إلى غيره وأولئك خابوا وخسروا؛ فأين المفر والإله الطالب؟! والسعداء يفرون من الله إلى الله؛ لأنهم علموا أنه لا ملجأ من الله إلا إليه.

عباد الله! بعد أن تكلمنا عن فرار السعداء إلى الله بالتوبة النصوح، نتحدث في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- عن فرار السعداء إلى الله (**بتقوى الله**) وذلك لأن الله -عز وجل- ربط بين التوبة النصوح وبين تقوى الله.

- فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات].

الشاهد أن الله -عز وجل- بعد أن أمر المسلمين أن يجتنبوا إساءة الظن والتجسس والغيبة قال لهم ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ۝١٢﴾، فربط بين التوبة النصوح وبين تقوى الله.

- وقال تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝١١٧ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝١١٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝١١٩﴾ [التوبة].

فلما أمر -ربنا جل وعلا- بالتوبة قال: اتقوا الله. ومن صفات المتقين: قال تعالى في وصفهم: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ۝١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ۝١٦ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ۝١٨﴾ [الذاريات].

وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ۝١٣٣﴾ [آل عمران]، الذين من صفاتهم: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:١٣٥].

عباد الله! فهناك علاقة بين التوبة النصوح وبين تقوى الله، فالتائب إلى الله يحتاج إلى توبة واستغفار إذا أذنب ليبقى من المتقين ومن صفات المتقين قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ۝٢٠١﴾ [الأعراف].

عباد الله! وقد أخبرنا الله -عز وجل- في كتابه أنه أهلٌ لأن يُتقى من عباده، وأهلٌ لأن يغفِرَ لمن تاب إليه منهم.

قال تعالى: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾ [المدثر].

عباد الله! الناسُ جميعاً في حاجةٍ إلى التقوى، ولذلك وصى الله -عز وجل- عباده الأولين والآخرين بالتقوى قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء:١٣١] وقد بلغت الرسلُ عليهم الصلاة والسلام هذه الوصية العظمية لأقوامِهم.

- فهذا نوحٌ عليه السلام يقول الله عز وجل عنه: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [الشعراء].
- وهذا إبراهيم عليه السلام يقول الله عز وجل عنه: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾ [العنكبوت].
- وهذا هود عليه السلام يقول الله عز وجل عنه: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾﴾ [الشعراء].
- وهذا صالح عليه السلام يقول الله عز وجل عنه: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾﴾ [الشعراء].

وهكذا كان حال جميع الرسل، يأمرُ كل منهم قومه بتقوى الله: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ لأن الله -عز وجل- أهلٌ لأن يُتقى.

عباد الله! ورسولنا صلى الله عليه وسلم يوصي أمته وأصحابه بتقوى الله وهو يودعهم.

- يقول العرباض بن سارية ﷺ: «وعظنا رسول الله ﷺ موعظةً وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون فقلنا: يا رسول الله! إنها موعظة مودع فأوصنا قال ﷺ: «**أوصيكم بتقوى الله...**» الحديث[1].

- وقال ﷺ في حجة الوداع: «**اتقوا الله ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدّوا زكاة أموالكم، وأطيعوا ذا أمركم؛ تدخلوا جنة ربكم**»[2].

- ووصى النبي ﷺ أبا ذر ﷺ فقال له: «**أوصيك بتقوى الله تعالى، في سِرِّ أمرِكَ وعلانيته،وإذا أسأت فأحْسِن**»[3].

وقال ﷺ له أيضاً: «**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحُها وخالق الناس بخلق حسن**»[4].

فيا عباد الله! تقوى الله منفعتها راجعةٌ إليكم وذلك بما يلي:

---

(١) **صحيح**: أخرجه البيهقي في «السنن» (١٠/ ١١٤)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، والحاكم (١/ ١٧٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧)].

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٦١٦)، وأحمد (٥/ ٢٥١)، وابن حبان (٤٥٦٣)، والدارقطني (٢/ ٢٩٤)، والطبراني في «الكبير» (٨/ ١٥٤)، [«الصحيحة» (٨٦٧)].

(٣) **حسن**: أخرجه أحمد (٥/ ١٨١)، [«صحيح الجامع» (٢٥٤٤)].

(٤) **حسن**: أخرجه الترمذي (١٩٨٧)، وأحمد (٥/ ١٥٣)، والدارمي (٢٧٩١)، والحاكم (١/ ١٢١)، [«صحيح الجامع» (٩٧)].

١ - فالتقوى سببٌ لمحبة الله -تعالى- قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾﴾ [التوبة] والله -عز وجل- إذا أحب عبداً استجاب لـه إذا دعـاه ، وأعطـاه إذا سأله ، وغفر له إذا استغفره ولا يعذبه في النار أبداً.

٢ - التقوى سببٌ لرحمة الله -تعالى- في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف]. وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام].

٣- التقوى سببٌ لمعية الله عز وجل لعبده، وسبب لإمداده سبحانه وتعالى عبده بالنصر والعون والتأييد، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل]، وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [البقرة].

٤ - التقوى سببٌ لتيسير الأمور في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الليل]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾﴾ [الطلاق].

٥- التقوى سفينة النجاة، والمتقون لا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الزمر].

٦ - التقوى سبب للحصول على الأجر العظيم يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾﴾ [الطلاق]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾ [آل عمران].

٧- التقوى سبب لزيادة الرزق والخروج من الشدائد والكربات، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف:٩٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣].

٨- التقوى سببٌ للتمكين في الأرض، قال تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [يوسف].

ولذلك لما أخبر يوسف إخوانه عن نفسه قال لهم: ﴿أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي ۖ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ۖ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يوسف].

٩- التقوى سببٌ للنصر على الأعداء، ودفع شرهم، ورد كيدهم في نحورهم، قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران:١٢٠].

وقال تعالى: ﴿بَلَىٰ ۚ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [آل عمران].

١٠- التقوى سببٌ لصلاح الأعمال ومغفرة الذنوب، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

١١- والتقوى تجعلك من أكرم الناس عند الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].

وسئل ﷺ: مَنْ أكرمُ الناس؟ قال ﷺ: «**أتقاهم لله**»[1].

١٢- والتقوى تجعلك تُفرق بين الحق والباطل وبين الهدى والضلال، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنفال].

١٣- والتقوى تمنع صاحبها من اقتراف المعاصي والذنوب؛ فالتقي يا عباد الله إذا فكر في المعصية امتنع عنها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف].

والتقي يا عباد الله إذا همَّ بالمعصية منعته التقوى، (فهذا الرجل الذي همَّ أن يزني بابنة عمه فلما قالت له: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه قام عنها ولم يزنِ بها وترك لها المال الذي أعطاها إياه)[2]، فالذي منعه من الزنا: تقوى الله.

والتقوى تمنع صاحبها من الوقوع في جريمة القتل، قال تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ﴾ -أي- الذي لا يتق الله- ﴿لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [المائدة].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٣٨٣)، ومسلم (٢٣٧٨).

(٢) إشارة إلى الحديث الذي أخرجه البخاري (٢٢٧٢).

فالتقي لا يقتل ولا يعتدي على أرواح الأبرياء؛ لأنه يعلم أن الله -عز وجل- يقول في كتابه: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [النساء: ٩٣] فيبتعد عن ذلك خشيةً لله.

وقال ﷺ: «**لو أن أهل السماء والأرض، اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله عز وجل في النار**»[١].

- وقال ﷺ: «**لزوال الدنيا أهونُ على الله من قتل مؤمن بغير حق**»[٢].
- وقال ﷺ في حجة الوداع: «**فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا**»[٣].
- وقال ﷺ: «**كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**»[٤].

فالويل لمن تجرأ على قتل مؤمن متعمداً، وليتقِ الله الذين يعتدون على أرواح الأطفال والنساء والمدنيين ويقتلونهم بغير حق، وليعلموا أنهم سيقفون أمام الله تعالى ويسئلون عن هذه الجريمة، كل ذلك يا عباد الله أقدمه بين يدي ما حدث قبل يوم واحد من تفجير وتدمير وقتل للأطفال والنساء والمدنيين

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (١٣٩٨)، [«صحيح الجامع» (٥٢٤٧)].

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٢٦١٩)، والبزار (٦/ ٣٧٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ٣٤٥)، [«صحيح ابن ماجه» (٢١٣٨)].

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٥٥٠)، ومسلم (١٦٧٩).

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

الأمر الذي يرفضه الإسلام ولا يرضاه، ومن كان يظن أن الإسلام يأمر بقتل الأطفال والنساء والمدنيين الذين لا يحملون السلاح فهذا لا عقل له.

بل نقول: إن نبينا ﷺ كان يأمر قائد الجيش إذا خرج للغزو في سبيل الله أن يتقي الله في نفسه، ويأمرهم أن لا يمثلوا بالمقتول في أرض المعركة، وأن لا يقتلوا النساء ولا الرجال الذين لا يحملون السلاح، وهذا ما يعرف بلغة العصر (بالمدنيين)، فديننا دين رحمة، ودين يدعو إلى تقوى الله -عز وجل-، بل لقد حرم الإسلام على المسلمين أن يقتلوا أهل الكتاب إذا كانوا يعيشون في ظل الدولة الإسلامية، فقال ﷺ: «**من قتل رجلاً من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة، وإن ريحها ليُوجد من مسيرة سبعين عاماً**»[1].

فليتق الله الذين يفعلون هذه الأشياء ويعلنون بكل جرأة أن الإسلام يأمر بذلك. اللهم إني قد بلغت أن الإسلام بريءٌ من هذه الأعمال، فهذا الذي قتل الأطفال لسوف يأتي الطفل منهم ويأخذ بتلابيبه ويقول: رب سل هذا لِـمَ قتلني؟

والتقي يا عباد الله! إذا فعل معصية فإنه يستغفر الله ويتوب من الذنب على الفور، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥)**﴾ [آل عمران].

(١) **صحيح**: أخرجه النسائي (٢٧٤٩)، وأحمد (٤/ ٢٣٧)، [«صحيح الجامع» (٦٤٤٨)].

١٤- التقوى هي زادُك إلى الدار الآخرة.

قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة].

ابن آدم!

تَرَحَّلْ منَ الدنيا بزادٍ من التُّقى فعمرك أيامٌ وهُنَّ قلائلُ

ابن آدم!

إذا أنتَ لم ترحلْ بزادٍ منَ التُّقى وأبصرتَ يومَ الحشرِ مَنْ قد تَزَوَّدا
ندِمْتَ على أنْ لا تكونَ كمثلِهِ وأنكَ لم ترصُدْ كما كان أَرْصَدَا

ابن آدم!

تزودْ منَ التقوى فإنك لا تدري إذا جَنَّ ليلٌ هلْ تعيشُ إلى الفجرِ
فكمْ من صحيحٍ ماتَ من غير علةٍ وكمْ من عليلٍ عاشَ حيناً من الدهرِ
وكمْ منْ صغارٍ يُرتجى طولُ عمرهم وقْد أُدْخلت أجسادُهم ظلمةَ القبرِ
وكمْ من فتىً يمسي ويصبحُ ضاحكاً وقدْ نُسِجَت أكفانُه وهو لا يدري
وكم من عروسٍ زينوها لزوجها وقد قُبِضَتْ أرواحُهم ليلةَ القدرِ

١٥- التقوى خير لباس، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأعراف].

١٦- التقوى تجعلك من أولياء الله، وكفى بهذا شرفاً لك، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس:٦٢-٦٤]. .

١٧- التقوى سببٌ للفوز بالجنة دار المتقين، وهل أُعِدَّت الجنة إلا للمتقين؟!

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾﴾ [الذاريات].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الطور].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾ [النبأ].

وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران].

وسئل ﷺ عن أكثر ما يُدخل الناس الجنة فقال: «**تقوى الله وحسن الخلق**»(١).

ففروا عباد الله إلى الله تعالى بالتقوى؛ فبالتقوى تكون سعادة الدنيا والآخرة.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى

---

(١) **حسن**: أخرجه الترمذي (٢٠٠٤)، وابن ماجه (٤٢٤٦)، وأحمد (٢/ ٣٩٢)، [«الصحيحة» (٩٧٧)].

٦

الفرار إلى الله تعالى بالابتعاد عن الظلم

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠﴾ [الذاريات] في هذه الآية يأمرُ ربنا -جل وعلا- عبادَهُ جميعاً أن يفروا إليه من المعاصي إلى الطاعات ومن الضلال إلى الهدى، ومن الظلمات إلى النور.

عباد الله! والفرار كما قلنا نوعان: فرارُ السعداء وفرار الأشقياء، فالأشقياء هم الذين يفرون من الله إلى غيره، وأولئك خابوا وخسروا؛ فأين المفر والإله الطالب؟! والسعداء هم الذين يفرون من الله إلى الله لأنهم قد علموا وأيقنوا أنه لا ملجأ من الله إلا إليه.

عباد الله! بعد أن تكلمنا عن فرار السعداء إلى الله بالتوبة النصوح.

فإن موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع فرار السعداء إلى الله من الظلم بجميع أنواعه وأشكاله، وذلك لأن الله -عز وجل- ربط بين الفرار إليه سبحانه وتعالى بالتوبة النصوح وبين الفرار إليه بترك الظلم بجميع أنواعه وأشكاله.

فقال تعالى: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾ [المائدة].

وقال تعالى: ﴿وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ٢٧٩﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠﴾ [النساء].

عباد الله! الأدلة من كتاب الله تُبين أن الفرار من الظلم بجميع أنواعه وأشكاله يكون بالتوبة النصوح إلى الله تعالى.

- وقد وصف الله -عز وجل- الإنسان بالظلم والجهل وبين أن الفرار من هذا الظلم وهذا الجهل يكون بالتوبة النصوح والاستغفار.

فقال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ﴾ -وهؤلاء هم الذين ظلموا أنفسهم- ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ -وهؤلاء هم الذين فروا إلى الله بالتوبة النصوح- ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمَۢا ٧٣﴾ [الأحزاب].

- بل جعل الله -تعالى- الناس قسمين: تائب وظالم، فقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ [الحجرات].

عباد الله! والظلم نوعان:

الأول: ظلم لا يغفرُهُ الله أبداً إن مات صاحبُهُ عليه ألا وهو الكفر والشرك بالله.

فالكافر ظالمٌ كما قال تعالى: ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٥٤﴾ [البقرة: ٢٥٤].

والمشرك ظالمٌ كما قال تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمان].

عباد الله! والكافرُ والمشركُ إذا ماتا على كفرهما وشركهما فلن يغفر الله لهما أبداً.

- قال تعالى في المشرك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨﴾ [النساء].
- وقال تعالى في الكافر: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ٣٤﴾ [محمد].

عباد الله! وهذا النوع من الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والشرك لا يخرجون من النار أبداً.

- قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ [المائدة].
- وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ٧٤ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ٧٥ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٧٦﴾ [الزخرف].

- وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [فاطر].

النوع الثاني: ظلم دون الكفر والشرك.

وهذا صاحبه في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، وهذا النوع من الظلم ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: هو أن يظلم الإنسان نفسه بالمعاصي دون الكفر والشرك كما قال تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر:٣٢].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨].

القسم الثاني: هو أن يظلم الإنسانُ نفسه بالاعتداء على أرواح الناس بالقتل، وعلى أموالهم بالسرقة، وعلى أعراضهم بالزنا وهذا الظلم لا يغفره اللهُ له إلا بعد أن تُردَّ المظالمُ إلى أصحابها وتُردَّ الحقوق إلى أصحابها، وبعد أن يسامح المظلومُ الظالمَ.

قال ﷺ: «**لتُؤدُّن الحقوقَ إلى أهلها يوم القيامة، حتى يُقادَ للشاةِ الجلحاءِ من الشاةِ القرناء**»[1].

---

(١) **صحيح:** أخرجه مسلم (٢٥٨٢)

- ولذلك قال النبي ﷺ: «**مَن كانت له مظلمةٌ لأخيه من عرضه أو شيءٍ فليتحللهُ منه اليوم قبل أن لا يكون دينارٌ ولا درهمٌ، إن كان له عمل صالحٌ أُخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أُخذ من سيئات صاحبه فحُمِلَ عليه**»(١).

عباد الله! فالظالم الذي اعتدى على أرواح الأبرياء بالقتل ماذا سيقول لربه يوم القيامة إذا ما جاء القاتل والمقتول ووقفا بين يدي الله للحساب والجزاء؟!

- يقول ﷺ: «**يجيء المقتول آخذاً قاتله، وأوداجه تشخبُ دماً عند ذي العزة، فيقول: أي ربِّ، سل هذا فيم قتلني؟**»(٢).
- وقال ﷺ: «**أول ما يُقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء**»(٣).

فتخيلوا يا عباد الله! وقد نصبت الموازين وخرج الناس من قبورهم لرب العالمين، يقول ﷺ: «**يأتي المقتول متعلقاً رأسه بإحدى يديه، متلبباً قاتِلهُ باليد الأخرى، تشخَبُ أوداجهُ دماً، حتى يأتي به العرش، فيقول المقتولُ لربِّ العالمين: هذا قتلني. فيقول اللهُ للقاتل: تعِسْتَ، ويذهب به إلى النار**»(٤).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٤٤٩).

(٢) **صحيح لغيره**: أخرجه النسائي في «المجتبى» (٣٩٩٩)، وفي «الكبرى» (٢/ ٢٨٦)، وأحمد (١/ ٢٩٤)، وابن أبي شيبة (٥/ ٤٣٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٤٤٨)].

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٨٦٤)، ومسلم (١٦٧٨).

(٤) **صحيح**: أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠/ ٣٠٦)، وفي «الأوسط» (٤/ ٢٨٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٤٤٧)].

- وقال ﷺ: «**يخرجُ عنقٌ من النار يتكلم يقول: وكِّلتُ اليومَ بثلاثةٍ: بكل جبارٍ عنيد، ومن جعل مع الله إلهاً آخر، ومن قتل نفساً بغير حقٍ، فينطوي عليهم، فيقذفهم في غمرات جهنم**»(١).

بل قال ﷺ: «**لو أن أهل السموات والأرض اجتمعوا على قتل مسلم؛ لكبَّهمُ الله جميعاً على وجوههم في النار**»(٢).

عباد الله! أبعد هذا يتجرأ إنسان على قتل الأبرياء بأي حجة كانت؟! أظن أنه لا يقدر على أن يقف بين يدي الجبار يوم القيامة ليقول له: خبت وخسرت، اذهبوا به إلى النار.

عباد الله! فِروا إلى الله تعالى بالابتعاد عن الظلم بجميع أنواعه وأشكاله وذلك:

أولاً: لأن الظلم حرامٌ.

قال ربُّ العزة في الحديث القدسي: «**يا عبادِي إنِّي حرمتُ الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالمُوا** .. »(٣) الحديث.

(١) **حسن لغيره**: أخرجه أحمد (٣/ ٤٠)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٤/ ٢٠٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٤٥١)].

(٢) **صحيح لغيره**: أخرجه الطبراني في «المعجم الصغير» (١/ ٢٠٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٤٤٣)].

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

ثانياً: لأنه قد جاء التحذير من الظلم بجميع أنواعه وأشكاله في الكتاب والسنة.

- قال تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء].
- وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف].
- وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم].
- وقال تعالى: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [الفرقان].
- وقال تعالى: ﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [الإنسان].
- وقال ﷺ: «**إياكم والظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة**»[1].
- وقال ﷺ: «**اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة**»[2].
- وقال ﷺ: «**إن الله ليُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**». ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود][3].

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ١٩٥)، والدارمي (٢٥١٢)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٢٥)، وابن حبان (٥١٥٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٨٧)، و«مسند الحميدي» (١١٥٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٦٠٤)].

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٥٧٨).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣).

ثالثاً: لأن الله عز وجل لا يحب الظالم، وهو ملعون.

- قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [آل عمران].
- وقال تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هود].

رابعاً: لأن الظلم سببٌ للهلاك وللدمار.

- قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [القصص].
- وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾ [الكهف].

ومن الأمثلة على ذلك:

- فرعون وجنوده الذين ملئوا الأرض ظلماً وفساداً، قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [القصص].

خامساً: لأن المظلوم إذا دعا على الظالم استجاب اللهُ له.

- قال ﷺ: «**دعوة المظلوم مستجابة، وإن كان فاجراً ففجوره على نفسه**»(١).

---

(١) **حسن لغيره**: أخرجه أحمد (٢/ ٣٦٧)، والطيالسي (٢٣٣٠)، وابن أبي شيبة (٦/ ٤٨)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٢٩)].

- وقال ﷺ: «**دعوة المظلوم وإن كان كافراً؛ ليس دونها حجاب**»(١).

ولذلك قال ﷺ: «**اتقوا دعوة المظلوم، فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرارة**»(٢).

- وقال ﷺ: «**اتقوا دعوة المظلوم؛ فإنها تُحمل على الغمام، يقول الله: وعزتي وجلالي لأنصرنَّك ولو بعد حين**»(٣).

- وقال ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه عندما أرسله إلى اليمن: «**واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»(٤).

أيها الظالم!

لا تَظْلِمَنَّ إذا ما كنتَ مُقْتَدِراً ... فالظلمُ يرجعُ عُقْباهُ إلى الندمِ
تنامُ عيناك والمظلومُ منتبهٌ ... يدعو عليكَ وعينُ الله لم تَنَمِ

عباد الله! لما أمرَ الله -تعالى- الناسَ أن يفروا إليه من الظلم بجميع أنواعه وأشكاله فتح أمامهم أبواب التوبة والمغفرة على مصراعيها لمن أراد أن يتوب منهم.

---

(١) **حسن لغيره**: أخرجه أحمد (٣/ ١٥٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٣١)].

(٢) **صحيح**: أخرجه الحاكم (١/ ٨٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٢٨)].

(٣) **حسن لغيره**: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٤/ ٨٤)، وابن حبان (٨٧٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٣٠)].

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٩).

- قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر].

- وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان].

عباد الله! فالذين ظلموا أنفسهم بالكفر والشرك وأرادوا أن يتوبوا فإن الله -عز وجل- يتوب عليهم.

- يقول الله لهم: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال:٣٨].
- والذين قالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:١٧]، وهذه مقولةٌ شنيعة.
- والذين قالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣].

يقول الله لهم: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [المائدة].

عباد الله! والذين ظلموا أنفسهم بالمعاصي دون الكفر والشرك ثم تابوا إلى الله فإن الله عز وجل يتوب عليهم، مثلاً:

- كالسارق:

يقول الله -عز وجل-: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [المائدة].

-والقاذف للمحصنات

يقول الله -عز وجل-: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥)﴾ [النور].

- وآكل الربا

يقول الله -عز وجل-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (٢٧٩)﴾ [البقرة].

عباد الله! أما القاتل الذي يعتدي على أرواح الأبرياء من أطفال ونساء ومدنيين بالقتل بدون ذنب منهم فهذا كيف يتوب؟ وكيف نمنعه عن ظلمه؟

هذا ما سنعرفه في الجمعة القادمة -إن شاء الله تعالى- إن كان في العمر بقية.

اللهم رد المسلمين إلى دينك رداً جميلاً

٧

الفرار إلى الله تعالى من الوقوع في جريمة القتل

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠﴾ [الذاريات] في هذه الآية يأمرُ ربنا -جل وعلا- عبادَهُ أن يفروا إليه من الكفر إلى الإيمان .. ومن الشرك إلى التوحيد .. ومن الضلال إلى الهدى .. ومن المعاصي إلى الطاعات .. ومن الظلمات إلى النور ..ومن الجهل إلى العلم

عباد الله! والفرار كما قلنا نوعان: فرار السعداء وفرارُ الأشقياء فالأشقياء يفرون من الله إلى غيره، وأولئك خابوا وخسروا؛ فأين المفر والإلهُ الطالبُ؟! والسعداءُ يفرون من الله إلى الله؛ لأنهم قد علموا وأيقنوا أنه لا ملجأ من الله إلا إليه.

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عن فرار السعداءِ إلى الله -تعالى- من الظلم بجميع أنواعه وأشكاله.

وقلنا: إن من الظلم أن يعتدي الإنسانُ على الأبرياء من الأطفال والنساء والمدنيين بالقتل.

وانطلاقاً من قوله ﷺ: «**انصُرْ أخاك ظالماً أو مظلوماً**»

فقال رجلٌ: يا رسول الله! أنصرُهُ إذا كان مظلوماً، أفرأيت إن كان ظالماً كيف أنصرُهُ؟

قال: «**تحجُزهُ أو تمنعه من الظلم، فإن ذلك نصرُهُ**»(١).

وهنا نسأل:

كيف نمنع هذا الظالم -الذي ظلم نفسه بالاعتداء على أرواح الأبرياء بالقتل- من جريمة القتل؟

الجواب:

أولاً: علينا أن نذكِّره بما جاء في الكتاب والسنة من التحذير الشديد من الاعتداء على أرواح الأبرياء بالقتل لعله يرتدعُ.

- ففي كتاب الله -عز وجل- يحذر ربنا جل وعلا من الاعتداء على أرواح الأبرياء فيقول رب العزة: **﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾** [المائدة:٣٢].

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٩٥٢).

- وقال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء].

- وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ [الفرقان].

- وقال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [المائدة].

ولذلك قال النبي ﷺ: «**لا تُقتلُ نفسٌ ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كِفلٌ من دمها؛ لأنه أولُ من سنَّ القتلَ**»[1].

- وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١] وذلك في موضعين من كتابه؛ كل ذلك يحذر ربنا -جل وعلا- من الاعتداء بالقتل على الأبرياء.

وأما في السنة فقد حذر رسُولُنا ﷺ من الاعتداء على أرواح الأبرياء كذلك، فقال ﷺ: «**أول ما يُقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء**»[2].

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٣٣٥)، ومسلم (١٦٧٧).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٨٦٤)، ومسلم (١٦٧٨).

- وقال ﷺ: «**كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه**»(١).
- وقد أكدَّ ﷺ في خطبته في حجة الوداع حُرمةَ دماءِ المسلمين وأموالهم وأعراضهم بتشبيهها بحرمة الزمان والمكان.

فقال ﷺ: «**فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرامٌ كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربكم، ألا هل بلغت؟**» قالوا: نعم، قال: «**اللهم اشهد، فليبلغ الشاهدُ الغائب، فرُبَّ مُبَلَّغٍ أوعى من سامع، فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضربُ بعضكم رقاب بعض**»(٢).

- وقال ﷺ: «**لن يزالَ المؤمن في فُسحةٍ من دينه، ما لم يُصب دماً حراماً**»(٣).
- وقال ابن عمر رضي الله عنهما: (إن من وَرَطَات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسهُ فيها سفك الدَّم الحرام بغيرِ حِلِّهِ)(٤).
- وقال ﷺ: «**من حمل علينا السلاح فليس منا**»(٥).
- وقال ﷺ: «**سبابُ المسلمِ فسوقٌ، وقتالُه كفرٌ**»(٦).

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٧٤١)، ومسلم (١٦٧٩).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٨٦٢).

(٤) **صحيح**: البخاري (٦٨٦٣).

(٥) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٠٧١)، ومسلم (٩٨).

(٦) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤).

- وقال ﷺ: «**ومن خرج على أمتي يضربُ برَّها وفاجرها، ولا يتحاش من مؤمنها، ولا يفي لذي عهدٍ عهدَه، فليس مني ولستُ منه**»(١).

ثانياً: نمنع القاتل من جريمة القتل بأن نُشخِّصَ له الداءَ ونصف له الدواءَ.

عباد الله! الداءُ الذي جعل هؤلاء يقتلون الصغير والكبير والذكر والأنثى هو داء التكفير، ذلك المرض الخطير الذي انتشر في العالم اليوم بين الشباب فجعلهم يستحلون دماءَ الأبرياء.

عباد الله! والتكفيرمرضٌ ينتشرُ في العالم بسبب وجود الخوارج ومن سار على منهجهم في تكفير المسلم بأي ذنب يرتكبه!! وهذا التكفير يرفضه الإسلام ويحرمه ويحذرُ منه، قال ﷺ: «**أيما رجل قال لأخيه: يا كافر! فقد باءَ بها أحدُهما**»(٢).

- وقال ﷺ: «**من دعا رجلاً بالكفر، أو قال: عدوَّ اللهِ! وليس كذلك إلا حار عليه**»(٣). أي: رجع عليه قوله.

- وقال ﷺ: «**إذا قال الرجلُ لأخيه: يا كافر، فهو كقتله، ولعن المؤمن كقتله**»(٤).

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٨٤٨).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٦١).

(٤) **صحيح**: أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٨/ ١٩٣)، [«صحيح الجامع» (٧١٠)].

وقال الشوكاني -رحمه الله تعالى- محذراً من التسرع في التكفير: (اعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام، ودخولهِ في الكفر لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخرِ أن يقدمَ عليه إلا ببرهانٍ أوضح من شمس النهار).

- وقال الإمام الطحاوي: (ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنبٍ ما لم يستحلهُ، ولا نقولُ: لا يضرُّ مع الإيمان ذنبُ لمن عمله).
- وقال بعض السلف: (لا نكفرُ إلا من كفرهُ اللهُ ورسولهُ).
- وقال آخر: (إذا وجدتم الرجلَ يطلقُ لسانه في تكفير المسلمين فاكتبوا على قفاهُ: لا يفلحُ أبداً).

عباد الله! أدلةٌ صحيحةٌ صريحةٌ تحذر من التسرع في تكفير المسلمين، وذلك لأن من كفرَّ أخاهُ المسلم وقع في مصيبتين:

المصيبة الأولى: أنه استحل دمهُ ومالهُ وعرضهُ، وهذا حرامٌ لقوله ﷺ: «**كل المسلم على المسلم حرام: دمه ومالهُ وعرضه**»[1].

المصيبة الثانية: أنه حكم على أخيه بأن الله لا يغفر له أبداً ولا يرحمه ولا يدخله الجنة، ويخلده في النار، وهذا من أعظم البغي.

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

- يقول أبو هريرة ﷺ: (سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**كان رجلان في بني إسرائيل متؤاخيين، فكان أحدُهما يُذنب، والآخر مجتهدٌ في العبادة، فكان لا يزالُ المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول: أقصر. فوجده يوماً على ذنبٍ فقال له أقصرْ.**

فقال: -أي: المذنب- **خلني وربي، أَبُعِثْتَ عليَّ رقيباً؟**

فقال: -أي: المجتهد في العبادة- **والله! لا يغفر الله لك -أو لا يدخلُكَ الله الجنة-.**

فقبض أرواحهما فاجتمعا عند رب العالمين.

فقال لهذا المجتهد: كنت بي عالماً؟ أو كنت على ما في يدي قادراً؟

وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي.

وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار».

قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياهُ وآخرتَهُ)(١).

عباد الله! فالتكفير هو الداءُ وهو المرض الذي أصاب هؤلاء فدفعهم إلى أن استحلوا دماء كل من خالفهم أو أنكر عليهم.

عباد الله! والدواءُ لهذا الداءِ هو أن يفهم هؤلاء -ومن أيَّدهم- الإسلام فهماً صحيحاً، ومن أراد أن يفهم الإسلام فهماً صحيحاً فعليه بالكتاب

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٩٠١)، وأحمد (٢/ ٣٢٣)، [«صحيح أبي داود» (٤٠٩٧)].

والسنة وفهمها بفهم الصحابة ﭫ، ولا يمكن الحصول على ذلك إلا بالجلوس أمام العلماء.

أما من فهم الإسلام بعقله دون الرجوع إلى أهل العلم فإنه سيضل ضلالاً مبيناً والدليل على ذلك:

١- ما حصل للخوارج عندما خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﭬ عندما فهموا الإسلام فهماً خاطئاً، ولمّا فهموا الإسلام فهماً صحيحاً من ابن عباسٍ ﭭ رجع معظمهم .

فتعالوا بنا لنستمع إلى ابن عباس ﭭ وهو يخبرنا الخبر.

يقول ابن عباس ﭭ: (لما خرجت الحرورية -وهم الخوارج- اعتزلوا في دار وكانوا ستة آلاف، فقلت لعلي ﭬ: يا أمير المؤمنين أبردْ بالظهر لعلي آتي هؤلاء القوم فأُكلمَهم.

قال: إني أخافُ عليك، قلتُ: كلا.

فلبست وترجلت وخرجتُ ودخلت عليهم في دار نصف النهار وهم يأكلون، فسلمتُ عليهم فقالوا: مرحباً بك يا ابن عباسٍ فما جاء بك؟

قلتُ لهم: أتيتكمُ من عند أصحاب النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار ومن عند ابن عم النبي ﷺ وصهره، وعليهم نزل القرآن، فهم أعلم بتأويله منكم، وفيهم أنزل وليس فيكم منهم أحدٌ؛ لأبلغكم ما يقولون وأبلغهم ما تقولون، فانتحى لي نفر منهم.

قلت: هاتوا ما نقمتم على أصحاب رسول الله ﷺ وابن عمه؟

قالوا: ثلاث. قلتُ: وما هنَّ؟

قالوا: أما إحداهنَّ فإنه حكَّمَ الرجالَ في أمر الله، وقال الله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام:٥٧] ما شأن الرجالِ والحكم؟ فقلتُ: هذه واحدةٌ.

قالوا: وأما الثانية فإنه قاتل ولم يَسْبِ ولم يغنم، إن كانوا كفاراً لقد حل سبيهم، ولئن كانوا مؤمنين ما حل سبيهم ولا قتالهم؟ قلتُ: هذه ثنتان فما الثالثة؟

قالوا: إنه محى نفسهُ من أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين.

قلت: هل عندكم شي غير هذا؟ قالوا: حسبنا هذا.

فقلتُ لهم: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله، ومن سنة نبيه ﷺ ما يردُّ قولكم أترضون؟ قالوا: نعم.

قلتُ: أما قولكم حكَّم الرجال في أمر الله، فإني أقرأ عليكم في كتاب الله؛ أن قد صيَّر حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم، في أرنب ونحوها من الصيد، فأمر الله تبارك وتعالى أن يحكموا فيه.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة: ٩٥].

فنشدتكم بالله تعالى أحكم الرجال في أرنب ونحوها من الصيد أفضل، أم حكمهم في دمائهم وصلاح ذات بينهم؟ وأن تعلموا أن الله لو شاء لحكم ولم يصير ذلك إلى الرجال؟

قالوا: بلى، بل هذا أفضل.

وفي المرأة وزوجها قال الله -عز وجل-: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾ [النساء:٣٥] فنشدتكم بالله، حكم الرجال في صلاح ذات بينهم، وحقن دمائهم أفضل من حكمهم في بضع امرأةٍ؟

خرجتُ من هذه؟ قالوا: نعم.

قلت: وأما قولكم قاتل ولم يسب ولم يغنم، أفتسبُون أمكم عائشة، وتستحلون منها ما تستحلون من غيرها وهي أمكم؟

فإن قلتم: إنا نستحل منها ما نستحل من غيرها فقد كفرتم، ولئن قلتم: ليست بأمنا فقد كفرتم، فإن الله تعالى يقول: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ [الأحزاب:٦] فأنتم تدورون بين ضلالتين فأتوا منهما بمخرج!

قلت: أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم.

وأما قولكم محا اسمه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بمن ترضون وأريكم قد سمعتم أن النبي ﷺ يوم الحديبية صالح المشركين فقال لعلي رضي الله عنه: «**اكتب يا علي! هذا ما صالح عليه محمد رسول الله**».

فقال المشركون: لا والله ما نعلم أنك رسول الله لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك، فقال رسول الله ﷺ: «**امح يا علي! اللهم إنك تعلم أني**

رسول الله، امح يا علي، واكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله»، فوالله لرسول الله ﷺ خير من علي، وقد محى نفسه ولم يكن محوه نفسه ذلك محاه من النبوة.

أخرجت من هذا؟ قالوا: نعم. فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم -أي: على عليّ بن أبي طالب- فقُتلوا على ضلالتهم، فقتلهم المهاجرون والأنصار) [1] -أي: يوم النهروان.

٢- ما حصل من العصابة التي أُعجبت برأي الخوارج:

عن يزيد الفقير قال: (كنت قد شغفني رأيٌ من رأي الخوارج، فخرجنا في عصابةٍ ذَوي عددٍ نُريد أن نحجَّ، ثم نخرجَ على الناس، قال: فمررنا على المدينة فإذا جابرُ بنُ عبدالله يُحدِّث القوم -جالسٌ إلى ساريةٍ- عن رسول الله ﷺ.

قال: فإذا هو قد ذكر الجهنَّميِّين.

قال: فقلتُ له: يا صاحبَ رسول الله ﷺ! ما هذا الذي تُحدِّثون؟

والله يقول: ﴿**إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ**﴾ [آل عمران:١٩٢] و ﴿**كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا**﴾ [السجدة:٢٠] فما هذا الذي تقولون؟

(١) **إسناده حسن**: أخرجه النسائي في «الكبرى» (٥/ ١٦٥)، والبيهقي في «السنن» (٨/ ١٧٩)، والحاكم (٢/ ١٦٤).

قال: فقال: أتقرأُ القرآن؟ قلتُ: نعم!

قال: فهل سمعت بمقام محمدٍ ﷺ، -يعني الذي يبعثه الله فيه-؟

قلتُ: نعم! قال: فإنه مقام محمدٍ ﷺ المحمود الذي يُخرجُ الله به من يُخرجُ.

قال: ثم نعت وضع الصراط ومرّ الناس عليه.

قال: وأخاف أن لا أكون أحفظ ذاك.

قال: غير أنه قد زعم أن قوماً يَخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها،

قال: يعني فيخرجون كأنهم عيدان السماسم،

قال: فيدخلون نهراً من أنهار الجنة فيغتسلون فيه، فيخرجون كأنهم القراطيسُ، فرجعنا، فقلنا: ويحكم! أترون الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ ؟! فرجعنا، فلا والله! ما خرج منا غيرُ رجلٍ واحدٍ)[1].

عباد الله! أدلةٌ صحيحة صريحةٌ تدل على أن من رجع إلى أهل العلم فهم منهم الإسلام فهماً صحيحاً، ورجع عن ضلاله وانحرافه، ومن بقي بعيداً عن أهل العلم فهم الإسلام فهماً خاطئاً وهو يظن أنهُ يحسن صنعاً، والله -عز وجل- يقول: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف].

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٩١).

وقال تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الزمر].

٢- نمنع القاتل من جريمة القتل بأن نذكرهُ بالتوبة قبل فوات الأوان.

عباد الله! للعلماء في توبة القاتل المتعمد قولان:

القول الأول: قالوا لا توبة له وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجلاً أتاه فقال: أرأيت رجلاً قتل رجلاً متعمداً؟ قال: جزاؤه جهنّم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً.

قال -ابن عباس-: لقد أنزلت في آخر ما نزل، ما نسخها شيءٌ حتى قُبض رسول الله ﷺ، وما نزل وحيٌّ بعد رسول الله ﷺ.

قال: -أي: الرجلُ-: أرأيت إن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى!

قال ابن عباس: وأنى له بالتوبة، وقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**ثكلتهُ أُمهُ رجلٌ قتل رجلاً متعمداً، يجيء يوم القيامة آخذاً قاتله بيمينه أو بيساره أو آخذا رأسه بيمينه أو شماله تشخب أوداجه دماً في قبل العرش، يقول: يا رب سل عبدك فيم قتلني؟**»[1].

وممن ذهب إلى أنه لا توبة له من السلف أيضاً زيدُ بن ثابت، وأبو هريرة، وعبدالله بن عمر وغيرهُم.

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٢٤٠)، والنسائي (٣٩٩٩)، والطبراني في «الكبير» (١٠/ ١٨٧)، [«الصحيحة» (٦/ ١/ ٤٤٤-٤٤٥)].

ومن الأحاديث التي تدل على أنه لا توبة له:

قوله ﷺ: «**كل ذنبٍ عسى اللهُ أن يغفره؛ إلا الرجلَ يموت كافراً، أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً**»(١).

وقوله ﷺ: «**كل ذنبٍ عسى الله أن يغفره؛ إلا الرجل يموت مشركاً، أو من يقتل مؤمناً متعمداً**»(٢).

القول الثاني: وهو قول الجمهور من السلف والخلف: أن القاتل له توبةٌ فيما بينه وبين ربه لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر].

ولقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾ [الفرقان].

ولقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:١١٦].

والرجل الذي قتل مائة نفس ثم تاب ورجع إلى الله تاب الله عليه وقبضتهُ ملائكة الرحمة.

---

(١) **صحيح لغيره**: أخرجه أحمد (٤/ ٩٩)، والنسائي (٣٩٨٤)، والحاكم (٤/ ٣٩١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٤٤٥)].

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٢٧٠)، وابن حبان (٥٩٤٨)، والحاكم (٤/ ٣٩١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٤٤٦)].

فالقاتل المتعمد إذا تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى تـاب الله عليـه، ولكن يبقى حق المقتول الذي يأخذه من قاتله يوم القيامة.

اللهم رد المسلمين إلى دينك رداً جميلاً

٨

الفرارُ إلى الله تعالى من فتنة الدنيا

عباد الله! يقولُ الله -عز وجل- في كتابه: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠﴾ [الذاريات] في هذه الآية يأمرُ ربنا -جل وعلا- عبادَهُ أن يفروا إليه من المعاصي إلى الطاعات ومن الضلال إلى الهدى، ومن الظلمات إلى النور، ومن أسباب الشقاء إلى أسباب السعادة.

عباد الله! والفرارُ كما قلنا نوعان: فرارُ السعداءِ وفرارُ الأشقياء، فالأشقياءُ يفرون من الله إلى غيره، وأولئك خابوا وخسروا؛ فأين المفر والإله الطالبُ؟! والسعداءُ يفرون من الله إلى الله؛ لأنهم قد علموا وأيقنوا أنه لا ملجأ من الله إلا إليه.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع الحديث عن فرار السعداء إلى الله من **فتنة الدنيا**.

عباد الله! الدنيا فتنة عظيمةٌ افتتن بها كثيرٌ من الناس -إلا من رحم ربي- حتى أنستهم الآخرة، فلا همَّ لهم إلا الدنيا.

أما السعداء فإنهم فروا إلى الله -تعالى- من فتنة الدنيا وذلك للأسباب التالية:

أولاً: لأن الدنيا دنيئة زائلة لا تدوم لأحدٍ ولا يدوم لها أحد.

- قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن].
- وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [القصص].

ابن آدم!

لا شيءَ مما ترى تبقى بشاشتهُ ... يبقى الإلهُ ويفنى المال والولدُ
لم تغن عن هرمز يوماً خزائنه ... والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمانَ إذ تجري الرياح له ... والإنس والجن فيما بينها تَرِدُ
أين الملوك التي كانت لعزتها ... من كل أوب إليها وافدٌ يَفِدُ
حوض هنالك مورودٌ بلا كذب ... لا بدَّ من ورده يوماً كما وردوا

ابن آدم!

تزود من معاشك للمعاد ... وقم لله واجمع خير زاد
ولا تجمع من الدنيا كثيراً ... فإن المال يجمع للنفاد
أترضى أن تكون رفيق قوم ... لهم زاد وأنت بغير زاد

- قال ابن مسعود رضي الله عنه: (الدنيا دارُ من لا دارَ له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له)[1].

---

(١) «مواعظ الصحابة» (ص٢٢٥).

- وقال أيضاً: (ما من يومٍ إلا وملكٌ ينادي: يا ابن آدم! قليلٌ يكفيك خيرٌ من كثيرٍ يُطغيك)[1].

ثانياً: لأن الدنيا غرورة اغتر بها كثيرٌ من الناس فأنستهم الآخرة، مع أن الله -عز وجل- حذر عباده من الدنيا!

- قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾﴾ [فاطر].

- وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [لقمان]

ثالثاً: لأن الدنيا لعبٌ ولهو كما وصفها الذي خلقها.

- قال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد].

رابعاً: لأن الدنيا دار من اطمأن إليها ونسي الآخرة دخل النار.

- قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود].

---

(١) «مواعظ الصحابة» (ص٢٢٠).

- وقال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ﴿١٨﴾﴾ [الإسراء].
- وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس].
- وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النازعات].

خامساً: لأن الدنيا تُهلك من ركن إليها وافتتن بها ونسي الآخرة.

- قال ﷺ لأصحابه: «**فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بُسطتْ على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم**»(١).

عباد الله! والعاقل من اتعظ بغيره:

- فهذا قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم، أتدرون لِمَ بغى عليهم؟ لأنه ملك المال، ملك الدنيا، وافتتن بها، فلما بغى على قومه بالمال هلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡ﴾ [القصص:٧٦]، فكانت النتيجة: ﴿فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [القصص: ٨١].
- وهذا العالِم الذي ركن إلى الدنيا وافتتن بها ونسي الآخرة فهلك، قال تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٠١٥)، ومسلم (٢٩٦١).

﴿ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ [الأعراف:١٧٥-١٧٦].

- وقال ﷺ: «**بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا**»[١].

سادساً: لأن الدنيا تُذل من ركن إليها واطمأن بها.

- قال ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع** -كناية عن حب الدنيا والركون إليها- **وتركتم الجهاد سلط اللهُ عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**»[٢].
- وقال ﷺ: «**تعسَ عبدُ الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة؛ إن أُعطي رضي، وإن لم يُعط لم يرضَ**»[٣].

وأي ذُلٍ أعظم من أن يكون الإنسان عبداً للدرهم والدينار؟!

سابعاً: لأن الدنيا لا تزيد أهلها الذين ركنوا إليها إلا فقراً.

- عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كانت الآخرةُ همه، جعل الله غناهُ في قلبه وجمع لهُ شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة**

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١١٨).

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٣٤٦٢)، والبيهقي في «السنن» (٥/ ٣١٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٣٧)، [«صحيح الجامع» (٤٢٣)].

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٤٣٥).

ومن كانت الدنيا همه جعل اللهُ فقرهُ بين عينيه، وفرّق عليه شـمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدِّر له»[1].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن الله تعالى يقـول: يـا ابن آدم تفرّغ لعبادتي أملأ صدْرك غنى وأسُدَّ فقـرك، وإن لا تفعـل ملأتُ يديْك شُغلاً، ولم أسُدَّ فقرك**»[2].

ثامناً: لأن الدنيا لا قيمة لها عند الله،

- عن سهل بن سعد قال: كنا مع رسـول الله ﷺ قـال: «**لـو كانـت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضةٍ، ما سقى كافراً منها قطرة أبداً**»[3].

وقال ﷺ: «**والله ما الـدنيا في الآخـرة إلا مثـلُ مـا يجعـلُ أحـدُكُمُ إصبعهُ هذه في اليم فلينظر بمَ يرجع**»[4].

- وقال ﷺ: «**الدنيا ملعونة، ملعونُ ما فيهـا، إلا ذكـر الله ومـا والاهُ وعالماً أو متعلماً**»[5].

---

(1) **صـحيح**: أخرجـه الترمـذي (٢٤٦٥)، وأحمـد (٥/ ١٨٣)، والـدارمي (٢٣٤)، والطـبراني في «الكبير» (١١/ ٢٦٦)، [«صحيح الجامع» (٦٥١٠)].

(2) **صـحيح**: أخرجـه الترمـذي (٢٤٦٦)، وابـن ماجـه (٤١٠٧)، وأحمـد (٢/ ٣٥٨)، والحـاكم (٢/ ٤٨١)، [«صحيح الجامع» (١٩١٤)].

(3) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٤١١٠)، والترمذي (٢٣٢٠)، والطبراني في «الكبـير» (٦/ ١٥٧)، والحاكم (٤/ ٣٤١)، [«صحيح ابن ماجه» (٣٣٣٤)].

(4) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٨٥٨).

(5) **حسن**: أخرجه الترمذي (٢٣٢٢)، وابن ماجه (٤١١٢)، [«صحيح الجامع» (١٦٠٩)].

وها هو رسولنا ﷺ يبين لنا قيمة الدنيا الحقيقية:

- فعن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ مرَّ بالسوقِ داخلاً من بعض العالية والناس كنفتهُ فمرّ بجدي أسك ميتٍ فتناوَلهُ فأخذ بأُذنهِ، ثم قال: «**أيكم يُحبُّ أن هذا له بدرهم؟**» فقالوا: ما نحبُّ أنه لنا بشيء وما نصنعُ به؟!

قال: «**أتحبون أنه لكم؟**».

قالوا: والله لو كان حياً كان عيباً فيه، لأنهُ أسكُّ، فكيف وهو ميت؟!

فقال: «**فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم**»(١).

تاسعاً: لأن النبي ﷺ حذر أمتهُ من فتنة الدنيا.

- قال ﷺ: «**إن الدنيا حُلوةٌ خضرةٌ، وإن الله مستخلفكُم فيها، فينظرُ كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء**»(٢).
- وقال ﷺ: «**إني مما أخافُ عليكم من بعدي ما يُفتحُ عليكم من زهرةِ الدنيا وزينتها**»(٣).
- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «**كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل**» وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول:

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٥٧).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٧٤٢).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٤٦٥)، ومسلم (١٠٥٢).

(إذا أمسيت، فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لِمرضِكَ، ومن حياتك لموتك)[1].

- وجاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! دُلَّني على عمل إذا أنا عَمِلتُهُ أحبني اللهُ وأحبني الناسُ

فقال: «**ازْهدْ في الدنيا يُحبَّكَ الله، وازهد فيما عند الناس يُحبك الناس**»[2].

عاشراً: فرَّ السعداء إلى الله تعالى من فتنة الدنيا لأن النبي ﷺ ضرب لهم أروع الأمثلة في الفرار من فتنة الدنيا:

- يقول ابن مسعود رضي الله عنه: نام رسول الله ﷺ على حصيرٍ، فقام وقد أثَّرَ في جنبه، فقلنا: يا رسول الله! لو اتخذنا لك وطاءً، فقال: «**ما لي وللدنيا؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكبٍ استظل تحت شجرةٍ، ثم راح وتركها**»[3].

- وقال عمرو بن الحارث رضي الله عنه: «ما ترك رسول الله ﷺ عند موته درهماً، ولا ديناراً، ولا عبداً، ولا أمةً، ولا شيئاً إلا بغلتهُ البيضاء

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٤١٦).

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٤١٠٢)، والحاكم (٤/ ٣٤٨)، والطبراني في «الكبير» (٦/ ١٩٣)، والبيهقي في «الشعب» (٧/ ٣٤٤)، [«صحيح الجامع» (٩٢٢)].

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣٧٧)، وابن ماجه (٤١٠٩)، وأحمد (١/ ٣٩١)، والحاكم (٤/ ٣٤٥)، [«صحيح الجامع» (٥٦٦٨)].

وسلاحهُ، وأرضاً جعلها صدقة»[1] .

- وتقول عائشة رضي الله عنها : «**تُوفي رسول الله ﷺ ودرعُهُ مرهونةٌ عند يهوديّ بثلاثين صاعاً من شعير**»[2] .
- وتقول رضي الله عنها : «**إن كنا لننظر إلى الهلال، ثم الهلال ثم الهلال: ثلاثة أهلَّةٍ في شهرين، وما أُوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نارٌ**»، قيل: فما كان يُعيشكُم؟ قالت: «**الأسودان التمر والماء**»[3] .
- وتقول رضي الله عنها : «**ما شَبعَ آلُ محمدٍ ﷺ من خبز شعيرٍ يومين متتابعين حتى قبض رسول الله ﷺ**»[4] .

فيا من افتتنتم بالدنيا ونسيتم الآخرة واقترفتم المعاصي وحرصتم على جميع الدنيا من حِلها ومن غير حلها اسمعوا ماذا يقول النبي ﷺ في أن الرزق مضمون ويطارد الإنسان كما يُطاردهُ أجلهُ.

- قال ﷺ : «**إن روح القدس نفث في روعي، أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها، وتستوعب رزقها فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب، ولا يحمَلنَّ أحدَكم استبطاءُ الرزق أن يطلبُهُ بمعصيةِ الله، فإن الله تعالى لا ينال ما عندهُ إلا بطاعته**»[5] .

اللهم وسع لنا في الدنيا وزهدنا فيها ولا تحجبها عنا فترغبنا فيها

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٧٣٩).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٩١٦).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٥٦٧)، ومسلم (٢٩٧٢).

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٧٠).

(٥) **صحيح**: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٢٦)، [«صحيح الجامع» (٢٠٨٥)].

٩

الفرار إلى الله تعالى من فتنة المال

عباد الله! يقولُ الله -عز وجل- في كتابه: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الذاريات] في هذه الآية يأمرُ ربنا -جل وعلا- عبادَهُ أن يفروا إليه من المعاصي إلى الطاعات .. ومن الضلال إلى الهدى .. ومن الظلمات إلى النور.. ومن البدعة إلى السنة.

عباد الله! والفرارُ كما قلنا نوعان: فرارُ السعداءِ وفرارُ الأشقياء، فالأشقياءُ يفرون من الله إلى غيره، وأولئك خابوا وخسروا؛ فأين المفر والإله الطالبُ؟! والسعداءُ يفرون من الله إلى الله؛ لأنهم قد علموا وأيقنوا أنه لا ملجأ من الله إلا إليه.

عباد الله! وفي هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- نتحدث عن فرار السعداء من **فتنة المال**.

عباد الله! المالُ فتنة عظيمةٌ جداً افتتن بها كثيرٌ من الناس، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [التغابن].

وقال ﷺ: «**إن لكل أمةٍ فتنةً، وفتنة أمتي المال**»(1).

عباد الله! والإنسان بطبيعته يحبُّ المالَ حباً شديداً، قال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝٢٠﴾ [الفجر].

وقال تعالى في وصف الإنسان: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ [العاديات] -أي: لحب المال لشديد.

عباد الله! وبسبب حب الإنسان للمال تجد الكثير من الناس قد حرص على جمعه بالليل والنهار من الحلال ومن الحرام ولا يبالي، حتى لقد افتتن بعضهم بالمال فترك الطاعات كالصلاة وغيرها واقترف المحرمات كالربا وغيره.

قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝٦ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ۝٧﴾ [القلم].

وقال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝٥٩﴾ [مريم].

عباد الله! والله -عز وجل- حذر عبادهُ أن يفتتنوا بالمال، فينشغلوا بجمعه عن طاعته سبحانه، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْخَٰسِرُونَ ۝٩﴾ [المنافقون].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَٰرَةِ ۚ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّٰزِقِينَ ۝١١﴾ [الجمعة].

---

(1) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣٣٦)، وأحمد (٤/ ١٦٠)، وابن حبان (٣٢١٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٢٥٣)].

ورسول الله ﷺ حذر أمته أن يفتتنوا بالمال فيهلكوا.

- فقال ﷺ: «**إنما أهلك من قبلكم الدينار والدرهم، وهما مهلكاكُم**»[(١)].
- **وقال ﷺ**: «**ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنم، بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه**»[(٢)].

وقرأ ﷺ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾﴾ [التكاثر] ثم قال: «**يقول ابن آدم: مالي مالي، قال: وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟**»[(٣)].

عباد الله! وقد ضرب الله تعالى لنا في كتابه وكذا النبي ﷺ في سنته الأمثلة على من افتتن بالمال من الناس.

- فهذا صاحب الجنتين المذكور في سورة الكهف افتتن بالمال فتكبر على صاحبه وقال له: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾﴾ [الكهف].

فكانت النتيجة: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾﴾ [الكهف].

---

(١) **صحيح لغيره**: أخرجه البزار (٥/ ٥١)، وابن أبي شيبة (٧/ ١٤١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٢٧٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٢٥٨)].

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣٧٦)،وأحمد (٣/ ٤٥٦)، والدارمي (٢٧٢٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٧١٠)].

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٥٨).

- وهذا قارون الذي افتتن بالمال فبغى على قومه ولم يقبل منهم النصيحة، قال تعالى: ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [القصص:٧٦] السببُ: كثرةُ المال، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى﴾ [القصص: ٧٦].

ولكن قومه نصحوه، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص]. ومع ذلك فإن قارونَ الذي افتتن بالمال لم يقبل نصيحة قومه ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص:٧٨].

فكانت النتيجة: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ [القصص].

- المترفون -أهل الغنى- الذين فتنهم المال فلم يستجيبوا لِـمَا جاءت به رسل الله .

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَـٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَـٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سبأ].

فكانت النتيجة: النار.

قال تعالى: ﴿وَأَصْحَـٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الواقعة].

- أكلةُ الربا الذين افتتنوا بالمال فملئوا بطونهم من الربا وأطعموا أولادهم من الربا والله -عز وجل- يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗ﴾ [آل عمران:١٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة:٢٧٥].

فكانت النتيجة: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة:٢٧٨-٢٧٩].

وقال ﷺ: «**درهم ربا يأكله الرجلُ وهو يعلم أشدُّ من ستةٍ وثلاثين زنية**»[١].

وقال ﷺ: «**الربا ثلاثةٌ وسبعون باباً، أيسرها مثل أن ينكح الرجل أُمه**»[٢].

وقال ﷺ: «**إذا ظهر الزنا والربا في قرية، فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله**»[٣].

- ويقول جابر رضي الله عنه: «**لعن رسولُ الله ﷺ آكلَ الربا وموكلَهُ، وكاتبه وشاهديه وقال: هم سواء**»[٤].

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٥/ ٢٢٥)، والدارقطني (٣/ ١٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٨٥٥)].

(٢) **صحيح**: أخرجه الحاكم (٢/ ٤٣)، وعبدالرزاق في «مصنفه» (٨/ ٣١٤)، والبيهقي في «الشعب» (٤/ ٣٩٤)، [«صحيح الجامع» (٣٥٣٩)].

(٣) **صحيح**: أخرجه الحاكم (٢/ ٤٣)، والطبراني في «الكبير» (١/ ١٧٨)، [«صحيح الجامع» (٦٧٩)].

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٥٩٨).

- البخلاءُ الذين افتتنوا بالمال فبخلوا بزكاة أموالهم ولم يتصدقوا منها على الفقراء والمساكين.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

وقال ﷺ: «**مانعُ الزكاة يوم القيامة في النار**»(١).

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة].

وفي السنة أمثلة على من افتتن بالمال منها:

قوله ﷺ: «**إن ثلاثة في بني إسرائيل: أبرصَ وأقرعَ وأعمى فأراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكاً، فأتى الأبرص، فقال: أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟**

قال: لونٌ حسنٌ، وجلدٌ حسنٌ، ويذهبُ عني الذي قد قذرني الناسُ، قال: فمسحه فذهب عنه قذره، وأُعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً.

قال: فأيُّ المالِ أحبُّ إليك؟ قال: الإبل ... فأعطي ناقة عُشراء، فقال: بارك الله لك فيها.

قال: فأتى الأقرع فقال: أي شيءٍ أحبُّ إليك؟

(١) حسن: أخرجه الطبراني في «المعجم الصغير» (٢/ ٥٨)، [«صحيح الجامع» (٥٨٠٧)].

قال: شعرٌ حسنٌ، ويذهبُ عني هذا الذي قذرني الناسُ، قال: فمسحه فذهب عنه، قال: وأُعطى شعراً حسناً.

قال: فأيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: البقرُ، فأُعطى بقرةً حاملاً، قال: بارك الله تعالى لك فيها.

قال فأتى الأعمى فقال: أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟

قال: أن يردَّ اللهُ إليّ بصري فأُبصرَ به الناسَ، قال: فمسحه فرد الله إليه بصره. قال: فأيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: الغنم، فأُعطي شاةً والداً.

فأُنتج هذان وولَّد هذا، قال: فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم.

قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجلٌ مسكينٌ قد انقطعت بي الحبالُ في سفري، فلا بلاغ لي اليومَ إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمالَ، بعيراً أتبلغ عليه في سفري.

فقال -أي: الأبرصُ-: الحقوق كثيرةٌ.

فقال له -أي: الملك-: كأني أعرفُكَ، ألم تكن أبرصَ يقذرُكَ الناسُ؟ فقيراً فأعطاك الله؟

فقال: إنما ورثتُ هذا المالَ كابراً عن كابر.

فقال: إن كنت كاذباً فصيَّرك الله إلى ما كنت.

قال: وأتى الأقرع في صورته فقال له مثل ما قال لهذا وردَّ عليه مثل ما ردَّ على هذا.

فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ماكنت.

قال: وأتى الأعمى في صورته وهيئته فقال: رجلٌ مسكين وابنُ سبيل انقطعت بي الحبالُ في سفري، فلا بلاغ لي اليومَ إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي ردَّ عليك بصركَ شاةً أتبلغ بها في سفري؟

فقال: قد كنت أعمى فردَّ اللهُ إليَّ بصري فخذ ما شئت ودع ما شئت فوالله لا أجهدُكَ اليوم شيئاً أخذتهُ لله -عز وجل-.

فقال: أمسك مالك فإنما ابتُليتم، فقد رُضي عنك، وسُخط على صاحبيك»[1].

فانظروا عباد الله! افتتن الأبرصُ والأقرعُ بالمال فكانت النتيجة:

١- سخط الله عليهما.

٢- وعرضوا أنفسهما لعذاب الله.

عباد الله! أما السعداءُ فإنهم يفرون إلى الله -تعالى- من فتنة المالِ للأسبابِ التالية:

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤).

أولاً: لأنهم علموا أن المال الذي في أيديهم هو مالُ الله، قال تعالى: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [النور:٣٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة:١١١].

وعلموا أن الله عز وجل إنما أعطاهم هذا المالَ ليقيموا الصلاة ويعبدوا الله، لا ليبارزوه بالمعاصي.

قال ﷺ: «**إن الله -عز وجل- قال: إنا أنزلنا المالَ لإقامِ الصلاةِ، وإيتاء الزكاةِ، ولو كان لابنِ آدم وادٍ** -أي: من المال- **لأحبَّ أن يكون إليه ثانٍ، ولو كان له واديان لأحبّ أن يكون إليهما ثالثٌ، ولا يملأ جوف ابن آدمَ إلا الترابُ، ثم يتوبُ اللهُ على من تاب**»(١).

- فكم من الناس افتتن بالمال فضيع الصلاة وبارز الله بالمعاصي بماله!! كما قال تعالى عنهم: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم].

أما السعداءُ الذين فروا إلى الله من فتنة المال فقد قال الله -عز وجل- في وصفهم: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور].

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٥/ ٢١٨-٢١٩)، والطبراني في «الكبير» (٣/ ٢٤٧)، [«الصحيحة» (١٦٣٩)].

ثانياً: السعداءُ فروا إلى الله -تعالى- من فتنة المال لأنهم قد علموا وأيقنوا أنهم راجعون إلى الله يوم القيامة، وأن الله سائلهم عن هذا المال فاكتسبوه من الحلال وأنفقوه في طاعة الله.

- قال ﷺ: «**لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامةِ حتى يُسألَ عن عمره فِيم أفناهُ؟ وعن علمه فيمَ فعل فيه؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وعن جسمه فيم أبلاهُ؟**»(1).

ثالثاً: السعداءُ فروا إلى الله -تعالى- من فتنة المال لأنهم قد علموا أن المالَ مع العلم الشرعي نعمةٌ على صاحبه يصلُ به إلى أعلى المنازل عند الله، وعلموا أن المال مع الجهل بالدين نقمة على صاحبه يصلُ به إلى أخبث المنازل.

قال ﷺ: «**إنما الدنيا لأربعة نفر: عبدٍ رزقهُ اللهُ مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه، ويصلُ فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقاً، فهذا بأفضل المنازل، وعبدٍ رزقه الله علماً، ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية، يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء، وعبدٍ رزقه الله مالاً، ولم يرزقه علماً فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقاً، فهذا بأخبث المنازل، وعبدٍ لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان، فهو بنيته، فوزرهما سواء**»(2).

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٤١٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٢٦)].

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣٢٥)، وأحمد (٤/ ٢٣١)، [«مشكاة المصابيح» (٥٢٨٧)].

رابعاً: السعداءُ فروا إلى الله -تعالى- من فتنة المال فتاجروا مع الله بأموالهم؛ لأنهم قد علموا وأيقنوا أن التجارة بالمالِ مع الله تجارةٌ رابحة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١١﴾ [الصف].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ۝٢٩﴾ [فاطر].

وقال أبو ذر رضي الله عنه: انتهيتُ إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو جالسٌ في ظل الكعبة، فلما رآني قال: «**هم الأخسرون ورب الكعبة**» ... فقلت: يا رسول الله! فداك أبي وأمي، مَنْ هم؟

قال صلى الله عليه وسلم: «**هم الأكثرون أموالاً، إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا -من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله- وقليلٌ ما هم**»(١).

وقال صلى الله عليه وسلم: «**ما من يوم يصبح العباد فيه، إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً**»(٢).

عباد الله! وضرب لنا الصحابة رضي الله عنهم أروع الأمثلة في الإنفاق في سبيل الله:

١-فهذا الفاروق عمر رضي الله عنه وأبو بكر الصديق رضي الله عنه.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٦٣٨)، ومسلم (٩٩٠)، واللفظ له.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).

- يقول عمر رضي الله عنه: (أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً أن نتصدق فوافق مالاً عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر، إن سبقته يوماً فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما أبقيت لأهلك**»؟ فقلت: مثله.

وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما أبقيت لأهلك**»؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله.

قلت -أي عمر-: لا أسابقك إلى شيء أبداً)[1].

٢- وهذا أبو طلحة الأنصاري يتصدق بأحب ماله إليه.

- يقول أنس رضي الله عنه: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل وكان أحب أمواله إليه (بيرُحاء) وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماءٍ فيها طيب.

قال أنس رضي الله عنه: فلما أُنزلت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢] قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب أموالي إليّ بيرُحاء وإنها صدقةٌ لله أرجو برّها وذُخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**بخ! ذلك مالٌ رابح! ذلك مالٌ رابح! وقد سمعتُ ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين**».

---

(١) **حسن**: أخرجه أبو داود (١٦٧٨)، والترمذي (٣٦٧٥)، والحاكم (١/ ٥٧٤)، [«مشكاة المصابيح» (٦٠٣٠)]

فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبنـي عمه»[1].

اللهم رد المسلمين إلى دينك رداً جميلاً

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٤٦١)، ومسلم (٩٩٨).

١٠

الفرار إلى الله تعالى بطلب المغفرة

عباد الله! يقولُ الله -عز وجل- في كتابه: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠﴾ [الذاريات] في هذه الآية يأمرُ ربنا -جل وعلا- عبادَهُ أن يفروا إليه من المعاصي إلى الطاعات .. ومن الضلال إلى الهدى .. ومن الظلمات إلى النور

عباد الله! والفرارُ كما قلنا نوعان: فرارُ السعداءِ وفرارُ الأشقياء، فالأشقياءُ يفرون من الله إلى غيره، وأولئك خابوا وخسروا؛ فأين المفر والإله الطالبُ؟! والسعداءُ يفرون من الله إلى الله؛ لأنهم قد علموا وأيقنوا أنه لا ملجأ من الله إلا إليه.

عباد الله! وفي هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- نتحدث عن فرار السعداء إلى الله -تعالى- لطلب المغفرة.

عباد الله! الإنسان بظلمةِ وجهله يقترفُ الذنوبَ والمعاصي بالليل والنهار، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢﴾ [الأحزاب].

وقال ﷺ: «**كلُّ ابن آدم خطاءٌ، وخيرُ الخطائين التوابون**»(١).

- واللهُ -عز وجل- من صفاته أنه يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب وأناب إليه، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه].

وقال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الحجر].

وقال تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ [غافر:٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر].

عباد الله! فالناس يذنبون بالليل والنهار، والله -عز وجل- يغفر لمن تاب واستغفر، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾ [الرعد].

وقال تعالى في الحديث القدسي: «**يا عبادي! إنكم تُخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم**»(٢).

عباد الله! فالسعداءُ إذا اقترفوا ذنباً أو معصية فروا إلى الله بالتوبة النصوح يطلبون المغفرة منه لأنه -سبحانه- هو وحده الذي يغفر الذنوب،

---

(١) **حسن**: أخرجه الترمذي (٢٤٩٩)، وابن ماجه (٤٢٥١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٣٩)].

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

كما قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران].

عباد الله! ومن أسباب مغفرة الذنوب التي يأخذُ بها السعداء:

أولاً: الدعاءُ.

ثانياً: الاستغفار.

ثالثاً: التوحيد.

ودليلهم على ذلك قوله تعالى في الحديث القدسي: «**يا ابن آدم! إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم! لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم! لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة**»(١).

عباد الله! فالدعاء سببٌ من أسباب المغفرة، فالله -عز وجل- يقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر:٦٠].

---

(١) **حسن لغيره**: أخرجه الترمذي (٣٥٤٠)، والطبراني في «الكبير» (١٢/ ١٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٣٨٢)].

فالمذنب والعاصي إذا تاب من معصيته ودعا الله -عز وجل- أن يغفرَ له غفر الله له.

فهذا آدم عليه السلام لما عصى تاب إلى الله ودعاه أن يغفر لهُ، فغفر له وتاب عليه قال تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣)﴾ [الأعراف]

وهذا موسى عليه السلام لما وكز القبطي بيده فقتله طلب من ربه المغفرة فغفر له، قال تعالى: ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ (١٥) قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٦)﴾ [القصص].

- والله -عز وجل- علمنا في كتابه أن نطلب المغفرة منه وحدهُ سبحانه بالدعاء، فقال تعالى: ﴿رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤) فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾ [آل عمران:١٩٣-١٩٥].

والنبي صلى الله عليه وسلم يبين لنا أن طلب المغفرة يكون من الله وحدهُ، بدعائه سبحانه وتعالى، فيقول صلى الله عليه وسلم: «**سيدُ الاستغفار: أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت؛ خلقتني وأنا عبدُك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوءُ لك بنعمتك عليَّ، وأبوءُ بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**»(١).

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٣٠٦).

وعلم النبي ﷺ أصحابه أن يطلبوا المغفرة من الله وحده بالدعاء، فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقولُ يا رسول الله! علمني دعاءً أدعو به في صلاتي، فقال ﷺ: «**قل اللهم إني ظلمتُ نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرةً من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم**»(١).

عباد الله! ومن أسباب المغفرة: الاستغفار، كما قال رب العزة في الحديث القدسي: «**يا ابن آدم! لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرتُ لك**»(٢).

وفي حديث آخر: «**لو أخطأتُم حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والأرض، ثم استغفرتم الله -عز وجل- لغفر لكم**»(٣).

كيف لا والله -عز وجل- يقول في كتابه: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:١٣٥].

ورسولنا ﷺ يقول: «**والله إني لأستغفرُ الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**»(٤).

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٨٣٤)، ومسلم (٢٧٠٥).

(٢) **حسن لغيره**: وهو جزء من حديث، أخرجه الترمذي (٣٥٤٠)، وأحمد (٥/ ١٧٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٣٨٢)].

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٣/ ٢٣٨)، وأبو يعلى (٧/ ٢٢٦)، [«الصحيحة» (١٩٥١)].

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٣٠٧).

وقال ﷺ: «**إنه ليُغانُ على قلبي وإني لأستغفرُ الله في اليوم مائة مرة**»(١).

ويقول ابنُ عمر رضي الله عنهما: (إن كنا لَنَعُدُّ لِرسُولِ الله ﷺ في المجلس الواحدة مائة مرةٍ يقول: «**ربِّ اغفر لي وتُب عليَّ إنك أنت التوابُ الرحيم (أو: التواب الغفور)**» (٢).

عباد الله! ومن أسباب المغفرة: التوحيد، وهو السبب الأعظم الذي من فقدهُ فقدَ المغفرة ومن جاء به فقد أتى بأعظم أسباب المغفرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨].

وفي الحديث القدسي: «**يا ابن آدم! لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة**»(٣).

عباد الله! وقبل أسبوع رجع حجاجُ بيت الله الحرام إلى بيوتهم بعد أن أدوا مناسك الحج.

عباد الله! وفريضة الحج من أعظم الأسباب لمغفرة الذنوب، قال ﷺ: «**تابعوا بين الحج والعمرة؛ فإنهما ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفي الكيرُ خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحج المبرور ثوابٌ دون الجنة**»(٤).

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٧٠٢).

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (١٥١٦)، وابن ماجه (٣٨١٤)، وأحمد (٢/ ٢١)، [«الصحيحة» (٥٥٦)].

(٣) حسن لغيره: تقدم تخريجه (ص١١٠).

(٤) **حسن صحيح**: أخرجه الترمذي (٨١٠)، والنسائي في «المجتبى» (٢٦٣١)، وفي «السنن الكبرى» (٢/ ٣٢٢)، وأحمد (١/ ٣٨٧)، [«صحيح النسائي» (٢٤٦٨)].

وقال ﷺ: «**من حج لله، فلم يرفث ولم يفسق؛ رجع كيومَ ولدته أمه**»(١).

ويقول ﷺ: «**إن مسْحَ الحجر الأسود والركن اليماني يحطان الخطايا حطاً**»(٢).

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: (فلما جعل الله الإسلام في قلبي؛ أتيتُ النبي ﷺ فقلت: ابسُطْ يمينك فلأبايعك؛ فبسط يمينه، قال: فقبضتُ يدي، قال: «**مالك يا عمرو؟!**». قال: قلتُ: أردتُ أن أشترط! قال: «**تشترطُ بماذا؟**» قلت: أن يُغفر لي، قال: «**أما علمت يا عمرو أن الإسلام يهدم ما كان قبله؟ وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله؟**»(٣).

وقال ﷺ: «**ما من يومٍ أكثرُ من أن يُعتِقَ اللهُ عز وجل فيه عبداً من النارِ من يوم عرفة، وإنهُ ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة؛ فيقول: ما أراد هؤلاء؟!**»(٤) وفي زيادة: «**اشهدوا ملائكتي! أني قد غفرت لهم**»(٥).

وعن أنس بن مالك قال: وقف النبي ﷺ بـ(عرفات)؛ وقد كادت الشمس أن تؤوب، فقال: «**يا بلال! أنصت لي الناس**»، فقام بلال، فقال:

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٥٢١)، ومسلم (١٣٥٠).

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن حبان (٣٦٩٠)، والطبراني في «الكبير» (١٢/ ٣٨٩)، [«صحيح الجامع» (٢١٩٤)].

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٢١).

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٣٤٨).

(٥) **صحيح لغيره**: [«صحيح الترغيب والترهيب» (١١٥٤)].

أنصتوا لرسول الله ﷺ، فأنصت الناس، فقال: «**معاشرَ الناس! أتاني جبرائيلُ آنفاً، فأقرأني من ربي السلام، وقال: إن الله -عز وجل- غفر لأهل عرفات، وأهل المشعر، وضمن عنهم التبعات**».

فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله! هذا لنا خاصةً؟

قال: «**هذا لكم ولمن أتى من بعدكم إلى يوم القيامة**».

فقال عمر بن الخطاب: كثر خيرُ الله وطاب!(١).

عباد الله! فالحجُ من أعظم أسباب المغفرة وذلك لأنه يشملُ على أسباب المغفرة كالدعاء والاستغفار والتوحيد.

- فالحاج إذا خرج من بيته إلى الحج دعا دعاء السفر.
- وإذا رأى الكعبة قال: اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام.
- وإذا طاف بالبيت دعا.
- وبين الركنين اليماني والحجر الأسود يقول: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة].
- وعلى الصفا يتجهُ الحاج إلى الكعبة ويرفع يديه ويدعو، وعلى المروة كذلك وهو يسعى بين الصفا والمروة يدعو.

---

(١) **صحيح لغيره**: «صحيح الترغيب والترهيب» (١١٥١).

- وإذا وقف على عرفات يرفع يديه ويدعو حتى تغرب الشمس.
- وبعد رمي الجمرة الأولى والثانية بعد الزوال في أيام التشريق يرفع يديه ويدعو.

وكذلك الحج مظهر من مظاهر الاستغفار.

- كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [البقرة].

عباد الله! الحجُ من أعظم أسباب المغفرة لأنه يشتملُ على أعظم أسباب المغفرة ألا وهو التوحيد.

- فالحاج من اللحظة الأولى يُلبي بالتوحيد: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك).
- فالحاج وهو يطوف بالبيت يقول: (ربنا) و (اللهم) -وتراه لا يدعو إلا الله وحده- وإذا انتهى من طوافه صلى ركعتين سنة الطواف، في الركعة الأولى يقرأبعد الفاتحة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾﴾ [الكافرون] وفي الركعة الثانية يقرأ بعد الفاتحة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ [الإخلاص].
- وإذا صعد الصفا والمروة اتجه إلى القبلة ورفع يديه وقال: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده لا شريك له أنجز وعدهُ ونصر عبدهُ وهزم الأحزاب وحدهُ).

- ويوم عرفة يُكثر الحاج من قول: (لا إله إلا الله).
- وفي رمي الجمرات يقول مع كل حصاة (اللهُ أكبر).

والله -عز وجل- يقول: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ [الحج].

عباد الله! ومع ذلك وللأسف الشديد ترى كثيراً من الحجاج يقعون في الشرك وهم يؤدون مناسك الحج.

- فمنهم من يدعو الرسول من دون الله، وهذا شركٌ أكبر، فالذي يستجيب الدعاء هو الله وحدهُ.
- ومنهم من يدعو الأولياء والصالحين من دون الله، وهذا شركٌ أكبر، والله -عز وجل- يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر].

ومن الحجاج من يتمسح بجدران الكعبة وبالحديد الذي على مقام إبراهيم، وبالحديد الذي وضع على قبر رسول الله ﷺ، ثم يمسحون وجوههم وأجسامهم، فإلى أمثال هؤلاء الحجاج نقول:

- أنسيتم أن الحج من أوله إلى آخره توحيد لله؟! فالله يأمر والحاج يقول: سمعنا وأطعنا.

- نقول لهم أنسيتم أن الشرك ظلم عظيم؟! قال تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان].
- أنسيتم أن الشرك يحبط الأعمال؟! قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام].
- أنسيتم أن الشرك يمنع المغفرة؟! قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨].

وقال تعالى في الحديث القدسي: «**يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة**».

أنسيتم أن الشرك سبب لدخول النار، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة].

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا

١١

الفرار إلى الله تعالى
من شؤم المعاصي والذنوب

عباد الله! يقولُ الله -عز وجل- في كتابه: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠﴾ [الذاريات] في هذه الآية يأمرُ ربنا -جل وعلا- عبادَهُ جميعاً أن يفروا إليه من المعاصي إلى الطاعات .

والفرارُ كما قلنا نوعان: فرارُ السعداءِ وفرارُ الأشقياء، فالأشقياءُ يفرون من الله إلى غيره، وأولئك خابوا وخسروا؛ فأين المفر والإله الطالبُ؟! والسعداءُ يفرون من الله إلى الله، لأنهم قد علموا وأيقنوا أنه لا ملجأ من الله إلا إليه.

عباد الله! وفي هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- نتحدث عن فرار السعداء إلى الله -تعالى- من **شؤم المعاصي والذنوب**.

عباد الله! ما نزلتْ مصيبة -على مستوى الفردِ والجماعة والأمة- إلا وسببها المعاصي والذنوب، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ -أي: بسبب ما اقترفت من الذنوب والمعاصي- ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ [الشورى].

- وما ظهر فسادٌ في البر والبحر إلا بسبب الذنوب والمعاصي، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ -أي: بما اقترفتْ من الذبوب والمعاصي- ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم].
- **عباد الله!** وهل في الدنيا والآخرة شرٌّ وداءٌ إلا وسببهُ الذنوب والمعاصي؟
  - فما الذي أخرج الأبوين من الجنة دار اللذةِ والنعيم والبهجة والسرور إلى دار الآلام والأحزان والمصائب؟
  - وما الذي أخرج إبليس من السماء وطردهُ ولعنهُ؟! فَبُدِّلَ بالقرب بُعداً، وبالرحمة لعنةً، وبالجمال قبحاً، وبالجنة ناراً تلظى!
  - وما الذي أغرق أهلَ الأرض كُلَّهُم حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال؟
  - وما الذي سلط الريح على قوم عادٍ حتى ألقتهُم موتى على وجه الأرض كأنهم أعجاز نخلٍ خاوية، وحتى صاروا عبرةً للأمم إلى يوم القيامة؟
  - وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطّعتْ قلوبهم في أجوافهم، وماتوا عن آخرهم؟
  - وما الذي رفع قُرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نباح كلابهم ثم قلَبها عليهم فجعل عاليها سافِلها فأهلكم جميعاً ثم أتبعهم حجارة من السماء أمطرها عليهم، وما هي من الظالمين ببعيد؟

- وما الذي أرسل على قوم شعيب سحابَ العذاب كالظلل، فلما صار فوق رؤوسهم أمطر عليهم ناراً تلظى؟

- وما الذي أغرق فرعون وقومه في البحر، ثم نقل أرواحهم إلى جهنم؛ فكانت الأجساد للغرق، والأرواح للحرْقِ؟

- وما الذي خسف بقارون وداره وماله وأهله؟ ... أليست هي الذنوب والمعاصي؟!

عباد الله! المعاصي شؤمٌ على أصحابها في الدنيا والآخرة، والسعداءُ فروا إلى الله -تعالى- من شؤم الذنوب والمعاصي للأسباب التالية:

أولاً: لأن الله -عز وجل- حذر من الذنوب والمعاصي.

- قال تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾﴾ [الأنعام] يأمر الله عبادَهُ جميعاً أن يتركوا الذنوب والمعاصي الظاهرة والباطنة.

- وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾ [المائدة:٩٢] -أي: احذروا معصية الله ومعصية رسولِه فإن في ذلك الشر والخسران المبين.

- وقال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة:٢٣٥].

- وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ [آل عمران].

- وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾ [القمر].

- وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف].

- وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء].

- وقال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة]. أدلةٌ من كتاب ربنا تحذرُ من الذنوب والمعاصي.

عباد الله! وحذر النبيُّ ﷺ أُمتهُ من الذنوب والمعاصي:

- قال ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**».

قالوا يا رسول الله! ومن يأبى؟

قال: «**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**»(١).

- وقال ﷺ: «**لأعلمَنَّ أقوماً مِنْ أُمتي؛ يأتون يوم القيامة بحسناتٍ أمثالِ جبالِ تهامة بيضاً، فيجعلُها اللهُ -عز وجل- هباءً منثوراً**».

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٢٨٠).

قال ثوبان: يا رسول الله! صِفهم لنا، جلِّهم لنا، أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم.

قال: «**أَما إنهم إخوانكم، ومِن جلدَتكُم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكِنَّهمُ أقومٌ إذا خلَوا بمحارم الله انتهكُوها**»(١).

- وقال ﷺ: «**إياكُمْ ومُحَقّراتِ الذنوب** -أي: ما يستهان به منها وهي الصغائر- **فإنما مثلُ مُحقرات الذنوبِ كمثل قومٍ نزلوا بطن وادٍ، فجاء ذا بعُودٍ، وجاء ذا بعود حتى حملُوا ما أنضجوا به خبزهم، وإن محقرات الذنوب متى يُؤخذ بها صاحِبُها تُهكلهُ**»(٢).

ابن آدم!

خلِّ الذنوبَ صغيرها ... وكبيرها فهو التقى
واصنع كماشٍ فوق ... أرضِ الشوكِ يحذر ما يرى
لا تحقرَنَّ صغيرةً ... إن الجبال من الحصى

ثانياً: لأن الذنوب والمعاصي تُورِثُ الذل والهوان.

- قال تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [البقرة].

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٤٢٤٥)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٥/ ٤٦)، وفي «الصغير» (١/ ٣٩٦)، [«صحيح ابن ماجه» (٣٤٤٢)].

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (٥/ ٣٣١)، والطبراني في «الكبير» (٦/ ١٦٥)، وفي «الصغير» (٢/ ٤٩)، والبيهقي في «الشعب» (٥/ ٤٥٦)، [«صحيح الجامع» (٢٦٨٦)].

- وقال ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعينة** -وهي نوع من أنواع الربا- **وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**»[1].

كما قال القائل:

رأيتُ الذنوب تُميتُ القلوبَ	وقد يُورثُ الذُّلَّ إدمانُها
وترك الذنوبِ حياةُ القلوبِ	وخيرٌ لنفسِكَ عصيانُها

ثالثاً: السعداء فروا إلى الله -تعالى- من شؤم الذنوب والمعاصي؛ لأنها سببٌ لحياة الضنك والعُسرِ والفقر.

- قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه:١٢٤].
- وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل].
- وقال ﷺ: «**يا معشر المهاجرين! خمسٌ إذا ابتُليتُم بهِنَّ، وأعوذُ بالله أن تُدْرِكُوهُن: لم تظهر الفاحشةُ في قومٍ قطُّ، حتى يُعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكُن مضت في أسلافِهم الذين مضوا. ولم ينقصوا المكيال والميزان، إلا أُخذوا بالسنين، وشدة المؤونة، وجور السلطان عليهم. ولم يمنعوا زكاة أموالهم؛ إلا مُنِعُوا القطر من السماء، ولولا البهائمُ لم يُمطروا. ولم ينقضوا عهد الله**

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٣٤٦٢)، والبيهقي في «السنن» (٥/ ٣١٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٣٧)، [«صحيح الجامع» (٤٢٣)].

وعهد رسُولهِ، إلا سلَّطَ اللهُ عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم. وما لم تحكم أئمتُهُم بكتاب الله، ويتخيَّروا مما أنزل اللهُ؛ إلا جعل اللهُ بأسهم بينهم»[1].

رابعاً: لأن الذنوب والمعاصي سببٌ للعنةِ ونزول العذاب.

- قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [المائدة].

- وقال ﷺ: «**إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله**»[2].

خامساً: لأن الذنوب والمعاصي سببٌ للهلاك والدمار وزوال النعيم.

- قال تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأنعام].

- وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾ [الكهف].

- وقال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت].

---

(١) **حسن**: أخرجه ابن ماجه (٤٠١٩)، والحاكم (٤/ ٥٨٢)، والبيهقي في «الشعب» (٣/ ١٩٦)، [«الصحيحة» (١٠٦)].

(٢) **صحيح**: أخرجه الحاكم (٢/ ٤٣)، والطبراني في «الكبير» (١/ ١٧٨)، [«صحيح الجامع» (٦٧٩)].

- وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝٨ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝١٠ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ۝١٤﴾ [الفجر].

- وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ۝١٦ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ۝١٧ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ۝١٨﴾ [المرسلات].

- وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ۝١١٢﴾ [النحل].

ابن آدم!

إذا كنــت في نعمــة فارعهــا ... فــإن المعــاصي تُزيــل الــنعم

وحــافظ عليهــا بــشكر الإلــه ... فــإن الإلــه شــديدُ الــنقم

سادساً: لأن الذنوب والمعاصي سببٌ لدخول النار.

- قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ۝١٤﴾ [النساء].

- وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۝٢٣﴾ [الجن].

- وقال تعالى: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾-أي: ومن جاء بالمعصية- ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٩٠﴾ – [النمل].

- وقال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝٨١﴾ [البقرة].

- وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [يونس].

ابن آدم!

مثل وقوفك يوم العـرض عُريانـا　　مستوحشاً قلـق الأحـشاء حيرانـا
والنار تلهب من غيظ ومـن حنـق　　على العصاة ورب العرش غضبانا
اقرأ كتابك يـا عبـدي عـلى مهـل　　فهل ترى فيه حرفـاً غـير مـا كانـا
لمـــا قـــرأت ولم تنكـــر قراءتـــه　　إقرار مـن عـرف الأشـياء عرفانـا
نادى الجليل خـذوه يـا ملائكتـي　　وامضوا بعبدٍ عصى للنار عطـشانا
المجرمـون غـداً في النـار يلتهبـوا　　والمؤمنــون بــدار الخلــد ســكانا

عباد الله! تبين لنا أن الذنوب والمعاصي سببٌ لكل شر، وسـببٌ لـشقاء العبد في الدنيا والآخرة، ومع ذلك نرى كثيراً من الناس قد اسـتهان بكثـيرٍ من الذنوب والمعاصي فاقترفها بالليل والنهار ولا يبالي، ومن الأمثلـة عـلى الذنوب والمعاصي التي استهان بها كثير من الناس:

أولاً: التبرج:

- الله -عز وجل- يقول: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب:٣٣].
- والنبي ﷺ يقول: «**صنفان من أهل النار لم أرهما** -وذكـر مـنهما- **نساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ...** »(١).

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢١٢٨).

ومع ذلك نرى أن الكثير من الرجال قد سمح لزوجته وابنته وأخته وأمه بالتبرج، وها هي شوارع المسلمين تشهد بذلك.

ثانياً: الاختلاطُ بين الرجال والنساء:

- والله -عز وجل- يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب:٥٣].
- ويقول ﷺ: «**إياكم والدخول على النساء**».

فقال رجل: يا رسول الله! أفرأيت الحمو.

قال ﷺ: «**الحمو الموت**»[١].

- وقال ﷺ: «**ألا لا يخلون رجلٌ بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان**»[٢].

ومع ذلك انظروا إلى مجالس المسلمين في بيوتهم وأعراسهم لتروا الاختلاط الذي دمر كثيراً من البيوت، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ثالثاً: مصافحة المرأة الأجنبية:

والنبي ﷺ قال: «**لأن يُطعنَ في رأس أحدكم بمخيط من حديد؛ خيرٌ له من أن يمسَّ امرأةً لا تحلُ لهُ**»[٣].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٢٣٢)، ومسلم (٢١٧٢).

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢١٦٥)، والحاكم (١/ ١٩٧)، [«المشكاة» (٣١١٨)].

(٣) **حسن صحيح**: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٢١٢)، والروياني في «مسنده» (٢/ ٢١٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٩١٠)].

رابعاً: الذهاب إلى الكهنة والعرافين:

قال ﷺ: «**من أتى عرافاً أو كاهناً فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**»(١). ومع ذلك كم من المسلمين استهان بهذا الأمر وذهب إلى الكهنة والعرافين؟!

خامساً: الربا:

- والله -عز وجل- يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨)﴾ [البقرة].
- ويقول ﷺ: «**درهم ربا يأكلهُ الرجل، وهو يعلم، أشدُّ عند الله من ستّةٍ وثلاثين زنية**»(٢).
- ويقول ﷺ: «**الربا اثنان وسبعون باباً أدناها مثل إتيان الرجل أمه**»(٣).

ومع ذلك كم من المسلمين استهان بالربا فعمل في بنوك الربا، ووضع أمواله في البنوك الربوية؟!

سادساً: نمص الحواجب والوجه عند كثير من النساء:

والنبي ﷺ يقول: «**لعن الله النامصات والمتنمصات**»(٤).

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ٤٢٩)، والحاكم (١/ ٤٩)، [«صحيح الجامع» (٥٩٣٩)].

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (٥/ ٢٢٥)، والدارقطني (٣/ ١٦)، [«صحيح الجامع» (٣٣٧٥)].

(٣) **صحيح**: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧/ ١٥٨)، [«صحيح الجامع» (٣٥٣٧)].

(٤) **صحيح**: وهو جزء من حديث عند مسلم (٢١٢٥).

سابعاً: حلق اللحى عند كثير من الرجال:

والنبي ﷺ يقول: «**أعفوا اللحى**»(١) «**أرخوا اللحى**»(٢) «**وفروا اللحى**»(٣) ومع ذلك نرى كثيراً من الرجال قد استهان بحلق اللحية فحلقها.

ثامناً: التدخين:

والنبي ﷺ يقول: «**لا ضرر ولا ضرار**»(٤). فكم من الناس استهان بالتدخين فدخن، إنا لله وإنا إليه راجعون.

اللهم رد المسلمين إلى دينك رداً جميلاً

---

(١) **صحيح**: إشارة إلى حديث عند البخاري (٥٨٩٣)، ومسلم (٢٥٩).

(٢) **صحيح**: إشارة إلى حديث عند مسلم (٢٦٠).

(٣) **صحيح**: إشارة إلى حديث عند البخاري (٥٨٩٢).

(٤) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٣١٣)، والحاكم (٢/ ٦٦)، والدارقطني (٣/ ٧٧)، [«غاية المرام» (٦٨)].

١٢

الفرار إلى الله تعالى لنصرةِ محمدٍ بن عبدالله ﷺ *

عباد الله! يقولُ الله -عز وجل- في كتابه: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠﴾ [الذاريات] في هذه الآية يأمرُ ربنا -جل وعلا- عبادَهُ أن يفروا إليه من المعاصي إلى الطاعات .. ومن الجُبن إلى الشجاعة .. ومن الركون إلى الدنيا إلى السعي للدار الآخرة.

والفرارُ كما قُلنا نوعان: فرارُ السعداءِ وفرارُ الأشقياء، فالأشقياءُ يفرون من الله إلى غيره، وأولئك خابوا وخسروا؛ فأين المفر والإله الطالبُ؟! والسعداءُ يفرون من الله إلى الله؛ لأنهم قد علموا وأيقنوا أنه لا ملجأ من الله إلا إليه.

(*) هذه الخطبة وما بعدها كانت دفاعاً عن رسول الله ﷺ في الوقت الذي اعتدى عليه بعض الكفار في بلاد الكفر كالدنمارك وغيرها.

عباد الله! وفي هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- نتحدث عن فرار السعداء إلى الله -تعالى- **لنصرةِ محمد بن عبدالله** ﷺ؛ استجابة لقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة].

عباد الله! محمدٌ ﷺ هو رسولُ الله حقاً وصدقاً، ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون.

- قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح:٢٩].
- وقال تعالى على لسان عيسى بن مريم: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ [الصف].
- وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨].
- وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ [الصف].

عباد الله! لما بعث اللهُ رسولَهُ محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق حاول الكفارُ أن ينالوا من رسولِ الله ﷺ بألسنتهم؛ ليُنَفِّروا الناس ويصدوهم عنهُ وعن دعوته فقالوا عنه: ساحرٌ، كاهنٌ، مجنونٌ، كذابٌ ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ [الكهف]، وأخذوا يستهزءون منهُ ﷺ.

- قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنبياء].
- وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوۡكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾﴾ [الفرقان].

- فقال الله تعالى لرسوله ﷺ، ليطمئن قلبه: ﴿أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان].
- وقال تعالى: ﴿فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [يس]، وقال تعالى: ﴿قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨].
- وقال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾ [طه].
- وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر].
- وقال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [الحجر]، وقال تعالى: ﴿فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:١٣٧].

فانظروا عباد الله كيف كفى الله رسوله المستهزئين الكافرين يوم بدر.

أنسيتم أمة الإسلام ماذا فعل الله تعالى بقوم نوح عليه السلام ؟!.

أنسيتم أمة الإسلام ماذا فعل الله تعالى بثمود قوم صالح عليه السلام ؟!.

أنسيتم أمة الإسلام ماذا فعل الله تعالى بعادٍ قوم هود عليه السلام ؟!

أنسيتم أمة الإسلام ماذا فعل الله تعالى بقوم شعيب عليه السلام؟!

أنسيتم أمة الإسلام ماذا فعل الله تعالى بقوم فرعون؟!

وكذلك يفعل الله بكل من استهزأ برسل الله وسخر منهم.

عباد الله! محمدٌ صلى الله عليه وسلم هو خاتمُ الأنبياء والمرسلين فلا نبي بعده ولا رسول.

- قال تعالى: ﴿ **مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾** ﴾ [الأحزاب].
- وقال صلى الله عليه وسلم: «**إن الرسالة والنبوة قد انقطعت، فلا رسول بعدي ولا نبي**»(١).

عباد الله! محمدٌ صلى الله عليه وسلم رسُولُنا ونحن معشر المسلمين نحبه أكثر من كل شيء.

- قال صلى الله عليه وسلم: «**لا يؤمن أحدُكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده، والناس أجمعين**»(٢).
- وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوماً: يا رسول الله لأنت أحبُّ إليَّ من كل شيء إلا من نفسي.

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٢٧٢)، وأحمد (٣/ ٢٦٧)، والحاكم (٤/ ٤٣٣)، [«صحيح الجامع» (١٦٣١)].

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

فقال النبي ﷺ: «**لا والذي نفسي بيده حتى أكونَ أحبَّ إليك من نفسك**».

فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحبُّ إليَّ من نفسي.

فقال النبي ﷺ: «**الآن يا عمر**»(١).

- وقال ﷺ: «**ثلاثٌ من كن فيه وجد بهن حلاوةَ الإيمان**» -وذكر منها- النبي ﷺ: «**أن يكون الله ورسولُهُ أحبَّ إليه مما سواهما**»(٢).

عباد الله! كيف تُترْجَمُ هذه المحبة في حياة المسلمين؟ هل هي بالاحتفالات في ذكرى هجرته؟ أم بالاحتفالات وأكل الحلوى بذكر مولده؟ أم بالأناشيد؟

الجواب: من خلال الكتاب والسنة: وإنما تظهر محبتنا للنبي ﷺ بأمور:

أولاً: أن نتبعه في كل شيءٍ، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

ثانياً: أن نُطيعهُ في كل شيء، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟﴾ [المائدة:٩٢].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:٥٩].

وقال ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**»، قالوا: يا رسول الله! ومن يأبى؟! قال: «**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**»(٣).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٦٣٢).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٢٨٠).

ثالثاً: أن نتأسى به في كُلِّ شيء، قال تعالى: ﴿**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾ [الأحزاب: ٢١].

رابعاً: أن ننصُرَهُ حياً وميتاً استجابة لقوله تعالى: ﴿**إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ**﴾ [التوبة: ٤٠].

عباد الله! ولكن كيف ننصرهُ؟

تعالوا بنا لنتعلم من الصحابة رضي الله عنهم كيف نصروا رسول الله ﷺ وضحوا بأغلى ما يملكون دفاعاً عن رسول الله ﷺ! كيف لا وهم قوم اختارهم الله لنصرة نبيه وإقامة دينه.

١ - فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه نصرَ رسول الله ﷺ بنفسه وماله.

- قال ﷺ لأصحابه يوماً: «**إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي**»(١).

وما من مسلم على وجه الأرض إلا ويعلمُ أن أبا بكر نصر رسول الله ﷺ وواساه بكل ما يملكُ من نفسه وماله، ففي هجرة النبي ﷺ كان رضي الله عنه يمشي أمام النبي مرةً وخلفهُ مرةً ويُكثرُ من الإلتفات كل ذلك حفاظاً وخوفاً منه على رسول الله ﷺ.

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦٦١).

عباد الله! ويوم أن قال النبي ﷺ للنـاسِ: «**إن عبـداً خـيَّره الله بـين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده فاختار ما عنده**». بكـى أبـو بكـر وقال: (فديناك بآبائنا وأمهاتنا)(١)!

وهو الذي جاء إلى رسول الله ﷺ بكل ماله فقال له النبيُّ ﷺ: («**يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟**». فقال: أبقيت لهم الله ورسوله) (٢).

٢- وهذا الفاروق عمر رضي الله عنه الذي دافع عن النبي ﷺ بكل ما أتاهُ اللهُ من قوة، فما من رجلٍ اعترض عـلى رسـول الله ﷺ إلا ويقـولُ الفـاروق: دعني أضرب عنقهُ يا رسول الله.

٣- وهذا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يحرسُ رسول الله ﷺ ليلةً كاملة خوفاً على رسول الله.

- تقـول عائـشة رضي الله عنها سَـهِرَ رسـولُ الله ﷺ مَقْدَمَـهُ المدينـة ليلـةً -وكان ذلك بسبب التهديدات التي تصل إلى المسلمين مـن كفـار مكة بعد الهجرة-.

فقال ﷺ: «**ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة**» -وكان ذلك قبل أن تنزل آية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة]-.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٩٠٤)، ومسلم (٢٣٨٢).

(٢) **حسن**: وهـو جـزء مـن حـديث أخرجـه أبـو داود (١٦٧٨)، والترمـذي (٣٦٧٥)، والحـاكم (١/ ٥٧٤)، [«المشكاة» (٦٠٣٠)].

قالت: فبينا نحن كذلك سمعنا خشخشة سلاح -أي: صوت سلاح- فقال ﷺ: «**مَن هذا؟**».

قال: سعد بن أبي وقاص.

فقال له رسول الله ﷺ: «**ما جاء بك؟**».

فقال: وقع في نفسي خوفٌ على رسول الله ﷺ فجئت أحرسه، فدعا له رسول الله ﷺ، ثم نام»[1].

٤- وهذا المغيرة بن شعبة رضي الله عنه في صلح الحديبية لما حاول ممثل الكفار أن يلمس لحية رسول الله ﷺ وهو يتحدث معه ضربهُ المغيرة رضي الله عنه بنعل السيف وقال له: (أخر يدك عن لحية رسول الله ﷺ)[2].

٥- وهذا أبو طلحة رضي الله عنه يوم أُحد لما انهزم الناسُ عن رسول الله ﷺ وقف بين يدي رسول الله ﷺ يحميه من سهام القوم، وإذا أراد النبي ﷺ أن ينظر إلى أرض المعركة قال له أبو طلحة: (يا نبي الله! بأبي أنت وأمي لا تُشرف لا يصيبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك)[3].

٦- وهذان غلامان من الأنصار يقتلان إمام الكفر أبا جهل -لعنه الله- لأنهُ بلغهم أنهُ سبَّ رسول الله ﷺ.

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٨٨٥)، ومسلم (٢٤١٠).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٧٣١) (٢٧٣٢).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٠٦٤)، ومسلم (١٨١١).

يقول عبدالرحمن بن عوف ﷺ: (بينا أنا واقف في الصف يوم بدر نظرت عن يميني، وشمالي، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار، حديثة أسنانُهما، تمنيتُ لو كنتُ بين أَضْلَعَ منهما، فغمزني أحدهما فقال: يا عمِّ! هل تعرف أبا جهل؟

قال: قلتُ: نعم، وما حاجتُك إليه يا ابن أخي؟!

قال: أُخبرتُ أنه يَسُبُّ رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده، لئن رأيتهُ لا يفارق سوادي سوادَهُ حتى يموت الأعجل منا.

قال: فتعجَّبت لذلك فغمزني الآخر، فقال مثلها.

قال: فلم أنشبْ أن نظرتُ إلى أبي جهلٍ يزول في الناس.

فقلتُ: ألا تريان؟ هذا صاحبُكما الذي تسألان عنه، قال: فابتدراهُ، فضرباهُ بسيفيهما حتى قتلاهُ ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه.

فقال: «**أيكما قتله؟**» فقال كلُ واحد منهما: أنا قتلتهُ.

فقال ﷺ: «**هل مسحتما سيفيكما؟**» قالا: لا، فنظر في السيفين، فقال: «**كلاكما قتله**»[1].

٧- وهذا صحابيٌّ آخر عذبه المشركون عذاباً شديداً ثم قالوا له: أتحبُّ أن محمداً مكانك، وأنت معافى في أهلك ومالك، فقال: (والله ما أُحبُّ

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣١٤١)، ومسلم (١٧٥٢).

أنني معافى في أهلي ومالي، ويشاكُ محمدٌ ﷺ بشوكة)[1].

وفي ذلك قال القائل:

أَسَرَتْ قريشٌ مسلماً فمضى بلا وجلٍ إلى السيافِ
سألوه هل يرضيك أنك سالمٌ ولك النبي فدىً من الإتلاف
فأجاب كلا لا سلمتُ من الردى ويُصابُ أنف محمدٍ برُعافٍ

عباد الله! ما هو المطلوب من المسلمين في هذا الوقت نُصرةً لرسول الله ﷺ، المطلوب منهم:

أولاً: أن يبرؤا إلى الله من فعل هذا المجرم الذي اعتدى على شخص رسول الله ﷺ، وذلك استجابة لقوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ①﴾ [التوبة].

وهذا كما فعل أنس بن النضر رضي الله عنه في غزوة أُحد عندما اعتدى المشركون على رسول الله ﷺ، يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: (لما كان يومُ أُحدٍ وانكشف المسلمون قال أنس بن النضر: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء -يعني أصحابه- وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء -يعني المشركين-)[2].

ثانياً: على المسلمين أن يزهدوا في الدنيا التي أحوجتنا إلى بلاد الكفر، ويكون ذلك بمقاطعة جميع منتجات بضائع هذا البلد الذي اعتدى على شخص رسول الله ﷺ.

(١) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (٤/ ٦٥)، و«تاريخ الطبري» (٢/ ٧٩).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٨٠٥).

- قال ﷺ: «**يوشك الأمم أن تداعى عليكم، كما تـداعى الأكلـةُ إلى قصعتها**».

فقال قائل: ومِن قلةٍ نحن يومئذٍ؟

قال: «**بل أنتم يومئذٍ كثيرٌ، ولكنكم غُثاءٌ كغثاءِ السيل، ولينزعنَّ اللهُ من صدورِ عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن**».

فقال قائل: يا رسول الله! وما الوَهنُ؟

قال: «**حبُّ الدنيا وكراهية الموتِ**»(1).

ثالثاً: على المسلمين في هذا الوقت -وبمناسبةِ الهجرة النبويـة- أن يهجـروا الذنوب والمعاصي استجابة لقوله ﷺ: «**المسلم من سَلِمَ المسلمون مـن لسانه ويده، والمهاجرُ من هجر ما نهى الله عنه**»(2)، وذلـك يـا عبـاد الله! لأن الذنوب والمعاصي هي السببُ في تسلّط الكفار علينا، ففـي غـزوة أُحد عندما وقعت مخالفةٌ واحدة من الرمـاةِ تحـول النـصر إلى هزيمـة، فتعجب الصحابة وقالوا: أنّى هذا؟!

قال الله تعالى: ﴿**أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥**﴾ [آل عمران].

---

(1) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٢٩٧)، وأحمد (٥/ ٢٧٨)، والطيالسي (٩٩٢)، [«صحيح سنن أبي داود» (٣٦١٠)].

(2) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٠).

والنبي ﷺ يقول: «**ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم، فأخذوا بعض ما كان في أيديهم**»(١).

رابعاً: على المسلمين أن يفهموا الإسلام فهماً صحيحاً معتمدين على الكتاب والسنة بفهم الصحابة رضي الله عنهم وعليهم أن يحذورا الغلو في الدين استجابة لقوله ﷺ: «**إياكم والغلوَّ في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلوِّ في الدين**»(٢).

عباد الله! الغلو في الدين هو الخطأ الذي وقع فيه فئةٌ من المسلمين فأخذوا يكفرون الناس ويستحلون دماءهم، فقاموا بالقتل والذبح والإرهاب والاعتداء على الأبرياء، مما جعل الناس يظنون أن الإسلام دينُ القتل والإرهاب!! لكن الإسلام يبرأ، ورسول الله ﷺ يبرأ من فعل هؤلاء؛ فالإسلام دينُ الأمن والأمان والإيمان، ودين الرحمة، وشخص رسولنا ﷺ ليس كما يصورهُ الكفرةُ، إنما بُعث ﷺ رحمة للعالمين.

- قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء].
- ويقول ﷺ: « **إنما أنا رحمةٌ مهداةٌ**»(٣).

(١) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٤٠١٩)، والطبراني في «الأوسط» (٥/ ٦١)، والبيهقي في «الشعب» (٣/ ١٩٦)، [«صحيح الجامع» (٧٩٧٨)].

(٢) **صحيح**: أخرجه النسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٣٩)، وأحمد (١/ ٢١٥)، والحاكم (١/ ٦٣٧)، [«صحيح الجامع» (٢٦٨٠)].

(٣) **صحيح**: أخرجه الدارمي (١٥)، والحاكم (١/ ٩١)، والبيهقي في «الشعب» (٢/ ١٤٢)، [«غاية المرام» (١)].

خامساً: على المسلمين -في هذا الوقت الـذي يعتـدي المجرمـون فيـه عـلى شخص رسول الله ﷺ- أن يتمسكوا بدينهم وبسنة نبيهم وينـشروها بين الناس.

اللهم رد المسلمين إلى دينك رداً جميلاً

١٣

الفرار إلى الله تعالى
بالتأسي برسول الله ﷺ في كل شيء

عباد الله! يقولُ الله -عز وجل- في كتابه: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠﴾ [الذاريات] في هذه الآية يأمرُ ربنا -جل وعلا- عبادَهُ جميعاً أن يفروا إليه من الكفر إلى الإيمان .. ومن الشرك إلى التوحيد .. ومن البدعة إلى السنة .. ومن الظلمات إلى النور .. ومن الضلال إلى الهدى .. من المعاصي إلى الطاعات.

والفرارُ كما قلنا نوعان: فرارُ السعداءِ وفرارُ الأشقياء، فالأشقياءُ يفرون من الله إلى غيره، وأولئك خابوا وخسروا؛ فأين المفر والإله الطالبُ؟! والسعداءُ يفرون من الله إلى الله، لأنهم قد علموا وأيقنوا أنه لا ملجأ من الله إلا إليه.

عباد الله! وفي هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- نتحدث عن فرار السعداء إلى الله -تعالى- **بالتأسي برسول الله ﷺ** استجابة لقوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [الأحزاب].

عباد الله! رسولنا ﷺ موصوفٌ بصفات الكمال، منزهٌ عن كل نقصٍ، مبرأٌ من كل عيبٍ، معصومٌ من كل ذنبٍ.

- بعثه الله للبشرية شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.
- فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الغمة، وجاهد في سبيل دينه حتى أتاهُ اليقين. فجزاهُ اللهُ خير ما جزى به نبياً عن أمته.

عباد الله! ونصرةً لرسول الله ﷺ ودفاعاً عنه نقولُ: مهلاً يا أعداء الإسلام هذا هو رسولُنا ﷺ كما وصفه ربهُ في كتابه.

- قال تعالى: ﴿**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤)**﴾ [النجم].
- وقال تعالى: ﴿**وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ (٢٢)**﴾ [التكوير].
- وقال تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤)**﴾ [القلم].
- وقال تعالى: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨)**﴾ [التوبة].
- وقال تعالى: ﴿**قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٦)**﴾ [المائدة].

يا أعداء الإسلام هذا هو رسولُنُا الموصوف لكم في التوراة والإنجيل، وأنتم تعرفونه كما تعرفون أبناءكم، والله -عز وجل- يخبرنا بذلك في كتابه، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف].

- وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [البقرة].

مهلاً يا أعداء الإسلام هذا هو رسولنا محمد ﷺ أشرف الناس نسباً:

- يقول ﷺ: «**إن الله عز وجل اصطفى كِنانَة من ولدِ إسماعيلَ عليه الصلاة والسلام، واصطفى قريشاً من كِنانة، واصطفى من قريشٍ بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**»(١).
- ويقولُ العباسُ رضي الله عنه بلغ النبيَّ ﷺ بعضُ ما يقولُ الناسُ، فصعد المنبر، فقال: «**مَنْ أنا؟**» قالوا: أنت رسولُ الله فقال ﷺ: «**أنا محمدُ ابن عبدالله بن عبدالمطلب، إن الله تعالى خلق الخلق فجعلني في خيرهم، ثم جعلهم فرقتين، فجعلني في خيرهم فرقة، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً، فأنا خيركم بيتا، وأنا خيركم نفساً**»(٢).

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٢٧٦).

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٦٠٨)، وأحمد (٤/ ١٦٥)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٢٨٦). [«صحيح الجامع» (١٤٧٢)].

• ولما سأل هرقلُ ملكُ الروم أبا سفيان بن حربٍ عن نسب النبي ﷺ فقال: (كيف نسبهُ فيكم؟ قال أبو سفيان: هو فينا ذو نسب... ثم قال هرقلُ: سألتُك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسلُ تُبعث في نَسَبِ قومها)[1] يعني في أكرمها أحسابا، وأكثرها قبيلة، صلوات الله عليهم أجمعين.

وقال ﷺ: «**أنا سيدُ ولد آدم يوم القيامة، ولا فخر**»[2].

• ويقول ﷺ: «**خرجت من نكاح، ولم أخرج من سفاح، من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي، ولم يُصبني من سفاح الجاهلية شيءٌ**»[3].

• وقال الصحابةُ: يا رسول الله! أخبرنا عن نفسك فقال: «**نعم؛ أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى عليهما السلام، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نورٌ أضاءت لها قصور الشام**»[4].

مهلاً يا أعداء الإسلام هذا هو رسولُنا ﷺ أحسنُ الناس خُلُقاً وخَلْقاً؛

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣).

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣١٤٨)، وابن ماجه (٤٣٠٨)، وأحمد (١/ ٢٨١)، [«صحيح الجامع» (١٤٦٨)].

(٣) **حسن**: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥/ ٨٠)، وابن أبي شيبة (٦/ ٣٠٣)، [«صحيح الجامع» (٣٢٢٥)].

(٤) **صحيح**: أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٢)، والطيالسي (١١٤٠)، و«مسند ابن الجعد» (٣٤٢٨)، [«الصحيحة» (١٥٤٥)].

- فيكفيه شهادةُ الله له بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم].
- وشهادةُ أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها عندما سُئلت عن خُلقه ﷺ فقالت: (**كان خلُقُه القرآن**)[1].
- ويقول أنسٌ أيضاً: (ما مسست حريراً ولا ديباجاً ألين من كف النبي ﷺ، ولا شممتُ ريحاً قط أو عَرْفاً قط أطيب من ريح أو عَرْف النبي الله ﷺ)[2] ويقول رضي الله عنه: (خدمتُ رسول الله ﷺ عشر سنين والله ما قال لي: أفّاً قطُّ، ولا قال لي لشيء: لم فعلت كذا؟ وهَلاَّ فعلت كذا؟»[3].

وأمّا صفاتُهُ الخلقية:

- يقول البراءُ رضي الله عنه: (كان رسول الله ﷺ أحسنَ الناسِ وجهاً وأحسنهُ خلقاً ليس بالطويلِ الذاهِبِ ولا بالقصير)[4].
- ويقول عليٌّ رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: (**لم أر قبلهُ ولا بعدهُ مثلَهُ**)[5].
- وسُئِلَ البراءُ رضي الله عنه عن وجه رسول الله ﷺ فقال: (مثلُ القمر)[6].

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٧٤٦)، وأحمد (٦/ ٩١).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٥٦١)، ومسلم (٢٣٣٠).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٠٣٨)، ومسلم (٢٣٠٩).

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٣٣٧).

(٥) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٦٣٧)، وأحمد (١/ ٩٦)، والحاكم (٢/ ٦٦٢)، [«صحيح الترمذي» (٢٨٧٧)].

(٦) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٥٥٢).

- ويقول كعب بن مالك رضي الله عنه (كان رسولُ الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهُهُ حتى كأنه قطعةُ قمر وكنا نعرف ذلك منه)[1].

عباد الله! هذا هو رسولنا وحبيبنا وقدوتنا محمدٌ ﷺ كما وصفه ربهُ سبحانه في كتابه، وكما أخبر ﷺ عن نفسه في سنته، وكما وصفه أصحابه رضي الله عنهم ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حيي عن بينة.

عباد الله! الشقي الخاسر هو الذي يتأسى بغير رسول الله ﷺ، والسعيدُ الفائز هو الذي يتأسى برسول الله ﷺ لأن الله -عز وجل- حصر الأسوة الحسنة في رسول الله ﷺ.

- فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١] .

- فرسول الله ﷺ أُسوةٌ حسنةٌ لنا في عبادته لله -عز وجل- فلقد كان ﷺ أعلمَ الناسِ بالله وأتقاهم وأخشاهم له، ومع ذلك كان يصوم ويفطر، ويقوم ويرقد، ويتزوج النساء، ولذلك لما جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي، فلما أُخبروا بها كأنهم تقالُّوها -أي: عدوها قليلة- فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؛ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟

قال أحدهم: أما أنا فإني أُصلي الليل أبداً. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٥٥٦)، ومسلم (٢٧٦٩).

فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأُصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»(١).

- رسولنا ﷺ هو الأسوةُ الحسنة في قيام الليل وصيام النهار.

• تقول عائشة رضي الله عنها: **أن النبيَّ ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماهُ.**

فقالت عائشة: **لِـمَ تصنعُ هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟** قال: «**أفلا أُحب أن أكونَ عبداً شكوراً**»(٢).

• قال رسول الله ﷺ: «**تُعرضُ الأعمالُ يوم الإثنين، والخميس فأُحِبُّ أن يعرضَ عملي وأنا صائم**»(٣).

• وتقول عائشة رضي الله عنها: «**أن رسولَ الله ﷺ كان يتحرى صيام الإثنين والخميس**»(٤).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٨٣٧)، ومسلم (٢٨٢٠).

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٧٤٧)، [«إرواء الغليل» (٩٤٩)].

(٤) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٧٤٥)، وابن ماجه (١٧٣٩)، والنسائي (٢٣٦٠)، [«صحيح النسائي» (٢٢٢٤)].

- رسولنا ﷺ أُسوةٌ حسنةٌ في الشجاعةِ أيضاً.

• يقول أنسٌ رضي الله عنه: كان رسولُ الله ﷺ أحسن الناس، وكان أجودَ الناس، وكان أشجع النـاس، ولقـد فـزِع أهـلُ المدينـة ذات ليلـةٍ فانطلق ناسٌ قِبَلَ الصوت، فَتَلَقَّاهم رسول الله ﷺ راجعـاً، وقـد سبقهم إلى الصوتِ وهو عـلى فـرس لأبي طلحـة عُـرْيٍ، في عنقـهِ السيف وهو يقول: «**لم تُراعُوا، لم تُراعُوا**»[1].

• وفي غزوة حنين لما فاجأ المشركون جيش المسلمين فتفرقوا، وفـروا هاربين، ثبت النبيُّ ﷺ على دابتـه، وجعـل يقـول: «**أنـا النبـيُّ لا كذب، أنا ابن عبدالمطلب**»[2].

• ويقول البراء رضي الله عنه: (كنا والله إذا احمرَّ البأسُ نتقي بـه)[3]، أي: إذا اشتد القتال في أرض المعركة احتموا برسول الله ﷺ.

• ويقول علي رضي الله عنه: (لقد رأيتُنا يوم بـدر ونحـن نلـوذُ برسـول الله ﷺ وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً)[4].

- رسولنا ﷺ أُسوةٌ حسنةٌ في الزهد في الدنيا.

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٠٤٠)، ومسلم (٢٣٠٧).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٨٦٤)، ومسلم (١٧٧٦).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٧٧٦).

(٤) **إسناده صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٨٦)، وابن أبي شيبة (٦/ ٤٢٦)، [«الموسوعة الحديثية»].

- فقد كان ﷺ يقول: «**مالي وللدنيا! ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها**»[1].

- (وكان يمر الهلال، ثم الهلال، ثم الهلال، ثلاثةُ أهله في شهرين وما يُوقدُ في بيت رسولِ الله ﷺ نارٌ، إنما هما الأسودان: التمر والماء)[2].

- وتقول عائشة رضي الله عنها: (**ما شَبعَ آلُ محمدٍ ﷺ، من خبزِ شعيرٍ يومين متتابعين حتى قُبِض رسول الله ﷺ**)[3].

- وقال عمرو بن ا لحارث رضي الله عنه: (ما ترك رسول الله ﷺ عند موته درهماً، ولا ديناراً، ولا عبداً، ولا أمةً، ولا شيئاً إلا بغلته البيضاء وسِلاحهُ، وأرضاً جعلها صدقة)[4].

- رسولُنا ﷺ أسوةٌ حسنةٌ في التعامل مع الأطفال.

- عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قبَّل رسولِ الله ﷺ الحسن بن عليٍّ وعنده الأقرع بن حابس التميمي فقال الأقرع: إن لي عشرةً من الولد ما قبَّلتُ منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «**من لا يَرحم لا يُرحم**»[5].

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣٧٧)، وابن ماجه (٤١٠٩)، والطيالسي (٢٧٧)، [«صحيح الجامع» (٥٦٦٨)].

(٢) **صحيح**: إشارة إلى حديث أخرجه البخاري (٢٥٦٧)، ومسلم (٢٩٧٢).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٧٠).

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٧٣٩).

(٥) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٩٩٧)، ومسلم (٢٣١٨).

- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قدِم ناسٌ من الأعراب على رسول الله ﷺ فقالوا: أتُقبِّلون صبيانكم؟ فقالوا: «**نعم**». فقالوا: لكنَّا والله ما نُقبِّل. فقال رسول الله ﷺ: «**أوَ أملكُ إن كان الله نزع منكم الرحمة**»(١).

- وعن أبي قتادة: (أن رسول الله ﷺ كان يصلي وهو حاملٌ أُمامة بنت زينب بنت رسولِ الله ﷺ ولأبي العاص بن الربيع، فإذا قام حملها، وإذا سجد وضعها)(٢).

- وعن بريدة قال: كان رسول الله ﷺ يخطبُنا، إذ جاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران، يمشيان ويعثران، فنزل رسولُ الله ﷺ من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال: «**صدق الله،** قال: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٥﴾[التغابن] **نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعتُ حديثي ورفعتهما**»(٣).

- ورسولنا ﷺ أسوةٌ حسنةٌ في تعليمه للأطفال.

- فهذا غلامٌ يأكل مع رسول الله ﷺ فتطيش يدهُ في الطعام فيقول له النبي ﷺ معلماً ومؤدباً ومربياً: «**يا غلام سم الله وكُل بيمينك**

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٩٩٨)، ومسلم (٢٣١٧).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٩٩٦)، ومسلم (٥٤٣).

(٣) **صحيح**: أخرجه أبو داود (١١٠٩)، والترمذي (٣٧٧٤)، والنسائي (١٤١٣)، وابن ماجه (٣٦٠٠)، وأحمد (٥/ ٣٥٤)، [«المشكاة» (٦١٦٨)].

وكُل مما يليك»[1].

- وذات يـوم يركـبُ ﷺ دابتـهُ، ويُـردفُ ابـن عمـهِ عبـدالله بـن عباس رضي الله عنهما فيقول له معلماً: «**يا غلام! إني اعلمك كلـمات احفـظ الله يحفظك، احفظ الله تجـده تجاهـك، إذا سـألت فاسـأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولـو اجتمعـوا عـلى أن يضروك بشيءٍ لم يـضروك إلا بـشيءٍ قـد كتبـه الله عليـك، رُفعـت الأقلام وجفت الصحف**»[2].

- رسولنا ﷺ أُسوةٌ حسنةٌ في السلمِ والحربِ واحترام العهود والوفاء بها.

- فها هو ﷺ عندما دخل المدينة ورفع راية الإسـلام، كـان أول مـا قال: «**أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناسُ نيام، تدخلوا الجنة بسلام**»[3].

- ولم ينقض ﷺ عهداً ولم يغدر، وكان إذا أرسل جيشاً في سـبيل الله قال لهم: «**لا تَغْدِرُوا**»[4].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢).

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (١/ ٢٩٣)، وأبـو يعـلى في «مـسنده» (٤/ ٤٣٠)، [«صحيح الجامع» (٧٩٥٧)].

(٣) **صحيح**: أخرجـه الترمـذي (٢٤٨٥)، وابـن ماجـه (١٣٣٤)، وأحمـد (٥/ ٤٥١)، والـدارمي (١٤٦٣)، [«صحيح الجامع» (٧٨٦٥)].

(٤) **صحيح**: إشارة إلى حديث عند مسلم (١٧٣١).

- ولما سأل هرقلُ أبا سفيان عن رسول الله ﷺ فقال له: (هل يغدر؟ قال أبو سفيان: لا... فقال هرقل: وكذلك الرسل لا تغدر)(١).

فيا أعداء الإسلام رسولُنا ﷺ ليس إرهابياً ولكن الإرهاب والغدر والخيانة من:

- الذين أرادوا إلقاء الحجر من فوق البيت على رسول الله ﷺ ليقتلوه.
- الذين نقضوا العهود والمواثيق في غزوة الأحزاب ليضربوا المسلمين من الخلف.
- الذين وضعوا السُمَّ في الشاةِ ليقتلوا رسول الله ﷺ.
- الذين يقتلون المسلمين في كل مكان بدون ذنبٍ.

فهؤلاء هم الإرهابيون حقاً ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ۝٤﴾ [المنافقون].

- رسولنا ﷺ أُسوةٌ حسنةٌ في رحمته بالناس وبالحيوانات وبالطيور.

- يقول الله عز وجل في وصفه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء].
- ويقول ﷺ: «**إنما أنا رحمة مهداة**»(٢).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣).

(٢) **صحيح**: أخرجه الحاكم (١/ ٩١)، والدارمي (١٥)، والبيهقي في «الشعب» (٢/ ١٤٢)، [«غاية المرام» (١)].

- وقال ﷺ: «**الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى: ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**»(١).
- فرحمة بالمصلين قال ﷺ: «**فمن صلى بالناس فليخفف**»(٢).
- ورحمة بالعامل قال ﷺ: «**أعطوا الأجير أجرهُ قبل أن يجف عرقُهُ**»(٣).
- ورحمة بالنساء قال ﷺ للرجال: «**استوصوا بالنساء خيراً**»(٤).
- ورحمة بالحيوان قال ﷺ: «**إنَّ الله كتب الإحسانَ على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذَّبحَ، وليُحِدَّ أحدُكمُ شفرتهُ، فَلْيُرِحْ ذبيحتهُ**»(٥).
- ودخل رسولُ الله ﷺ حائطاً -أي: بستاناً- لرجلٍ من الأنصار، فإذا فيه جملٌ، فلما رأى النبيُّ ﷺ حَنَّ وذرفتْ عيناهُ، فأتاهُ رسول الله ﷺ فمسح ذفراه فسكت.

فقال ﷺ: «**مَنْ ربُّ هذا الجمل؟ لِمَنْ هذا الجملُ؟**» فجاء فتى من الأنصار، فقال: لِيَ يا رسول الله!

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤)، وأحمد (٢/ ١٦٠)، [«صحيح الجامع» (٣٥٢٢)].

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٩٠).

(٣) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٢٤٤٣)، والطبراني في «الصغير» (١/ ٢١)، [«صحيح ابن ماجه» (١٩٩٥)].

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥١٨٦)، ومسلم (١٤٦٦)، وهو جزء من حديث.

(٥) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٩٥٥).

فقال: «**أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك اللهُ إياها؟ فإنه شكا إليَّ إنك تُجيعهُ وتُدْئبُه**»(١)، أي: تتعبه.

- وقال ﷺ: «**دخلتْ امرأةٌ النار في هـرَّةٍ ربطتهـا، فلـم تُطعِمهـا ولم تدعها تأكُلُ من خشاش الأرض**»(٢).

- عن أبي مسعود -رضي الله عنه- قـال: كُنَّـا مـع رسـول الله ﷺ في سـفرٍ فانطلق لحاجته، فرأينا حُمَّرةً -وهي طائرٌ صغيرٌ كالعصفور- معهـا فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحُمَّرةُ فجعلـت تُفـرش. -أي: ترفرف بجناحيها وتقترب من الأرض- فجـاء النبـيُّ ﷺ فقـال: «**من فجع هذه في ولدِها؟! ردوا وَلديها إليها**»(٣).

- رسولنا ﷺ أسوةٌ حسنةٌ في الصدق، ويكفيه شهادةُ الله له.

- قال تعالى: ﴿**وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾**﴾ [الزمر] والذي جاء بالصدق: هو رسول الله ﷺ.

- ويكفيه شهادة خديجة رضي الله عنها عندما نزل عليـه الـوحي بغـار حـراء وقال لها: «**يا خديجة مالي لقد خشيتُ على نفسي**». فأخبرهـا الخـبر،

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٢٥٤٩)، وأحمد (١/ ٢٠٥)، والحاكم (٢/ ١٠٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٦٩)].

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٣١٨)، ومسلم (٢٦١٩).

(٣) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٢٦٥٧)، والحاكم (٤/ ٢٦٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٦٨)].

قالت خديجة: «كلا، أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً، فوالله! إنك لتصلُ الرحم، وتصدُقُ الحديث...»[1].

- ويكفيه شهادة أبي بكر الصديق رضي الله عنه عندما جاء كفار مكة إليه وأخبروه أن محمداً يقولُ ما يقول في الإسراء والمعراج. فقال أبو بكر: (إن كان قال فقد صدق) [2].

وقال صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: «**إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركوا لي صاحبي**»[3].

- ويكفيه شهادةُ أعدائه له، فعندما صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا وأخذ ينادي على بطون قريش حتى اجتمعوا فقال لهم: «**أرأيتكُمُ لو أخبرتُكمُ أن خيلاً بالوادي تريدُ أن تُغيرَ عليكم أكنتم مُصدِّقي؟**» قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً[4].

- وشهد له أيضاً أصحابهُ بالصدق.

- فهذا أبو هريرة رضي الله عنه يقول: سمعتُ الصادق المصدوق يقول.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٩٥٣)، ومسلم (١٦٠).

(٢) **صحيح**: إشارة إلى حديث أخرجه الحاكم (٣/ ٦٥)، عبدالرزاق (٥/ ٣٢١)، [«الصحيحة» (٣٠٦)].

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦٦١).

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨).

- وهـذا ابـن مـسعود رضي الله عنه يقـول: حـدثنا رسـول الله ﷺ وهـو الصادق المصدوق.

اللهم احشرنا مع نبينا ﷺ في جنات النعيم

١٤

(١) الفرار إلى الله تعالى بمعرفةِ معجزات رسول الله ﷺ

عباد الله! يقولُ الله -عز وجل- في كتابه: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠﴾ [الذاريات] في هذه الآية يأمرُ ربنا -جل وعلا- عبادَهُ أن يفروا إليه من الكفر إلى الإيمان .. ومن المعاصي إلى الطاعات .. ومن الضلال إلى الهدى.

والفرارُ كما قلنا نوعان: فرارُ السعداءِ وفرارُ الأشقياء، فالأشقياءُ يفرون من الله إلى غيره، وأولئك خابوا وخسروا؛ فأين المفر والإله الطالبُ؟! والسعداءُ يفرون من الله إلى الله؛ لأنهم قد علموا وأيقنوا أنه لا ملجأ من الله إلا إليه.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع الحديث عن فرارِ السعداء إلى الله بمعرفة معجزات رسول الله ﷺ.

عباد الله! والذي دفعني للحديث عن معجزات رسولِ الله ﷺ في هذا الوقت بالذات أمورٌ:

- **الأمر الأولُ**: نُصرةً ودفاعاً عن رسولِ الله ﷺ، واستجابة لقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ [التوبة:٤٠].

ولقوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف].

- **الأمر الثاني**: ليزدادَ الذين آمنوا بالله ورسوله إيماناً وثباتاً على الحق الذي هم عليه.
- استجابة لقوله تعالى: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [المدثر:٣١] -أي: يعلمون أن هذا الرسول حقٌّ؛ فإنهُ نطق بمطابقة ما بأيديهم من الكتب السماوية المنزلةِ على الأنبياء من قبله- ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر:٣١] -أي: إلى إيمانهم، وذلك بما يشهدون من صدق إخبار نبيهم محمد ﷺ-.
- **الأمر الثالث**: لدعوة غير المسلمين ليؤمنوا برسولنا الكريم ﷺ استجابة لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾ [الفتح] ولقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف:١٥٨].

عباد الله! تعالوا بنا لنعيش مع معجزات خاتم الأنبياء والمرسلين محمدٍ ﷺ؛ ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حيّ عن بينة.

عباد الله! المعجزةُ: أمرٌ خارقٌ للعادةِ، مقرونٌ بالتحدِّي، سالمٌ عن المعارضة، وهي أمرٌ خاص بالأنبياء وحدهم دون غيرهم، فإذا ادعاها أحدٌ غيرهم فهو كاذبٌ.

عباد الله! أجرَى اللهُ -تبارك وتعالى- على يدي أنبيائهِ ورُسُلِهِ المعجزات الباهرات والدَّلائل القاطعات والحجج الواضحات؛ مما يدلُ على صدق دعواهُم بأنهم رسُلُ الله، وكي تقوم الحجة البالغةُ على الناس فلا يبقى لأحدٍ عذرٌ في عدم تصديقهم وطاعتهم.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [سورة الحديد: ٢٥].

عباد الله! والمعجزة الكُبرى لرسولنا ﷺ هي القرآنُ الكريم.

- يقول ﷺ: «**ما مِنَ الأنبياء من نبيٍّ إلا قد أُعطِيَ من الآيات ما مِثلُهُ آمنَ عليه البشرُ، وإنما كان الذي أُوتيتُ وحياً أَوحى الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهُم تابعاً يوم القيامة**[1]» .

عباد الله! أعطى اللهُ -عز وجل- كُلَّ نبيٍّ من الأنبياء عليهم السلامُ معجزةً خاصةً به -لم يُعطها بعينها غيرَهُ- ليتحدَّى بها قومهُ، وكانت معجزة كلِّ نبي مناسبة لحالِ قومهِ وأهل زمانه.

- فلما كان الغالب على زمان موسى عليه السلام السحرَ وتعظيم السحرةِ بعثه الله بمعجزةٍ بهرتِ الأبصار، وحيرت كل سحارٍ، فلما استيقنوا أنها من عند العزيز الجبار انقادوا للإسلام وصاروا من عباد الله الأبرار.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٩٨١)، مسلم (١٥٢).

- وأما عيسى عليه السلام فبُعث في زمن براعة الأطباء وأصحاب علم الطبيعة، فجاءهُم من الآيات بما لا سبيل لأحدٍ إليه، إلا أن يكون مؤيداً من الذي شرع الشريعة، فمن أين للطبيب قُدرةٌ على إحياءِ الجماد، وبَعْثِ من هو في قبرِه رهينٌ، إلى يوم التناد أو مداواة الأكمه والأبرص؟!

وكذلك نبينا ﷺ بُعِثَ في زمان الفصحاء والبُلغاء وفُحول الشعراء، فأتاهم بكتاب من عند الله -عز وجل- فاتهمَهُ أكثرهم بأنهُ اختلقهُ وافتراهُ من عندهِ، فتحدَّاهم ودعاهُم أن يُعارِضوهُ ويأتوا بمثله وليستعينوا بمن شاءوا فعجزوا عن ذلك كما قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء].

وكما قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الطور].

ثم تقاصر معهم إلى عَشْرِ سورٍ منه، قال تعالى في سورة هود: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [هود]

ثم تنازل إلى سورة واحدة، فقال في سورة يونس: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [يونس]

وكذلك في سورة البقرة -وهي مدنية- أعاد التحدِّي، وأخبر تعالى أنهم لا يستطيعون ذلك أبداً لا في الحال ولا في المآل.

فقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤)﴾ [البقرة].

وهكذا وقع، فإنه من لدُنْ رسولِ الله ﷺ إلى زماننا هذا لم يستطع أحدٌ أن يأتي بنظيره، ولا بنظير سورةٍ منه، وهذا لا سبيل إليه أبداً، فإنه كلامُ رب العالمين الذي لا يُشبههُ شيءٌ من خلقهِ لا في ذاته، ولا في صفاتهِ، ولا في أفعالهِ، فأنّى يُشبهُ كلام المخلوقين كلام الخالق؟[1].

عباد الله! ولما كان نبينا محمدٌ ﷺ مبعوثاً إلى الناس كافةً ولا نبي بعده، كانت معجزته الكبرى -وهي القرآن الكريم- باقية إلى أن يرث اللهُ الأرض ومن عليها، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩)﴾ [الحجر:]

عباد الله! القرآن العظيم:

﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١)﴾ [هود]، ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (١)﴾ [إبراهيم]، ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢)﴾ [فصلت].

عباد الله! ومن إعجاز القرآن: إخبارُه عن الأمم المتقدمة على لسان نبيٍّ أميٍّ لا يعرف الكتابة، ولا يقرأُ المكتوب، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٤٤)﴾ [آل عمران].

(١) «نضرة النعيم» (ص٥٢١).

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف:١١١].

ومن إعجازه: إخباره عن خلق آدم وقصته مع الشيطان، وقصص الأنبياء مع أقوامهم، وخبر موسى والخضر، وأصحاب الكهف، وذي القرنين، ولقمان وابنه، وعن بعض أحكام التوراة، حتى لقد تحداهم الله عز وجل بقوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿١٥﴾﴾ [المائدة].

ومن إعجازه أيضاً: إخباره عن أمور تحدث في المستقبل، فإذا هي تقع مطابقة لِـما أخبر اللهُ به في كتابه.

قال تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح:٢٧].

وقال تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ [القمر] فهُزموا يوم بدرٍ..

ومن إعجازه: إخباره أن أبا لهبٍ من أهل النار، فمات أبو لهب على كفره ليكون من أهل النار كما أخبر.

قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾﴾ [المسد].

عباد الله! ومن معجزاته ﷺ التي ذكرت في القرآن الكريم: **حادثة الإسراء والمعراج، وهي ثابتة بالكتاب والسنة.**

١ - فالدليل من كتاب الله على معجزة الإسراء:

قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء].

٢- والدليل من كتاب ربنا على معجزة المعراج:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم].

٣- والدليل على الإسراء والمعراج من السنةِ:

يقول أنسٌ رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أُتيتُ بالبُراق -وهو دابة أبيض طويلٌ فوق الحمار ودون البغل، يضعُ حافِره عند منتهى طرفِهِ -قال: فركبتُهُ حتى أتيتُ بيت المقدس،** قال: **فربطتهُ بالحلقةِ التي يربط بها الأنبياءُ،** قال: **ثم دخلت المسجد فصليتُ فيه ركعتين ثم خرجتُ، فجاءني جبريلُ** عليه السلام **بإناء منْ خمرٍ وإناءٍ من لبنٍ فاخترتُ اللبن، فقال جبريل** عليه السلام: **اخترتَ الفطرة، ثم عَرَجَ بنا إلى السماء، فاستفتح جبريلُ، فقيل: مَنْ أنت؟ قال: جبريلُ. قيل ومن معك؟ قال محمدٌ. قيل: وقدْ بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه. فَفُتح لنا، فإذا أنا بآدمَ** صلى الله عليه وسلم**، فرحب بي ودعا لي بخير...**» إلى أن قال صلى الله عليه وسلم: «**ثم عَرَجَ بنا إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريلُ، قيل: ومن معك؟ قال: محمد** صلى الله عليه وسلم**. قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففُتح لنا، فإذا أنا بإبراهيم** صلى الله عليه وسلم **مُسنداً ظهرَهُ إلى البيت**

المعمور، وإذا هو يدخلُهُ كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، ثم ذَهَبَ بي إلى السِدرة المنتهى، فإذا ورقها كآذان الفيلةِ، وإذا ثمرها كالقلال قال: **فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت، فما أحد مِن خلق الله يستطيعُ أن ينعتها مِن حُسنها، فأوحى اللهُ إليَّ ما أوحى، ففرضَ عليَّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة**»، -فما زال رسول الله ﷺ يتردد بين ربه وبين موسى حتى خففت إلى خمس صلوات- قال ﷺ: «**فلم أزل أرجعُ بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى** عليه السلام **حتى قال: يا محمد! إنهنَّ خمسُ صلواتٍ كل يومٍ وليلة لكلِّ صلاة عشرٌ فذلك خمسون صلاة**[1]».

عباد الله! والحكمة من معجزة الإسراء والمعراج كما قال تعالى: : ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء:١]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ١٨﴾ [النجم]

عباد الله! رأى رسول الله ﷺ في رحلة الإسراء والمعراج من آيات ربه ما رأى ومنها:-

١- رأى جبريل عليه السلام في صورته له ستمائةِ جناح[2] .

٢- رأى الجنة والنار.

٣- ورأى مالكاً خازن النار.

٤- ورأى الذين يغتابون الناس ويقعون في أعراضهم.

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٦٢).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤).

• قال ﷺ: «**لما عَرَجَ بي ربي عز وجل مررتُ بقومٍ لهم أظفارٌ من نحاسٍ، يخمشون وجوههم وصدرهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم**»(١).

٥- ورأى خطباءَ السوء الذين يقولون ما لا يفعلون.

• قال ﷺ: «**رأيتُ ليلة أُسرى بي رجالاً تُقرض شفاههم بمقاريض من نار، فقلت: يا جبريل! من هؤلاء يا جبريل؟! قال: الخطباءُ من أمتك، يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم، وهم يتلون الكتاب، أفلا يعقلون؟!**(٢)».

٦- ورأى أكلة الربا لهم بطونٌ كبيرة لا يستطيعون التحول عن أماكنهم من ثقلها وكبرها.

٧- ورأى الزناة بين أيديهم لحمٌ سمينٌ طيب، وإلى جواره لحم خبيث منتن فيتركون السمين الطيب، ويأكلون من الخبيث المنتن.

عباد الله! كيف كان وقْع خبر الإسراء والمعراج على كفار مكة؟

تعالوا بنا لنستمع إلى ابن عباس رضي الله عنهما وهو يخبرنا عن حال قريش عندما وصلهم الخبر.

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٨٧٨)، وأحمد (٣/ ٢٢٤)، [«صحيح الجامع» (٥٢١٣)].

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (٣/ ٢٣٩)، والطيالسي (٢٠٦٠)، والبيهقي في «الشعب» (٢/ ٢٨٣)، [«الصحيحة» (٢٩١)].

• يقول ابن عباس رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: «**لما كان ليلة أُسري بي، وأصبحتُ بمكة، فظعتُ بأمري** -أي: اشتد علي رهبتُهُ- **وعرفت أن الناس مكذبيَّ**».

فقعد معتزلاً حزيناً. قال: فمرَّ به عدو الله أبو جهلٍ، فجاء حتى جلس إليه، فقال له -كالمستهزئ-: هل كان من شيءٍ؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم». قال: ما هو؟ قال: «**إنه أسري بيَ الليلة**». قال: إلى أين؟ قال: «**إلى بيت المقدس**». قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: «**نعم**». فلم يُرِه أنهُ يُكذبهُ، مخافة أن يجحده الحديث إذا دعا قومه إليه.

قال -عدو الله-: أرأيت إن دعوتُ قومك تحدِّثهُم ما حدّثتني؟

فقال رسول الله ﷺ: «**نعم**».

فقال: هيا معشر بني كعب بن لؤي! فانتفضت إليه المجالس، وجاؤوا حتى جلسوا إليهما قال -أي: أبو جهل-: حدث قومك بما حدَّثتني.

فقال رسول الله ﷺ: «**إني أسري بي الليلة**» قالوا: إلى أين؟ قال: «**إلى بيت المقدس**» قالوا: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟! قال: «**نعم**». قال: فمن بين مصفِّق، ومن بين واضع يده على رأسه متعجباً للكذب؛ زعم! قالوا: وهل تستطيع أن تنعت لنا المسجد -وفي القوم من قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد-؟!

فقال رسول الله ﷺ: «**فذهبت أنعتُ، فما زلت أنعتُ حتى التبس عليّ بعضُ النعت**. قال: **فجيء بالمسجد وأنا أنظر حتى وضع دون دار عِقالٍ -أو عقيل- فنعتُّه، وأنا أنظر إليه**».

فقال القوم: أما النعتُ فوالله لقد أصاب»[1].

عباد الله! ومع ذلك ما زادهم ذلك إلا نفوراً، كما قال تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا ءَايَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾ [القمر].

عباد الله! في هذا الحديث -وفي وصْفِ النبي ﷺ المسجد الأقصى لكفار مكة- عدة معجزات للنبي ﷺ:

المعجزة الأولى: أن الله عز وجل رفع المسجد الأقصى من بيت المقدس في فلسطين وجاء به ووضعه في مكة أمام النبي ﷺ ينظر إليه قريباً من دار عِقال أو عقيل.

المعجزة الثانية: أن النبي ﷺ كان وحده هو الذي يرى المسجد الأقصى دون كل من حوله من الناس.

المعجزة الثالثة: بعد أن انتهى الرسول ﷺ من وصف المسجد رد الله المسجد الأقصى مكانه حيث كان ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝١٧﴾ [فاطر]، فهذا سليمان عليه السلام لما طلب عرش بلقيس أن يأتيه من اليمن إلى بيت المقدس ﴿قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ۝٣٨ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ۝٣٩ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل:٣٨-٤٠]، فالله على كل شيءٍ قدير، وإذا أراد أمراً فإنما يقول له كن فيكون، والله عز وجل يكرم أنبياءَه وأولياءَه بما شاء من الكرمات والمعجزات.

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٣٠٩)، وابن أبي شيبة (٦/ ٣١٢)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٣٧٧)، [«الصحيحة» (٣٠٢١)].

عباد الله! ومن معجزاته ﷺ: «**إنشقاقُ القمر**».

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: (أن أهل مكة سألوا رسولَ الله ﷺ أن يُريهم آية فأراهُمُ القمر شقتين حتى رأوا حِراء بينهما)(١).

فكان هذا الإنشقاق -كما قال الخطابيُّ-: (آية عظيمة لا يكادُ يعدِلُها شيءٌ من آيات الأنبياء، وذلك أنه ظهر في ملكوت السماء خارجاً من جملة طباع ما في هذا العالم المركبِ من الطبائع، فليس مما يُطمعُ في الوصول إليه بحيلةٍ فلذلك صار البرهان به أظهر)(٢).

وقد ذكر الله سبحانه هذه المعجزة في كتابه العزيز، فقال عز من قائل: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾﴾ [القمر].

• ونقل الحافظُ ابن كثير الإجماع على أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات. وإن الأحاديث التي وردت بذلك متواترةٌ من طُرقٍ متعددةٍ تُفيدُ القطع، ومع عِظم هذه المعجزةِ فإن أهل مكة المعاندين لم يُصدِّقوا ولم يُذعِنوا، بل استمروا على كفرهم وإعراضهم، وقالوا: سحرنا محمدٌ، فقال بعضهم: لئن كان سحرنا ما

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٨٦٨)، ومسلم (٢٨٠٢).

(٢) «فتح الباري» (٧/ ٢٢٤).

يستطيعُ أن يسحر الناس كُلَّهُم، فسألوا من قدمَ عليهم من المسافرين فأخبروهم بنظير ما شاهدُوه فعلموا صحة ذلك وتيقنُوهُ[1].

اللهم رد المسلمين إلى دينك رداً جميلاً

(١) «نضرة النعيم» (ص٥٢٨).

١٥

(٢)
الفرار إلى الله تعالى
بمعرفةِ معجزات رسول الله ﷺ

عباد الله! يقولُ الله -عز وجل- في كتابه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة]، وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ [الأحزاب].

عباد الله! نصرةً ودفاعاً عن رسول الله ﷺ نعـيشُ في هـذا اليـوم -إن شاء الله تعالى- مع بعض معجزاته ﷺ.

- يقول ﷺ: «**ما مِن الأنبياء من نبيٍّ إلا قد أُعطيَ من الآيات ما مثلُهُ آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أُوتيتُ وحياً أوحى الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة**»[1].

عباد الله! وفي الجمعة الماضية تكلمنا عن المعجزة الكبرى لرسولنا ﷺ ألا وهي: القرآن الكريم، وتكلمنا عن معجزة الإسراء والمعراج وعن معجزة انشقاق القمر، وموعدنا في هذا اليوم مع الحديث عن معجزة استجابة الدعاء، فإن الرسول ﷺ كان إذا دعا على قوم استجاب الله له، وإذا دعا لقوم استجاب الله له.

عباد الله! ونذكر لكم أمثلة على الذين دعا عليهم رسول الله ﷺ واستجاب اللهُ له:

أولاً: أئمة الكفر (أبو جهل ومن معه) الذين اعتدوا على رسول الله ﷺ وهو يصلي عند البيت الحرام.

عباد الله! تعالوا بنا لنستمع إلى عبدالله بن مسعود رضي الله عنه وهو يخبرنا الخبر:

- يقول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: (بينما رسولُ الله ﷺ يُصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحابٌ له جلوسٌ، وقد نُحرت جزورٌ -أي: ناقة- بالأمس، فقال أبو جهلٍ: أيكم يقومُ إلى سَلاَ جزور بني فلانٍ فيأخذُه، فيضعُهُ في كتفي محمدٍ -ﷺ- إذا سجد؟

---

(١) **صحيح**: تقدم تخريجه (١٦٢).

فانبعث أشقى القوم -وهو عُقبةُ بنُ أبي مُعيط- فأخذَهُ فلما سجد النبيّ ﷺ وضعهُ بين كتفيهِ.

قال: فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميلُ على بعض، وأنا قائمٌ أنظرُ، لو كانت لي منعة -أي: لو كان لي قوة تمنع أذاهم- طرحتُهُ عن ظهر رسول الله ﷺ والنبي ﷺ ساجدٌ ما يرفعُ رأسه، حتى انطلق إنسانٌ فأخبر فاطمة، فجاءت وهي جويريةٌ -أي: شابة- فطرحتهُ عنه ثم أقبلت عليهم تَسُبُّهم، فلما قضى النبي ﷺ صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا، دعا ثلاثاً، وإذا سأل، سأل ثلاثا ثم قال: «**اللهم عليك بقُريش**» ثلاث مرات، فلما سمعوا صوتَهُ ذهب عنهم الضحك، وخافوا دعوتَهُ، ثم قال: «**اللهم عليك بأبي جهل بن هشامٍ، وعُتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عقبة، وأُمية بن خلف، وعقبة بن أبي مُعَيطٍ**»، وذكر السابع ولم أحفظه، فوالذي بعث محمداً ﷺ بالحق لقد رأيتُ الذين سَمَّى صرعَى يوم بدرٍ، ثم سُحِبُوا إلى القَليب، قليب بدرٍ)[1].

نعم، هكذا ينتقم اللهُ ممن يسخرُ من رُسله، فهذا فرعون -عليه لعنة الله- كان يسخر من موسى عليه السلام ويستهزئ به فقال: ﴿يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾ [الزخرف]، فأهلكه الله -عز وجل- في هذه الأنهار وأغرقه هو وجنوده في هذه الأنهار.

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٤٠)، ومسلم (١٧٩٤).

-وكذلك قوم نوح سخروا من نبيهم نوح عليه السلام، قال تعالى عنهم: ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُۚ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [هود] فأهلكهم الله جميعاً ونجا نوح ومن آمن معه.

ثانياً: كفار مكة الذين أدبروا عن رسول الله ﷺ ولم يستجيبوا له:

- يقول ابن مسعود رضي الله عنه: (إن النبيَّ ﷺ لما رأى من الناس -أي: من أهل مكة- إدباراً قال: «**اللهم سَبْعٌ كسبعِ يوسف**»، فأخذتهم سنةٌ حَصَّتْ كُلَّ شيء، حتى أكلوا الجلود والميتة والجِيَفَ، وينظر أحدهم إلى السماء فيرى الدخان من الجوع.

فأتاه أبو سفيان فقال: يا محمد! إنك تأمُرُ بطاعة الله وبصلة الرَّحم، وإن قومك قد هلكوا، فادع الله لهم.. فدعا لهم، فسقوا الغيث)[1].

ثالثاً: النصرانيّ الذي أسلم ثم عاد إلى النصرانية وكذب على رسول الله ﷺ فدعا عليه رسول الله ﷺ فجعله الله آية وعبرة:

- يقولُ أنسٌ رضي الله عنه: (كان رجلٌ نصرانياً فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران فكان يكتب للنبي ﷺ، فعاد نصرانياً، فكان يقولُ: ما يدري محمد إلا ما كتبت له.

فأماته الله، فدفنوه، فأصبح وقد لفظتهُ الأرضُ، فقالوا: هذا فعلُ محمدٍ وأصحابهِ، لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فألقوه. فحفروا له فأعمقوا، فأصبح وقد لفظته الأرضُ، فقالوا: هذا فعلُ محمدٍ وأصحابهِ نبشوا عن

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٠٠٧)، ومسلم (٢٧٩٨).

صاحبنا لما هرب منهم فألقوه، فحفروا له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا، فأصبح وقد لفظتهُ الأرض فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه)[1].

وفي رواية مسلم: (فتركوه منبوذاً)[2].

رابعاً: سُراقةُ بن مالك: الذي خرج من مكة في طلب النبي وصاحبه:

- عن البراء بن عازبٍ عن أبيه أنه قال لأبي بكر: (يا أبا بكرٍ! حدثني كيف صنعتما حين سريت مع رسول الله ﷺ قال: نعم، أَسرينا ليلتنا ومِنَ الغدِ حتى قام قائم الظهيرة، وخلا الطريقُ لا يمر فيه أحدٌ، فرُفعتْ لنا صخرةٌ طويلةٌ لها ظلٌّ لم تأت عليه الشمسُ فنزلنا عندها، وسوَّيتُ للنبي ﷺ مكاناً بيدي ينامُ عليه، وبسطتُ فيه فروةً وقلتُ: نمْ يا رسول الله وأنا أنفض لك ما حولك، فنامَ، وخرجتُ أنفض ما حولَهُ فإذا أنا براعٍ مُقبلٍ بغنمه إلى الصخرة يُريد منها مثل الذي أردْنا فقلتُ: لمن أنت يا غلام؟ فقال: لرجلٍ من أهل المدينة - أو مكة.

قلت: أفي غنمك لبن؟ قال: نعم. قلت: أفتحلب؟ قال: نعم، فأخذ شاةً، فقلتُ: انفض الضرع من التراب والشعرِ والقذى ... فحلب في قعب كُثبةً من لبن، ومعي إداوةُ حملتُها للنبي ﷺ يرتوي منها يشربُ ويتوضأ.

فأتيت النبيّ ﷺ فكرهتُ أن أُوقِظَهُ، فوافقته حين استيقظ فصببت من الماء على اللبن حتى برد أسفلُه. فقلتُ: اشربْ يا رسول الله.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦١٧).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٧٨١).

قال: فشرب حتى رضيتُ. ثم قال: «**ألم يأن للرّحيل؟**». قلت: بلى. قال: فارتحلنا بعدما مالتِ الشمسُ، واتَّبعنا سُراقةُ بن مالكٍ فقلت: أُتينا يا رسول الله، فقال: «**لا تحزن إن الله معنا**».

فدعا عليه النبي ﷺ فارتطمت به فرسُه إلى بطنها أُرَى في جَلَدٍ من الأرض، فقال: إني أُرَاكما قد دعوتما عليَّ، فادعوا لي، فالله لَكُما أن أَرُدَّ عنكما الطلب فدعا لهُ النبي ﷺ، فنجا، فجعل لا يلقى أحداً إلا قال: قد كفيتكم ما هنا فلا يلقى أحداً إلا ردَّهُ، قال: ووفى لنا)[1].

خامساً: في غزوة الأحزاب دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب واستجاب الله لهُ:

يقول عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه: (دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال: «**اللهم مُنزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم**)[2]، وقد استجاب الله دعوة نبيه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ﴿٢٥﴾﴾ [الأحزاب].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦١٥).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٩٣٣)، ومسلم (١٧٤٢).

سادساً: في غزوة حُنين رفع النبيُّ ﷺ يديه ودعا ربه فقال: «**اللهم! أنزل نصرك**» .... ثم أخذ قبضة من تراب الأرض، فرمى بها في وجوه الكفار ثم قال: «**انهزموا ورب محمد**» وقال: «**شاهت الوجوه**»، فما خلق اللهُ إنساناً من الكفار، إلا ملأ عينيه تراباً من تلك القبضة، فلم يزل حدهم قليلاً، وأمرُهُم مدبراً، فنصر اللهُ المسلمين.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [التوبة].

سابعاً: في غزوة بدر الكبرى:

- يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لما كان يوم بدرٍ، نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألفٌ، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً فاستقبل نبيُّ الله ﷺ القبلة، ثم مدَّ يديه فجعل يهتف بربه -أي: يصيح ويستغيث بالله ويدعوه-: «**اللهم! أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم! إنك إن تُهلك هذه العصابة** -أي: الجماعة- **من أهل الإسلام لا تُعبدْ في الأرض**».

فما زال يهتفُ بربه، مادّاً يديه، مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤهُ عن منكبيهِ، فأتاهُ أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه،

وقال: يا نبي الله! كفاك مناشدتُك ربك، فإنه سينجزُ لك ما وعدك، فأنزل الله -عز وجل-: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ [الأنفال] فأمده الله بالملائكة[1].

وكان من دعائه ﷺ يوم بدر: «**اللهم إني أنشدُكَ عهدَكَ ووعدَك، اللهم إن شئت لم تُعبدْ بعد اليوم**»، فخرج ﷺ وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ [القمر][2].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران]. وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنفال].

ثامناً: كِسرى عظيم فارس الذي مزقَ كتاب رسول الله ﷺ.

عباد الله! أرسل رسولُ الله ﷺ إلى ملوك ورؤساء الدول الكبرى يدعوهم إلى الإسلام، وكان ممن أرسل إليهم كسرى عظيم الفرس وهذا نص كتابه إليه:

«**بسم الله الرحمن الرحيم من محمدٍ رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلامٌ على مَن اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبدُهُ ورسولُه، أدعوك بدعاية الله، فإني أنا رسول**

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٧٦٣).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٩١٥).

الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القولُ على الكافرين. فأسلم تسلم، فإن أبيت فعليك إثم المجوس»[1].

وعندما وصل الكتاب إلى كسرى مزقه، فلما وصل الخبرُ إلى رسول الله ﷺ دعا عليهم: «**أن يمزَّقوا كل ممزق**»[2] -أي: مزق اللهُ ملكه-.

فاستجاب اللهُ لدعاء رسولِهِ ﷺ ومزق مُلك كسرى، وذلك عندما قام ابنه بقتل إخوته ثم قتل والده ليرث الملك وحده ثم بعد ذلك بقليل مات هذا الابنُ فتمزق ملك كسرى جزاءً وفاقاً ولا يظلم ربك أحداً.

تاسعاً: الرجلُ الذي أكلَ عند رسول الله ﷺ بشماله.

- عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: (أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله، فقال: «**كُلْ بيمينك**»، قال: لا أستطيعُ. قال: «**لا استطعتَ**»، ما منعه إلا الكِبْر، قال: فما رفعها إلى فيه)[3].

عباد الله! وأما الذين دعا لهم النبيُّ ﷺ فهم كثيرون جداً نقولُ على سبيل المثال:

أولاً: ابن عباس رضي الله عنهما:

(١) حسن: [«فقه السيرة» (ص٣٦٨)].

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٤).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٠٢١).

- عن ابن عباس رضي الله عنهما: (أن النبيُّ ﷺ دخل الخلاءَ، فوضعتُ له وَضوءاً، قال: «**من وضع هذا؟**» فأُخبرَ، فقال: «**اللهم فقههُ في الدين**»)[1]. فكان بعدُ يُدعى حبرَ الأمة وتُرجمانَ القرآن ببركة دعوة النبي ﷺ.

ثانياً: أبو هريرة رضي الله عنه وأمه:

يقول أبو هريرة رضي الله عنه: (كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يوماً فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيتُ رسولَ الله ﷺ وأنا أبكي، فقلتُ: يا رسول الله! إني كنتُ أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى عليّ، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة.

فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم اهدِ أم أبي هريرة**» فخرجتُ مستبشراً بدعوة نبي الله ﷺ، فلما جئت فصرت إلى الباب فإذا هو مُجَافٍ فسمعتْ أمي خشف قدمي، فقالت: مكانك يا أبا هريرة، وسمعتُ خضخضة الماء، قال: فاغتسلتْ ولبست درعها وعجِلَت عن خمارها، فَفَتَحَت الباب ثم قالت: يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، قال: فرجعتُ إلى رسول الله ﷺ فأتيته وأنا أبكي من الفرح، قال: قلت: يا رسول الله أبشر قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة، فحمد الله وأثنى عليه وقال خيراً.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٤٣)، ومسلم (٢٤٧٧).

قال: قلت: يا رسول الله! ادع الله أن يحبِّبني أنا وأمي إلى عبادِهِ المـؤمنين ويحبِّبهم إلينا. قال: فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم حبِّب عُبَيْدَك هذا** -يعنـي أبا هريرة- **وأمهُ إلى عبادك المؤمنين وحبب إليهما المؤمنين**» فـما خُلـق مـؤمن يسمعُ بي ولا يراني إلا أحبني)[1].

ثالثاً: أنس بن مالك رضي الله عنه:

- يقول أنس رضي الله عنه: (دخل النبي ﷺ عـلى أم سُـليم -وهـي أمُّ أنـس- فأتته بتمرٍ وسمنٍ قال: «**أعيدوا سمنكم في سـقائه، وتمـركم في وعائـه، فإني صائم**» ثم قام إلى ناحية من البيت فصلى غـير المكتوبـة، فـدعا لأم سليم وأهل بيتهـا. فقالـت أمُّ سـليم: يـا رسـول الله! إن لي خويـصة. قال: «**ما هي**»؟ قالت: خادمُك أنس، فما تـرك خـير آخـرة ولا دنيـا إلا دعا لي به: «**اللهم ارزقه مالاً وولداً وبارك له فيه**» -قال أنس-: فإني لمن أكثر الأنـصار مـالاً، دُفـن لـصلبي ... مَقْـدَمَ الحجـاجِ البـصرةَ بـضعٌ وعشرون ومائة»[2].

رابعاً: سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:

•يقول سعد بن أبي وقاصٍ: (عادني رسـول الله ﷺ ... فقـال: «**اللهـم اشف سعداً، اللهم اشف سعداً**»، ثلاث مرار)[3]، فشفاه الله من مرضه.

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٤٩١).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٩٨٢).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٦٢٨).

- ودعا له النبي ﷺ فقال: «**اللهم استجب لسعدٍ إذا دعاك**»[1] فكـان رضي الله عنه مستجاب الدعوة، إذا دعا لأحدٍ أو على أحدٍ استجاب الله له.

اللهم احشرنا مع نبينا ﷺ في جنات النعيم

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٧٥١)، والطبراني في «الأوسط» (٤/ ٢٢٥)، [«المشكاة» (٦١٢٥)].

١٦

(٣)

الفرار إلى الله تعالى بمعرفة معجزات رسول الله ﷺ

عباد الله! رسولنا محمدٌ ﷺ خاتمُ الأنبياء والمرسلين فلا نبي بعده ولا رسول. أرسله اللهُ إلى الناس كافةً بشيراً ونذيراً.

- قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب].
- وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ:٢٨].
- وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء].
- وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[الأعراف:١٥٨].
- وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان].
- وقال ﷺ: «**فُضِّلْتُ على الأنبياء بستٍّ: أُعطيتُ جوامع الكلم، ونصرتُ بالرعب، وأُحلّت ليَ الغنائمُ، وجُعلت ليَ الأرض طهوراً ومسجداً، وأُرسلتُ إلى الخلق كافةً، وخُتِمَ بيَ النبيون**»[1].

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٥٢٣).

- وقال ﷺ: «**أُعطيتُ خمساً لم يُعطهُنَّ أحدٌ قبلي**» -وذكر منها:- «**وكان النبيُّ يُبعثُ إلى قومه خاصةً وبُعثتُ إلى الناس عامةً**»(١).
- وقال ﷺ: «**والذي نفسُ محمدٍ بيده لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمة يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ثم يموتُ ولم يؤمن بالذي أُرسلتُ به إلا كان من أصحاب النار**»(٢).
- وقال ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: «**...والذي نفسي بيده، لو أن موسى ﷺ كان حياً ما وَسِعَهُ إلا أن يتبعني**»(٣).

عباد الله! انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿**إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ**﴾ [التوبة:٤٠]، ومن قوله تعالى: ﴿**فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧)**﴾ [الأعراف].

فرَّ السعداءُ إلى الله -تعالى- بمعرفة معجزات رسول الله ﷺ ليـزدادوا إيماناً مع إيمانهم ولينصروا رسول الله ﷺ ويدافعوا عنهُ؛ ليهلك مـن هلـك عن بينة ويحيا من حيّ عن بينة.

عباد الله! في الجمع الماضية تكلمنا عن المعجزة الكبرى لرسول الله ﷺ ألا وهي: القرآن الكريم، هذه المعجزة التي تحدى بها ربنـا الإنـس والجـن، وتكلمنا عن معجزة الإسراء والمعراج وانشقاق القمر واستجابة الدعاء.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٥٣).

(٣) **حسن**: أخرجه أحمد (٣/ ٣٨٧)، وابن أبي شيبة (٥/ ٣١٢)، والبيهقي في «الشعب» (١/ ١٩٩)، [«إرواء الغليل» (١٥٨٩)].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع بعض معجزات النبي ﷺ:

أولاً: نبعُ الماءِ من بين أصابعهِ الشريفة ﷺ.

عباد الله! قصةُ نبعِ الماءِ من بين أصابعهِ ﷺ، تكرَّرت منهُ في عِدَّةِ مواطن في مشاهِدَ عظيمة وردتْ من طرقٍ كثيرةٍ يُفيدُ مجموعُها العلم القطعيَّ المستفاد من التواتر المعنوي ولم يُسمَعْ بورود مثل هذه المعجزة عن غير نبينا ﷺ، حيث نبع الماءُ من بين عظمهِ وعصبه ولحمهِ ودمهِ(1).

عباد الله! ومن هذه المواطن التي ذكر فيها تكثيرُ الماء ونبعُهُ من بين أصابع نبينا ﷺ:

١- عن جابر رضي الله عنه قال: (عطش الناسُ يوم الحديبية والنبي ﷺ بين يديه رِكوةٌ -أي: إناء صغير من جلد يُشرب فيه الماء- فتوضأ فجهش -أي: فزع- الناسُ نحوه فقال: «**مالكم؟**».

قالوا: ليس عندنا ماءُ نتوضأ، ولا نشربُ إلا ما بين يديك، فوضع يده في الرِّكوةِ فجعل الماءُ يثور بين أصابعهِ كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا. قلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألفٍ لكفانا، كنا خمسَ عشرةَ مائةً)(2).

٢- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (رأيتُ رسول الله ﷺ وحانت صلاةُ العصر، فالْتُمس الوَضوءُ، فلم يجِدُوهُ فأُتي رسولُ الله ﷺ بوَضوءٍ فوضع

(١) انظر: «فتح الباري» (٦/ ٦٦٦، ٦٧٧).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٥٧٦).

رسولُ الله ﷺ يدهُ في ذلك الإناء فأمر الناس أن يتوضئوا منهُ، فرأيتُ الماء ينبعُ من تحت أصابعه، فتوضأ الناسُ حتى توضئوا من عند آخِرِهم)[1].

٣- قال جابرُ بنُ عبدالله رضي الله عنهما: (فأتينا العسكر فقال رسـول الله ﷺ: «**يـا جابرُ! نادِ بوَضُوءٍ**»، فقلت: ألا وَضوءَ؟ ألاَ وضوءَ؟ ألا وَضُوءَ؟ قـال: قلتُ: يا رسول الله! ما وجدتُ في الرَّكبِ من قطرة. وكـان رجُـلٌ مـن الأنصار يُبرِّدُ لرسولِ الله ﷺ المـاء في أشـجابٍ لـه -أي: هـو الـسقاء الذي قد أخلق وبلي وصار شناً- على حِمَارَةٍ مـن جريـد -وهـي أعـواد تعلق عليها أسقية الماء -.

قال: فقال لي: «**انطلـق إلى فـلان بـن فـلانٍ الأنـصاريِّ، فـانظر هـل في أشجابهِ من شيء؟**».

قال: فانطلقتُ إليه فنظرتُ فيها فلم أجدْ فيها إلا قطـرةً -أي: يـسيراً- في عزلاء شَجْبٍ منها-هي فم القربة- لو أني أفرِغُهُ لشرِبَهُ يابِسُهُ -معناه إنه قليل جداً-.

فأتيتُ رسول الله ﷺ فقلتُ: يا رسول الله! إني لم أجدْ فيها إلا قطرةً في عزلاء شجب منها، لو أنِّي أُفْرِغُهُ لشربَهُ يابسُهُ قال: «**اذهب فأتني بـه**» فأتيتُـهُ به، فأخذهُ بيده فجعل يـتكلمُ بـشيء لا أدري مـا هـو، ويغمـزهُ بيديـه ثـم أعطانيهِ فقال: «**يا جابر! ناد بجفنةٍ**».

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٥٧٣)، ومسلم (٢٢٧٩).

فقلتُ: يا جفنة الرَّكب! -أي: يا صاحب جفنة الركب- فأُتيتُ بها تُحمَلُ فوضعتُها بين يديه، فقال رسول الله ﷺ بيده في الجفنة هكذا، فبسطها وفرَّق بين أصابعهِ ثم وضعها في قعر الجفنةِ وقال: «**خُذْ يا جابر! فصُبَّ عليَّ وقل: باسم الله**» فصببتُ عليه وقلتُ: باسم الله، فرأيتُ الماء يفورُ من بين أصابع رسول الله ﷺ، ثم فارتِ الجفنة ودارتْ حتى امتلأت.

فقال: «**يا جابرُ ناد من كان له حاجةٌ بماء**».

قال: فأتى الناسُ فاستقوا حتى رَوُوا. قال: فقلتُ: هل بقيَ أحدٌ له حاجةٌ؟ فرفع رسول الله ﷺ يدهُ من الجفنةِ وهي مَلأى)[1].

٤- وعن عبدالله بن مسعود قال: (كنا نعدُّ الآيات -أي: المعجزات والكرامات- بركةً وأنتم تعدونها تخويفاً، كنا مع رسول الله ﷺ في سفرٍ فقلّ الماء فقال: «**اطلبوا فضلةً من ماءٍ**» فجاؤوا بإناء فيه ماءٌ قليلٌ فأدخل يده في الإناء ثم قال: «**حيَّ على الطهور المبارك والبركة من الله**» فلقد رأيتُ الماء ينبعُ من بين أصابع رسول الله ﷺ ولقد كنا نسمعُ تسبيح الطعام وهو يُؤكلُ)[2].

قال المُزنيُّ -رحمه الله-: نبْع الماء من بين أصابعهِ ﷺ أبلغُ في المعجزةِ من نبعِ الماءِ من الحجر حيث ضربهُ موسى عليه السلام بالعصا فتفجرت منه المياهُ؛ لأن خروج الماءِ من الحجارةِ معهودٌ بخلاف خروج الماء من بين اللحم والدم[3].

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٣٠١٣).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٥٧٩).

(٣) انظر: «فتح الباري» (٦/ ٦٧٧).

عباد الله! وأمَّا تكثيرهُ ﷺ للماء القليل:

فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: (خرجنا مع رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك، فكان يجمع الصلاة فصلى الظهر والعصر جميعاً، والمغرب والعشاء جميعاً، حتى إذا كان يوماً أخّر الصلاة، ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعاً، ثم دخل ثم خرج بعد ذلك فصلى المغرب والعشاء جميعاً، ثم قال: «**إنكم ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يُضْحى النهار، فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتي**»، فجئناها وقد سبقنا إليها رجلان، والعين تبض -أي: ترشح- بشيء من الماء، قال: فسألهما رسول الله ﷺ: «**هل مسستما من مائها شيئاً**»؟ فقالا: نعم، فسبَّهما النبي ﷺ وقال لهما ما شاء الله أن يقول، قال: ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلاً قليلاً، حتى اجتمع في شيء، قال: وغسل رسول الله ﷺ فيه يديه ووجهه، ثم أعاده فيها، فجرت العين بماء منهمر أو قال: غزير فاستقى الناس.

ثم قال رسول الله ﷺ: «**يوشك يا معاذ! إن طالت بك حياةٌ أن ترى ما هاهنا قد ملئ جناناً**»[1]).

ثانياً: ومن معجزاته ﷺ تكثيرهُ الطعام والشرابَ.

فأمَّا الطعام:

فقد وقع ذلك منه ﷺ مرات عديدة منها:

(١) **صحيح**: أخرجه الإمام مالك في «الموطأ» (رواية الليثي) (٣٢٧)، ومسلم (٧٠٦).

١- يقول أنس ﵁: (قال أبو طلحة لأمِّ سُليم -وهي أم أنس-: قد سمعتُ صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً، أعرِفُ فيه الجوع، فهل عندك من شيءٍ؟

فقالت: نعم، فأخرجت أقراصاً من شعير ثم أخذتْ خماراً لها فلفت الخبز ببعضه، ثم دسَّتْهُ تحت ثوبي. وردَّتني ببعضه -أي: جعلتْ بعضه رداء على رأسي-. ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ.

قال أنس: فذهبتُ به فوجدتُ رسول الله ﷺ جالساً في المسجد ومعه الناسُ، فقمت عليهم، فقال رسول الله ﷺ: «**أرسلَكَ أبو طلحة؟**» فقلتُ: نعم. فقال: «**أَلِطعامٍ؟**» فقلت: نعم. فقال رسول الله ﷺ لمن معه: «**قوموا**».

قال -أي: أنس-: فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئتُ أبا طلحة فأخبرتُهُ، فقال أبو طلحة: يا أمَّ سليم! قد جاء رسول الله ﷺ والناس وليس عندنا ما نطعمهمُ؟ فقالت: الله ورسولُهُ أعلم.

قال -أي: أنس-: فانطلق أبو طلحة حتى لقيَ رسول الله ﷺ فأقبل رسول الله ﷺ معه حتى دخلا -فقال رسول الله ﷺ: «**هلُمِّي ما عندكِ يا أمَّ سُليم**» فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله ﷺ فَفُتَّ وعصرتْ عليه أُم سُليم عُكةً -وعاءٌ صغيرٌ من جلدٍ للسمن خاصة -لها فأدمتهُ- أي: جعلتْ فيه إداماً- ثم قال فيه رسول الله ﷺ ما شاء اللهُ أن يقول ثم قال: «**ائذن لِعشرةٍ**» فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا.

ثم قال: «**ائذن لعشرةٍ**» فأذن لهم فأكوا حتى شبعوا ثم خرجوا.

ثم قال: «**ائذن لعشرةٍ**» حتى أكل القومُ كلهم وشبعوا والقوم سبعون رجلاً أو ثمانون)[1].

٢- ومن تكثيره الطعام ﷺ أيضاً ما وقع مع جابر بن عبدالله رضي الله عنهما في غزوة الخندق.

- يقول جابر رضي الله عنه: (إنّا يوم الخندق نحفرُ فعرضتْ كُديةٌ شديدةٌ -حجر صلب- فجاؤوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كديةُ عرضتْ في الخندق فقال: «**أنا نازلٌ**» ثم قام ﷺ وبطنهُ معصوبٌ بحجر ولبثنا ثلاثة أيامٍ لا نذوق ذواقاً -أي: لا نذوق طعاماً ولا شراباً- فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب فعاد كثيباً أهيل.

... يقول جابر: فانكفأتُ إلى امرأتي فقلتُ: هل عندك شيء؟ فإني رأيتُ برسول الله ﷺ خمصاً شديداً -ضامِرُ الباطن- فأخرجتْ إلي جراباً فيه صاعٌ من شعير ولنا بَهْمَةٌ داجن -شاة- فذبحتُها وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البُرمِةِ -القدر- ثم جئتُ النبي ﷺ فساررتهُ فقلتُ: يا رسول الله! ذبحنا بهيمة لنا وطحنا صاعاً من شعير كان عندنا فتعال أنت ونفرٌ معك.

فصاح النبي ﷺ: «**يا أهل الخندق إن جابراً قد صنع سُوراً -وليمة- فحيَّ هلا بكم**»، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تُنزلُنَّ بـرُمتكم ولا تخبُزنَّ**

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٥٧٨)، ومسلم (٢٠٤٠).

عجينكم حتى أجيء» وجاء فأخرجت له عجيناً فبصق فيه وبارك -أي: دعا بالبركة على الطعام- ثمّ عمد إلى بُرمتنا فبصق وبارك ثم قال: «**ادعُ خابزةً فلتخبزْ معي واقدحي** -أي: اغرفي- **من بُرمتكم ولا تُنزلوها!** » وهم ألفٌ فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن بُرمتنا لتغطُ كما هي وإن عجيننا ليخبز كما هو)[1].

نقول: يا أهل الكتاب، هذا رسولنا الذي تجدونه عندكم في التوراة والإنجيل يأمركم بالمعروف وينهاكم عن المنكر ويحل لكم الطيبات ويحرم عليكم الخبائث، ويضع عنكم إصركم والأغلال التي كانت عليكم، فمن آمن به فله أجران عند الله -عز وجل- فاسلموا تسملوا، ومن كفر برسولنا فاسمعوا ما يقول ﷺ: «**والذي نفسْ محمد بيده لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمةِ يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ثم يموت ولم يؤمنْ بالذي أرسلتُ به إلا كان من أصحاب النار**»[2]. وفي النار يندم الذين لم يؤمنوا بالله ولا برسوله في وقت لا ينفع فيه الندم!

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤١٠١) (٤١٠٢)، ومسلم (٢٠٣٩).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٥٣).

﴿نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾﴾ [فاطر].

٣-وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (لما كان يوم غزوة تبوك أصابَ الناس مجاعة... فقال عمرُ: يا رسول الله! ... ادعُهم بفضل أزوادهم -أي: ما تبقى من الزاد- ثم ادعُ الله لهم عليها بالبركة... فقال: «**نعم**»، فدعا بنطعٍ فبُسطَ ثم دعا بفضل أزوادهم، فجعل الرجلُ يجيءُ بكفِّ ذرةٍ، وجعل يجيءُ الآخر بكفِّ تمر، ويجيءُ الآخرُ بكسرةٍ، حتى اجتمع على النطعِ من ذلك شيءٌ يسير، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه بالبركةِ ثم قال: «**خذوا في أوعيتكم**» فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاءً إلا ملؤه.

قال أبو هريرة: فأكلوا حتى شبعوا وفضلتْ فضلةٌ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أشهدُ أن لا إله إلا الله وأني رسولُ الله، لا يلقى الله بهما عبدٌ غيرُ شاكٍّ فيُحجب عن الجنة**»[1]).

عباد الله! وأمَّا تكثيرهُ صلى الله عليه وسلم الشرابَ، فنأخذُ على ذلك مثالاً واحداً:

يقول أبو هريرة رضي الله عنه: (الله الذي لا إله إلا هو، إن كنتُ لأعتمدُ بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كُنتُ لأشُدُّ الحجر على بطني من الجوع،

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٧).

ولقد قعدتُ يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه، فمرَّ أبو بكر فسألتهُ عن آيةٍ من كتاب الله، ما سألتهُ إلا ليُشبعني، فمرَّ ولم يفعل، ثم مرَّ بي عمرُ فسألتهُ عن آيةٍ من كتاب الله، ما سألتهُ إلا ليشبعني فمرَّ فلم يفعل، ثم مرَّ بي أبو القاسم ﷺ فتبسَّم حين رآني وعرف ما في نفسي وما في وجهي ثم قال: «**يا أبا هرٍّ**»! قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «**الْحقْ**» ومضى. فتبعتُهُ فدخل فاستأذن فأذِن لي، فدخل فوجد لبناً في قدح فقال: «**مِنْ أين هذا اللبن؟**».

قالوا: أهداهُ لك فلانٌ أو فلانة.

قال: «**أبا هِرٍّ**» قلتُ: لبيك يا رسول الله؛ قال: «**الحَقْ إلى أهل الصفة فادعُهم لي**».

قال: وأهلُ الصفة أضيافُ الإسلام، لا يأوون إلى أهلٍ ولا مالٍ ولا على أحدٍ، إذا أتتهُ صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئاً، وإذا أتتهُ هديةٌ أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها.

-يقول أبو هريرة-: فساءني ذلك، فقلتُ: وما هذا اللبن في أهل الصفة؟ كنتُ أحقُّ أنا أن أُصيب من هذا اللبن شربة أتقوَّى بها، فإذا جاء أمرني فكنت أنا أعطيهم وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بُدٌّ فأتيتهُمُ فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم مِن البيت.

قال: «**يا أبا هرٍّ**» قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «**خذ فأعطهمْ**» قال: فأخذتُ القدح فجعلتُ أُعطيهِ الرجُلَ فيشربُ حتى يروَى ثم يُردُّ عليَّ

القدح، فأُعطيه الرجل فيشربُ حتى يروى، ثم يُردُّ علـيَّ القـدح، فيـشرب حتى يروى ثم يردّ عليَّ القدح حتى انتهيتُ إلى النبي ﷺ وقـد روِيَ القـومُ كُلُّهُم، فأخذ -ﷺ- القدح فوضعه على يده، فنظر إليَّ فتبسَّم، فقال: «**يا أبا هرٍّ**» قلتُ: لبيك يا رسول الله! قال: «**بقيتُ أنا وأنـتَ**»، قلـتُ: صـدقت يـا رسول الله قال: «**اقعد فاشربْ**» فقعدتُ فشربتُ فقال: «**اشرب**» فشربتُ فما زال يقولُ: «**اشْرَبْ**» حتى قلتُ: لا والذي بعثك بالحق ما أجدُ لـه مـسلكاً. قال: «**فأرِني**»، فأعطيتهُ القدح، فحمد الله وسمَّى وشرِبَ الفَضْلَةَ)[1].

اللهم رد المسلمين إلى دينك رداً جميلاً

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٤٥٢).

١٧

(٤)

الفرار إلى الله تعالى

بمعرفةِ معجزات رسول الله ﷺ

عباد الله! يقولُ الله -عز وجل- في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝٤٦ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ۝٤٧ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ۝٤٨﴾ [الأحزاب]

وقال ﷺ: «**أنا دعوةُ أبي إبراهيم وبشرى عيسى عليهما السلام، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نورٌ أضاءتْ له قصور الشام**»[(١)].

وقال ﷺ: «**والذي نفسُ محمدٍ بيده لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمة يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ثم يموتُ ولم يُؤمنْ بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**[(٢)]».

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٢)، والطيالسي (١١٤٠)، ومسند ابن الجعد (٣٤٢٨)، [«الصحيحة» (١٥٤٥)].

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٥٣).

عباد الله! وانطلاقاً من قوله تعالى: ﴿**إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ**﴾ [التوبة:٤٠] فرَّ السعداءُ إلى الله -تعالى- لمعرفة معجزات رسول الله ﷺ ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ولينصروا الرسول ﷺ ويدافعوا عنه؛ ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيّ عن بينة.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع معجزات رسول الله ﷺ في **الإنسان والحيوان والشجر والجمادات.**

أولاً: معجزاتُه ﷺ في الإنسان:

١ - يقولُ البراءُ رضي الله عنه: (بعثَ رسول الله ﷺ إلى أبي رافعٍ اليهودي رجالاً من الأنصار فأمّر عليهم عبد الله بن عَتيك وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ﷺ ويعين عليه فقال عبدُالله بنُ عَتيك – وهو يصف قتله لأبي-: ...ثم وضعتُ ظبة السيفَ في بطنِهِ، حتى أخذ في ظهره، فعرفتُ أني قتلتُهُ، فجعلتُ أفتحُ الأبواب باباً باباً، حتى انتهيتُ إلى درجةٍ له، فوضعتُ رجلي وأنا أرى أني قد انتهيت إلى الأرض فوقعتُ في ليلةٍ مقمرةٍ، فانكسرتْ ساقي، فعصبتُها بعمامةٍ ثم انطلقتُ ... فانتهيتُ إلى النبي ﷺ فحدثتُهُ فقال: «**ابسُطْ رِجلَكَ**» فبسطتُ رجلي، فمسحها، فكأنها لم أشتكها قطُّ)(١) .

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٠٣٩).

٢- وعن يزيد بن أبي عُبيد رضي الله عنهما قال: (رأيتُ أثرَ ضربةٍ في ساقِ سلمة -أي: ابن الأكوع رضي الله عنه- فقلتُ: يا أبا مُسلم! ما هذه الضربة؟! فقال: ضرْبَةٌ أصابتني يوم خيبر، فقال الناسُ: أُصيب سلمةُ، فأتيتُ النبي ﷺ فنفث فيه ثلاث نفثاتٍ، فما اشتكيتُها حتى الساعة)(١).

٣- وقال رسول الله ﷺ -يومَ خيبر: «**لأُعطينَّ هذه الرايةَ غداً رجُلاً يفتحُ اللهُ على يديه، يحبُ اللهَ ورسولَه ويُحبُّهُ اللهُ ورسولُهُ**».

...فلما أصبح الناسُ، غدوا على رسول الله ﷺ... فقال: «**أين عليُّ بنُ أبي طالب؟**» فقالوا: هو يا رسول الله! يشتكي عينيهُ، قال: فأرسلوا إليه فأُتي به، فبصَقَ رسول الله ﷺ في عينيه، ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكنْ به وجعٌ، فأعطاه الراية)(٢).

٤- وعن قتادة بن النعمان رضي الله عنه: (أنه أصيبتْ عينهُ يوم بدرٍ فسالتْ حدقتُهُ على وجنته، فأرادوا أن يقطعوها، فسألوا النبي ﷺ فقال: «**لا**» فدعا به، فغمز حدقته براحتِهِ، فكان لا يدري أيُّ عينيه أصيبت.

وفي رواية: فكانت أحسنَ عينيه)(٣).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٢٠٦).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٢١٠)، ومسلم (٢٤٠٦).

(٣) **حسن**: أخرجه أبو يعلى (٣/ ١٢٠)، وابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ٢٩١)، [«بداية السّول في تفضيل الرسول» (ص٤١-٤٢)]

ثانياً: معجزاتهُ ﷺ في الحيوان:

١- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (عدا الذئبُ على شاةٍ فأخذها فطلبه الراعي، فانتزعها منه، فأقعى الذئبُ على ذنبهِ؛ قال: ألا تتقي الله؟! تنزعُ مني رزقاً ساقهُ اللهُ إليَّ؟! فقال: يا عجبي! ذئبٌ مُقعٍ على ذنبه يكلمُني كلام الإنس!

فقال الذئبُ: ألا أخبرُك بأعجبَ من ذلك؟

محمدٌ ﷺ بيثربَ، يُخبرُ الناسَ بأنباء ما قد سبق!

قال: فأقبل الراعي يسوقُ غنمه حتى دخل المدينة، فزواها إلى زاويةٍ من زواياها، ثم أتى رسولَ الله ﷺ فأخبرَه، فأمرَ رسول الله ﷺ فنودي بالصلاةِ جامعة، ثم خرج، فقال للراعي: «**أخبرهُم**». فأخبرهم، فقال رسولُ الله ﷺ: «**صدق والذي نفسي بيده**»[1]).

٢- وعن عبدالله بن جعفر قال: أردفني رسول الله ﷺ خلفَه ذات يومٍ فأسرَّ إليَّ حديثاً لا أُحدثُ به أحداً من الناس، وكان أحبَّ ما استتر به رسولُ الله ﷺ لحاجتهِ هدفاً أو حائش نخل -أي: جداراً أو شجرة ليتوارى عن أعين الناس عند حاجته-. فدخل حائطاً لرجلٍ من الأنصار، فإذا جمل، فلما رأى النبيَّ ﷺ حنَّ وذرفتْ عيناهُ، فأتاه النبيُّ ﷺ فمسحَ

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٣/ ٨٣-٨٤)، وابن حبان (٦٤٦٠)، [«الصحيحة» (١٢٢)].

ذفراه -أي: الظهر- إلى سنامهِ وذخراهُ -وهو عظم خلف الأذن- فسكت، فقال: «**مَنْ ربُّ هذا الجمل؟ لمن هذا الجملُ؟**» فجاءَ فتىً من الأنصار فقال: لي يا رسول الله ﷺ، فقال: «**أفلا تتقى الله في هذه البهيمةِ التي ملكَكَ اللهُ إياها؟ فإنه شكا إليَّ أنك تُجيعُه وتدئبُهُ**[1]») وهذا هو الشاهد.

٣- وعن جابر رضي الله عنه: (أن يهوديةً من أهلِ خيبر سَمَّتْ شاةً مصليّةً -أي: مشوية- ثم أهدتها لرسول الله ﷺ، فأخذ رسول الله ﷺ الذراعَ، فأكل منها، وأكل رهطٌ من أصحابهِ معهُ، ثم قال لهم رسول الله ﷺ: «**ارفعوا أيديَكمُ**»، وأرسل إلى اليهودية، فدعاها، فقال لها: «**سممتِ هذه الشاة؟**» فقالت: من أخبرَكَ؟! قال: «**أخبرتني هذهِ في يدي**»؛ -يعني: الذِّراعَ-، قالت: نعم، قلتُ: إن كان نبياً؛ فلن تَضُرَّهُ، وإن لم يكن نبياً؛ استرحنا منهُ. فعفا عنها رسول الله ﷺ ولم يُعاقِبْها)[2]. الشاهد: ذراع تخبر رسول الله ﷺ أن الشاة مسمومة.

٤- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كان أهلُ بيتٍ من الأنصار لهم جَمَلٌ يَسْنُونَ عليه، وإنهُ استصعبَ عليهم فمنعهم ظَهْرَهُ وإن الأنصارَ جاءوا

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٢٥٤٩)، وأحمد (١/ ٢٠٤)، والحاكم (٢/ ١٠٩)، [«صحيح أبي داود» (٢٢٢٢)].

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٥١٠)، والدارمي (٦٩)، والبيهقي في «السنن» (٨/ ٤٦)، [«المشكاة» (٥٩٣١)].

إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إنه كان لنا جَمَلٌ نسْنِي عليه -أي: نستقي عليه- وإنه استصعبَ علينا ومنعنا ظهرَهُ، وقد عطش الزرعُ والنخلُ فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**قوموا**»، فقاموا فدخل الحائطَ والجملُ في ناحيةٍ، فمشى النبيُّ ﷺ نحوَهُ، فقال الأنصارُ: يا رسول الله! قد صار مثلَ الكلْبِ الكَلِبِ نخافُ عليك صوْلَتَهُ، قال: «**ليس عليَّ مِنه بأسٌ**»، فلما نظر الجملُ إلى رسولِ الله ﷺ أقبلَ نحوَهُ حتى خرَّ ساجداً بين يديهِ، فأخذ رسولُ الله ﷺ بناصيتهِ أذلَّ ما كانت قط حتى أدخلَهُ في العمل، فقال لهُ أصحابهُ: يا رسولَ الله! هذه البهيمة لا يعقِلُ تسجدُ لك، ونحن نعقل فنحن أحَقُّ أن نسجدَ لك؟ قال: «**لا يَصلُحُ لبشرٍ أن يسجُدَ لِبشرٍ ولو صلَحَ لبشرٍ، أن يسجُدَ لِبَشرٍ لأمرتُ المرأة أن تسجُدَ لزوجها، من عظمِ حقهِ عليها**»)[1] .

ثالثاً: معجزاتهُ ﷺ مع الشجر:

١- عن أنس رضي الله عنه قال: (جاء جبريلُ ذات يوم إلى رسول الله ﷺ وهو جالسٌ حزينٌ؛ خضب بالدماء، قد ضربه بعض أهل مكة، فقال: مالك؟ فقال: «**فعل بي هؤلاء، وفعلوا**» قال: تُحبُّ أن نُريَكَ آية؟ قال: «**نعم أرني**»، فنظر إلى شجرةٍ من وراء الوادي فقال: «**ادعُ تلك الشجرة**»، فدَعاها، فجاءت تمشي حتى قامتْ بين يديه، قال: «**قل لها فلترجع**»، فقال لها،

(١) **حسن لغيره**: أخرجه أحمد (٣/ ١٥٨)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٩٣٦)].

فرجعت، حتى عـادت إلى مكانهـا فقـال رسـولُ الله ﷺ: «**حـسْبي**»[1]).

اطمأنّ قلبه وصبر على أذى الكفار وعلم أنه رسول من عند الله.

٢- وقال ابن عمر رضي الله عنه: (كنا مع النبي ﷺ في سفرٍ، فأقبَلَ أعـرابيٌّ، فلـما دنا قال لهُ رسولُ الله ﷺ: «**تشهدُ أن لا إله إلا الله، وحدهُ لا شريك له، وأنَّ محمداً عبدهُ ورسولُهُ**».

قال: ومَنْ يشهدُ على ما تقول؟

قال: «**هذهِ السَّلَمَةُ**»، -وهي شجرة من شجر البادية- فـدعاها رسـولُ الله ﷺ وهو بشاطئ الوادي فأقبلت تخُدُّ الأرض -أي: تـشقُّها أخـدوداً- حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثـاً، فـشهِدَتْ ثلاثـاً أنـه كـما قـال ثـم رجعت إلى منبتِها)[2]. والصحابة ينظرون إلى هذه المعجزات فيزدادون إيماناً مع إيمانهم.

٣- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (جاء أعرابيٌّ إلى رسول الله ﷺ فقال: بـمَ أعرِفُ أنك نبيٌّ؟!

قال: «**إن دعوتُ هذا العِذْق مـن هـذه النَّخلـةِ، تـشهدُ اني رسـولُ الله**» فدعاهُ رسولُ الله ﷺ، فجعل ينزلُ من النخلة حتى سـقط إلى النبـيِّ ﷺ، ثم قال: «**ارجِعْ فعاد**»، فأسلم الأعرابيُّ)[3].

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابـن ماجـه (٤٠٥٨)، وأحمـد (٣/ ١١٣)، والـدارمي (٢٣)، وابـن أبي شـيبة (٦/ ٣١٧)، [«صحيح ابن ماجه» (٣٢٧٠)].

(٢) **صحيح**: أخرجه الدارمي (١٦)، وأبو يعلى (١٠/ ٣٤)، [«المشكاة» (٥٩٢٥)].

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٦٢٨)، والحاكم (٢/ ٦٧٦)، والطبراني في «الكبير» (١٢/ ١١٠)، [«صحيح الترمذي» (٢٨٦٨)].

٤- قال جابر ﷺ: (سِرْنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا وادياً أفيح -أي: واسعاً-، فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجتهُ، فاتَّبعتهُ بإداوةٍ من ماء، فنظر رسول الله ﷺ فلم يرَ شيئاً يستترُ بِهِ، وإذا شجرتان بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما، فأخذ بغصنٍ من أغصانها، فقال: «**انقادي عليَّ بإذن الله**» فانقادت معهُ كالبعير المخشوشِ -وهو الذي يجعل في أنفه الخشاش، وهو عود يجعل في أنف البعير- الذي يُصانِعُ قائدَهُ، حتى أتى الشجرة الأخرى، فأخذ بغصنٍ من أغصانِها فقال: «**انقادي عليّ بإذن الله**» فانقادت معهُ كذلك حتى إذا كان بالمنصَف -أي: بالوسط- مما بينهما، لَأَمَ بينهما يعني جمعهما فقال: «**التئما عليَّ بإذن الله**»؛ فالتأمتا...، فجلستُ أُحدِّثُ نفسي، فحانت منّي لفتةٌ؛ فإذا أنا برسول الله ﷺ مُقبلاً، وإذا الشجرتان قد افترقتا، فقامت كُلُّ واحدةٍ منهما على ساقٍ)[1].

هذا رسولنا ﷺ وهذه معجزاته مع الإنسان ومع الحيوان ومع الشجر تشهد له بالرسالة وتشهد له بالنبوة.

رابعاً: معجزاته ﷺ مع بعض الجمادات:

١- كان النبي ﷺ إذا خطب، استند إلى جذع نخلةٍ مِنْ سواري المسجد، فلما صُنع له المنبرُ واستوى عليه -يقول جابر ﷺ-: (فصاحت

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٣٠١٢).

النخلة التي كان يخطبُ عندها حتى كادت تنشقَّ، فنزل النبي ﷺ حتى أخذها فضمَّها إليه، فجعلتْ تئِنُ أنين الصبيِّ الذي يُسكَّتُ حتى استقرتْ، قال: «**بكتْ على ما كانت تسمعُ من الذكر**»(١).

وفي رواية من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال ﷺ: «... **ولو لم أحتضنهُ لحنَّ إلى يوم القيامة**»(٢).

عباد الله! وكان الحسنُ البصريُّ -رحمه الله- إذا حدَّث بحديث حنين الجذع يقولُ: (يا معشر المسلمين الخشبةُ تحنُّ إلى رسول الله ﷺ شوقاً إلى لقائهِ فأنتم أحقُّ أن تشتاقوا إليه)(٣).

ويقول الإمام الشافعيُّ -رحمه الله-: (ما أعطى اللهُ نبيّاً ما أعطى محمداً ﷺ فقيل له: أعطي عيسى إحياء الموتى. فقال الشافعيُّ: أعطي محمداً حنين الجذع حتى سمع صوتَهُ، فهذا أكبر مِنْ ذلك)(٤).

٢- وقال رسولُ الله ﷺ: «**إني لأعرفُ حجراً بمكة كان يُسلِّمُ عليَّ قبل أن أُبعث، إني لأعرفهُ الآن**»(٥).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٠٩٥).

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (١٤١٥)، وأحمد (١/ ٢٤٩)، [«صحيح الجامع» (٥٣٠٠)].

(٣) انظر: «فتح الباري» (٦/ ٦٩٧).

(٤) انظر: «الفتح» لابن حجر (٦/ ٦٩٨).

(٥) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٢٧٧).

عباد الله! يقول الإمام النووي -رحمه الله- مُعلقاً على هذا الحديث: (فيه معجزة له ﷺ وفي هذا إثباتُ التمييز في بعض الجمادات، وهو موافق لقوله تعالى في الحجارة: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤]، وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤])[1].

٣- عن أبي موسى رضي الله عنه قال: (خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معهُ النبي ﷺ في أشياخ من قريش، فلما أشرفوا على الراهب هبطوا فحلّوا رحالهم، فخرج إليهم الراهبُ -وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرجُ إليهم-.

قال: فهم يُحلُّون رِحالَهُم، فجعل يتخلَّلُهُم الراهبُ، حتى جاء فأخذ بيدِ رسول الله ﷺ قال: هذا سيدُ العالمين، هذا رسولُ ربِّ العالمين، يبعثُهُ الله رحمةً للعالمين فقال له: أشياخ من قريش: ما عِلمُكَ؟!

فقال: إنكم حين أشرفتُم من العقبةِ؛ لم يبق شجرٌ ولا حجرٌ؛ إلاّ خرَّ ساجداً، ولا يسجدان إلا لنبيٍّ، وإني أعرفُهُ بخاتم النبوةِ أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة، ثم رجع فصنع لهم طعاماً، فلما أتاهم به -وكان هو- أي: النبي ﷺ- في رعية الإبل فقال: أرسلوا إليه، فأقبل وعليه غمامَةٌ تُظلُّهُ، فلما دنا من القوم؛ وجدهم قد سبقوهُ إلى فيءِ الشجرةِ،

(١) انظر «شرح النووي على مسلم» (١٥/ ٣٦ و٣٧).

فلما جلس ﷺ؛ مال فيءُ الشجرةِ عليه فقـال -أي: الراهـبُ-: انظـروا إلى فيءِ الشجرةِ مال عليه فقال: أنشُدُكُم الله؛ أيّكُمْ وليُهُ؟!

قالوا: أبو طالب، فلم يزلْ يُناشِدُهُ حتى ردَّهُ أبو طالب، وبعث معه أبـو بكر رضي الله عنه .... وزوَّدَهُ الراهبُ من الكعك والزيت)[1].

اللهم احشرنا مع نبينا ﷺ

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٦٢٠)، والحاكم (٢/ ٦٧٢)، وابن أبي شيبة (٧/ ٣٢٧)، [«المشكاة» (٥٩١٨)].

١٨

(٥)

الفرار إلى الله تعالى
بمعرفةِ معجزات رسول الله ﷺ

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٩﴾﴾ [المائدة].

وقال ﷺ: «**والذي نفسُ محمدٍ بيده لا يسمعُ بي أحـدٌ مـن هـذه الأمـة يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ثم يمـوت ولم يـؤمن بالـذي أُرسـلت بـه إلا كـان مـن أصحاب النار**»(١).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (ما بعثَ اللهُ نبيـاً إلا أخـذ عليـه الميثـاق: لـئن بُعث محمدٌ وهو حيٌّ ليؤمنَنَّ به ولينصرنَّه، وأمَرَهُ أن يأخذ على أمته الميثـاق: لئن بُعث محمدٌ وهم أحياءٌ ليُؤمنُنَّ به ولينصرُنَّه)(٢).

وفي هذا دليل يا عباد الله! أن جميـع الأنبيـاء علـيهم الـصلاة والـسلام بشروا برسولنا ﷺ وأُمروا باتباعه ونصرته.

عباد الله! انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿**إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ**﴾ [التوبة:٤٠] فرَّ السعداءُ إلى الله لمعرفة معجزات رسول الله ﷺ ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ولينصروا الرسول ﷺ ويدافعوا عنه؛ ليهلك من هلك عن بينة ويحيـا مـن حيّ عن بينة.

عبـاد الله! وموعـدنا في هـذا اليـوم -إن شـاء الله تعـالى- مـع بعـض معجزاته ﷺ ألا وهي:

أولاً: معجزتُـهُ ﷺ في إجابتـه عـلى أسـئلةِ أهـل الكتـاب بـما أسْـكتهُم وأفحمهُم.

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٥٣).

(٢) «صحيح السيرة النبوية» الألباني (ص٥٢).

ثانياً: معجزتهُ ﷺ في عِصمة الله له مِنَ الناسِ.

ثالثاً: معجزتهُ ﷺ في عصمة الله لهُ من بعض أقذار الجاهلية.

أولاً: معجزتُهُ ﷺ في إجابته على أسئلةِ أهل الكتاب بما أسكتهم وأفحمهم.

عباد الله! كان أهلُ الكتاب كثيراً ما يسألون رسولَ الله ﷺ عن أشياءَ على سبيل الامتحان والتعجيز وليس على سبيل طلب الهداية والانصياع للحق، فسألوه عن أشياءَ كثيرةٍ وكان رسولُ الله ﷺ يُوردُ الجوابَ على وجههِ ويأتي به على نصِّهِ كما هو معروفٌ لديهم ومقرَّرٌ في كتبهم، وقد علموا أنهُ صلوات الله وسلامُهُ عليه أُمّيٌّ لا يقرأ ولا يكتبُ ولا اشتغل بمدَارسةٍ ولم يتلقَّ العِلمَ على أيديهم. ومع هذا لم يُحكَ عن واحدٍ من اليهود والنصارى على شدةِ عداوتهم لهُ وحرصهم على تكذيبه وكثرة سؤالهم لهُ وتعنتِّهم في ذلك، أنهُ أنكر على رسول الله ﷺ جوابَهُ أو كذَّبَهُ بل أكثرهم صرَّح بصحة نُبُوتهِ وصدْقِ مقالته، والمكابر منهم اعترف بعنادِهِ وحسدِه لرسول الله ﷺ.

وها هي بعضُ النماذج التي سُئِلَ فيها رسولُ الله ﷺ فأجاب بما طابق الحق المقررَ عند أهل الكتاب:

١ - كان عبدُالله بنُ سلام من أحبَار اليهود وعندما عَلِمَ بقدوم النبيِّ ﷺ المدينةَ جاء إليه ونظر إلى وجههِ ﷺ.

يقول عبدُالله بن سلام: (فلما رأيتُ وجهَهُ علمتُ أن وجههُ ليس بوجه كذابٍ، وكان أولُ شيءٍ سمعتُهُ تكلم به أن قال: «**يا أيها الناسُ أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناسُ نيام تدخلوا الجنة بسلام**»[1]).

عباد الله! ثم ذهب عبدالله بنُ سلامٍ إلى أهلِهِ ثم عاد ليبحث عن الحق فدخل على رسول الله ﷺ فقال: (إني سائِلُكَ عن ثلاثٍ لا يعلمُهنَّ إلا نبيٌّ، قال: ما أولُ أشراطِ الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ ومن أي شيء ينزعُ الولدِ إلى أبيه، ومن أي شيء ينزع إلى أخواله؟

فقال رسول الله ﷺ: «**خبَّرني بهنَّ آنفاً جبريلُ**».

قال ابن سلام: ذاك عدوُ اليهود من الملائكة.

فقال رسول الله ﷺ: «**أما أولُ أشراطِ الساعةِ، فنارٌ تحشرُ الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أولُ طعامٍ يأكله أهل الجنةِ فزيادةُ كبدِ الحوت، وأما الشبه في الولد فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشَّبَهُ له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها**».

فقال ابن سلام: أشهدُ أن لا إله إلا الله وأشهدُ أنك رسولُ الله ثم قال: يا رسول الله! إن اليهود قومٌ بهت -أي: أهلُ إفك وكذب يقولون في الرجل

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجه (١٣٣٤)، وأحمد (٥/ ٤٥١)، [«صحيح الجامع» (٧٨٦٥)].

ما ليس فيه- إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني، فادعهم فاسألهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت، فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمتُ قالوا فيَّ ما ليس فيَّ، فأرسل نبي الله ﷺ فجاءاليهود، ودخل عبدُالله البيت، فقال لهم رسولُ الله ﷺ: «**يا معشر اليهود ويلكم، اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً، وأني قد جئتكم بحق فأسلموا**».

قالوا: ما نعلمه؟

فقال رسول الله ﷺ: «**فأي رجلٍ فيكم عبدُالله بنُ سلام؟**». قالوا: ذاك سيدُنا وابنُ سيدنا، وأعلمُنا وابنُ أعلمِنا.

قال ﷺ: «**أفرأيتم إن أسلم؟**». قالوا: حاشى لله ما كان ليُسلم.

قال ﷺ: «**أفرأيتم إن أسلم؟**». قالوا: حاشى لله ما كان ليُسلِم.

قال ﷺ: «**أفرأيتم إن أسلم؟**». قالوا: حاشى لله ما كان ليُسلمَ.

فقال رسول الله ﷺ: «**يا ابنَ سلام، اخرج عليهم**». فخرج ابن سلام وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ثم قال لليهود: يا معشر اليهود، اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسولُ الله، وأنه جاء بحق.

فقالوا: كذبت، ثم قالوا: شرُنا، وابنُ شرِنا ووقعوا فيه، فأخرجهم رسول الله ﷺ)[1].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٣٢٩) و (٣٩١١) و(٣٩٣٨) و(٤٤٨٠).

وصدق اللهُ العظيمُ حيثُ قال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الأحقاف].

فهذه شهادة من رجلٍ مَنَّ الله عليه بالإسلام من اليهود في رسول الله ﷺ وفي اليهود، فأخبر في شهادته أن رسول الله ﷺ حقٌّ وأن اليهود قومٌ بهت.

٢- عن ثوبان رضي الله عنه؛ قال: كنتُ قائماً عند رسول الله ﷺ فجاء حبرٌ من أحبار اليهود فقال: السلامُ عليك يا محمدُ فدفعتُهُ دفعةً كاد يصرعُ منها، فقال: لِمَ تدفعُني؟ فقلت: ألا تقولُ يا رسول الله! فقال اليهوديُّ: إنما ندعُوهُ باسمه الذي سمّاهُ به أهلُهُ.

فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ اسمي محمدٌ الذي سمَّاني به أهلي**».

فقال اليهودي: جئتُ أسألُك.

فقال له رسولُ الله ﷺ: «**أينفعُكَ شيءٌ إن حَدثتُك؟**».

قال: أسمع بأُذُنيَّ فنكتَ -أي: فَخَط- رسول الله ﷺ بعودٍ معهُ فقال: «**سَلْ**».

فقال اليهوديُّ: أين يكونُ الناس يوم تُبدَّلُ الأرضُ غير الأرض والسماوات؟

فقال رسول الله ﷺ: «**هُم في الظُّلمةِ دُون الجسرِ**» -أي: الصراط-.

قال: فَمَنْ أولُ الناسِ إجازةً -أي: اجتيازاً وعبوراً-.

قال: «**فقراءُ المهاجرين**».

قال اليهوديُّ: فما تُحفَتُهُم -وهي ما يهدى إلى الرجل- حين يدخلون الجنة؟

قال ﷺ: «**زيادةُ كبدِ النُّونِ**».

قال اليهودي: فما غداؤهم على إثرها؟

قال ﷺ: «**يُنحَرُ لَهُم ثورُ الجنةِ الذي كان يأكلُ مِن أطرافِهَا**».

قال اليهودي: فما شرابهم عليه؟

قال ﷺ: «**من عينٍ فيها تُسمَّى سلسبيلا**» -هي: شديدة الجري-.

قال اليهودي: صدقت، قال: وجئتُ أسألُكَ عن شيءٍ لا يعلمُهُ أحدٌ من أهل الأرض، إلا نبيٌّ أو رجلٌ أو رجُلان.

قال ﷺ: «**ينفعُكَ إن حدَّثتُكَ؟**».

قال اليهودي: أسمعُ بأُذُنيَّ.

قال اليهودي: جئتُ أسألُكَ عن الولدِ؟

قال ﷺ: «**ماءُ الرجُلِ أبيضُ وماءُ المرأةِ أصفرُ، فإذا اجتمعا، فعلاَ مَنِيُّ الرجلِ مَنِيَّ المرأةِ أذكرا بإذن الله** -أي: كان ذكراً-، **وإذا عَلاَ مَنِيُّ المرأةِ مَنِيَّ الرجُلِ آنثا بإذن الله** -أي: كانت أنثى-».

قال اليهوديُّ: لقد صدقت، وإنك لنبيَّ، ثم انصرفَ فذهب.

فقال رسول الله ﷺ: «**لقد سألني هذا عن الذي سألني عنهُ، وماليَ عِلمٌ بشيءٍ منهُ حتى أتاني الله به**»[1]).

٣- عن البراء بن عازبٍ قال: (مُرَّ على النبي ﷺ بيهوديّ مُحَمَّماً -أي: مسودَّ الوجه- مجلوداً فدعاهم ﷺ فقال: «**هكذا تجدُون الزاني في كتابكُمْ؟**».

قالوا: نعم، فدعا رجلاً من علمائهم، فقال: «**أنشدُك بالله الذي أنزل التوراة على موسى، أهكذا تجدون حَدَّ الزاني في كتابكم؟**».

قال: لا، ولولا أنك نشدْتني بهذا لم أُخبرْكَ. نجدُهُ الرَّجمَ، ولكنه كثرَ في أشرافنا فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد،

قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيءٍ نُقيمهُ على الشريف والوضيع، فجعلنا التحميمَ والجلد مكان الرجم.

فقال رسول الله ﷺ: «**اللهُمَّ إني أولُ من أحيا أمركَ إذ أماتُوهُ**» فأمر به فرُجمَ، فأنزل اللهُ -عز وجل-: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ**﴾، إلى قوله: ﴿**إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ**﴾ [المائدة:٤١].

يقول: ائتوا محمداً ﷺ فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه، وإن أفتاكُم بالرجم فاحذروا، فأنزل الله تعالى: ﴿**وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ**

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٣١٥).

﴿ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [المائدة]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة]. في الكفار كُلها)[1] .

٤- (دخل النبيُّ ﷺ على رجلٍ من اليهود ناشرٌ التوراة يقرؤها، يُعزِّي بها نفسه على ابن له في الموت كأحسن الفتيان وأجمله، فقال رسول الله ﷺ: «**أنشُدُك بالذي أنزل التوراة! هل تجدُ في كتابك صفتي ومخرجي؟**».

فقال -أي اليهودي- برأسه هكذا أي: لا.

فقال ابنه: إي والذي أنزل التوراة؛ إنا لنجدُ في كتابنا صفتك ومخرجك، وأشهدُ أن لا إله إلا الله، وأنك رسولُ الله.

فقال ﷺ: «**أقيموا اليهوديَّ عن أخيكم**» ثم ولي كفنهُ وحنّطه وصلى عليه)[2].

ثانياً: معجزتهُ ﷺ في عصمة الله له من الناس

عباد الله! لَقيَ رسول الله ﷺ من أعدائه كثير الأذى وعظيمَ الشدَّةِ منذ أن جهر بدعوتِهِ، ولكن الله تبارك وتعالى حفظه ونصرهُ وعصمهُ من الناس، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة:٦٧].

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٧٠٠).

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (٥/ ٤١١)، [«الصحيحة» (٣٢٦٩)].

وقد كان النبي ﷺ يُحرَسُ قبل نزول هذه الآية من قِبَلِ بعض أصحابه فلما نزلت عليه قال: «**يا أيها الناسُ انصرفوا فقد عَصَمني الله -عز وجل-**»(١).

عباد الله! ومن الأمثلة على عصمة الله لرسوله ﷺ وكفِّ الأعداءِ عنهُ:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قال أبو جهل: هل يُعفِّرُ محمدٌ وجههُ -أي: يسجد ويلصق وجهه بالعِفرَ: وهو التراب- بين أظهُرِكُم؟

قال: فقيل: نعم. فقال: واللات والعزَّى لئن رأيتهُ يفعل ذلك لأطأنَّ على رقبته، أو لأعفِّرنَّ وجههُ في التراب.

قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي، زعمَ لِيطأَ على رقبته.

قال: فما فجِئَهُم -أي: بغتهم- منهُ إلا وهو ينكص على عقبيه -أي: رجع يمشي إلى ورائه- ويتقي بيديه.

قال: فقيل له: مالك؟ فقال: إن بيني وبينهُ لخندقاً من نار وهولاً وأجنحة.

فقال رسول الله ﷺ: «**لو دنا مِنِّي لاختطفتهُ الملائكة عضواً عضواً**»(٢)).

٢- وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه؛ قال: (غزونا مع رسول الله ﷺ حُنيناً فلما واجهْنا العدو ... فوَلّى صحابةُ النبي ﷺ ... فلمَّا غشوْا رسول الله

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٠٤٦)، والحاكم (٢/ ٣٤٢)، والبيهقي في «السنن» (٩/ ٨)، [«الصحيحة» (٢٤٨٩)].

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٧٩٧).

ﷺ -أي: أتوه من كل جانب- نزل عن البغلةِ، ثم قبض قبضةً من تراب من الأرض، ثم استقبل به وجوههم، فقال: «**شاهت الوُجُوهُ**» -أي: قبحت- فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تُراباً بتلك القبضة، فولوا مدبرين، فهزمُهُم اللهُ عز وجل بذلك، وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين)[1].

٣- عن جابر رضي الله عنه: (أنهُ غزا مع رسول الله ﷺ قِبَلَ نجدٍ فلما قفل -أي: رجع- رسول الله ﷺ قفل معه، فأدركتْهُم القائِلةُ في وادٍ كثير العضاة، -أي: الشجر الذي له شوك- فنزل رسول الله ﷺ وتفرَّق الناسُ يستظلُّون بالشجر، فنزل رسول الله ﷺ تحت سَمُرة وعلَّق بها سيفهُ ونِمنا نومةً، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا وإذا عندهُ أعرابيٌّ فقال: «**إن هذا اخترط عليَّ سيفي وأنا نائمٌ فاستيقظتُ وهو في يديه صلتاً.**

فقال: من يمنعك مني؟

قلت: «الله ثلاثاً». ولم يُعاقِبهُ وجلس[2]).

وفي رواية قال جابرٌ: (أقبلنا مع رسول الله ﷺ بذات الرقاع -أي: في غزوة ذات الرقاع- قال: كُنَّا إذا أتينا على شجرةٍ ظليلةٍ تركناها لرسول الله

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٧٧٧).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٩١٠)، ومسلم (٨٤٣).

ﷺ، قال: فجاء رجلٌ من المشركين وسيفُ رسول الله ﷺ مُعلقٌ بـشجرة، فأخذ سيف نبي الله ﷺ فاخترطهُ فقال لرسـول الله ﷺ: أتخـافُنِي؟ قـال: «**لا**» قال: فمن يمنعك مني؟ قال: «**الله يمنعني منك**»[1].

وفي رواية أبي بكر الإسماعيلي في «صحيحه»: (فقال: من يمنعُكَ مِنِّـي؟ قال: «**الله**» قال: فسقط السيفُ من يده، فأخذ رسول الله ﷺ السيف فقال: «**من يمنعُك مني؟**» فقال: كن خير آخذ.

فقال: «**تشهد أن لا إله إلا الله**» قال: لا، ولكني أُعاهدُك أن لا أُقاتلـك، ولا أكون مع قوم يُقاتلُونك، فخلَّى سبيلهُ، فذهب أصـحابهُ فقـال: جئـتكم من عند خيرِ الناس).

٤- وعن ابن عباس: (أن الملأ من قُـريش اجتمعـوا في الحجْـرِ، فتعاهـدوا باللاتِ والعُزَّى، ومناةِ الثالثةِ الأخرى: لو قد رأينا محمـداً، قُمنـا إليـه قيام رجُل واحدٍ، فلم نفارقْهُ حتى نقتَلُه، قـال: فأقبلـتْ فاطمـة تبكـي حتى دخلت على أبيها، فقالت: هؤلاء الملأُ من قومِـكَ في الحجـر، قـد تعاهدوا: أن لو قد رأوْك قاموا إليك فقتلوك، فليس منهم رجلٌ إلا قـد عرف نصيبه من دَمِكَ.

قال: «**يا بنيةُ، أدْني وَضوءاً**» فتوضأ ثم دخل عليهم المسجدَ، فلـما رأوه، قالوا: هو هذا، هو هذا. فخفـضوا أبـصارهم، وعقِـرُوا في مجالـسهم، فلـم

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٨٤٣).

يرفعوا إليه أبصارَهم، ولم يقُمْ منهم رجُلٌ، فأقبل رسول الله ﷺ حتى قام على رُؤوسهم، فأخذ قبضةً من تُرابٍ فحصبهم بها، وقال: «**شاهتِ الوجوه**» قال: فما أصابت رجلاً منهم حصاةٌ، إلا قُتِلَ يوم بدرٍ كافراً)[(1)].

ثالثاً: معجزتُهُ ﷺ في عصمة اللهِ له من أقذارِ الجاهلية

١ - حفظ اللهُ رسوله ﷺ من شرك الجاهلية وعبادة الأصنام.

عباد الله! لم يستلم رسولُ الله ﷺ قبل البعثة صنماً ولم يسجد لغير الله.

عن زيد بن حارثة قال: (كان صنمٌ من نُحاسٍ -يقالُ له: (إساف) و(نائلة) يتمسح به المشركون إذا طافوا، فطاف رسول الله ﷺ -أي: بالبيت- وطفتُ معه، فلما مررتُ مسحتُ به -أي بالصنم-.

فقال رسول الله ﷺ: «**لا تَمَسَّهُ**».

قال: زيدٌ، فطفنا، فقلتُ في نفسي: لأمسنَّهُ حتى أنظر ما يكون، فمسحتُهُ.

فقال رسول الله ﷺ: «**ألم تُنه؟!**».

قال زيدٌ: فوالذي أكرمه وأنزل عليه الكتاب، ما استلم صنماً قطُّ حتى أكرمه الله تعالى بالذي أكرمه وأنزل عليه)[(2)].

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٣٦٨)، وابن حبان (٦٤٦٨)، [«الموسوعة الحديثية» و«صحيح ابن حبان»].

(٢) **إسناده حسن**: أخرجه الحاكم (٣/ ٢٣٨)، وأبو يعلى (١٣/ ١٣٧)، والنسائي في «الكبرى» (٥/ ٥٤)، [«صحيح السيرة النبوية» (ص٣٢)].

وقال ﷺ لخديجة رضي الله عنها: «**أي، خديجة والله لا أعبدُ اللات أبـداً والله لا والعُزى أبداً**»[1].

٢- حَفِظ اللهُ رسولَهُ ﷺ من أن تبدو عورته أو أن يظهر عُرياناً

عن جابر رضي الله عنه قال: لما بُنيت الكعبة ذهب النبيُّ ﷺ وعباس يـنقلان الحجارة، فقال العباسُ للنبي ﷺ: اجعل إزارَكَ على عاتِقِكَ من الحجـارة، ففعل، فخرَّ إلى الأرض، وطمحت عيناه إلى السماء، ثم قـام فقـال: «**إزاري إزاري**» فشُدَّ عليه إزاره.

وفي لفظ قال: «فحلّهُ فجعلَهُ على منكبه، فسقط مغشياً عليـه. قـال: فـما رؤيَ بعد ذلك عُرياناً ﷺ»[2].

٣- حَفِظ اللهُ رسوله ﷺ من أن يأكل مما ذُبحَ على النُـصبِ- أي: الـذبائح التي يذبحونها لغير الله- فكـان ﷺ لا يأكـل مـا ذبـح عـلى النـصب، ووافقه في ذلك زيدُ بن عمرو بن نفيل.

عن عبدالله بن عمـر رضي الله عنهما (أن النبـي ﷺ لقـي زيـد بـن عمـرو بـن نفيل بأسفل بلدح -وادٍ قبل مكة أو جبلٍ بطريق جدة -قَبـل أن ينـزل عـلى النبي ﷺ الوحيُّ.

---

(١) **إسناده صحيح**: أخرجه أحمد (٥/ ٣٦٢)، [«الموسوعة الحديثية»].

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٨٢٩)، ومسلم (٣٤٠).

فقُدِّمتْ إلى النبي ﷺ سُفرةٌ –أي: طعامٌ– فأبى أن يأكل منها. ثم قال زيدٌ: إني لستُ آكلُ مما تذبحون على أنصابكم ولا آكلُ إلا ما ذُكر اسمُ الله عليه، وأن زيد بن عمرو كان يعيبُ على قريش ذبائحهم، ويقول: الشاةُ خلقها اللهُ، وأنزل لها من السماءِ الماءَ، وأنبت لها من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم الله؟! إنكاراً لذلك وإعظاماً له)[1].

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٨٢٦).

١٩

(٦)
يفرون إلى الله تعالى
بمعرفةِ معجزات رسول الله ﷺ

عباد الله! انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ [التوبة:٤٠] فنحن ما زلنا في صدد الحديث عن معجزات رسول الله ﷺ، وذلك لأمور:

أولاً: ليزداد الذين آمنوا إيماناً.

ثانياً: نصرةً لرسول الله ﷺ ودفاعاً عنه.

ثالثاً: ليعلم الجميع أن محمداً ﷺ رسولُ اللهِ حقاً وصدقاً.

رابعاً: لدعوةِ غير المسلمين ليؤمنوا برسولنا ﷺ استجابةً لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾ [الفتح:٨-٩]، ولقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأحقاف:١٥٨].

ولقوله ﷺ: «**والذي نفسُ محمدٍ بيده لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمة يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلتُ به إلا كان من أصحاب النار**»[1].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع إخباره ﷺ عن المغيبات، أي: إخباره ﷺ عن بعض الأمور الغيبية.

عباد الله! من معجزات رسول الله ﷺ ودلائلِ نبوتهِ ما أطلعه الله عليه من الغيوب الماضية والمستقبلية وإخبارهُ ﷺ عنها.

عباد الله! من المعلوم المقرَّرِ أنَّ علم الغيب مختصٌّ بالله تعالى وحده وقد أضافهُ الله -تعالى- إلى نفسه في غير ما آيةٍ من كتابه العزيز.

- قال تعالى: ﴿**قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ**﴾ [النمل:٦٥].
- وقال تعالى: ﴿**وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ**﴾ [الأنعام:٥٩].
- وقال تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ**﴾ [هود:١٢٣].
- وقال تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ**﴾ [النحل:٧٧].

عباد الله! ومن المعلوم أيضاً أن الملائكة لا يعلمون الغيب.

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٥٣).

قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [البقرة].

عباد الله! ومن المعلوم أيضاً أن الجنَّ لا يعلمون الغيب، قال تعالى عنهم في حكاية سليمان عليه السلام: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾ [سبأ].

وقد صرحت الجن بأنهم لا يعلمون الغيب، قال الله تعالى في سورة الجن عنهم: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الجن].

عباد الله! ومن المعلوم أيضاً أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يعلمون الغيب، ولا اطلاع لهم على شيء منه.

قال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ ﴾ [هود:٣١].

وقد أمر الله نبينا ﷺ أن يقول لقومهِ إِنهُ ليس له من علم الغيب شيءٌ وإِنه لا يعلمُ إلا ما علمهُ الله إياه.

قال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾ [الأنعام:٥٠].

وقال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [الأعراف].

ولما سأل جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ: متى الساعة؟ قال ﷺ: «**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**»[1].

ولما سأل عبدالله بن سلام رسول الله ﷺ عن الأمور الثلاثة التي لا يعلمهن إلا نبي قال ﷺ: «**خبرني بهن آنفاً جبريلُ**»[2].

ولما سألهُ اليهوديُّ عن أمورٍ لا يعلمها إلا نبي وأجابهُ ﷺ، قال اليهوديُّ: لقد صدقت وإنك لنبيٌّ ثم انصرف وذهب، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد سألني هذا عن الذي سألني عنهُ، وماليَ علمٌ بشيءٍ منه، حتى أتاني اللهُ به**»[3].

عباد الله! وكان رسول الله ﷺ حريصاً على ترسيخ هذه العقيدة في نفوس أصحابه فحدث يوماً أن جاريةً قالت -وهي تغني-: (وفينا نبيٌّ يعلم ما في غدِ) فقال النبيُّ ﷺ: «**لا تقولي هكذا وقولي ما كنتِ تقولين**»[4] -أي: أنه ﷺ نهاها عن قول ذلك-.

ولذا قالت عائشة رضي الله عنها: (ثلاثٌ من حدثكهن فقد كذب، من حدثك أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام]، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾

(١) **صحيح**: وهو جزء من حديث عند البخاري (٥٠)، ومسلم (٨).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٣٢٩).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٣١٥).

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٠٠١).

[الشورى:٥١] ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب، ثم قرأت: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان:٣٤] ومن حدثك أنه كتم فقد كذب، ثم قرأت: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة:٦٧] الآية ولكنه رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين»[1].

عباد الله! وكما جاءت الأدلة تدلُ على أن الله تبارك وتعالى قد اختَصَّ بمعرفة علم الغيب وأنهُ استأثر به دون خلقه، جاءت أدلةٌ أخرى تفيدُ أن الله -تعالى- استثنى من خلقه من ارتضاه من الرسل فأودعهم ما شاء من غيبهِ بطريق الوحي إليهم وجعلَهُ معجزةً لهم ودلالة صادقة على نبوتهم.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [آل عمران:١٧٩].

وقال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧)﴾ [الجن].

عباد الله! فتلخَّص من ذلك أن ما وقع على لسان رسول الله ﷺ من الإخبارِ بالمغيباتِ فإنما هو بوحيٍ من الله تعالى و إنما هو من إعلام الله -عز وجل- لرسوله ﷺ للدلالة على ثبوت نبوته وصحة رسالته، وقد اشتهر وانتشر أمرُهُ ﷺ باطلاع الله له على المغيبات:

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٨٥٥)، ومسلم (١٧٧).

قال حذيفةُ بن اليمان رضي الله عنهما: (قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ما ترك شيئاً يكون في مقامهِ ذلك إلى قيام الساعة إلا حدَّثَ به، حفظهُ من حفظهُ ونسيَهُ من نسيَهُ)[1].

قال عمرُو بن أخطب رضي الله عنه: (صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهرُ، فنزل فصلَّى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرتِ العصرُ ثم نزل فصلى ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى غربت الشمس فأخبرنا بما كان وبما هو كائنٌ فأعلمُنا أحفظُنا)[2].

عباد الله! وأمور الغيب التي أخبر عنها رسولُ الله ﷺ بطريق الوحي على أقسام ثلاثةٍ:

١ - قسمٌ في الماضي.

٢- قسم في الحاضر.

٣- قسمٌ في المستقبل.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع القسم الأول منها ألا وهو الإخبارُ عن الأمور الغيبية التي حدثت في الماضي، وهذه على قسمين: قسمٌ جاء في كتاب الله، وقسم جاء في سنة رسول الله ﷺ.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٦٠٤)، ومسلم (٢٨٩١).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٨٩٢).

عباد الله! أما ما جاء في كتاب الله فهو كقصص الأنبياء مع أقوامهم، وخبر موسى والخضر، وخبر يوسف وإخوته، وخبر أصحاب الكهف، وخبر ذي القرنين وغيرها. وهذه أخبارٌ عرفها النبي ﷺ بطريق الوحي فهي معجزةٌ له ودليلٌ على صدق نبوته.

أما ما جاء في السنة فكثيرٌ جداً ونعيش مع بعضه في هذا اليوم، ومع البعض الآخر في الجمعة القادمة إن كان في العمر بقية.

١- خبر الثلاثة الذين دخلو الغار:

عن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**انطلق ثلاثةُ رهط ممن كان قبلكم حتى أَوَوْا المبيتَ إلى غارٍ فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا يُنجيكمُ من هذه الصخرةِ إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم.**

فقال رجلٌ منهم: اللهم إنه كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنتُ لا أغبقُ قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بي في طلب شيء يوماً، فلم أُرِحْ عليهما حتى ناما، فحلبتُ لهما غبُوقهما فوجدتُهما نائمين، وكرهتُ أن أغبقَ قبلهما أهلاً أو مالاً والصبية يتضاغون من الجوع -أي: يصيحون- عند رجلي، فلبثتُ والقدح على يدي أنتظرُ استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنتُ تعلم أني فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج.

قال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كانت لي ابنةُ عمٍّ وكانت أحبَّ الناس إليَّ (وفي رواية: أحببتُها كأشدِّ ما يحبُّ الرجالُ النساء) فأردتها عن نفسها فامتنعت مني، حتى ألمتْ بها سنةٌ من السنين، فجاءتني فأعطيتُها عشرين ومائة دينارٍ على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت، حتى إذا قدرت عليها (وفي رواية: فلما وقعتُ بين رجليها) قالت: يا عبد الله اتق الله ولا تفضَّ الخاتم إلا بحقه، فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفتُ عنها وهي أحبُّ الناسِ إليِّ وتركتُ الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت تعلم أني قد فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت عنهم الصخرة، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها.

وقال الثالث: اللهم إن كنت تعلم أني كنت استأجرتُ أُجراءَ فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحدٍ ترك الذي له وذهب، فثمّرتُ أجرَهُ حتى كثُرتْ منه الأموال فجاءني بعد حين فقال: يا عبدالله أدِّ إليَّ أجري.

فقلتُ له: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق.

فقال: يا عبدالله، اتق الله ولا تستهزئْ بي!

فقلتُ: لا أستهزئُ بك، فأخذهُ كُلَّهُ فاستاقهُ فلم يترك منه شيئاً، اللهم فإن كنتُ تعلم أني فعلتُ ذلك ابتغاء وجهِكَ فافرُج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون»[1].

(١) صحيح: مختصر صحيح البخاري (١٠٦٥)، ومسلم (٢٧٤٣).

٢- خبر الثلاثة من بني إسرائيل:

ويقول ﷺ: «إن ثلاثة في بني إسرائيل: أبرصَ، وأقرعَ، وأعمى فأراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكاً، فأتى الأبرص، فقال: أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟

قال: لونٌ حسنٌ، وجلدٌ حسنٌ ويذهب عني الذي قد قذرني الناسُ، فمسحه فذهب عنه قذرهُ، وأعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً، قال: فأيُّ المالِ أحبُّ إليك؟ قال: الإبل أو قال: البقر فأُعطي ناقةً عُشراءَ، فقال: بارك الله لك فيها.

قال: فأتى الأقرع فقال: أي شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: شعرٌ حسنٌ ويذهبُ عني هذا الذي قذرني الناسُ، قال: فمسحه فذهب عنه، قال: وأعطى شعراً حسناً.

قال: فأيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: البقرُ، فأُعطى بقرةً حاملاً، وقال: بارك الله تعالى لك فيها.

قال: فأتى الأعمى فقال: أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟

قال: أن يرُدَّ اللهُ إليّ بصري فأُبصِرُ به الناسَ، فمسحه فردَّ الله إليه بصرَهُ.

قال: فأيُّ المال أحبُّ إليك؟

قال: الغنم، فأُعطي شاةً والداً، فأُنتج هذان وولَّد هذا، فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم.

قال: ثم إنه أتى الأبرص في صـورته وهيئتـه، فقـال: رجـلٌ مـسكينٌ، قـد انقطعت بي الحبالُ في سفري، فلا بلاغ ليَ اليومَ إلا بالله ثم بك، أسـألك بالـذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمالَ، بعيراً أتبلغ عليه في سفري.

فقال: الحقوق كثيرةٌ.

فقال له: كأني أعرِفُكَ، ألم تكن أبرصَ يقذرُكَ الناسُ؟ فقيراً فأعطاك الله!؟

فقال: إنما وُرِّثتُ هذا المالَ كابراً عن كابر. فقال: إن كنت كاذباً فصيرَّك الله إلى ما كنت.

قال: وأتى الأقرع في صورته فقال له مثل ما قال لهذا، وردَّ عليه مثل مـا ردَّ على هذا.

فقال: إن كنت كاذباً فصيرّك الله إلى ماكنت.

قال: وأتى الأعمى في صورته وهيئته فقال: رجلٌ مسكينٌ وابنُ سـبيل، انقطعت بي الحبالُ في سفري، فلا بلاغ ليَ اليـومَ إلا بـالله ثـم بـك، أسـألك بالذي ردَّ عليك بصركَ شاةً أتبلغ بها في سفري.

فقال: قد كنت أعمى فردَّ اللهُ إليَّ بصري فخذ ما شـئت ودع مـا شـئت فوالله لا أجهدُكَ اليوم شيئاً أخذتهُ لله -عز وجل-.

فقـال: أمـسِكْ مالـك فـإنما ابتُليـتم، فقـد رُضي عنـك، وسُـخِط عـلى صاحبيك»(١).

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤).

٣- خبر الرجل الذي قتل تسعةً وتسعين نفساً:

يقول ﷺ: «كان فيمن كان قبلكم رجلٌ قتل تسعةً وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهلِ الأرض، فدُلَّ على راهبٍ، فأتاهُ فقال: إنهُ قتل تسعةً وتسعين نفساً، فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمَّل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدُلَّ على رجلٍ عالمٍ، فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أُناساً يعبدون الله تعالى، فاعبُدِ الله تعالى معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوءٍ، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاهُ الموتُ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمةِ وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً، مقبلاً بقلبه إلى الله.

وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قطُّ، فأتاهم ملكٌ في صورة آدميٍّ، فجعلوه بينهم -أي: حكماً-

فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة»[1].

٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كان رجلٌ يُسرف على نفسهِ، فلما حضرهُ الموت؛ قال لبنيه: إذا أنا متُّ فأحرقوني، ثم اطحنوني، ثم ذرُّوني في الريح، فوالله لئن قدِرَ عليَّ ربي ليُعذِّبني عذاباً ما عذَّبهُ أحداً

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦).

فلما مات فُعِلَ به ذلك، فأمر الله الأرض فقال: اجمعي ما فيك منه ففعلت، فإذا هو قائم، فقال: ما حملك على ما صنعت؟

قال: يا ربِّ خشيتُكَ! -أو قال: **مخافتُك يا رب- فغُفِرَ له»**(١).

٥- ويقول ﷺ: (**«كانت امرأتان معهما ابناهُما جاء الذئبُ فذهب بابن إحداهُما فقالت لصاحبتها: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك فتحاكمتا إلى داود عليه السلام فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود عليهما السلام فأخبرتاهُ فقال: ائتوني بالسكين أشُقُّهُ بينهما.**

فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمُكَ الله هو ابنُها، فقضى به للصغرى».

قال أبو هريرة: والله إن سمِعتُ بالسكين قطُّ إلا يومئذٍ وما كنا نقول: إلا المُدية)(٢).

اللهم رد المسلمين إلى دينك رداً جميلاً

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٤٨١)، ومسلم (٢٧٥٦).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٧٦٩)، ومسلم (١٧٢٠).

٢٠

(٧)
الفرار إلى الله تعالى
بمعرفةِ معجزات رسول الله ﷺ

عباد الله! انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ [التوبة:٤٠] فنحن ما زلنا في صدد الحديث عن معجزات رسول الله ﷺ نصرةً لـهُ ﷺ ودفاعاً عنه؛ ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

عباد الله! تبين لنا في الجمعة الماضية من خلال الكتاب والسنة أنـه لا يعلـمُ الغيب إلا الله، كما قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل:٦٥].

وتبين لنا أن الله اصطفى من خلقه من ارتضاهُ من رسـلهِ ليطلعـهُ عـلى بعض أمور الغيب وجعل ذلك معجزةً له ودليلاً عـلى صـدق نبوتـه، قـال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن:٢٦-٢٧].

عباد الله! وأفضل الرسل الذين ارتضاهم اللهُ وأطلعهم على بعض أمور الغيب رسُولُنا ﷺ.

عباد الله! وفي الجمعة الماضية أيضاً تبين لنا ان الأمور الغيبية التي أخبر عنها رسول الله ﷺ تنقسم إلى ثلاثة أقسام: قسمٌ في الماضي، وقسمٌ في الحاضر، وقسمٌ في المستقبلِ.

عباد الله! وعشنا في الجمعة الماضية مع بعض أمور الغيب التي وقعت في الماضي وأخبر بها ﷺ، وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع البعض الآخر منها.

أولاً: إخبارُ النبي ﷺ عن قصة الغلام والراهب والساحر:

عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**كان ملكٌ فيمن كان قبلكم، وكان له ساحرٌ، فلما كَبِرَ قال للملك: إني قد كَبِرتُ فابعث إليَّ غلاماً أعلِّمهُ السحر، فبعث إليه غلاماً يعلمُهُ، فكان في طريقه إذا سلك راهبٌ، فقعد إليه وسمع كلامَهُ فأعجبهُ، وكان إذا أتى الساحِرَ مرَّ بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربهُ، فشكا ذلك إلى الراهب فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقلُ: حبسني الساحر.**

فبينما هو كذلك إذ أتى على دابةٍ عظيمةٍ قد حبست الناسَ فقال: اليوم أعلمُ الساحرُ أفضلُ أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمرُ الراهب أحبَّ إليك من أمرِ الساحرِ فاقتُلْ هذه الدابة حتى يمضي الناسُ، فرماها فقتلها ومضى الناسُ، فأتى الراهبَ فأخبرهُ فقال له الراهبُ: أيْ بنيَّ! أنت اليومَ أفضلُ مني، قد بلغ من أمرِكَ ما أرى، وإنك ستُبتلى، فإن

ابتُليت فلا تدُلَّ عليَّ؛ وكان الغلامُ يُبرئ الأكمه والأبرص، ويداوي النـاسَ من سائر الأدواء، فسمع جليسٌ للملك كان قد عمِيَ، فأتاه بهـدايا كثـيرة ، فقال: ما ههنا لك أجمعُ، إن أنت شـفيتني، فقـال: إني لا أشـفي أحـداً، إنـما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فـشفاك، فـآمَن بـالله، فـشفاه الله، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس.

فقال له الملـك: مـن ردَّ عليـك بـصركَ؟ قـال: ربي، قـال: أولـك ربٌّ غيري؟ قال: ربي وربُّكَ الله فأخذه فلم يـزل يعذِّبُـهُ حتـى دل عـلى الغـلام، فجيء بالغلام، فقال له الملك: أيُّ بُنيَّ! قد بلغ من سِحْرِك ما تُبرئُ الأكمـه والأبرص وتفعل وتفعلّ!

فقال: إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله، فأخذه فلم يزلْ يُعذِّبُهُ حتى دل على الراهب، فجيء بالراهب فقيـل لـهُ: ارجـع عـن دينـك، فـأبى، فـدعا بالمئْشار فوضع المئْشارُ في مفرق رأسهِ، فشقهُ به حتى وقع شـقاهُ، ثـم جـيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك فأبى، فوضع المئْشارُ في مفرق رأسه فشقهُ حتى وقع شقاهُ، ثم جيء بالغلام فقيل لهُ: ارجـع عـن دينـك، فـأبى، فدفعهُ إلى نفرٍ من أصحابهِ فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصـعدوا بـه الجبل، فإذا بلغتم ذروتهُ فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه.

فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بـما شـئت، فرجـف بهم الجبـل فـسقطوا، وجـاء يمـشي إلى الملـك، فقـال لـه الملـك: مـا فعـل

أصحابُك؟ قال: كفانيهم اللهُ. فدفعه إلى نفرٍ من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملُوهُ في قُرقُور -أي: سفينة صغيرة- فتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه، فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك.

فقال له الملك: ما فعل أصحابُك؟ فقال: كفانيهم الله، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمُركَ به. قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيدٍ واحدٍ وتصلُبُني على جذعٍ، ثم خذ سهماً من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل: بسم الله رب الغلام ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني.

فجمع الناس في صعيدٍ واحدٍ، وصلَّبَهُ على جذعٍ، ثم أخذ سهماً من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال: بسم الله ربِّ الغلام، ثم رماهُ فوضع السهم في صُدغِه، فوضع يدهُ في صُدْغهِ في موضع السهم فمات.

فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام.

فأُتي الملكُ فقيل له: أرأيتَ ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بكَ حذرُك، قد آمن الناسُ. فأمر بالأخدود بأفواه السكك فخُدَّت وأضرمَ النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فأقْحِمُوه فيها، أو قيل له: اقتحم، ففعلوا حتى جاءت امرأةٌ ومعها صبيٌّ لها، فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أُمَّه اصبري، فإنك على الحق»[1] .

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٣٠٠٥).

قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾ [البروج].

هل كان معهم رسولنا ﷺ فأخبرنا بالخبر؟! لا إنما هو وحي ومعجزة لرسولنا ﷺ.

ثانياً: إخبارُ النبي ﷺ عن الثلاثة الذين تكلموا في المهد.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لم يتكلَّم في المهدِ إلا ثلاثةٌ: عيسى ابنُ مريم، وصاحب جُريجٍ، وكان جريج رجلاً عابداً، فاتخذ صومعةً** -هي البناء المرتفع المحدد أعلاهُ- **فكان فيها فأتته أمهُ وهو يصلي، فقالت: يا جريجُ!**

فقال: يا رب! أُمي وصلاتي -أي: اجتمع عليَّ إجابةُ أمي وإتمام صلاتي فوفقني لأفضلهما- **فأقبل على صلاته فانصرفتْ، فلما كان من الغدِ أتتهُ وهو يُصلي، فقالت: يا جريج، فقال: يا ربِّ! أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته، فانصرفت، فلما كان من الغدِ أتتهُ فقالت: يا جريج. فقال: يا ربِّ! أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته.**

فقالت: اللهم لا تُمِتْهُ حتى ينظر إلى وجوه المومِسات، فتذاكر بنو إسرائيل جُريجاً وعبادتَهِ، وكانت امرأةٌ، بغيٌّ يُتمثَّلُ بحُسنها، فقالت: إن شئتمُ لأفتننهُ لكم، قال: فتعرَّضت له، فلم يلتفت إليها، فأتتْ راعياً كان

يأوي إلى صومعتِهِ، فأمكنتهُ من نفسها فوقع عليها، فحملـت، فلـما ولـدتْ قالت: هو من جريج، فأتوهُ فاستنزلُوه وهدموا صومعتهُ وجعلوا يضربوُنه، فقال: ما شأنكُم؟ قالوا: زنيت بهذه البغيِّ فولدت منك. فقال: أين الصبي؟ فجاؤوا به، فقال: دَعوني حتى أُصلِّي، فصلى فلما انصرف أتى الصبيَّ فطعـن في بطنه وقال: يا غلامُ من أبوك؟ قال: فلانٌ الراعي.

قال: فأقبلوا عـلى جـريج يُقبِّلُونـه ويتمـسَّحُون بـه وقـالوا: نبنـي لـك صومعتك من ذهب. قال: لا، أعيدُوها من طين كما كانت، ففعلوا.

وبينا صبيٌّ يرضعُ من أُمِّهِ فمرَّ رجلٌ راكبٌ على دابةٍ فارهةٍ وشارةٍ حسنةٍ فقالت أُمُّهُ: اللهم اجعل ابني مثل هذا، فترك الثدي وأقبل إليـه فنظـر إليـه، فقال: اللهم لا تجعلني مِثلَهُ ثم أقبل على ثديه فجعل يرتضعُ». قـال: فكـأني أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكي ارتضاعهُ باصبعه السبابة في فمه، فجعل يمُصُّها. قال: «ومرُّوا بجاريةٍ وهم يـضربونها ويقولـون: زَنَيـتِ، سرقـتِ، وهي تقول: حسبي الله ونعم الوكيل.

فقالت أمهُ: اللهم لا تجعل ابني مثلها، فترك الرَّضاع ونظر إليها، فقـال: اللهم اجعلني مثلها، فهُنالك تراجعا الحديث، فقالـت: حَلْقَـى! مـرَّ رجـلٌ حسن الهيئة، فقلتُ: اللهم اجعل ابني مثله، فقلتَ: اللهـم لا تجعلنـي مِثلـهُ ومرُّوا بهذه الأمةِ وهم يضربُونها ويقولون: زنيت سرقت، فقلتُ: اللهـم لا تجعل ابني مثلها، فقلتَ: اللهم اجعني مثلها؟

قال: ذاك الرجلُ كان جباراً فقلتُ: اللهم لا تجعلني مثلهُ، وإن هذه يقولون لها: زنيتِ ولم تزنِ، وسرقت ولم تسرق، فقلتُ: اللهم اجعلني مِثْلها»[1].

وهذه وقعت في بني إسرائيل وأخبر النبي ﷺ بها وَعَلِمَ علماء بني إسرائيل أن هذا حدث عندهم فدل ذلك على صدقه ونبوته ومع ذلك لم يؤمنوا حسداً من عند أنفسهم.

ثالثاً: إخبارُ النبي ﷺ عن الرجلِ من بني إسرائيل الذي اقترض ألف دينار من صاحبه.

- وعن رسول الله ﷺ: «**أنه ذكر رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يُسلِفَهُ ألف دينار فقال: ائتني بالشهداءِ أُشهدهم، فقال: كفى بالله شهيداً قال: فائتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلاً.**

قال: صدقت، فدفعها إليه إلى أجلٍ مُسمَّى، فخرج في البحر فقضى حاجتهُ، ثم التمس مركباً يركبُها يقدمُ عليه للأجل الذي أجَّلهُ، فلم يجد مركباً.

فأخذ خشبةً فنقرها فأدخل فيها ألف دينارٍ، وصحيفةً منه إلى صاحبه ثم زَجَّجَ موضِعها، ثم أتى بها إلى البحر فقال: اللهم إنك تعلمُ أني كنت تسلَّفتُ فلاناً ألف دينارٍ، فسألني كفيلاً، فقلتُ: كفى بالله كفيلاً، فرضي بك، وسألني شهيداً، فقلتُ: كفى بالله شهيداً فرضي بك، وأني جهدتُ أن أجد مركباً

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٤٣٦)، ومسلم (٢٥٥٠).

أبعث إليه الذي له فلم أقدر، وإني أستودعُكها، فرمى بها في البحر، حتى ولجت فيه، ثم انصرف وهو في ذلك يلتمسُ مركباً يخرجُ إلى بلده، فخرج الرجلُ الذي كان أسلفَهُ ينظر لعل مركباً قد جاء بماله، فإذا بالخشبةِ التي فيها المالُ، فأخذها لأهله حطباً، فلما نشرها وجد المالَ والصحيفة، ثم قدِمَ الذي كان أسلفَهُ، فأتى بالألف دينارٍ، فقال: والله ما زلتُ جاهداً في طلب مركبٍ لآتيك بمالك فما وجدت مركباً قبل الذي أتيتُ فيه قال: هل كنتَ بعثت إليّ شيئاً؟ قال: أُخبِرُكَ أني لم أجدْ مركباً قبل الذي جئتُ فيه.

قال: فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة، فانصَرِف بالألف الدينار راشداً»[1].

ومما أخبر به ﷺ أيضاً:

- يقول ﷺ: «انتسب رجلان على عهد موسى عليه السلام فقال أحدهما: أنا فلانُ بنُ فلان حتى عدَّ تسعةً، فمن أنت لا أمَّ لك؟! قال: أنا فلانُ بنُ فلان ابن الإسلام.

قال: فأوحى اللهُ إلى موسى عليه السلام أن قُل لهذين المنتسبين: أمَّا أنت أيها المنتمي أو المنتسبُ إلى تسعةٍ في النار، فأنت عاشرهم. وأما أنت يا هذا المنتسب إلى اثنين في الجنة فأنت ثالثهما في الجنة»[2].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٢٢٩١).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ١٢٨)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ١٣٩)، والبيهقي في «الشعب» (٤/ ٢٨٨)، [«الصحيحة» (١٢٧٠)].

- وقال ﷺ: «**بينما كلبٌ يُطِيفُ** -أي: يدور- **بَركيّه** -أي: بئر- **قد كاد يقتله العطش إذ رأتهُ بغيٌّ من بغايا بني إسرائيل، فنزعتْ مُوقها** -أي: خفها الذي تلبسُه في قدميها- **فاستقت له به، فَسَقَتْهُ إياه، فغُفِرَ لها به**»(١).

ومما ذكرنا آنفاً من إخبار النبي عن بني إسرائيل، أنّ بني إسرائيل قد كتموا هذهِ الأخبار، واستبدلوها بقصص من عند أنفسهم ليُحرّفوا التوراة وليكتموا الحق الذي جاء به محمد ﷺ، فاحذروا يا أمة الإسلام من ذلك.

- وقال ﷺ: «**إن بني إسرائيل كتبوا كتاباً فاتبعوه، وتركوا التوراة**»(٢).

قال الشيخ الألباني -رحمه الله- في تعليقه على هذا الحديث: (ما أشبه حال أكثر المسلمين اليوم بمن قبلهم، فقد تركوا القراءة والحديث إلى أراء العلماء، وأقاموها مقامها، فيعيش الرجل المتفقهُ منهم دهراً طويلاً وهو لا يعلم أدلة الكتاب والسنة، وإن علمها فهو لا يتبعها، ويؤثر عليها تلك الأراء، ثم نطمع أن ينصرنا الله على أهل التوراة، ونحن نحذو حذوهم. هيهات هيهات!!)

- وقال ﷺ: «**إن بني إسرائيل لما هلكوا قصُّوا**»(٣).

قال الشيخ الألباني -رحمه الله- في تعليقه على هذا الحديث: (أي لما هلكوا بترك العمل أخلدوا إلى القصص، وعولوا عليها، واكتفوا بها، قاله المناوي).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٤٦٧)، ومسلم (٢٢٤٥).

(٢) **حسن**: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥/ ٣٥٨)، [«صحيح الجامع» (٢٠٤٤)].

(٣) **صحيح**: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٤/ ٨٠)، [«صحيح الجامع» (٢٠٤٥)].

قلتُ: ولينظر المؤمن العاقلُ إلى حـالِ كثـيرٍ مـن المسلمين اليـوم فقـد أصابهم ما أصاب من قبلهم، فقد أخلد وعاظهم إلى القـصص، وأعرضـوا عن العلم النافع والعمل الصالح، مصداقاً لقوله ﷺ: «**لتتـبعُن سـنن مَـنْ قبلكم، شبراً بشبرٍ وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جُحر ضبٍّ لـسلكتموه**». قالوا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ **قال**: «**فمن**»[1].

فاتقوا الله عباد الله وتمسكوا بما جاءكم في الكتاب والسنة؛ لتـسعدوا في الدنيا والآخرة.

اللهم رد المسلمين إلى دينك رداً جميلاً

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩).

٢١

(٨) الفرارُ إلى الله تعالى بمعرفة معجزات رسول الله ﷺ

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠﴾ [الذاريات] في هذه الآية يأمرُ ربنا -جل وعلا- عبادَهُ جميعاً أن يفروا إليه: من الكفر إلى الإيمان، ومن الشرك إلى التوحيد، ومن المعاصي إلى الطاعات، ومن الظلمات إلى النور، ومن الجهل إلى العلم، ومن الضلال إلى الهدى.

عباد الله! والفرار كما قلنا نوعان: فرارُ السعداء وفرارُ الأشقياء، فالأشقياء يفرون من الله إلى غيره، وأولئك خابوا وخسروا؛ فأين المفر والإله الطالبُ؟! والسعداءُ يفرون من الله إلى الله؛ لأنهم علموا وأيقنوا أنه لا ملجأ من الله إلا إليه.

عباد الله! لما حاول الأشيقاءُ أعداءُ الإسلام أن ينالوا من شخص رسول الله ﷺ فرَّ السعداءُ إلى الله لنصرةِ رسولِ الله ﷺ انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة:٤٠].

عباد الله! ومن نصرتنا لرسول الله ﷺ أن نتعرف على معجزاته ﷺ، ليزداد الذين آمنوا إيماناً، وليعرف الجميعُ أن محمداً ﷺ هو رسول الله حقاً وصدقاً.

عباد الله! ومن معجزاته ﷺ إخبارهُ عن بعض أمور الغيب التي وقعت في الماضي والحاضر والمستقبل، وقد عشنا في الجمع الماضية مع أمور الغيب التي وقعت في الماضي، وموعدنا في هذا اليوم مع الحديث عن بعض أمور الغيب التي وقعت في الحاضر كما أخبر عنها رسول الله ﷺ.

أولاً: إخبارهُ ﷺ عن مقتل عدو الله أمية بنِ خلف:

•يقول ابنُ مسعود رضي الله عنه: (انطلق سعدُ بنُ معاذٍ معتمراً، قال: فنزل على أمية بن خلفٍ أبي صفوان، وكان أُميةُ إذا انطلق إلى الشأْم فمرَّ بالمدينة نزل على سعد، فقال أُميةُ لسعدٍ: انْتظِرْ حتى إذا انتصف النهارُ وغفلَ الناسُ انطلقتَ فَطُفْتَ، فبينا سعدٌ يطوفُ إذا أبو جهلٍ، فقال: من هذا الذي يطوف بالكعبة؟

فقال سعدٌ: أنا سعدٌ.

فقال أبو جهل: تطوف بالكعبة آمناً وقد آويتمُ محمداً وأصحابه؟!

فقال: نعم، فتلاحيا -أي: تلاوما وتنازعا- بينهما.

فقال أميةُ لسعدٍ: لا ترفع صوتك على أبي الحكم -أي: على أبي جهلٍ- فإنه سيدُ أهل الوادي.

ثم قال سعدٌ: والله لـئن منعتنـي أن أطـوف بالبيـت لأقطعـنَّ متجـرك بالشام -أي: طريقك إلى الشام-.

فجعل أُمية يقولُ لسعدٍ: لا ترفع صوتك وجعل يُمسكُهُ، فغضبَ سعدٌ فقال -أي: لأمية-: دعنا عنك، فإني سمعتُ محمداً ﷺ يزعُمُ أنه قاتِلُـكَ، (وفي روايةٍ: إنهم قاتلوكَ) -وهذا هو الشاهد-

قال أمية: إيَّايَ؟ قال: نعم.

قال: والله ما يكذبُ محمدٌ إذا حدَّث، فرجع إلى امرأتهِ فقال: أما تعلمين ما قال لي أخي اليثربيُّ؟

قالت: وما قال؟

قال: زعم أنه سَمِع محمداً يزُعُمُ أنهُ قاتلي.

قالت: فوالله ما يكذب محمدٌ. فلما خرجوا إلى بدرٍ وجاء الصريخ قالت له امرأتُهُ: أما ذكرتَ ما قال لك أخوك اليثربيُّ؟

فأراد أن لا يخرج فقال له أبو جهلٍ: إنك من أشرافِ الوادي فسر يومـاً أو يومين، فسار معهم، فقتلهُ الله)[1].

عباد الله! تعالوا بنا لنستمع إلى عبدالرحمن بن عوفٍ ﷺ وهو يخبرنـا عن مقتل أمية بن خلفٍ.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦٣٢) و(٣٩٥٠).

- يقول عبدُ الرحمن بن عوفٍ ﷺ: (كاتبتُ أُمية بـن خلـفٍ كتابـاً بـأن يحفظني في صاغيتي –أي: في أهلي ومالي– بمكـة وأحفظـه في صـاغيته بالمدينة... فلما كان في يوم بدر فأبصرهُ بـلالٌ، أي: أبـصر بـلالٌ أميـةَ– فخرج حتى وقف على مجلسٍ من الأنصار فقال: أميـة ابـن خلـف! لا نجوتُ إن نجا أُميةُ. فخرج معهُ فريقٌ من الأنصار في آثارنا، فلما خشيتُ أن يلحقونا خلَّفتُ لهم ابنهُ لأَشغلهم فقتلوهُ، ثم أبوا حتى يتبعونا وكان رجلاً ثقيلاً فلما أدركُونا قلتُ لـه: ابـرُكْ، فـبرك، فألقيـتُ عليـه نفـسي لأمنعَه، فتخَلَّلُوهُ بالسيوف من تحتي حتى قتلوه، وأصاب أحدُهم رجلي بسيفه، وكان عبدُالرحمن بن عوف يُرينا ذلك الأثر في ظهرِ قدمه)[1].

ثانياً: إخبارُهُ ﷺ عن مصارع أئمـة الكفـر في غـزوة بـدرٍ الكبرى.

عباد الله! يقول عليٌّ ﷺ: (لقد رأيتُنا ليلـة بـدرٍ، ومـا منـا إنـسان إلا نائمٌ إلا رسولَ الله ﷺ فإنه كان يُصلي إلى شجرةٍ، ويدعو حتى أصـبح...) الحديث[2].

- ويقولُ ابن عباس ﷺ: (قـال النبـي ﷺ –يـوم بـدرٍ–: «**اللهـم إني أنشُدُك عهدَك ووعدَك، اللهم إن شئت لم تُعبدْ بعد اليوم**». فأخذ أبوبكر

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٣٠١).

(٢) **إسناده صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ١٣٨)، والنسائي في «الكبرى» (١/ ٢٧٠)، [«الموسوعة الحديثية»].

بيده فقال: حسبُك....، فخرج ﷺ وهو يقـول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾(١).

- ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ... إن رسول الله ﷺ كان يُرينا مـصارع أهل بدرٍ بالأمسِ، يقول: «**هذا مصرعُ فلانٍ غداً إن شاء الله**» يقـول عمـرُ: فوالذي بعثهُ بالحقِّ! ما أخطَأُوا الحدود التـي حـدَّ رسـولُ الله ﷺ. قـال: فجُعلوا في بئرٍ بعضُهم على بعضٍ، فـانطلق رسـول الله ﷺ حتـى انتهـى إليهم فقال: «**يا فلان بن فلانٍ! ويا فلان بن فلان! هل وجدتم مـا وعـدكُم اللهُ ورسولُهُ حقاً؟ فإني قد وجدتُ ما وعدني الله حقاً**».

قال عمر: يا رسول الله! كيف تُكلِّمُ أجساداً لا أرواح فيها؟

قال: «**ما أنتم بأسمع لما أقُول منهم غـير أنهـم لا يـستطيعون أن يـردُّوا عليَّ شيئاً**»(٢).

ثالثاً: إخبارُهُ ﷺ في غزوة خيبر أن الفتح سيكون في الغد على يدِ عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

عباد الله! في غزوة خيبر قال النبي ﷺ: «**لأُعطينَّ الرايةَ غداً رجلاً يُفتحُ على يديه، يحبُّ الله ورسوله ويُحِبُّهُ اللهُ ورسولُه**» وفي الصباح أعطاها لعليٍّ بن أبي طالبٍ ففتح اللهُ على يديه(٣).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٩١٥).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٨٧٣).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٠٠٩)، ومسلم (٢٤٠٧)

رابعاً: إخبارُهُ ﷺ في غزوة حُنين عن غنائم العدو (هوازن) وأنها ستكون للمسلمين غداً.

عباد الله! سار النبيُّ والمسلمون معه إلى حُنين فأطنبوا السير، حتى إذا اقتربوا، جاء رجلٌ فارسٌ فقال: يا رسول الله! إني انطلقتُ بين أيديكم حتى طلعتُ جبل كذا أو كذا، فإذا أنا بهوازن على بَكَرةِ أبيهم بظُعُنِهِم ونَعَمِهِم وشَائِهِم اجتمعوا إلى حنين، فتبسم رسولُ الله ﷺ وقال: «**تلك غنيمةُ المسلمين غداً إن شاء الله تعالى**» ... الحديث[1].

ونصر اللهُ رسولَه في غزوة حنين وغنم رسول الله ﷺ غنائم عظيمةً من عدوه وقسَمَّها على المسلمين.

خامساً: إخبارُهُ ﷺ عن رجلٍ ارتدَّ عن الإسلام، وأن الأرض لا تقبله

عباد الله! يقولُ أنسٌ رضي الله عنه: (كان رجلاً يكتبُ للنبي ﷺ ... فارتدَّ عن الإسلام فلحق بالمشركين...، فقال النبيُّ ﷺ: «**إن الأرض لا تقبلُهُ**» فأخبرني أبو طلحة أنه أتى الأرض التي مات فيها فوجدَهُ منبوذاً -أي: ملقى على وجه الأرض-.

فقال: ما شأن هذا؟ فقالوا: دفناهُ مِراراً فلم تقبلْهُ الأرضُ)[2].

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٢٥٠١)، والحاكم (٢/ ٩٣)، والطبراني في «الكبير» (٦/ ٩٦)، والبيهقي في «السنن» (٩/ ١٤٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٢٣٥)].

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (٣/ ١٢١-١٢٢)، وابن حبان (٧٤١)، [«الموسوعة الحديثية»].

سادساً: إخبارُهُ ﷺ عن موتِ منافقٍ.

•**عباد الله!** عن جابر رضي الله عنه: (أن رسول الله ﷺ قدم مِنْ سفرٍ، فلما كان قُربَ المدينة هاجت ريحٌ شديدة تكادُ أن تدفن الراكب، ... فقال رسول الله ﷺ: «**بُعثتْ هذه الريحُ لموت منافق**» -أي: عقوبة له، وعلامة لموته، وراحةً للبلاد والعباد منه- فلما قدم المدينة، فإذا مُنافِقٌ عظيمٌ من المنافقين قد مات)[1].

سابعاً: إخبارُهُ ﷺ عن انتحار رجلٍ -ممن كان يدَّعي الإسلامَ- في أرض المعركة.

عباد الله! يقول أبو هريرة رضي الله عنه: شهدنا مع رسول الله ﷺ حُنيناً فقال لرجلٍ ممن يُدْعى بالإسلام -أي: قال في حق رجل يدعي الإسلام-: «**هذا من أهل النار**».

فلما حضرنا القتالُ: قاتل الرجلُ قتالاً شديداً فأصابته جراحةٌ، فقيل: يا رسول الله! الرجل الذي قلت له آنفاً: «إنه من أهل النار» فإنه قاتل اليوم قتالاً شديداً وقد مات، فقال النبي ﷺ: «**إلى النار**» فكاد بعض المسلمين أن يرتاب، فبينما هم على ذلك إذ قيل: إنه لم يمت ولكن به جراحاً شديداً، فلـمّا كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه، فأخبر النبي ﷺ بذلك، فقال ﷺ: «**الله**

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٧٨٢).

أكبر، أشهدُ أني عبدُ اللهِ ورسولُه»، ثم أمر بلالاً فنادى في الناس: «**إنه لا يدخل الجنة إلا نفسٌ مسلمة، وإن الله يؤيدُ هذا الدين بالرجل الفاجر**»[1].

• وعن سهل بن سعد الساعِديِّ ﵁: أنّ رسولَ الله ﷺ التقى هو والمشركون فاقتتلوا، فلما مال رسولُ الله ﷺ إلى عسكرِهِ، ومال الآخرون إلى عسكرِهِم، وفي أصحابِ رسول الله ﷺ رجلٌ لا يدعُ لهم شاذة إلا اتبعها يضربُها بسيفه -أي: كان شجاعاً لا يلقاهُ أحدٌ إلا قتله- فقالوا: ما أجزأ مِنا اليوم أحدٌ كما أجزأ فلانٌ. فقال رسولُ الله ﷺ: «**أما إنهُ من أهلِ النار**».

فقال رجلٌ من القوم: أنا صاحبُهُ -أي: أنا أصحبه في خفيةٍ وألازمه لأنظر السبب الذي يصيرُ به من أهل النار- فخرج معه كلما وقف وقف معه، وإذا أسرع أسرع معه.

قال: فجُرح الرجلُ جُرحاً شديداً، فاستعجل الموت فوضع نصل سيفهِ بالأرض وذُبَابهُ بين ثدييه. ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه، فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أشهدُ أنك رسولُ الله.

قال ﷺ: «**وما ذاك؟**» قال: الرجلُ الذي ذكرت آنفاً أنه من أهلِ النار، فأعظم الناسُ ذلك. فقلتُ: أنا لكم به فخرجتُ في طلبه حتى جُرحَ جُرحاً شديداً، فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه بالأرض وذُبابهُ بين ثدييه، ثم تحامل عليه فقتل نفسه.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٠٦٢)، ومسلم (١١١).

فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: «**إن الرجُلَ ليعملُ عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، وهو من أهل النار، وإن الرجلَ ليعلمُ عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة**»(١).

ثامناً: إخبارُهُ ﷺ عن الكتاب الذي كان مع المرأة في روضة خاخ.

عباد الله! يقولُ عليٌّ رضي الله عنه: (بعثنا رسولُ اللهُ أنا والزبير والمقداد فقال: «**ائتوا روضة خاخ** -مكان بين مكة والمدينة بقرب المدينة- **فإنَّ بها ظعينةً**- أي: أمرأةً في هودج- **معها كتابٌ فخذوه منها**» فانطلقنا تعادى -أي: تجري- بنا خَيلُنا فإذا نحن بالمرأة فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي كتابٌ. فقلنا: لتُخرجنّ الكتاب أو لتُلقينَّ الثياب، فأخرجتهُ من عقاصها -أي من ضفائرها- فأتينا به رسول الله ﷺ ...) الحديث(٢).

وهذه معجزة من معجزاتهِ ﷺ، ودليل على صدق نبوته.

تاسعاً: إخبارُهُ ﷺ عن رجلٍ غلَّ من الغنيمة -أي: سَرق منها-

عباد الله! يقولُ عبدالله بن عمرو: (كان على ثقلِ النبي ﷺ رجلٌ يُقالُ له: كِركرة فمات فقال رسول الله ﷺ: «**هو في النار**» فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عباءةً قد غلَّها)(٣).

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٨٩٨)، ومسلم (١١٢).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٠٧٤).

- وعن زيد بن خالدٍ الجهني: (أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ تُوفي يوم خيبر فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «**صلوا على صاحِبكم**» فتغيرتْ وجوه الناسِ لذلك، فقال ﷺ: «**إنَّ صاحِبَكم غلَّ في سبيل الله**» ففتشنا متاعهُ فوجدنا خرزاً من خرز يهودٍ لا يساوي درهمين)[1].

عاشراً: إخبارُهُ ﷺ عن استشهادِ القادة في غزوة مؤتة قبل أن يُخبَر الناس بذلك

- عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ نعى زيداً، وجعفراً، وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم. فقال: «**أخذ الراية زيدٌ فأُصيب، ثم أخذ جعفرٌ فأُصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب** -وعيناه تذرفان- **حتى أخذ سيفٌ من سيوف الله** -يعني خالد بن الوليد- **حتى فتح اللهُ عليهم**»[2].

حادي عشر: إخبارُهُ ﷺ بما صنع الأنصاري وزوجتهُ مع ضيفهما ليلاً

- يقول أبو هريرة رضي الله عنه: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: إني مجهود -أي: أصابني الجهد والجوع- فأرسل إلى بعض نسائهِ، فقالت: والذي بعثك الحق! ما عندي إلا ماءٌ، ثم أرسل إلى أُخرى، فقالت: مثل ذلك، حتى قلن كُلُهنَّ مثل ذلك: لا، والذي بعثك بالحق! ما عندي إلا ماءٌ.

---

(١) **إسناده صحيح**: أخرجه أبو داود (٢٧١٠)، وابن ماجه (٢٨٤٨)، وأحمد (٤/ ١١٤)، وابن حبان (٤٨٣٤)، والحاكم (٢/ ١٣٨)، [«أحكام الجنائز» (ص١٠٣)].

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٧٥٧).

قال ﷺ: «**مَن يُضيف هذا الليلة، رحمه الله**» -أي: يرحمه الله-.

فقام رجلٌ من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله! فانطلق به إلى رحلِهِ فقال لامرأتهِ: هل عندك شيءٌ؟

قالت: لا. إلا قُوتُ صبياني، قال: فعلِّليهم بشيء، فإذا دخل ضيفُنا فأطفِئي السِّراج وأريه أنَّا نأكُلُ، فإذا أهوى ليأكل فقومي إلى السراج حتى تُطفئيه.

قال: فقعدوا وأكل الضيف. فلما أصبح غدا على النبي ﷺ فقال ﷺ: «**قد عجب اللهُ مِن صنيعكُما بضيفكما الليلة**»(١).

فهل كان الرسول ﷺ معهم في البيت ورأى ما صنعوا للضيف بل جاء الخبر من السماء وأطلعه الله على ما كان.

ثاني عشر: إخبارُهُ ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه عن السارق الذي سرق من طعام الصدقة.

- يقول أبو هريرة رضي الله عنه: (وكَّلني رسولُ الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام فأخذتهُ وقلتُ: والله لأرفعنَّك إلى رسول الله ﷺ.

قال: إني محتاجٌ وعليَّ عيالٌ ولي حاجةٌ شديدةٌ، قال: فخليتُ عنه، فأصبحتُ فقال النبي ﷺ: «**يا أبا هريرة! ما فعل أسيرُك البارحة؟**».

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٠٥٤).

قال: قلتُ: يا رسول الله! شكا حاجةً شديدةً وعيالاً فرحمتُهُ فخليتُ سبيلهُ.

قال: «**أما إنه قد كذبك وسيعود**»، فعرفتُ أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ إنه سيعود، فرصدتُهُ فجاء يحثو من الطعام فأخذتُهُ فقلتُ: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ.

قال: دعني فإني محتاجٌ وعليَّ عيالٌ لا أعودُ، فرحمتُهُ فخليتُ سبيله، فأصبحتُ فقال لي رسول الله ﷺ: «**يا أبا هريرة ما فعل أسيرُك؟**».

قلت: يا رسول الله شكا حاجةً شديدةً وعيالاً فرحمتُهُ فخلَّيت سبيله. قال: «**أما إنه قد كذبك وسيعود**». فرصدتُهُ الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذتُهُ فقلتُ: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ وهذا آخرُ ثلاثِ مراتٍ، أنك تزعمُ لا تعود ثم تعود.

قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك اللهُ بها، قلت: ما هو. قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ .....﴾ [البقرة] حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطانٌ حتى تصبح. فخليتُ سبيله، فأصبحتُ فقال لي رسول الله ﷺ: «**ما فعل أسيرُك البارحة؟**».

قلت: يا رسول الله! زعم أنه يُعلِّمني كلماتٍ ينفعني اللهُ بها فخليت سبيله.

قال: «**وما هي؟**» قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ .....﴾ وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، وكانوا أحرص شيء على الخير.

فقال النبي: «**أما إنهُ صدقكَ وهو كذوب، تعلمُ من تخاطبُ منذُ ثلاثِ ليالٍ يا أبا هريرة؟**».

قلتُ: لا. قال: «**ذاك شيطانٌ**»(١).

فيا أمة الإسلام بدل أن تأكلوا الحلوى في يوم مولد النبي ﷺ وتنشدوا الأناشيد، وتفعلوا ما لم يشرعه لكم الإسلام فلتتعرفوا على معجزات رسول الله ﷺ.

اللهم رد المسلمين إلى دينك رداً جميلاً

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٣١١).

٢٢

(٩) الفرار إلى الله تعالى بمعرفةِ معجزات رسول الله ﷺ

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠﴾ [الذاريات] في هذه الآية يأمرُ ربنا -جل وعلا- عبادَهُ جميعاً أن يفروا إليه: من المعاصي إلى الطاعات، ومن البدعة إلى السنة، ومن الضلال إلى الهدى، ومن الجهل إلى العلم.

والفرار كما قلنا نوعان: فرارُ السعداء وفرارُ الأشقياء، فالأشقياء يفرون من الله إلى غيره، وأولئك خابوا وخسروا؛ فأين المفر والإله الطالبُ؟! والسعداءُ يفرون من الله إلى الله؛ لأنهم قد علموا وأيقنوا أنه لا ملجأ من الله إلا إليه.

عباد الله! لما حاول الأشيقاءُ أعداءُ الإسلام أن ينالوا من شخص رسول الله ﷺ فرَّ السعداءُ إلى الله -تعالى- لنصرةِ رسولِ الله ﷺ انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة:٤٠].

عباد الله! ومن نصرتنا لرسول الله ﷺ أن نتعرف على معجزاته ﷺ، ليزداد الذين آمنوا إيماناً، وليعلم الجميع أن محمداً ﷺ هو رسول الله حقاً وصدقاً.

عباد الله! ومن معجزاته ﷺ إخبارهُ عن بعض أمور الغيب التي وقعت في الماضي والحاضر والمستقبل، وقد عشنا في الجمع الماضية مع أمور الغيب التي وقعت في الماضي والحاضر كما أخبر عنها رسول الله ﷺ.

وموعد في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع بعض أمور الغيب التي أخبر عنها رسول الله ﷺ أنها ستقع في المستقبل ومنها:

إخبارهُ ﷺ أن المستقبل للإسلام، وأن هذا الدين سيصلُ إلى كلِّ بيتٍ، وأنَّ الأمة الإسلامية سيمتدُ مُلكُها من مشارق الأرض إلى مغاربها.

عباد الله! بعث اللهُ رسولَهُ محمداً ﷺ بالهدى ودين الحقِ وأمرهُ أن يُبلغ هذا الدين إلى جميع الناس، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة:٦٧].

فأخذ ﷺ يدعو الناس إلى هذا الدين العظيم ليلاً ونهاراً، سراً وجهراً، ترغيباً وترهيباً، فآمن به القليلُ ووقف كفار مكة في وجه دعوته، وعذبوا أصحابه عذاباً شديداً، فأخذ ﷺ يبشرهم بأنَّ الله سيُظهِرُ دينهُ، وأنهم سيملكون الدنيا من مشرقها إلى مغربها، وأن هذا الدين سيصلُ إلى كل بيت، وأنهم سيفتحون البلاد وقلوب العباد.

• فعن خباب بن الأرت ﷺ، قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسِّدٌ بُردةً في ظل الكعبة قُلنا له: ألا تستنصِرُ لنا، ألا تدعو الله لنا؟

قال: «**كان الرجلُ فيمن قبلكم يحفرُ لهُ في الأرض فيُجعَلُ فيه، فيجاءُ بالمنشار فيوضع على رأسه فيُشقُّ باثنتين، وما يصدهُ ذلك عن دينه ويمشطُ بأمشاط الحديد ما دون لحمِهِ من عظم أو عصبٍ وما يصُدُّهُ ذلك عن دينه، والله ليُتمَّن هذا الأمر** -وهذا هو الشاهد- **حتى يسير الراكبُ من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله، أو الذئبَ على غنمهِ ولكنكم تستعجلون**»[(١)].

• وعن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله زوى** -**أي**: ضم- **لِيَ الأرض، فرأيتُ مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلُغُ مُلكها ما زُوِيَ لي منها، وأُعطيت الكنزين الأحمر والأبيض**»[(٢)].

- والمراد بـ «الكنزين الأحمر والأبيض» الذهب والفضة، أي: كنزي كسرى وقيصر ملكي العراق والشام.

• وقال ﷺ: «**بشرْ هذه الأمة بالسناء والدين والرفعة والنصر والتمكين في الأرض**»[(٣)].

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦١٢).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٨٨٩).

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٥/ ١٣٤)، والحاكم (٤/ ٣٤٦)، والبيهقي في «الشعب» (٥/ ٣٣٤)، [«صحيح الجامع» (٢٨٢٥)].

- وقال ﷺ: «**ليبلغنَّ هذا الأمرُ** -أي: هذا الدين- **ما بلغ الليل والنهار، ولا يتركُ الله بيت مَدَرٍ ولا وبرٍ إلا أدخلهُ الله هذا الدين؛ بعـزِّ عزيـزٍ، أو بذُلِّ ذليلٍ، عزاً يُعِزُّ اللهُ به الإسلام، وذلاً يُذلُّ به الكفر**»[1].

- وقال ﷺ: «**إن الله استقبل بيَ الشامَ، وَولَّى ظهري الـيمنَ، وقـال ليَ: يـا محمدُ إني جعلتُ لك ما تجاهَكَ غنيمة ورزقاً، وما خلفَ ظهـركَ مـدداً، ولا يزالُ الإسلامُ يزيد، وينقص الشركُ وأهلُهُ، حتـى تـسيرَ المرأتـان لا تخشيان إلا جوراً، والذي نفسي بيده لا تذهبُ الأيام والليالي حتى يبلغ هذا الدِّينُ مبلغَ هذا النجم**»[2].

النبي ﷺ يبشر هذه الأمة بأمور غيبية يخبره بهـا الـوحي، والـصحابة يعلمون أنه لا ينطق عن الهوى، وكان كل ما أخبر به ﷺ يقع.

فبشر النبي ﷺ أصحابهُ وهم مستضعفون أنهم سيفتحون كنوز كسرى.

- قال ﷺ: «**عُصيبةٌ من المسلمين يفتتحون البيت الأبيض بيت كسرى**»[3].

- وعن عديِّ بن حاتم رضي الله عنه قال: (بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتـاهُ رجـلٌ فشكا إليه الفاقة، ثم أتاهُ آخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال: «**يا عـديُّ،**

---

(١) **صـحيح**: أخرجـه أحمـد (٤/ ١٠٣)، والحـاكم (٤/ ٤٧٧)، البيهقـي في «الـسنن» (٩/ ١٨١)، [«الصحيحة» (٣)].

(٢) **صحيح**: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨/ ١٤٥)، وأبو نعيم (٦/ ١١٤)، [«صـحيح الجـامع»: (١٧١٦)].

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم: (١٨٢٢).

هل رأيت الحيرة؟» -وهي مدينة للعرب كانت تحت سيطرة الفرس - قلتُ: لم أرَها، وقد أُنبئتُ عنها.

قال: «**فإن طالت بِكَ حياةٌ لترينَّ الظعينة** -أي: المرأة ما دامت في الهودج- **ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله**» -وفي هذا بشرى بأن الإسلام سيصل إلى هناك-.

قلت فيما بيني وبين نفسي: فأين دُعَّارُ -أي: قطاع الطريق- طيءٍ الذين قد سَعَّرُوا البلاد؟ -أي: ملؤوها شراً وفساداً- «**ولئن طالتْ بك حياةٌ لتُفتحَنَّ كنوزُ كِسرى**».

قلتُ: كسرى بنُ هُرْمز؟ قال: «**كسرى بنُ هرمُز. ولئن طالت بك حياةٌ لترينَّ الرجلَ يخرجُ مِلءَ كفهِ من ذهبٍ أو فضةٍ يطلُبُ من يقبلُهُ مِنهُ فلا يجدُ أحداً يقبلُهُ منهُ وليَلقينَّ اللهَ أحدُكُم يومَ يلقاهُ وليس بينهُ وبينه تُرجمانٌ يترجِمُ لهُ فليَقولَنَّ له: ألم أبعث إليك رسولاً فيُبلِّغكَ؟ فيقولُ: بلى. فيقولُ: ألم أُعطِكَ مالاً وأُفضِلْ عليك؟ فيقولُ: بلى. فينظرُ عن يمينهِ فَلا يرى إلا جهنم، وينظُرُ عن يساره فلا يرى إلا جهنم**»، قال عديٌّ: سمعتُ النبي ﷺ يقولُ: «**اتقوا النار ولو بشقِّ تمرةٍ، فمن لم يجدْ شقة تمرةٍ، فبكلمةٍ طيبةٍ**».

قال عديٌّ: فرأيتُ الظعينة ترتحلُ من الحيرةِ حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنتُ فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمُز، ولئن طالت بكُم حياةٌ لترون ما قال النبي أبو القاسم ﷺ يُخرجُ مِلءَ كفهِ)[1].

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٥٩٥).

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: رسول الله ﷺ: «**إذا هلك كِسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصرُ فلا قيصرَ بعدَهُ، والذي نفسُ محمدٍ بيدهِ لتُنفقنَّ كُنوزُهُما في سبيل الله**»[1].

وقد فتحت بعد موت النبي ﷺ لتزدادوا إيماناً مع إيمانكم وليعلم الذين أوتوا الكتاب أن محمداً ﷺ هو رسول الله حقاً وصدقاً.

عباد الله! عندما التقى جيش المسلمين مع جيش كسرى قام الترجمان فقال: ليُكلمني رجلٌ منكم، فقال المغيرة: سل عما شئت، قال: ما أنتم؟

قال: نحن أُناسٌ مِن العرب كُنا في شقاءٍ شديدٍ وبلاءٍ شديدٍ، نمصُّ الجلدَ والنوى من الجوع، ونلبسُ الوبرَ والشعر، ونعبدُ الشجر والحجر، فبينما نحن كذلك إذ بعث ربُّ السموات وربُّ الأرضين تعالى ذكره وجلت عظمته إلينا نبيّاً من أنفسِنا نعرفُ أباه وأمه، فأمرنا نبينا رسول ربنا ﷺ أن نُقاتلكمُ حتى تعبدوا الله وحده أو تُؤدوا الجزية، وأخبرنا نبيُنا ﷺعن رسالة ربنا أنه من قُتِلَ منا صار إلى الجنةِ في نعيم لم ير مثلَها قطُّ، ومَنْ بقي منا مَلَكَ رقابكم[2]. كانوا يوقنون أن ما أخبرهم به نبيهم ﷺ كائن لا محالة.

عباد الله! وقد بشَّر ﷺ المسلمين وهم مستضعفون بأنهم سيفتحون بعض البلاد: اليمن، والشام، والعراق، ومصر، والقسطنطينية.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦١٨)، ومسلم (٢٩١٩).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣١٥٩).

- عن البراء بن عازب، قال: أمرنا رسولُ الله ﷺ بحفر الخندق، قال: وعرض لنا صخرةٌ في مكان من الخندق، لا تأخذ فيها المعاولُ، قال: فشكوها إلى رسولِ الله ﷺ فجاء رسولُ الله ﷺ ووضع ثوبه، ثم هبط إلى الصخرة فأخذ المِعولَ، فقال: «**بسم الله**» فضرب ضربةً فكسَرَ ثُلُثَ الحجر وقال: «**اللهُ أكبرُ أُعطيتُ مفاتيح الشام، والله إني لأُبصِرُ قُصُورَها الحُمْرَ من مكاني هذا**».

ثم قال: «**بسم الله**» وضرب أُخرى فكسر ثُلُثَ الحجَر، فقال: «**اللهُ أكبرُ أعطيتُ مفاتيح فارِس، والله إني لأُبصر المدائن، وأُبصرُ قصرَها الأبيضَ من مكاني هذا**»، ثم قال: «**بسم الله**» وضربَ ضربةً أُخرى، فقلعَ بقيةَ الحجرَ، فقال: «**الله أكبر أُعطيتُ مفاتيح اليمن، واللهِ إني لأُبصِرُ أبواب صنعاءَ من مكاني هذا**»(1).

- وقال ﷺ: «**تُفتح اليمن فيأتي قومٌ يَبِسُّون** -أي: يسوقون دوابهم إلى المدينة- **فيتحمَّلون بأهلهم ومن أطاعَهم، والمدينةُ خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون، وتفتحُ الشامُ، فيأتي قومٌ يبِسُّون، فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون، وتفتحُ العراقُ، فيأتي قومٌ يبسُّون، فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون**»(2).

---

(1) حسن: أخرجه أحمد (٤/ ٣٠٣)، وأبو يعلى (٣/ ٢٤٤)، والنسائي في «الكبرى» (٥/ ٢٦٩)، [«فقه السيرة» (ص٢٩٧)].

(2) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٨٧٥)، ومسلم (١٣٨٨).

- وقال ﷺ: «**رأيتُ عموداً من نورٍ خرج من تحت رأسي ساطعاً حتى استقرَّ بالشام**»(١).

- وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنكم ستفتحون مِصرَ، وهي أرضٌ يُسمى فيها القيراطُ، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذِمةً** -أي: حُرمةً وحقاً- **ورحماً** -لأن هاجر أمَّ إسماعيل منهم- أو قال: ذمةً وصِهراً»(٢) لأن مارية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ منهم.

- قال عبدُ الله بنُ عمرو بن العاص رضي الله عنهما: بينما نحن حولَ رسول الله ﷺ نكتب؛ إذ سُئِلَ رسولُ الله ﷺ: أي المدينتين تفتحُ أولاً: أقسطنطينية أو رُومية؟ -هي روما عاصمة إيطاليا اليوم-.

فقال رسول الله ﷺ: «**مدينة هرقل تُفتح أولاً. يعني: قسطنطينية**»(٣).

عباد الله! وقد تحقق الفتحُ الأول على يدِ محمد الفاتح العثماني؛ كما هو معروف وذلك بعد أكثر من ثمانمائةِ سنة من إخبار النبي ﷺ بالفتح وسيتحقق الفتح الثاني -بإذن الله تعالى- ولا بدّ، ولتعلمن نبأه بعد حين(٤).

---

(١) **صحيح**: أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (٢/ ٣٩٥)، [«المشكاة» (٦٢٨٠)].

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٥٤٣).

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ١٧٦)، والدارمي (٤٨٩)، والحاكم (٤/ ٥٥٣)، وابن أبي شيبة (٤/ ٢١٩)، [«الصحيحة» (٤)].

(٤) «السلسلة الصحيحة» (١/ ١/ ٣٣).

عباد الله! ولم يزل أبو أيوب «الأنصاري ﷺ يُجاهدُ في سبيل الله حتى دُفن بالقسطنطينية[1].

- يقول أبو هريرة ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تنزل الرومُ بالأعماق أو بدابق** -موضعان بالشام- **فيخرجَ إليهم جيشٌ من المدينة من خيارِ أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافُّوا قالت الرومُ: خلو بيننا وبين الذين سَبَوْا مِنا نُقاتلهُم. فيقول المسلمون: لا والله لا نُخلِّي بينكم وبين إخواننا. فيُقاتِلُونهم فيهزم ثلث لا يتوبُ اللهُ عليهم أبداً** -أي: لا يلهمهم التوبة- **ويُقتَلُ ثُلُثُهم، أفضل الشهداء عند الله، ويفتحُ الثُلُثُ لا يُفتنون أبداً، فيفتتحون قسطنطينية**»[2].

- **عباد الله!** فُتحت الشام واليمن والعراقُ ومصر وقسطنطينية كما أخبر رسول الله ﷺ والبلادُ التي أخبر ﷺ أنها ستفتح ولم تفتح بعدُ ستفتح -إن شاء الله تعالى- كما أخبر ﷺ وذلك لأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، ولكن هذا الفتحُ يستدعي أن تعودَ الخلافة الراشدةُ إلى الأمة الإسلامية وهذا مما يبشرنا به ﷺ.

فيقول: «**تكون النبوةُ فيكم ما شاء اللهُ أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاءَ أن يرفعها، ثم تكونُ خلافةٌ على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون،**

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٢٥١٢)، والترمذي (٢٩٧٢)، وابن حبان (٤٦٩١)، والحاكم (٢/ ٩٤)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٢٩٩)، [«الصحيحة» (١٣)].

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٨٩٧).

ثم يرفعها إذا شاءَ أن يرفعها، ثم تكون مُلكاً عاضاً، فيكونُ ما شاء اللهُ أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون مُلكا جبرياً، فتكون ما شاء اللهُ أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكونُ خلافةٌ على منهاج النبوة، ثم سكت»[1].

- **عباد الله!** النصر والمستقبل للإسلام -إن شاء الله تعالى-، لأن هذا هو وعدُ رسولِ الله ﷺ كيف لا؟ وهو وعدُ الله في كتابه لعباده المؤمنين الصالحين الصادقين، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النور:٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات]، وقال تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾[الصف].
- **عباد الله!** يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة]. في هذه الآية يبشرُنا ربنا -جل وعلا- أن المستقبل للإسلام وبشرنا رسولنا ﷺ في سنته أن المستقبل لهذا الدين وأن النصر للإسلام والمسلمين ولو كره الكافرون ولو كره المشركون ولو كره المنافقون.

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ٢٧٣)، والطيالسي (٤٣٩)، [«الصحيحة» رقم (٥)].

- **عباد الله!** ولما قال الله -عز وجل-: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، جعل هناك أسباباً للنصر والتمكين فإذا أخذت الأمة الإسلامية بها نصرها الله -عز وجل ومكنها في الأرض ومنها:

أولاً: الإيمان الصادقُ والعقيدة الصحيحة والابتعاد عن كل مظاهر الشرك.

قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، ولقد سأل رجلٌ عالماً فقال له: يقول الله -عز وجل- ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، فأين النصر؟ فقال العالم: وأين المؤمنون الذين يستحقون النصر؟

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور:٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم]. ..

ثانياً: الاتحادُ والاعتصام وعدم التفرق والاختلاف.

قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران:١٠٣]، وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال]، وقال ﷺ: «**لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا**»[1] فهذا التحزب وهذه التنظيمات تضعف الأمة، ولكن على التوحيد والعقيدة الصحيحة نتحدُ.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٤٧٦).

ثالثاً: الدعاء والصلاة والإخلاص والصلاح في كل الأحوال.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء]، وقال ﷺ: «إنما ينصرُ اللهُ هذه الأمة بضعيفها؛ بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم»[1].

رابعاً: العمل الصالح والابتعاد عن المعاصي.

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور]، وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل:٩٧].

فالأعمال الصالحة سببٌ للحياة الطيبة التي فيها النصر على الأعداء، والمعاصي سببٌ للهزيمة وحياة الضنك، ففي غزوة أُحد وبسبب المعصية حُرم المسلمون النصر، قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران:١٦٥] وبالمعاصي يكون الضنك في المعيشة جزاءً وفاقاً، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه:١٢٤] بالمعاصي تكثر الأمراض وها أنتم تسمعون بأمراض لم تسمعوا بها من قبل مثل (الإيدز)، والسرطان، وانفلونزا الطيور، وهذا الضنك الذي نزل بنا إنما هو بسبب المعاصي.

(١) **صحيح**: أخرجه النسائي (٣١٧٨)، [«صحيح الجامع» (٢٣٨٤)].

خامساً: الاستعداد الإيماني والمادي.

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[الأنفال:٦٠].

- **فيا عباد الله!** النصر والتمكين لهذا الدين قادمٌ بنا أو بغيرنا لا شك في ذلك، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾[المائدة] وقال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾[محمد:٣٨]

اللهم رد المسلمين إلى دينك رداً جميلاً

٢٣

(١٠) الفرار إلى الله تعالى بمعرفةِ معجزات رسول الله ﷺ

عباد الله! انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة:٤٠] فنحن ما زلنا في صدد الحديث عن معجزات رسول الله ﷺ؛ نصرة لرسولنا، ودفاعاً عنه، ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

عباد الله! ومن معجزاته ﷺ إخبارُه عن بعض أمور الغيبِ التي ستقع في المستقبل ومنها:

إخبارهُ عن علامات الساعة

عباد الله! أمر الساعة من علم الغيب الذي لا يعلمهُ إلا الله، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الأحزاب]، وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الأعراف].

وقال ﷺ: «**مفاتح الغيب خمسٌ لا يعلمُهن إلا الله**»[1].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان].

وسُئلَ ﷺ عن الساعة فقال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**».

عباد الله! ومن رحمة الله بعبادهِ أن جعل للساعة علامات تدلُّ على اقترابها قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد:١٨] أي: فقد جاءت علاماتها.

- وقسم العلماءُ أشراط الساعة إلى قسمين:

القسم الأول: أشراط الساعة الصغرى.

القسم الثاني: أشراط الساعة الكبرى.

عباد الله! وكلامنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- سيكون عن **علامات الساعة الصغرى**.

عباد الله! علاماتُ الساعة الصغرى منها علامات ظهرت وانقضت ولم تعد، ومنها علاماتٌ ظهرتْ ولا تزالُ تظهر وتتكرر في الناس ومنها علاماتٌ لم تظهر بعدُ.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٦٩٧).

قال ﷺ لعوف بن مالك رضي الله عنه: «**اعدُدْ ستاً بين يدي الساعة: موتي، ثم فتحُ بيت المقدس، ثم مَوْتَان** -أي: موتٌ كثير- **يأخذُ فيكم كقُعاص الغنم** -وهو داءٌ يأخذ الأغنام فلا تلبث أن تموت- **ثم استفاضةُ المالِ حتى يُعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً، ثم فتنة لا يبقى بيتٌ من العرب إلا دخلتهُ، ثم هدنةٌ تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدِرُون، فيأتونكم تحت ثمانين غايةٌ، تحت كُلِّ غايةٍ اثنا عشر ألفاً**»[1].

فهذه علاماتٌ أخبر عنها رسول الله ﷺ تقعُ قبل قيام الساعة:

- موتُهُ صلواتُ الله وسلامهُ عليه.
- وفتح بيت المقدس على يدي الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة خمس عشرة للهجرة.
- وباء الطاعون -وهو طاعون عمواس- الذي وقع بالشام في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ثماني عشرة للهجرة ومات فيه جماعاتٌ من سادات الصحابة رضي الله عنهم أجمعين منهم معاذ بن جبل، وأبو عبيدة بن الجراح وغيرهم.
- استفاضة المال وهو كثرته وظهر ذلك في خلافة الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه عندما فتح المسلمون الفتوح العظيمة[2].

عباد الله! ومن علامات الساعة الصغرى:

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣١٧٦).

(٢) انظر «فتح الباري» (٦/ ٣٢١).

أولاً: إسنادُ الأمرِ إلى غير أهله.

- بينما النبي ﷺ في مجلسٍ يُحدِّثُ القومَ جاءه أعرابيٌّ فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يُحدِّثُ، فقال بعضُ القوم: سمع ما قال فكرِهَ ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع حتى إذا قضى حديثه قال: «**أين أُرَاهُ السائل عن الساعة؟**». قال: ها أنا يا رسول الله!

قال: «**فإذا ضُيعت الأمانة فانتظر الساعة**».

قال: كيف إضاعتُها؟

قال: «**إذا وسِّدَ الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**»[1].

أمة الإسلام: هل أسند الأمر إلى غير أهله؟ هل وضع الرجل غير المناسب في المكان المناسب؟ الجواب: نعم.

ثانياً: رفعُ الأمانة.

- يقولُ حذيفة رضي الله عنه: حدثنا رسولُ الله ﷺ حديثين قد رأيتُ أحدَهُما، وأنا أنتظر الآخر: حدثنا «**أن الأمانة نزلت في جَذْر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة**»، ثم حدثنا عن رفع الأمانة قال: «**ينامُ الرجلُ النومة فتُقبضُ الأمانة مِنْ قلبه، فيظلُ أثرُها مثل الوَكْتِ، ثم ينامُ النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرُها مثل**

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٩).

الـمَجْل، كجمرٍ دحرجته على رجْلِك فَنَفِطَ فتراهُ مُنْتَبِراً وليس فيه شيءٌ» ثم أخذ حصى فدحرجهُ على رجلِهِ «**فيصبحُ الناسُ يتبايعون، فلا يكادُ أحدٌ يؤدي الأمانة حتى يقال: إن في بني فلانٍ رجلاً أميناً، حتى يُقال للرجُلِ: ما أجلَدَهُ! ما أظرفه! ما أعقلهُ! وما في قلبه مثقالُ حبةٍ من خردلٍ من إيمان**» ولقد أتى عليَّ زمانٌ وما أُبالي أيُّكم بايعتُ: لئن كان مسلماً ليَرُدنَّهُ عليَّ دينُهُ، وإن كان نصرانياً أو يهودياً ليُردَّنه عليَّ ساعيهِ، وأمَّا اليومَ فما كنُتُ لأبايعَ منكم إلا فلاناً وفلاناً»[1] .

ثالثاً: من علامات الساعة الصغرى: أن ترى الحفاة العُراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان.

سأل جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رسولنا ﷺ فقال: «فأخبرني عن الساعة؟».

قال: «**ما المسئُول عنها بأعلم من السائل**».

قال: فأخبرني عن أماراتها.

قال: «**أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العُراة العالة رعاء الشاءِ يتطاولون في البنيان**» قال: ثم انطلق فلبثت ملياً ثم قال لي: «**يا عمر! أتدري من السائل؟**» قلتُ: الله ورسوله أعلم.

قال: «**فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**»[2] .

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٤٩٧)، ومسلم (١٤٣).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨، ٩، ١٠).

رابعاً: أن ترى الأمم الكافرة تتداعى على الأمة الإسلامية

قال ﷺ: «**يوشك الأممُ أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلَةُ إلى قصعتها**».

فقال قائل: ومن قلةٍ نحن يومئذ؟

قال: «**بل أنتم يومئذٍ كثيرٌ، ولكنكم غُثاءٌ كغثاء السيل، ولينزعنَّ اللهُ من صدور عدوِّكم المهابة منكم، وليقذفنَّ اللهُ في قلوبكُم الوهن**».

فقال قائلٌ: يا رسول الله! وما الوهنُ؟

قال: «**حبُّ الدنيا وكراهيةُ الموت**»(١).

وها هي الأمم الكافرة ينادي بعضها بعضاً: هلموا إلى خيرات بلاد المسلمين لنسيطر عليها!!

خامساً: ومن علامات الساعة الصغرى كثرةُ الفتن.

يقول ﷺ: «**إن بين يدي الساعةِ فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجلُ فيها مؤمناً، ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، القاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي فكسِّروا قِسيَّكُم، وقطعوا أوتاركم، واضربوا سيوفكم بالحجارة، فإن دُخِلَ على أحدٍ منكم بيتهُ فليكن كخير ابني آدم**»(٢).

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٢٩٧)، وأحمد (٥/ ٢٧٨)، وأبو نعيم (١/ ٢٣٩)، [«الصحيحة» (٩٥٨)].

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٢٥٩)، وابن ماجه (٣٩٦١)، وأحمد (٤/ ٤١٦)، [«صحيح الجامع» (٢٠٤٩)].

أي: إذا نزلت الفتنة ورأيت المسلمين يقتل بعضهم بعضاً فاكسر سيفك ولا تشارك في هذه الفتنة وابق في بيتك ومت مقتولاً ولا تمت قـاتلاً، ومـت مظلوماً ولا تمت ظالماً.

ويقـول ﷺ: «**بـادروا بـالأعمال فتنـاً كقطـع الليـل المظلـم، يـصبحُ الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا**»(1).

ويقول ﷺ: «**لا تقومُ الساعةُ حتى يَمُرَّ الرجُلُ بقبرِ الرجلِ فيقـول: يـا ليتني مكانهُ**»(2).

ويقول ﷺ: «**والذي نفسي بيده! لا تذهبُ الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرَّغُ عليه، ويقول: يا ليتني كنتُ مكان صاحب هذا القبر وليس بـه الدِّينُ إلا البلاءُ**»(3).

عباد الله! ومن الفتن كذلك: فتنة النساء، وفتنـة المـال، وفتنـة الأولاد، وفتنة القتل، وفتنة التكفير ... الخ.

عباد الله! ومن أعظم الأسباب التي تُوقع في الفتن قلـة العلـم، وكثـرة الجهل، وترك الإسلام، والإكثار من الذنوب والمعاصي وانتهاك الحرمـات، وتكفير المسلم لأخيه المـسلم بغـير ضـوابط شرعيـة، يقـول ﷺ: «**إن مـن أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويكثر الجهـل، ويكثـر الزنـا، ويكثـر شرب**

(1) **صحيح**: أخرجه مسلم (118).

(2) **صحيح**: أخرجه البخاري (7115)، ومسلم (157).

(3) **صحيح**: أخرجه مسلم (157).

الخمر، ويقلُ الرجالُ، ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيمُ الواحدُ» وفي رواية: «**يقل العلم، ويظهر الجهل**»(١).

ويقول ﷺ «**إن بين يدي الساعة الهرج**» قالوا: وما الهرج؟ قال: «**القتلُ، إنه ليس بقتلكم المشركين، ولكن قتل بعضكم بعضاً [حتى يقتلَ الرجلُ جاره، ويقتلُ أخاه، ويقتل عمه، ويقتل ابن عمه]** قالوا: ومعنا عقولنا يومئذ.

قال: «**إنه لتنزع عقولُ أهلِ ذلك الزمان، ويخلفُ له هباء من الناس، يحسب أكثرهم أنهم على شيء، وليسوا على شيء**»(٢).

ويقول ﷺ: «**والذي نفسي بيده، ليأتين على الناس زمانٌ لا يدري القاتل في أي شيء قَتَل، ولا يدري المقتول على أي شيء قُتل**»(٣).

وهذا ما يقع الآن فالقاتل يأتيه الأمر بالذهاب إلى المكان الفلاني ليفجر نفسه فيه وهو لا يدري لِمَ! إنما هي أوامر تأتيه من قادته!!

سادساً: من علامات الساعة الصغرى: كثرة الخسف والقذف والمسخ.

١ - يقول ﷺ: «**سيكون في آخر الزمان خسفٌ وقذفٌ ومسخ**» قيل: ومتى ذلك يا رسول الله؟ قال: «**إذا ظهرت المعازف والقينات، واستحلت**

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٨١، ٥٢٣١)، ومسلم (٢٦٧١).

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ٣٩١)، وابن ماجه (٣٩٥٩)، وابن حبان (٦٦٧٥)، [«الصحيحة» (١٦٨٢)].

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٠٨).

الخمرُ»[1]. فهل تسمع الموسيقى في كل بيت -إلا من رحم ربي- وهل ظهرت المغنيات؟ الجواب: نعم.

٢- ويقول ﷺ: «**ليبيتنَّ قومٌ من هذه الأمة على طعام وشرابٍ ولهوٍ، فيصبحوا قد مسخوا قردةً وخنازير**»[2].

٣- ويقول ﷺ: «**ليكونن من أمتي أقوامٌ يستحلون الحِرَ والحرير والخمر والمعازف، ولينزلن أقوامٌ إلى جنب علم** -هو الجبل العالي- **يروح عليهم**- وهو الراعي، إذ السارحة لا بد لها من حافظ -**بسارحة لهم**- هي الماشية التي تسرح بالغداة إلى راعيها- **يأتيهم يعني الفقير لحاجةٍ، فيقولون: ارجع إلينا غداً، فيبيّتُهم الله** -أي: يهلكهم ليلاً- **ويضع العلم**، -أي: يوقعه عليهم- **ويمسخ آخرين قِردةً وخنازير إلى يوم القيامة**»[3].

سابعاً: من علامات الساعة الصغرى اختلال المقاييس.

يقول ﷺ: «**سيأتي على الناس سنواتٌ خداعات، يُصدق فيها الكاذب، ويُكذّب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة**».

---

(١) صحيح: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٦/ ١٥٠)، [«صحيح الجامع» رقم (٣٦٦٥)].

(٢) حسن: أخرجه الطبراني في «المعجم الصغير» (١/ ٦٢)، [«الصحيحة» (١٦٠٤)].

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٥٥٩٠).

قيل: وما الرويبضة؟

قال: «**الرجل التافِهُ؛ يتكلم في أمر العامة**»[1].

ثامناً: ومن علامات الساعة الصغرى: التباهي بالمساجد.

- يقول ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد**»[2]. ألا نرى الناس كيف يتباهون بالمساجد؟!

تاسعاً: تسليمُ الخاصة، وفشُوَّ التجارة، وقطع الأرحام.

يقول ﷺ: «**إن بين يدي الساعة: تسليم الخاصة** -أي: لا يلقي الرجل التحية إلا على من بينه وبينه معرفة- **وفشو التجارة؛ حتى تعين المرأة زوجها على التجارة، وقطع الأرحام، وشهادة الزور، وكتمان شهادة الحق، وظهور القلم**»[3]. وإننا لنرى ذلك من بعض الفرق والجماعات فإذا كنت من حزبه ألقى عليك التحية وإلا فلا!

ويقول ﷺ: «**إن من أشراط الساعة، إذا كانت التحية على المعرفة**» وفي رواية: «**أن يُسلِّم الرجُلُ على الرجل لا يُسَلِّمُ عليه إلا للمعرفة**»[4].

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٤٠٣٦)، وأحمد (٢/ ٢٩١)، والحاكم (٤/ ٥١٢)، [«صحيح الجامع» (٣٦٥٠)].

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٤٩)، والنسائي (٦٨٩)، وابن ماجه (٧٣٩)، وأحمد (٣/ ١٣٤)، [«صحيح ابن ماجه» (٦١٠)].

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٤٠٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٠٤٩)، والحاكم (٤/ ١١٠)، [«الصحيحة» (٦٤٧)].

(٤) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٣٨٧)، والطبراني في «الكبير» (٩/ ٢٩٧)، [«الصحيحة» (٦٤٨)].

عاشراً: تسمية الخمر بغير اسمها.

يقول ﷺ: «**إن أول ما يكفأ -يعني: الإسلام- كما يُكفأُ الإناءُ -يعني: الخمر-**» فقيل: كيف يا رسول الله! وقد بيَّن اللهُ فيها ما بيَّن؟!

قال رسول الله ﷺ: «**يُسمُّونها بغير اسمها**»[(١)].

هل تسمعون أن الخمر يقال لها في أي مكان خمر؟!، لا، إنما يقال عنها المشروبات الروحية، وبذلك شربها الكثير بعد أن غيروا اسمها.

الحادي عشر: من علامات الساعة الصغرى: كثرة الزلازل.

- يقول ﷺ: «**لا تقوم الساعةُ حتى يُقبض العلم، وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج -وهو القتل القتل- حتى يكثر فيكم المال فيفيض**»[(٢)].

الثاني عشر: من علامات الساعة الصغرى: التسافد في الطريق.

يقول ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يتسافدُوا في الطريق تسافد الحمير**» قلت: إن ذلك لكائن؟ قال: «**نعم؛ ليكونن**»[(٣)].

---

(١) **حسن**: أخرجه الدارمي (٢٠٩٦)، والطبراني في «مسند الشاميين» (١/ ٤٢٥)، [«الصحيحة» (٨٩)].

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٠٣٦).

(٣) **صحيح**: أخرجه ابن حبان (٦٧٢٩)، والبزار (٦/ ٣٤٥)، [«الصحيحة» (٤٨١)].

والتسافد: هو أن يجامع الرجل المرأة على قارعة الطريق والناس ينظرون، ولكن هل هذا موجود الآن في السيارات وتحت الأشجار؟!

الجواب: نعم.

اللهم رد المسلمين إلى دينك رداً جميلاً

٢٤

(١١) الفِرار إلى الله تعالى بمعرفةِ معجزات رسول الله ﷺ

عباد الله! انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة:٤٠] فنحن مازلنا في صدد الحديث عن معجزات رسول الله ﷺ؛ نُصرةً لرسولنا ﷺ، ودفاعاً عنه ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

عباد الله! ومن معجزاته ﷺ: إخباره عن الفتن التي ستُبتلى بها الأمة الإسلامية في المستقبل ومنها:

•فتنة النساء.

قال ﷺ: «**ما تركت بعدي فتنةً هي أضرُّ على الرجال من النساء**»(١).

•فتنة المال والأولاد.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [التغابن].

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠).

وقال ﷺ: «**إن لكل أمةٍ فتنةٌ، وفتنة أمتي المال**»[1].

وقال ﷺ: «**إنَّ من مالِ الرجل فتنة، وفي زوجته فتنة، وولده**»[2] -أي: في ولده فتنة-.

•فتنة الكفار.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان:٢٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾ [البروج].

عباد الله! ورسُولنا ﷺ رحمةً بأمته يُخبرنا بالفتن التي ستبتلى بها الأمة إلى قيام الساعة، يقول عمرو بن أخطب رضي الله عنه: (صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر وصَعَدَ المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت العصرُ، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس فأخبرنا بما كان وبما هو كائنٌ، فأعلمُنا أحفظنا)[3].

ويقول حذيفة رضي الله عنه: (قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ما ترك شيئاً يكون في مقامهِ ذلك إلى قيام الساعة إلا حدَّث به حفِظَهُ من حفظه ونسيه من نسيه)[4].

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣٣٦)، وأحمد (٤/ ١٦٠)، والحاكم (٤/ ٣٥٤)، [«صحيح الجامع» (٢١٤٨)].

(٢) **صحيح**: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣/ ١٦٩)، [«صحيح الجامع» (٢١٣٧)].

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٨٩٢).

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٨٩١).

عباد الله! وهذه الفتن منها: فتنٌ كبيرةٌ شـديدةٌ مظلمـةٌ، ومنهـا صـغيرة خفيفة، قال ﷺ وهو يعُدُّ تلك الفتن: «**منهُنَّ ثلاثٌ لا يَكدن يـذرن شـيئاً، ومنهن فتنٌ كرياح الصيف، منها صغارٌ ومنها كبارٌ**»(١).

فهناك فتنٌ قد تُخرج الإنسان عن دينه، قال ﷺ: «**بادروا بالأعمال فتنـاً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمـسي كـافراً، أو يُمـسي مؤمنـاً ويصبح كافراً يبيع دينه بعَرَضٍ من الدنيا**»(٢).

وهناك فتنٌ تجعلُ الإنسان يتمنى الموت ليتخلص من البلاءِ، قال ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه، ويقول: يا ليتني كنتُ مكان صاحب هذا القبر وليس به الدِّينُ إلا البلاءُ**»(٣).

عباد الله! وأخبر النبي ﷺ أصحابَهُ بالفتنـة التـي تمـوجُ مـوجَ البحـر، وأخبرهم أن بينهم وبينها باباً يُكسَرُ كسراً ولا يفتحُ فتحاً، وأخبرهم أن هذا الباب هو عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه، وعمرُ رضي الله عنه كان يعرف ذلك.

عباد الله! تعالوا بنا لنعرف الخبرَ من أعلمِ الصحابةِ بالفتن، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه: حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

- يقول حذيفة رضي الله عنه: (والله إني لأعلمُ الناسِ بكل فتنة هـي كائنـةٌ، فـيما بيني وبين الساعةِ)(٤).

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٨٩١).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (١١٨).

(٣)**صحيح**: أخرجه البخاري (٧١١٥)، ومسلم (١٥٧).

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٨٩١).

- ويقول حذيفة أيضاً: (أخبرني رسولُ الله ﷺ بما هو كائنٌ إلى أن تقومَ الساعة، فما منهُ شيءٌ إلا قد سألتُهُ، إلا أني لم أسألْهُ: ما يُخرِجُ أهلَ المدينةِ من المدينة؟)(١).

- ويقول حذيفةُ أيضاً: (كان الناسُ يسألون رسولَ الله ﷺ عن الخير وكنتُ أسألهُ عن الشرِ مخافة أن يُدركني فقلتُ: يا رسول الله، إنَّا كنا في جاهليةٍ وشرٍّ فجاءنا اللهُ بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شرٍّ؟

قال: «**نعم**». قلت: وهل بعد ذلك الشرِّ من خيرٍ؟

قال: «**نعم وفيه دخنٌ**» قلتُ: وما دخنُهُ؟

قال: «**قومٌ يهدون بغير هَدْيي، تعرفُ منهم وتنكرُ**».

قلتُ: فهل بعد ذلك الخير من شرٍّ؟

قال: «**نعم دعاةٌ على أبواب جهنم من أجابَهُم إليها قذفوهُ فيها**».

قلت: يا رسول الله صِفهم لنا؟

قال: «**هم من جلدتنا** -أي: من قومنا ومن أهل لساننا- **ويتكلمون بألسنتنا**».

قلتُ: فما تأمُرُني إن أدركني ذلك؟ قال: «**تَلْزمُ جماعة المسلمين وإمامَهُم**».

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٨٩١).

قلت: فإن لم يكنُ لهم جماعةٌ ولا إمامٌ؟

قال: «**فاعتزل تلك الفِرق كُلَّها، ولو أن تعضُ بأصل شجرةٍ حتى يُدرِكك الموتُ وأنت على ذلك**»[1].

وها نحن نرى في هذا الزمان ممن هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا يخرجون على القنوات الفضائية وبكل جرأة يكذبون على الله وعلى رسوله ويقولون: يجب أن نسوي المرأة بالرجل، ويقولون: لا بأس للمسلمة أن تتزوج بالنصراني، وهذا حرام في ديننا، فالشرع سمح للمسلم أن يتزوج من النصرانية واليهودية لأن المرأة دائماً على دين زوجها، فهؤلاء دعاةٌ على أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها.

عباد الله! تعالوا بنا لنستمع إلى هذا اللقاء بين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبين حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أعلم الصحابة بالفتن.

• قال حذيفة رضي الله عنه: (كُنَّا جلوساً عند عمرَ رضي الله عنه فقال: أيكمُ يحفظُ قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفتنة ؟

فقلت: أنا كما قاله.

قال: إنك عليه أو عليها لجريء!

قلتُ: فتنة الرجل في أهلِ ومالِه وولدِهِ وجارِهِ تُكفِّرُها الصلاة والصوم والصدقة والأمر والنهي.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٠٨٤)، ومسلم (١٨٤٧).

قال: ليس هذا أُريدُ، ولكن الفتنة التي تموجُ كما يموج البحر.

قال: ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين! إن بينك وبينها باباً مغلقاً.

قال: أيكسَرُ أم يُفتحُ؟

قال: يُكسَرُ.

قال: إذاً لا يُغلَق أبداً.

قلنا: أكان عمر يعلم البابُ؟ قال: نعم، كما أنَّ دون غدٍ الليلة، إني حدَّثتُهُ بحديث ليس بالأغاليط.

فَهِبْنا أن نسألُ حذيفة فأمرنا مسروقاً فسأله فقال:الباب عمر [(١)].

عباد الله! عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه كان يعلمُ أنه هو البابُ الذي سيُكسرُ، وهذه من معجزاتهِ ﷺ حيث بشر عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه بالشهادة.

- يقول أنسٌ رضي الله عنه: إِن النبي ﷺ صعد أُحُداً وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم فقال: «**اثبت أُحد فإنما عليك نبيٌّ وصديقٌ وشهيدان**»[(٢)].

ولقد كان عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه يسأل ربهُ الشهادة فيقول: (اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك ﷺ)[(٣)].

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٢٥)، ومسلم (١٤٤).
(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦٧٥).
(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٨٩٠).

عمرُ بن الخطاب ﷺ وهو أمير المؤمنين لم ينس الموت فكان دائماً يتمثلُ بهذه الأبيات:

لا شيء مما ترى تبقى بشاشتهُ ... يبقى الإله ويفنى المالُ والولدُ
لم تغن عن هرمز يوماً خزائنه ... والخلدَ قد حاولت عاد فما خلدُوا
ولا سليمان إذ تجري الرياح له ... والإنس والجن فيما بينها تردُ
أين الملوك التي كانت لعزتها ... من كل أوب إليها وافد يفدُ
حوض هنالك موروُدٌ بلا كذب ... لابدَّ من ورده يوماً كما وردوا

عمرُ بن الخطاب ﷺ الذي كان يقول: (كلُّ يومٍ يُقالُ مات فلانٌ وفلان، ولا بدَّ من يوم يُقالُ فيه مات عمر)[1].

عباد الله! ويقتربُ كسر الباب-أي: عمرُ يقترب من الموت-.

عباد الله! قام عمر بن الخطاب ﷺ على المنبر يوم الجمعة، فحمدَ الله وأثنى عليه، ثم ذكر رسول الله ﷺ وذكرَ أبا بكرٍ ثم قال: رأيتُ رؤيا لا أراها إلا لحضور أجلي، رأيتُ كأن ديكاً نقرني نقرتين.

قال: وذُكِرَ لي أنَّهُ ديكٌ أحمرُ، فقصصتها على أسماء بنت عميس امرأة أبي بكر ﵂.

فقالت: يقتُلُكَ رجلٌ من العجم ...

---

(١) «حاشية رسالة المسترشدين» (ص١١١).

قال: فخطب الناس يوم الجمعة، وأُصيب يومَ الأربعاء[1].

عباد الله! الكلبُ يقتلُ الفاروقَ عمرَ رضي الله عنه.

عباد الله! الكلبُ هو أبو لؤلؤة المجوسيُّ وكان عبداً للمغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

قال عمرو بنُ ميمون رضي الله عنه: (إني لقائمٌ -أي: في الصف- ما بيني وبينه -أي: عمر- إلا عبدُالله بنُ عباسٍ، غداةَ أُصيبَ، وكان -أي: عمر- إذا مرَّ بين الصفين، قال: استووا، حتى إذا لم يَرَ فيهنَّ خَلَلاً تقدم فكبَّر، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى، حتى يجتمع الناسُ، فما هو إلا أن كبَّر، فسمعتهُ يقول: قتلني أو أكلني الكلبُ! حين طعنهُ.

فطار العلج -هو الرجلُ من كفار العجم- بسكين ذات طرفين، لا يمرُّ على أحدٍ يميناً ولا شمالاً إلا طعنه، حتى طعن ثلاثةَ عشر رجلاً، مات منهم سبعةٌ فلما رأى ذلك رجلٌ من المسلمين طرح عليه بُرْنساً، فلما ظنَّ العلج أنهُ مأخوذٌ نحر نفسهُ. وتناول عمرُ يدَ عبدالرحمن بن عوفٍ فقدَّمه -يعني للصلاة بالناس- فمن يلي عمر فقد رأى الذي أرى وأما نواحي المسجد فإنهم لا يدرون، غير أنهم قد فقدوا صوت عمر وهم يقولون: سبحان الله، سبحان الله، فصلى بهم عبدُالرحمن صلاةً خفيفة، فلما انصرفوا قال -أي:

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ١٥)، [«الموسوعة الحديثية»].

عمر-: يا ابن عباس! انظر من قتلني؟ فجال ساعة، ثم جاء فقال: غلامُ المغيرة؟قال -أي: عمر-: الصَّنَع؟-أي: الذي يعمل في الصناعة- قال ابن عباس: نعم. قال: قاتله اللهُ لقد أمرتُ به معروفاً، الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي بيد رجلٍ يدّعي الإسلام!..

فاحتمل إلى بيته فانطلقنا معه، وكأن الناسَ لم تُصبْهم مصيبةٌ قبل يومئذٍ، فقائلٌ يقول: لا بأسَ، وقائلٌ يقول: أخافُ عليه. فأُتي بنبيذٍ -أي: تمرات نبذت في الماء، أي: نقعت فيه- فشربه فخرج من جوفهِ، ثم أُتي بلبن فشربه فخرج من جُرحه، فعلموا أنه ميتٌ فدخلنا عليه، وجاء الناسُ فجعلوا يُثنون عليه...

ثم قال عمر: يا عبدالله بن عمر! انظر ما عليَّ مِنَ الدَّين، فحسبُوهُ فوجدوهُ ستة وثمانين ألفاً أو نحوه.

قال: إن وفى لهُ مالُ آل عمر فأدِّه من أموالهم، وإلا فسَلْ في بني عدي ابن كعب، فإن لم تَفِ أموالهم فسل في قريش، ولا تعدُهم إلى غيرهم، فأدِّ عني هذا المال، -ثم قال عمر-: انطلق إلى عائشة أمِّ المؤمنين فقلْ: يقرأُ عليك عمرُ السلام ولا تقل أمير المؤمنين، فإني لستُ اليوم للمؤمنين أميراً وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، فسَلَّم واستأذن، ثم دخل عليها فوجدها قاعدةً تبكي فقال: يقرأُ عليك عمرُ بن الخطاب السلام ويستأذنُ أن يدفن مع صاحبيه فقالت: كنتُ أُريدهُ لنفسي، ولأُوثرنَّ به اليوم على نفسي فلما أقبل قيل: هذا عبدُالله بنُ عمر قد جاء.

قال: -أي: عمر-: ارفعوني. فأسندهُ رجلٌ إليه فقال: ما لديك؟ قال: الذي تُحِبُّ يا أمير المؤمنين، أذِنتْ. قال عمر: الحمدُ لله، ما كان من شيءٍ أهمّ إليَّ من ذلك فإذا أنا قضيت فاحملوني، ثم سَلِّم فقلْ: يستأذنُ عمرُ بن الخطاب فإن أذنتْ لي فأدخلوني، وإن ردَّتني رُدَّني إلى مقابر المسلمين)[1].

فاستجاب الله دعوته وقتل شهيداً وهو يصلي بالمسلمين ودفن في مدينة رسول الله ﷺ بل ودفن مع رسوله ﷺ في غرفة عائشة.

عباد الله! وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: أنا آخركم عهداً بعمر رضي الله عنه دخلتُ عليه ورأسه في حجر ابنه عبدالله، فقال له: «ضع رأسي على الأرض».

فقال ابنُ عمر: «فهل فخذي والأرض إلا سواء»؟

فقال له عمر: «ضع رأسي بالأرض لا أمَّ لك» في الثانية أو في الثالثة وسمعتهُ يقول: «ويلي وويل أمي إن لم يغفر اللهُ لي» حتى فاضت -أي: روحه[2].

عباد الله! قال عمرو بن ميمون رضي الله عنه: (فلما قُبض -يعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه- خرجنا به فانطلقنا نمشي، فسّلم عبدُ الله بنُ عمرَ قال:

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٧٠٠).

(٢) ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٣٦٠)، وابن شبة في «تاريخ المدينة» (٣/ ٩١٩)، وإسنادهما صحيح، وابن عساكر أخرجه «تاريخ دمشق» (١٣/ ١٨٣) من طريق ابن سعد، وابن الجوزي «مناقب» (ص٢٣١)، و«التاريخ الإسلامي» (١٩/ ٤٤، ٤٥).

يستأذنُ عمر بن الخطاب، قالت عائشة ﵂: أدخلوه فأدخل فوضع هناك مع صاحبيه)[1].

أمة الإسلام! وهكذا انكسر الباب ودخلت الفتن التي تموج بالأمة موج البحر بعد مقتل عمر، ومقتل عثمان، وظهرت الخوارج وفرق الضلال وقتل علي ﵁ وتوالت الفتن على الأمة إلى يومنا هذا ولا نستطيع إلا أن نقول: حسبنا اللهُ ونعم الوكيل.

عباد الله! كيف ينجو المسلم من هذه الفتن التي تموج موج البحر؟

أولاً: عليه أن يلزم جماعة المسلمين وإمامهم، وجماعة المسلمين هي التي تكون على الحق، وهم الذين على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه لقوله ﷺ: «**وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملةً كلهم في النار إلا ملة واحدة**» قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه اليوم وأصحابي**».

فها هو أعلم الصحابة بالفتن يقول: يا رسول الله! فإن لم يكن لهم جماعةٌ ولا إمام؟ فيقول له ﷺ: «**فأعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**»[2].

ثانياً: إذا أردت أن تنجو من الفتن؛ فعليك أن تتمسك بالكتاب والسنة بفهم سلف الأمة.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٧٠٠).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٠٨٤)، ومسلم (١٨٤٧).

- يقول ﷺ: «**تركت فيكم شيئين، لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض**»[1].

ثالثاً: إذا أردت أن تنجو من الفتن؛ فعليك بعبادة الله عامة وقيام الليل خاصة -أي: عليك الالتجاء إلى الله بالعبادة-.

- يقول ﷺ: «**عبادةٌ في الهرج والفتنة كهجرة إليّ**»[2] فيه حضٌّ على الالتجاء إلى الله بالعبادة في وقت الفتن خاصة.

- وتقول أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ: استيقظ رسول الله ﷺ ليلةً فزعاً؛ يقول: «**سبحان الله! ماذا أنزل الله من الخزائن، وماذا أُنزل من الفتن؟ من يوقظ صواحب الحجرات يُريد أزواجه لكي يُصلين رُبَّ كاسيةٍ في الدنيا عارية في الآخرة**»[3].

رابعاً: إذا أردت أن تنجو من الفتن فعليك أن تلزم بيتك وتمسك لسانك.

- يقول ﷺ: «**إن بين أيديكم فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، القاعد فيها خيرٌ من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من**

(١) **صحيح**: أخرجه الحاكم (١/ ١٧٢)، [«صحيح الجامع» (٢٩٣٧)].
(٢) **صحيح**: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٢١٣)، [«صحيح الجامع» (٣٩٧٤)].
(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٠٦٩).

الساعي». قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «**كونوا أحلاس بيوتكم**»(١)، إذا نزلت الفتنة، فلا تكن رأساً فيها، ولا تسع إليها، ولا تمش بل كن حِلْسَ بيتك.

وقال رجلٌ: يا رسول الله! ما النجاة.

قال ﷺ: «**املك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك**»(٢).

خامساً: على المسلم إذا أراد أن ينجو من الفتن أن يلتجئ إلى الله بالدعاء وأن يستعيذ بالله من شر الفتن، فالدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، والله -عز وجل- أمرنا بالدعاء ووعدنا بالإجابة، ويخبرنا ربنا جل وعلا في كتابه عن موسى والذين آمنوا معه عندما فتنوا بفرعون عليه لعنه الله.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [يونس].

وقد علمنا النبي ﷺ أن نستعيذ من الفتن في كل صلاة، فقال: «**إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع؛ يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب**

---

(١) **صحيح لغيره**: أخرجه أبو داود (٤٢٦٢)، وأحمد (٤/ ٤٠٨)، والحاكم (٤/ ٤٨٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٧٤٢)].

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٤٠٦)، وأحمد (٥/ ٢٥٩)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٢٧٠)، [«صحيح الجامع» (١٣٩٢)].

جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال»[1].

اللهم احفظنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٣٧٧)، ومسلم (٥٨٨).

٢٥

(١٢) الفرار إلى الله تعالى بمعرفةِ معجزات رسول الله ﷺ

عباد الله! انطلاقاً من قوله -تعالى-: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة:٤٠] فنحن ما زلنا في صدد الحديث عن معجزات رسول الله ﷺ نصرةً لرسولنا ﷺ، ودفاعاً عنه، ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

عباد الله! ومن معجزاته ﷺ: إخباره عن الفتن التي ستُبتلى بها الأمة الإسلامية في المستقبل ومنها: **فتنة مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان** رضي الله عنه.

١ - فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: «كنتُ مع النبي ﷺ في حائطٍ من حيطان المدينة، فجاء رجلٌ فاستفتح، فقال النبي ﷺ: «**افتح له وبشِّرهُ بالجنة**» ففتحتُ له، فإذا أبو بكرٍ فبشرتُهُ بما قال النبي ﷺ، فحمد الله، ثم

جاء رجلٌ فاستفتح، فقال النبي ﷺ: «**افتح لهُ وبشِّرهُ بالجنة**» ففتحت له فإذ هو عمر فأخبرتهُ بما قال النبي ﷺ فحَمِدَ الله، ثم استفتح رجلٌ، فقال لي: «**افتح له وبشره بالجنة على بَلوى تُصيبهُ**». فإذا عثمان، فأخبرتهُ بما قال رسول الله ﷺ فحمد الله، ثم قال: الله المستعان»[1].

٢- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه: «**وَددْتُ أن عندي بعضَ أصحابي**» قلنا: يا رسول الله! ألا ندعُو لك أبا بكر؟ فسكت. قلنا: ألا ندعو لك عمر؟ فسكت. قُلنا: ألا ندعو لك عثمان؟ قال: «**نعم**» فجاء، فخلا به، فجعل النبي ﷺ يُكلِّمُهُ، ووجهُ عثمان يتغيرُ.

قال قيسٌ: فحدثني أبو سهلةَ مولى عثمان: أن عثمان بن عفان قال يوم الدار: إن رسول الله ﷺ عَهِدَ إليَّ عهداً، وأنا صائرٌ إليه.

وقال عليٌّ في حديثه: وأنا صابرٌ عليه.

قال قيسٌ: فكانوا يرونه ذلك اليوم[2].

٣- وعن ابن عمر قال: ذكر رسول الله ﷺ فتنة فقال: «**يُقتل هذا فيها مظلوماً**» لعثمان بن عفان رضي الله عنه[3].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦٩٣)، ومسلم (٢٤٠٣).

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (١١٣)، وأحمد (٦/ ٥١)، والحاكم (٣/ ١٠٦)، [«صحيح ابن ماجه» (٩١)].

(٣) **حسن الإسناد**: أخرجه الترمذي (٣٧٠٨)، [«صحيح الترمذي» (٢٩٢٥)].

٤- وعن كعب بن عجرة قال: ذكر رسول الله ﷺ فتنةً فقربها، فمر رجلٌ مقنعٌ رأسه -أي: مغطى رأسه- فقال رسولُ الله ﷺ: «**هذا يومئذٍ على الهدى**» فوثبتُ فأخذتُ بضبعيْ عثمان، ثم استقبلتُ رسول الله ﷺ فقلتُ: هذا؟ قال: «**هذا**»[1].

٥- وقال ﷺ لأصحابه: «**كيف تصنعون في فتنة تثورُ في أقطار الأرض كأنها صياصي بقر** -أي: قرونها-؟». قالوا: نصنع ماذا يا نبيَّ الله؟! قال: «**عليكم بهذا وأصحابه**».

قال -رجلٌ-: فأسرعتُ حتى عطفتُ إلى الرجل؛ قلتُ: هذا يا نبيَّ الله؟! قال ﷺ: «**هذا**»؛ فإذا هو عثمان بن عفان رضي الله عنه[2].

٦- ويقولُ أبو هريرة رضي الله عنه: إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنكم تلقون بعدي فتنةً واختلافاً**، أو قال: «**اختلافاً وفتنة**» فقال له قائلٌ من الناس: فمن لنا يا رسول الله؟ قال ﷺ: «**عليكم بالأمين وأصحابه**» وهو يشير إلى عثمان بذلك[3].

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٧٠٤)، وابن ماجه (١١١)، وأحمد (٤/ ٢٤٣)، [«صحيح ابن ماجه» (٨٩)].

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (٥/ ٣٣)، وابن حيان (٦٨٧٥)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٣١٦)، [«صحيح موارد الظمآن» (١٨٤١)].

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ٣٤٤)، والحاكم (٣/ ١٠٥-١٠٦)، [«الصحيحة» (٣١٨٨)].

٧- وتقول عائشة ﭬ: أرسل رسولُ الله ﷺ إلى عثمان بن عفان فأقبل عليه رسول الله ﷺ ... فكان من آخر كلام كلَّمه أن ضرب منكبيه وقال: «**يا عثمان! إن الله -عز وجل- عسى أن يُلبسَكَ قميصاً -وهي الخلافة- فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني، ثلاثاً**»(١).

- عثمانُ بن عفان ﭬ خليفة المسلمين الثالث بعد أبي بكر وعمر ﭭ.

- عثمان بن عفان ﭬ أحدُ العشرة المشهود لهم بالجنة.

- عثمان بن عفان ﭬ رجلٌ تستحي منه الملائكة.

قال ﷺ لعائشة ﭬ: «**ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة**»(٢).

- عثمان بن عفان ﭬ أشدُّ الناسِ حياءً بعد الأنبياء، قال ﷺ: «**أرحمُ أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمرُ، وأصدقهم حياءً عثمان ..**»(٣) الحديث.

- عثمان بن عفان ﭬ توفي رسول الله ﷺ وهو عنه راضٍ.

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٦/ ٨٦-٨٧)، [«صحيح الموارد» (١٨٤٢)]، [«الموسوعة الحديثية»].

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٤٠١).

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٧٩٠)، وابن ماجه (١٥٤)، وأحمد (٣/ ٢٨١)، والحاكم (٣/ ٤٧٧)، [«صحيح الجامع» (٨٩٥)].

- عثمان بن عفان رضي الله عنه هو من جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بألف دينار -حين جهز جيش العسرة- فنثرها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم يُقلبها في حجره ويقول: «**ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم**»[1] مرتين.
- عثمان بن عفان رضي الله عنه لم يشرب الخمر في الجاهلية ولا في الإسلام.
- عثمان بن عفان رضي الله عنه لم يزن في الجاهلية ولا في الإسلام، ومع كل ذلك تعلق البغاةُ الظلمة من المنافقين الخوارج بشبهاتٍ واستحلوا بها دمَ أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ! ولو أنهم فهموا الإسلام فهماً صحيحاً ما فعلوا ما فعلوه.

عباد الله! تعالوا بنا لنستمع إلى ما دار في هذا اللقاء بين عبدالله بن عمر رضي الله عنهما وبين واحد من هؤلاء.

(جاءَ رجلٌ منْ أهل مِصرَ حجَّ البيت، فرأى قوماً جلوساً، فقال: من هؤلاء القوم؟ فقالوا: هؤلاء قريش. قال: فمن الشيخُ فيهم؟

قالوا: عبدُالله بنُ عمر.

قال: يا ابن عمر! إني سائلك عن شيء فحدّثني، هل تعلمُ أن عثمان فرَّ يوم أُحدٍ؟ قال: نعم.

(١) **حسن**: أخرجه الترمذي (٣٧٠١)، والحاكم (٣/ ١١٠)، وأبو نعيم (١/ ٩٧)، [«صحيح الترمذي» (٢٩٢٠)].

قال: تعلمُ أنه تغيَّب عن بدرٍ ولم يشهد؟ قال: نعم.

قال: تعلمُ أنه تغيَّب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟ قال: نعم.

قال -الرجل-: الله أكبر -فرح لأنه ظن بأنه قد جاء بالدليل على تلك الشبهات التي تعلقت في رأسه-.

قال ابن عمر: تعالَ أُبيّن لك، أما فرارهُ يومَ أُحدٍ فأشهدُ أن الله عفا عنه وغفر له -يشير إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ [آل عمران]- وأمَّا تغيُّبهُ عن بدرٍ فإنه كانت تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة فقال له رسولُ الله ﷺ: «**إن لك أجر رجلٍ ممن شهد بدراً وسهمه**». وأما تغيبُهُ عن بيعة الرضوان، فلو كان أحدٌ أعزَّ ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول الله ﷺ عثمان، وكانت بيعةُ الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: «**هذه يدُ عثمان**» فضرب بها على يده! فقال: «**هذه لعثمان**» فقال ابن عمر: اذهب بها الآن معك)[1].

عباد الله! ومع أن تلك الشبهات -التي تمسك بها البغاةُ الظلمة- باطلةٌ فقد جاءوا من كل مكان بعد أن خرج المسلمون لأداء فريضة الحج وقد خلت المدينة من الصحابة وحاصروا أمير المؤمنين في دارهِ بالمدينة وطلبوا

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦٩٨).

منه أن يخلع نفسه من الخلافة وإلا قتلوه، فدخل عبدالله بن عمر على أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه يدْعَمُ موقِفَه لئلا يتنازلَ عن الخلافة، ويخلع نفسه تحت ضغط الحصار، وذلك مخافة أن يكون إسوةً لمن سيأتي بعده، فكلما كره ناسٌ أميرهم أو إمامهم خلعوه.

يقول نافع مولى ابن عمر: (دخل ابن عمر على عثمان وعنده المغيرة بن الأخنس -له صحبة- فقال: انظرْ ما يقولُ هؤلاء، يقولون: اخلعها ولا تقتلْ نفسك.

فقال ابن عمر: إذا خلعتها أمخلدٌ أنت في الدنيا؟ قال: لا.

قال: فإن لم تخلعها هل يزيدون على أن يقتلوك؟ قال: لا.

قال: فهل يملكون لك جنةً أو ناراً؟ قال: لا.

قال: فلا أرى أن تخلع قميصاً قمصكهُ الله فتكون سنةً كلما كره قومٌ خليفتهم أو إمامهم قتلوه)(1).

فرأى عثمان رضي الله عنه أن الخير في الصبر والثبات وأن يبيع نفسه بصلاح دينه، فجاد بنفسه لله ولدينه وللمسلمين ولذلك لما حُصِرَ قال الصحابة: يا أمير المؤمنين ألا تقاتل؟

---

(1) **إسناده صحيح**: أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٥١٥)، وأحمد في «فضائل الصحابة» (١/ ٤٧١).

قال: (لا، إن رسول الله ﷺ عَهِدَ إليَّ عهداً وإني صابرٌ نفسي عليه)(١).

وكان النبي ﷺ قد قال لعثمان رضي الله عنه: «**يا عثمان! إن ولّاك اللهُ هذا الأمر يوماً، فأرادك المنافقون أن تخلع قميصك الذي قمصك الله؛ فلا تخلعْهُ**» يقول ذلك ثلاث مرات(٢).

عباد الله! واستمر الحصار الظالمُ من البغاة الظلمة، ومنعوا عنه الماء ومنعوه أن يصلي في المسجد النبوي، وحدث عثمان رضي الله عنه أصحابه عن الذين حاصروه، فقال لهم: (ولم يقتلونني؟ سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**لا يحلُّ دم امرئٍ مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفرٌ بعد إسلام، أو زناً بعد إحصان، أو قتلُ نفسٍ بغير نفسٍ**»، فوالله ما زنيت في جاهلية ولا في إسلام قطُّ، ولا أحببتُ أن لي بديني بدلاً منذ هداني الله، ولا قتلتُ نفساً، فبم يقتلونني؟)(٣).

عباد الله! وطالما كان عثمان رضي الله عنه يُطلُّ على المحاصرين فيخطبهم ويذكرهم بمواقفه مع رسول الله ﷺ لعلهم يلينون، لكنهم لم يستجيبوا.

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٦/ ٥٢)، والحاكم (٣/ ١٠٦)، وأبو يعلى (٨/ ٢٣٤)، وقال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي في «التلخيص»: **صحيح**.

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٧٠٥)، وابن ماجه (١١٢)، وأحمد (٦/ ٨٦)، وابن حبان (٦٨٧٦) [«صحيح ابن ماجه» (٩٠)].

(٣) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٥٠٢)، والترمذي (٢١٥٨)، والنسائي (٤٠١٩)، وأحمد (١/ ٦١)، [«صحيح أبي داود» (٣٧٧٨)].

عن أبي عبدالرحمن السُلمي قال: (لما حُصِرَ عثمان وأُحيط بداره؛ أشرف على الناس فقال: نشدتكم بالله؛ هل تعلمون أن رسول الله ﷺ حين انتفض بنا حراءُ قال: «**اثبت حراء! فما عليك إلا نبيٌّ، أو صديقٌ أو شهيدٌ**»؟! قالوا: اللهم! نعم.

قال: نشدتكم بالله؛ هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال في غزوة العسرة: «**من ينفق نفقة متقبلةٌ؟**» والناس يومئذٍ معسرون مجهدون، فجهزتُ ثلث ذلك الجيش من مالي؟! فقالوا: اللهم! نعم. ثم قال: نشدتكم بالله؛ هل تعلمون أنَّ (رومة) لم يكنْ يُشربُ منها إلا بثمن، فابتعتها (بمالي، فجعلتها) للغني والفقير وابن السبيل؟! قالوا: اللهم! نعم)(١). ذكّرهم بكل ذلك لتلين قلوبهم، فما لانت، وشددوا الحصار عليه.

- وعن ثُمامةَ بن حزن القُشيري قال: (شهدتُ الدار، حين أشرف عليهم عثمان، فقال: ائتوني بصاحبيكم اللذين ألّباكم عليَّ؟

قال: فجيء بهما فكأنهما جملان، أو كأنهما حماران، قال: فأشرف عليهم عثمان. فقال: أنشُدكم بالله والإسلام، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس بها ماءٌ يُستعذبُ غير بئر رُومة، فقال رسول الله ﷺ: «**من يشتري بئر رُومة فيجعل دلوَهُ مع دِلاء المسلمين، بخير لهُ منها في الجنة**»

---

(١) **صحيح لغيره**: أخرجه الترمذي (٣٦٩٩)، وابن حبان (٦٨٧٧)، [«صحيح موارد الظمآن» (١٨٤٤)].

فاشتريتها من صلب مالي، فأنتم اليوم تمنعوني أن أشرب منها، حتى أشرب من ماء البحر. قالوا: اللهم نعم.

فقال: أنشدُكُم بالله والإسلام، هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**من يشتري بُقعة آل فُلان فيزيدُها في المسجد بخيرٍ له منها في الجنة**» فاشتريتها من صُلب مالي فأنتم اليوم تمنعوني أن أصلي فيها ركعتين. قالوا: اللهم نعم.

قال: أنشدكم بالله وبالإسلام، هل تعلمون أني جهزتُ جيش العُسرة من مالي؟ قالوا: اللهم نعم.

ثم قال: أنشدكم بالله والإسلام، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ كان على ثَبير مكة ومعه أبو بكر، وعمر وأنا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض، قال: فركضه برجله فقال: «**اسكن ثبيرُ فإنما عليك نبيٌّ وصديق وشهيدان؟**». قالوا: اللهم نعم.

قال: الله أكبر، شهدوا لي وربِّ الكعبة: أني شهيدٌ ثلاثاً)[(١)].

عباد الله! وقُبيل مقتله رأى أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه في المنام اقتراب أجله فاستسلم لأمر الله.

---

(١) **حسن**: أخرجه الترمذي (٣٧٠٣)، والدارقطني (٤/ ١٩٦)، [«صحيح الترمذي» (٢٩٢١)].

- روى الحاكمُ بإسناد صحيح إلى ابن عمر أن عثمان أصبحَ فحدث فقال: إني رأيت النبيَّ ﷺ في المنام الليلة فقال: «**يا عثمان أفطرْ عندنا**» فأصبح عثمان رضي الله عنه صائماً فقُتلَ من يومه[1].

عباد الله! ويتسورُ الظلمةُ البغاةُ الخوارج على أمير المؤمنين داره وتتوزع سيوفهم دماءه الطاهرة، وهو يقرأ كتاب الله فكانت أول قطرةٍ قطرتْ من دمه على هذه الآية: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ١٣٧﴾ [البقرة] فما مات منهم رجلٌ سويّاً[2].

فإن الله -عز وجل- لم يهمل الظالمين بل أذلهم وأخزاهم وانتقم منهم فلم ينج منهم أحد، كيف لا والنبي ﷺ يقول: «**إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**» قال: ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ١٠٢﴾[3] [هود].

عباد الله! إنها فتن وراءها ابن سبأ اليهودي الذي مثّل الدخول في الإسلام وباسم الإسلام، عمل على هدم الإسلام، وفي عصرنا هذا يدخل اليهود في الإسلام وباسم الإسلام، يشعلون الفتن بين المسلمين، إما بين الأحزاب والطوائف وإما بين الدول فتكون الحرب بينهم.

---

(١) **صحيح**: أخرجه الحاكم (٣/ ١١٠)، وابن أبي شيبة (٦/ ١٨١)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي في «التلخيص»: **صحيح**.

(٢) **إسناده صحيح**: «فضائل الصحابة» (١/ ٥١).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣).

- وهذا رجل يطوف حول الكعبة بعد مقتل عثمان من هؤلاء البغاة فيقول: اللهم اغفر لي ولا أظن أنك تغفر لي فقال له رجل: ما هذا الدعاء يا عبدالله! فقال له: لقد نذرت إن قدرتُ على عثمان أن ألطمه بيدي، فلما قُتِلَ عثمان ودخل الناس يصلون عليه وهو على سريره فالتمستُ خلوة فكشفت عن وجهه بعد موته ولطمته على وجهه فيبست يدي –أي: شلت–.

عباد الله! فهذا الرجل شل الله يده لأنه لطم عثمان بعد موته، فما ظنكم بمن سلَّ سيفه وقتل عثمان؟! قتلوه قتلهم الله.

عباد الله! انكسر الباب كما سمعتم بالجمعة الماضية وقتل عمر، وعمر كان هو ذلك الباب وقد أخبر النبي ﷺ بذلك وفتحت الفتن بعد ذلك على الأمة، وهذه الفتنة –مقتل عثمان رضي الله عنه– كانت الفتة الأولى بتأليب من ابن سبأ اليهودي قاتله الله.

عباد الله! ولكن ما هي الحكمةُ من إخبارهِ ﷺ بوقوعِ مثل هذه الفتن في الأمة؟ الجواب:

أولاً: أن هذا الإخبار من معجزاته ﷺ ليزداد الذين آموا إيماناً وليعلم الجميع أن محمداً ﷺ رسول الله حقاً وصدقاً، لأن هذا الذي أخبر به النبي ﷺ من علم الغيب الذي لا يعرفه إلا نبيٌّ بوحي من الله، كما قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ [الجن:٢٦-٢٧].

ثانياً: أن الفتنة -وهي الامتحان والابتلاء- سنة الله عز وجل في الأمم، وفي هذه الأمة إلى قيام الساعة، وهي فتنٌ كقطع الليل المظلم، عمياء صماء بكماء، من سعى فيها هلك في الدنيا والآخرة، ومن كف يدهُ أفلح، لا يكادُ يُبصرُ فيها أحدٌ موقفهُ إلا من أحياهُ الله بالعلم وزوده بالتقوى، وهداهُ إلى ما اختلفُ فيه من الحق بإذنه.

قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿الم ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت]. فكم من إنسان ابتلي فسجن وهو لا يعلم سنة الله في خلقه من الابتلاء فخرج من سجنه وهو إما أن يكفر المسلمين، وإما أن يكفر المجتمعات الإسلامية ولم يصبر على سنة الابتلاء.

ثالثاً: أن النبي ﷺ عندما كان يذكر مثل هذه الفتن والوقائع إنما كان يريد أن يربي الأمة على الاستعداد لها، حتى تحسن التصرف يوم أن تقع هذه الفتن فتسعى إلى علاجها في وقتها.

رابعاً: إن في هذه الأحاديث إشارات إلى من يثيرون الفتن، وإلى أن هذه الفتن تكون أحياناً من قوم يظهرون الإيمان والتشدد، ولكن عقولهم منحرفة وقلوبهم ملتوية، وهم في جملة حالهم غير مدركين ولا فقهاء.

خامساً: أن هذه الفتن تكشف المنافقين، وتصقل قلوب المؤمنين، فيزدادون إيماناً ويتحفزون للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

فبالابتلاء تصقل النفوس فتعرف الخير وتأمر به، وتعرف الشر فتنهى عنه.

سادساً: إن الإخبار عن هذه الفتن يحمل في مضمونه تحذيراً شديداً من الوقوع فيها أو ملابسة شيء منها، وذلك حتى لا نساهم فيها ولا نشارك فيها، فاحذر يا عبد الله أن تكون رأساً في الفتنة فتندم، فقد ثبت أن رجلاً تكلم فوق المنبر على عثمان رضي الله عنه وأثار الناس عليه، ولكنه لم يخطر بباله أن الفتن تصل إلى مقتل عثمان، فندم حتى لقي الله.

فاحذر أن تثير الناس على ولاة الأمر، فإن ذهب ولاة الأمر وحل الخوف في البلاد فلن تستطيع أن تصلي في المسجد ولن تأمن على نفسك ولا على زوجتك ولا على مالك فالأمن نعمة حث الإسلام على حفظها، فاحذروا أن تكونوا فتنة وسبباً لذهاب الأمن عن المسلمين.

يقول ﷺ: «**إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً، ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، القاعد فيها خيرٌ من القائم، والقائم فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي، فكسِّروا قسيَّكم، وقطعوا أوتاركم، واضربوا سيوفكم بالحجارة فإن دُخل على أحدٍ منكم بيتهُ فليكن كخير ابني آدم**»[1].

نسأل الله العظم ربي العرش العظيم أن يحفظنا وبلاد المسلمين من الفتن

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٢٥٩)، وابن ماجه (٣٩٦١)، وأحمد (٤/ ٤١٦)، [«صحيح الجامع» (٢٠٤٩)].

٢٦

(١٣) الفرار إلى الله تعالى بمعرفة معجزات رسول الله ﷺ

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠﴾ [الذاريات] في هذه الآية يأمرُ ربنا -جل وعلا- عبادَهُ جميعاً أن يفروا إليه: من الكفر إلى الإيمان، ومن الشرك إلى التوحيد، ومن المعاصي إلى الطاعات، ومن الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الهدى، ومن البدعة إلى السنة.

عباد الله! والفرار كما قلنا نوعان: فرارُ السعداء وفرارُ الأشقياء، فالأشقياء يفرون من الله إلى غيره وأولئك خابوا وخسروا؛ فأين المفر والإله الطالبُ؟! والسعداءُ يفرون من الله إلى الله لأنهم علموا وأيقنوا أنه لا ملجأ من الله إلا إليه.

عباد الله! لما حاول بعض الأشيقاءُ أن ينالوا من شخص رسول الله ﷺ فرَّ السعداءُ إلى الله -تعالى- لنصرةِ المصطفى ﷺ انطلاقاً من قوله -تعالى-: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة:٤٠].

عباد الله! ومن نصرتنا للمصطفى ﷺ أن نتعرف على معجزاته ليـزداد الذين آمنوا إيماناً، وليعلم الجميع أن محمداً ﷺ هو رسول الله حقاً وصدقاً.

عباد الله! ومن معجزاته ﷺ إخبارهُ عن الفتن التي ستُبتلى بها الأمة الإسلامية في المستقبل ومنها: إخبارُهُ ﷺ عن فتنة الخوارج ومقتل عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

عباد الله! (الخوارج فرقةٌ ضالةٌ، ومذهبهم رديءٌ باطلٌ، وهم خارجون عن منهج أهل السنة والجماعة، وإن كنا لا نرى كفرهم ولا تكفيرهم)[1].

(لم يختلف العلماء -قديماً وحديثاً- في أن الخوارج قومُ سوءٍ، عصاةٌ لله -تعالى- ولرسوله ﷺ، وإن صلوا وصاموا واجتهدوا في العبادة، فليس ذلك بنافع لهم)[2]، و(الخوارج ظهروا في الفتنة وكفَّروا عثمان وعلياً رضي الله عنهما ومن والاهما، وباينوا المسلمين في الدارِ، وسموا دارهم دار الهجرة، وكانوا كما وصفهم النبي ﷺ: يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان وكانوا أعظم الناسِ صلاةً وصياماً وقراءة)[3].

عباد الله! أول البدع ظهوراً في الإسلام، وأظهرها ذماً في السنة والآثار: بدعة الحرورية المارقة -وهم الخوارج-؛ فإن أولهم قال للنبي ﷺ في

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٣/ ٢٨٢) و(٧/ ٢١٧).

(٢) «الشريعة» (١/ ٣٢٥-٣٢٦).

(٣) «النبوات» (١/ ٥٧١-٥٧٢).

وجهه: اعدلْ يا محمد! فإنك لم تعدلْ. وأمر النبيُّ ﷺ بقتلهم وقتالهم، وقاتلهم أصحاب النبي ﷺ مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵁، وجاءت الأحاديث الكثيرة في وصفهم وذمهم والأمر بقتالهم والتحذير منهم، ومنها:

١- قال عليٌّ ﵁: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**سيخرج في آخر الزمان** -وذلك في آخر الخلافة الراشدة لأنهم أول ما ظهروا، ظهروا في عهد علي بن أبي طالب- **قومٌ أحداثُ الأسنان** -أي: صغار السن- **سُفهاءُ الأحلام** -أي: ضعفاء العقول- **يقولون مِن خير قول البرية** -كقولهم: لا حكم إلا لله- **يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة**»[(١)].

٢- قال ﷺ: «**سيكون في أمتي اختلافٌ وفرقةٌ، قومٌ يُحسنون القيل** -أي: القول- **ويسيئون الفِعلَ، يقرؤون القرآن لا يُجاوز تراقيهم يمرقون من الدين مُروق السهم من الرَّمية، لا يرجعون حتى يرتدّ على فُوقهِ** -موضع وقوع الوتر من السهم- **هم شرارُ الخلق والخليقة، طُوبى لمن قتلهم وقتلوه، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء، من قاتلهم كان أولى بالله منهم، سيماهُمُ التحليقُ**»[(٢)].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٩٣٠)، ومسلم (١٠٦٦).

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٧٦٥)، وأحمد (٣/ ٢٢٤)، والحاكم (٢/ ١٦١)، [«صحيح الجامع» (٣٦٦٨)].

٣- يقول أبو سعيد الخدري: بينما نحنُ عند رسول الله ﷺ وهو يقسِمُ قسماً، أتاهُ ذُو الخويصِرة وهو رجلٌ من بني تميم، فقال: يا رسول الله! اعْدِلْ -اعترض على قسمة رسول الله- قال رسولُ الله ﷺ: «**ويلك! ومن يعدلُ إذا لَمْ أعدِلْ؟ قد خبت وخسِرت إن لَم أعدِلْ**».

فقال عمر بنُ الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله! ائذن لي فيه أضربْ عُنُقَهُ. قال رسول الله ﷺ: «**دَعْهُ، فإن لهُ أصحاباً يحقرُ أحدُكمْ صلاتَهُ مع صلاتهم، وصيامهُ مع صيامهم، يقرءون القُرآن لا يجاوزُ تراقيهُم، يمرقون من الإسلام كما يمرُقُ السهمُ من الرَّمية .. آيتُهُم رجلٌ أسودُ إحدى عَضُدَيهِ مِثلُ ثدي المرأةِ، أو مِثلُ البضعةِ تدردَرْ** -أي: قطعة لحم ترتج- **يخرجون على حين فُرقةٍ مِنَ الناس**» -أي: افتراق-.

قال أبو سعيد: فأشْهَدُ أني سَمِعتُ هذا مِن رسول الله ﷺ، وأشهدُ أنَّ علي بن أبي طالبٍ رضي الله عنه قاتلهمُ وأنا معهُ فأمَرَ بذلك الرجلِ فالتُمِسَ، فوجد، فأُتِيَ به حتى نظرتُ إليه، على نعتِ رسول الله ﷺ الذي نَعتَ»[1].

٤- يقولُ أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: بعثَ عليٌّ رضي الله عنه وهو باليمن بذهبةٍ في تُرْبتها إلى رسول الله ﷺ فقسَمَها رسولُ الله ﷺ بين أربعةِ نفر ... فجاء رجلٌ كثُّ اللحية، مُشرِفُ الوجنتين، غائرُ العينين، ناتئُ الجبين محلوقُ الرأس، فقال: اتق الله يا محمدُ!

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤).

قال: فقال رسول الله ﷺ: «**فمَن يُطع الله إن عصيتُهُ! أيأْمَنُني على أهـلِ الأرض ولا تأمَنُونيَ؟**».

قال: ثم أدبر الرجلُ، فاستأذن رجلٌ من القومِ في قتله -يرون أنه خالـدُ ابن الوليد- فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ مِنْ ضِئْضئِ هذا قوماً يقرءون القرآن لا يجاوزُ حناجرهم، يقتلون أهلَ الإسلام، وَيدَعونَ أهل الأوثان، يمرقـون من الإسلام كما يمرقُ السهمُ من الرَّميةِ، لئن أدرَكتُهُم لأقتلَّنهُم قتل عادٍ**»[1].

٥- وقال ﷺ: «**يخرجُ في هذه الأمة -ولم يقل منها- قومٌ تحقرون صـلاتكم مـع صـلاتهم، فيقـرأون القـرآن لا يجـاوز حلـوقهم -أو حنـاجرهم- يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية**»[2].

٦- وقال ﷺ: «**إنَّ ناساً من أمتي سيماهم التحليق يقرأون القرآن لا يجـاوزُ حلوقهم يمرقون من الدين كما يمرقُ السهم من الرمية هـم شر الخلـقِ والخليقة**»[3].

٧- وقال ﷺ: «**تمرقُ مارقةٌ -وهم الخـوارج- عنـد فُرْقـةٍ مـن المـسلمين، يقتُلها أولى الطائفتين بالحق**»[4].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٩٣١)، ومسلم (١٠٦٤).

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٥/ ١٧٦)، ومسلم (١٠٦٧)، [«صحيح الجامع» (٢٢٤٠)].

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٠٦٥).

٨- وقـال ﷺ: «ينـشأ نـشءٌ -أي: أحـداثٌ- يقـرؤون القـرآن لا يُجـاوز تراقيهم كلما خرج قَرْنٌ قُطع حتى يخرج في أعراضهم الـدجال»(١). وفي هذا دليلٌ على أن الخوارج لم تقم لهم قائمة ولن تقوم.

٩- وقال ﷺ: «**الخوارج كلاب النار**»(٢).

عباد الله! ومن أهم صفات الخوارج الذميمة التي كـانوا بهـا منحـرفين عن سبيل المؤمنين وعن منهج رسول رب العالمين:

أولاً: الغلو في الدين.

عباد الله! الخوارجُ من أشد الناس اجتهاداً في العبادة، يقول النبـي ﷺ في وصفهم: «**يخرجُ فيكمُ قومٌ تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مـع صيامهم، وعملكم مـع عملهـم، ويقـرءون القـرآن لا يُجـاوز حنـاجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**»(٣).

- وقال ابن عباس رضي الله عنهما في وصـفهم حيـنما دخـل علـيهم لمنـاظرتهم: (أتيت قوماً لم أر أشدَّ اجتهاداً منهم مسهمة وجوههم من السهر كـأن

(١) **حسن**: أخرجه ابن ماجه (١٧٤)، [«الصحيحة» (٢٤٥٥)].

(٢) **صـحيح**: أخرجـه ابـن ماجـه (١٧٣)، والطـبراني في «الكبـير» (٨/ ٢٧٠)، وفي «الأوسـط» (٩/ ٤٢)، وفي «الصغير» (٢/ ١١٧)، [«صحيح ابن ماجه» (١٤٣)].

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٠٥٨).

أيديهم وركبهم ثفن -أي: رُكب الإبل-، عليهم قمص مرحضةٌ -أي: مغسولةٌ-)(١).

- ويقول جُندب الأزدي: (لما عدِلنا إلى الخوارج ونحن مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه فانتهينا إلى معسكرهم، فإذا لهم دوي كدوي النحل من قراءة القرآن)(٢)، فهم أهل صيام وصلاةٍ وتلاوةٍ للقرآن، لكنهم تجاوزوا حدَّ الاعتدال إلى درجة الغلو والتشدد، حيث قادهم هذا التشددُ إلى مخالفة قواعد الإسلام بما تُمليه عليهم عقولُهم، كقولِهم بتكفير صاحب الكبيرة، بل ومنهم من بالغ في ذلك حتى على كلِّ من ارتكب ذنباً من الذنوب ولو كان صغيراً؛ فإنه في نظرهم كافرٌ مشركٌ مخلدٌ في النار، وكان من نتيجة هذا التشدد الذي خرج بهم عن حدود الدين وأهدافه السامية، أن كفّروا كلَّ من لم ير رأيهم من المسلمين، ورموهم بالكفر أو النفاق، حتى إنهم استباحوا دماء مخالفيهم (٣).

عباد الله! ولذلك جاء الإسلام يحذر من الغلو في الدين، قال صلى الله عليه وسلم:

(١) **إسناده حسن**: اخرجه الحاكم (٢/ ١٦٤)، والبيهقي في «السنن» (٨/ ١٧٩)، وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، قال الذهبي في «التلخيص»: على شرط مسلم.

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤/ ٢٢٧).

(٣) انظر «تاريخ الخلفاء الراشدين» (٤/ ٦٩٨) الدكتور علي الصلابي.

«إياكم والغُلوَّ في الدين؛ فإنما هلك من كان قبلكم بالغلوِّ في الدين»[1]، وقال ﷺ: «**هلك المتنطعون**» قالها ثلاثاً[2].

ثانياً: الجهل بالدين.

عباد الله! إن مِنْ كبرى آفاتِ الخوارج صفة الجهل بالكتاب والسنةِ، وسوءُ فهمهم وقلة تدبرهم، وعدم إنزالهم النصوص منازلها الصحيحة، حتى لقد كان ابنُ عمر يراهم من شرار خلقِ الله، وقال: (إنهم انطلقوا إلى آياتٍ نزلت في الكفارِ، فجعلوها على المؤمنين)[3].

ومن جهالاتهم الشنيعة: (أنهم وجدوا عبدالله بن خباب رضي الله عنه ومعه أم ولده حُبلى، فناقشوه في أمورٍ، ثم سألوه رأيه في عثمان وعليٍّ رضي الله عنهما فأثنى عليهما خيراً، فنقموا عليه، وتوعدوه بأن يقتلوه شرَّ قِتْلةٍ، فقتلوه، وبقروا بطن المرأة)[4].

(ومرَّ بهم خنزيرٌ لأهل الذمة فقتله أحدُهم، فتحرجوا من ذلك وبحثوا عن صاحب الخنزير وأرضوه في خنزيره! فيا للعجب! أتكون الخنازير أشد

---

(١) **صحيح**: أخرجه النسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، وأحمد (١/ ٢١٥)، وابن خزيمة (٢٨٦٧)، [«صحيح الجامع» (٢٦٨٠)].

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٦٧٠).

(٣) انظر «ظاهرة الغلو في الدين» (ص١١٤).

(٤) «تلبيس إبليس» (ص٩٣).

حرمة من المسلمين عند أحدٍ يدعي الإسلام)[1]، لكنها عبادةُ الجهال، التي أملاها عليهم الهوى والشيطان.

ثالثاً: التكفير بالذنوب واستحلالُ دماء المسلمين وأموالهم.

فمرتكبُ الكبيرة عندهم كافرٌ مخلدٌ في النار، ومرتكب الكبيرة عند أهل السنة والجماعة في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له ولا يقولون بخلوده في النار.

رابعاً: الخروج على ولاة الأمر ونزع يد الطاعة.

خامساً: الطعن والتضليلُ لأئمة الهدى.

سادساً: سوءُ الظن في العلماء والأمراء.

عباد الله! وهذه الصفات الذميمة للخوارج تظهر لنا من خلال السماع لهذا اللقاء الذي كان بين عبدالله بن عباسٍ رضي الله عنهما وبين الخوارج الذين خرجوا على عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

عباد الله! بعد قضية التحكيم التي كانت بين عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه ومعاوية رضي الله عنه تعلق الخوارج ببعض الشبهات الباطلة فذهب إليهم عبدُالله بن عباس رضي الله عنهما وردَّها عليهم فرجع من رجع وبقي من بقي منهم في ضلاله.

(١) «فتح الباري» (١٢/ ٢٨٥).

عباد الله! تعالوا إلى ابن عباسٍ رضي الله عنهما يُخبرنا الخبر:

يقولُ ابن عباسٍ رضي الله عنهما: (لما خرجتْ الحروريةُ -وهم الخوارج- اعتزلوا في دار وكانوا ستة آلافٍ. فقلتُ لعليٍّ رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين! أبردْ بالظهر لعلي آتي هؤلاء القوم فأكلمهُم. قال: إني أخافُ عليك، قلتْ: كلا. قال: فلبست وترجلت ودخلت عليهم في دار نصف النهار وهم يأكلون، فسلمتُ عليهم فقالوا: مرحباً بك يا ابن عباس -ولم يردوا عليه السلام- فما جاء بك؟

قلتُ لهم: أتيتكمُ من عندِ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار ومن عند ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وصهره وعليهم نزل القرآن فهم أعلم بتأويله منكم، وفيهم أنزل وليس فيكم منهم أحدٌ؛ لأبلغكم ما يقولون وأبلغهم ما تقولون، فانتحى لي نفر منهم.

قلت: هاتوا ما نقمتم على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه؟

قالوا: ثلاث. قلتُ: وما هنَّ؟

قالوا: أما إحداهنَّ فإنه حكَّمَ الرجالَ في أمر الله، وقال الله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام:٥٧] ما شأن الرجالِ والحكم؟ فقلتُ: هذه واحدةٌ.

قالوا: وأما الثانية فإنه قاتل ولم يَسْبِ ولم يغنم، إن كانوا كفاراً لقد حل سبيهم، ولئن كانوا مؤمنين ما حل سبيهم ولا قتالهم؟ قلتُ: هذه ثنتان، فما الثالثة؟

قالوا: إنه محى نفسهُ من أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين.

قلت: هل عندكم شي غير هذا؟ قالوا: حسبنا هذا.

فقلتُ لهم: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله ومن سنة نبيه ﷺ ما يُردُّ قولكم أترضون؟ قالوا: نعم.

قلتُ: أما قولكم حكَّم الرجال في أمر الله، فإني أقرأ عليكم في كتاب الله أن قد صير حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم في أرنب ونحوها من الصيد، فأمر الله تبارك وتعالى أن يحكموا فيه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة: ٩٥] الآية. فنشدتُكم بالله تعالى أحكمُ الرجالِ في أرنبٍ ونحوهما من الصيد أفضل، أم حكمهُم في دمائهم وصلاح ذات بينهم؟ وأن تعلموا أن الله لو شاء لحكمَ ولم يُصير ذلك إلى الرجال؟

قالوا: بلى، بل هذا أفضل.

وفي المرأة وزوجها قال الله -تعالى-: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ [النساء:٣٥] فنشدتكم بالله حكمُ الرجال في صلاح ذات بينهم وحقن دمائهم أفضل من حكمهم في بضع امرأةٍ. خرجتُ من هذه؟ قالوا: نعم.

قلت: وأما قولكم قاتل ولم يسب ولم يغنم، أفتَسْبُون أمكم عائشة، وتستحلون منها ما تستحلون من غيرها وهي أمكم؟

فإن قلتم إنا نستحل منها ما نستحلُ من غيرها فقد كفرتم، ولئن قلتم ليست بأمنا فقد كفرتم، فإن الله تعالى يقول: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب:٦] فأنتم تدورون بين ضلالتين فأتوا منهما بمخرج! قلت: أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم.

وأما قولكم محا اسمه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بمن ترضون وأريكم، قد سمعتم أن النبي ﷺ يوم الحديبية صالح المشركين فقال لعلي رضي الله عنه: «**اكتب يا علي! هذا ما صالح عليه محمد رسول الله** -ﷺ-».

فقال المشركون: لا والله ما نعلم أنك رسول الله لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك.

فقال رسول الله ﷺ: «**امح يا علي! اللهم إنك تعلم أني رسول الله، امح يا علي، واكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله**»، فوالله لرسول الله ﷺ خير من عليٍّ، وقد محى نفسه ولم يكن محوه نفسه ذلك محاه من النبوة. أخرجت من هذا؟ قالوا: نعم.

فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم -أي: على عليّ بن أبي طالب- فقُتِلوا على ضلالتهم، فقتلهم المهاجرون والأنصار)(١).

(١) **إسناده حسن**: أخرجه النسائي في «الكبرى» (٥/ ١٦٥)، والبيهقي في «السنن» (٨/ ١٧٩)، والحاكم (٢/ ١٦٤).

عباد الله! ومن الملاحظ أن التحكيم كان سبباً مباشراً في الخلاف بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه والخوارج وقد انتهى أمرهم إلى أن قاتلهم فهزمهم في موقعة النَّهروان هزيمةً نكراء، فبيتوا أن يقتلوه، فما أمكنهم إلا أن اغتالوه فاستشهد رضي الله عنه في صلاة الفجر من يوم الجمعة لسبع بقين من شهر رمضان، حين طعنه أشقى الناس عبدالرحمن بن مُلجم الخارجي وكلف الخوارج من يقتل معاوية وعمرو بن العاص فأخطأهما[1].

عباد الله! هؤلاء هم الخوارجُ، فرقةٌ ضالةٌ كفروا المسلمين فاستحلوا دماءَ الصحابة والمسلمين وأحدثوا فتنة في الأمة الإسلامية، ضللوا الأمة بظاهر الصلاح؛ فإن من يراهم يظن أنهم من أعبد الناس، والنبي ﷺ يقول: «**طوبى لمن قتلهم وقتلوه**»[2]. وقال ﷺ: «**لَئِن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**»[3] وما ذلك إلا لفسادهم.

وقد جاء في الأثر عن رجلين منهما كانا يطوفان بالبيت فقال أحدهم للآخر: انظر إلى هؤلاء الناس الذين يطوفون جميعاً فإنهم كفار إلى جهنم.

فقال الآخر: والجنة لي ولك؟! قال: نعم. فتعجب الأخير من هذا الفكر العجيب وقال له: جنة عرضها السموات والأرض ما أوجبها الله إلا

(١) «تحقيق موقف الصحابة في الفتنة» (٢/ ٢٣٥).

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٧٦٥)، وأحمد (١/ ١٥١)، والحاكم (٢/ ١٦١)، [«صحيح الجامع» (٣٦٦٨)].

(٣) **صحيح**: البخاري (٧٤٣٢)، ومسلم (١٠٦٤).

لي ولك؟! فرجع عن فكره بعد أن تبين لـه أن هـذا فكـر مـن لا عقـل لـه، فهؤلاء كما وصفهم النبي ﷺ بأنهم: «**أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام**»(١).

وقد جاءت الأدلة في الكتاب والسنة تحرمُ قتل المسلم.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان].

وقال ﷺ: «**من حمل علينا السلاح فليس منا**»(٢).

وقال ﷺ: «**من خرج على أمتي يضربُ برَّها وفاجرَها، ولا يتحاشَ من مؤمنها، ولا يفي لذي عهدٍ عهده؛ فليس مني ولست منه**»(٣).

وقال ﷺ: «**يأتي المقتول متعلقاً رأسه بإحدى يديـه، متلبباً قاتلـه بيـده الأخرى، تشخبُ أوداجه دماً، حتى يأتي به العـرش، فيقـول المقتـولُ لـرب العالمين: هذا قتلني. فيقول الله للقاتل: تعسْتَ، ويذهب به إلى النار**»(٤).

وقال ﷺ: «**لن يزال المؤمن في فسحةٍ من دينه ما لم يصب دماً حراماً**»(٥)، فاحذوروا من فكر الخوارج وفتنتهم.

اللهم ردّ المسلمين إلى دينك رداً جميلاً

---

(١) **صحيح**: البخاري (٦٩٣٠)، ومسلم (١٠٦٦).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٨٧٤)، ومسلم (١٠٠).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٨٤٨).

(٤) **صحيح**: أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠/ ٣٠٦)، وفي «الأوسط» (٤/ ٢٨٦)، [«الصحيحة» (٢٦٩٧)].

(٥) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٨٦٢).

٢٧

(١٤) يفرون إلى الله تعالى بمعرفةِ معجزات رسول الله ﷺ

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ [الأحزاب].

عباد الله! انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة:٤٠] فنحن ما زلنا في صدد الحديث عن معجزات رسول الله ﷺ ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

ومن معجزاته ﷺ: إخبارُهُ عن الفتن التي ستُبتلى بها الأمة الإسلامية في المستقبل ومنها: **فتنة المسيح الدجال.**

عباد الله! المسيح الدجال أعظمُ فتنة تتعرض لها البشرية في تاريخها، المسيح الدجالُ يخرج في آخر الزمان، علامةٌ من علامات الساعة الكبرى قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد:١٨]، أي: علاماتُها.

وقال ﷺ: «**إنها لن تقوم** -أي: الساعة- **حتى تروا قبلها عشرَ آيات**» فذكر ﷺ: «**الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم ﷺ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوفٍ: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرُدُ الناس إلى محشرهم**»[(١)].

المسيح الدجال سُمي مسيحاً: لأن عينه اليمنى ممسوحةٌ لا عين فيها ولا حاجب بخلاف المسيح عيسى ابن مريم سُميَ مسيحاً: لأنه كان يمسحُ المريض بيده فيبرأ بإذن الله.

وسُميَ الدجالُ دجالاً: لأنه يكذبُ على الناس، ويُدجِّلُ عليهم ويغطي الحق ويستره، ويظهرُ الباطل وينشره.

عباد الله! وكلامنا عن المسيح الدجال سيكون إجابةً على الأسئلة التالية:

السؤال الأول: ما هي صفات الدجال؟

السؤال الثاني: ما هي فتنة الدجال التي يفتُنُ بها الناس؟

السؤال الثالث: كيف ينجو المسلم من فتنة الدجال؟

السؤال الرابع: من أين يخرجُ الدجال؟ وكم يمكث في الأرض؟ ومن الذين يتبعونه؟ وأين يُقتلُ؟ ومن الذي يقتلُهُ؟

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٠١).

عباد الله! ما هي صفات الدجالِ؟

وصف رسول الله ﷺ الدجال وصفاً دقيقاً لأمتِهِ ليكونوا منه على حذر، ومن صفاته:

أولاً: أنه أعورُ العينين:

عينه اليمنى ممسوحةٌ، لا يبصرُ بها -أي: لا عين فيها ولا حاجب- أما عينه اليُسرى فهي بارزةٌ ناتئة خضراءُ عليها ظفرة من اللحم تُغطي على البصر فلا يرى بها إلا رؤية خفيفة.

- قال ﷺ: «**إن الله -تبارك وتعالى- ليس بأعور، ألا إن المسيح الدجالَ أعور العين اليمنى كأن عينهُ عنبةٌ طافِية**»(١).
- وقال ﷺ: «**الدجالُ أعورُ العين اليُسرى**»(٢).
- وقال ﷺ: «**الدجال ممسوحُ العين، عليها ظفَرةٌ غليظة**»(٣).

ثانياً: مكتوبٌ بين عينيه كافرٌ يقرأها كلُّ مؤمنٍ:

- قال ﷺ: «**الدجالُ ممسوح العين، مكتوبٌ بين عينيه كافرٌ**» ثم تهجَّاها «**ك ف ر يقرأُه كُلُّ مسلمٍ**»(٤).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٤٣٩)، ومسلم (١٦٩).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٣٤).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٣٤).

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٣٣).

- وقال ﷺ: «**ما من نبيٍّ إلاّ وقدْ أنذرَ أمتهُ الأعور الكذاب، ألا إنهُ أعور، وإن ربكم -عز وجل- ليس بأعور، ومكتوب بين عينيه ك ف ر**»[1].

ثالثاً: ومن صفات الدجال أيضاً أنه عقيمٌ لا يُولدُ له:

قال رسول الله ﷺ عن الدجال: «**هو عقيمٌ لا يُولدُ له**»[2].

رابعاً: ومن صفات الدجال أنه رجلٌ قصيرٌ، جسيمٌ، أحمر، أجعد الرأس، أفحج الرجلين:

- قال ﷺ: «**إني حدَّثتُكم عن الدجال حتى خشيتُ أن لا تعقلوا، إن المسيح الدجالَ رجلٌ قصيرٌ، أفحجُ، جعدٌ، أعورُ، مطموس العين، ليس بناتئة، ولا حجراء** -يعني غائرة- **فإن أُلبسَ عليكم، فاعلموا أن ربكم ليس بأعور، وأنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا**»[3].

خامساً: من صفاته أنه لا يدخلُ المدينة ولا مكة:

- أخرج مسلم في «صحيحه» من حديث تميم الداري رضي الله عنه عن الدجال أنه قال: «**وإني مُخبركُم عنيِّ، إنِّي أنا المسيحُ، وإني أُوشِك أن**

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧١٣١)، ومسلم (٢٩٣٣).

(٢) **صحيح**: وهو جزء من حديث عند مسلم (٢٩٢٧).

(٣) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٣٢٠)، وأحمد (٥/ ٣٢٤)، وأبو نعيم (٥/ ٢٥١)، [«صحيح الجامع» (٢٤٥٩)].

يُؤذنَ لي في الخـروج، فـأخرج فأسـيرُ في الأرض فـلا أدعُ قريـةً إلا هبطتها في أربعين ليلةً، غير مكة وطيبة -أي: المدينة- **فهما محرَّمتانِ عـليَّ كلتاهمـا، كلـما أردتُ أن أدخُـلَ واحـدةً، أو واحـداً مـنهما، استقبلني مَلَكٌ بيده السيف صـلتاً** -أي: مـسلولاً- **يـصُدُني عنهـا، وإنَّ على كُلِّ نقبٍ منها ملائكة يحرُسونها**»[1].

عباد الله! أما السؤال الثاني: ما هي فتنـة الـدجال الـتي يفتن بها الناس؟

فإليكم الإجابة عنه:

- الدجال من أعظم الفتن وأخطرها على البشرية؛ وذلك لأنـه منبـع للكفر والضلال والفتن، ولذلك فقد حذر وأنذر الأنبياءُ جميعهم أقوامهم منه.
- يقول ﷺ: «**مـا بـين خلـق آدم إلى قيـام الـساعة خلـقٌ أكـبرُ مـن الدجال**»، وفي رواية أخرى: «**أمرٌ أكبرُ من الدجال**»[2].

والمرادُ: أنه لا يوجدُ فتنة منـذ خلـق آدم إلى قيـام الـساعة أكـبر ولا أعظم ولا أخطر من فتنة الدجال على البشرية.

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٤٢).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٤٦).

- وقال ﷺ: «**يا أيها الناسُ! إنها لم تكن فتنةٌ على وجه الأرض منذُ ذرأ اللهُ ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال، وإن الله -عز وجل- لم يبعث نبياً إلا حذر أمتهُ الدجال وأنا آخر الأنبياء، وأنتم آخر الأمم، وهو خارجٌ فيكم لا محالة فإن يخرجُ وأنا بين أظهرِكم فأنا حجيجٌ لكلِّ مسلمٍ، وإن يخرج من بعدي، فكلٌّ حجيجُ نفسه...**»[1] الحديث.

عباد الله! المسيحُ الدجالُ من أعظم الفتن وأخطرها على دين الناس؛ وذلك:

أولاً: لأنه يأتي ومعه زهرةُ الدنيا، والجمادات تستجيب لأمره.

عباد الله! يُبتلى الناسُ قُبيل خروج الدجال بلاءً شديداً، فتمنع السماء القطر، وتحبسُ الأرض النبات.

- قال ﷺ: «**... وإنَّ قبل خروج الدجال ثلاث سنواتٍ شداد يُصيبُ الناسَ فيها جوعٌ شديدٌ، يأمرُ الله السماء السنة الأولى أن تحبس ثلث مطرها، ويأمر الأرض أن تحبس ثلثَ نباتها، ثم يأمرُ السماءَ في السنةِ الثانية فتحبس ثلثي مطرها، ويأمرُ الأرض فتحبسُ ثلثي نباتها، ثم يأمرُ السماء في السنة الثالثة فتحبس مطرها كلَّه، فلا تقطر قطرةً، ويأمرُ الأرضَ فتحبسُ نباتها كلَّه فلا تنبتُ خضراء، فلا يبقى ذاتُ ظِلفٍ إلا هلكت إلا ما شاء الله**».

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٤٠٧٧)، والحاكم (٤/ ٥٨٠)، والطبراني في «الكبير» (٨/ ١٤٦)، [«صحيح الجامع» (٧٨٧٥)].

قيل: فما يُعَيشُ الناسَ في ذلك الزمان؟

قال: «**التهليلُ، والتكبير، والتحميد، ويجزئُ ذلك عليهم مجزأة الطعام**»(١).

عباد الله! ثم يأتي الدجالُ على هذه الحال فيكون من فتنته أنه يأمرُ السماءَ فتمطرُ، والأرضَ فتنبتُ، ويأمرُ خرائبَ الأرض أن تُخرجَ كنوزها المدفونة فتستجيبُ له.

- يقول ﷺ: « ... **فيأتي على القوم** -أي: الدجال- **فيدْعُوهُم فيؤمنونَ به ويستجيبون له، فيأمرُ السماء فتُمطرْ، والأرضَ فتنبتُ، فتروحُ عليهم سارحتهُم أطولَ ما كانت ذُرىً، وأسبغهُ ضُرُوعاً، وأمَدَّه خواصر** -أي: ترجع المواشي أكثرَ لبناً وشبعاً- **ثم يأتي القوم فيدعُوهُم فيرُدُون عليه قولهُ، فينصرف عنهم، فيصْبِحون مُمْحلين** -أي: مجدبين لا مطر ولا كلأ- **ليس بأيديهم شيءٌ من أموالهم، ويمُرُّ بالخربة فيقولُ لها: أخرجي كنوزَكِ، فتتبعهُ كُنوزُها كيعاسيب النحل** -وهي ذكور النحل- ... »(٢).

ثانياً: ومن فتنة الدجال: أنه يأتي الناسَ ومعه مثل الجنة والنار ويتبعهُ نهران.

- قال ﷺ: «**ألا أُخبرُكُم عن الدجال حديثاً ما حدَّثهُ نبيٌّ قومَهُ؟ إنهُ أعور، وإنهُ يجيءُ معهُ مثلُ الجنةِ والنار، فالتي يقولُ إنها الجنةُ هي النارُ، وإني أنذرتُكُم به كما أنذرَ به نوحٌ قومَهُ**»(٣).

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٤٠٧٧)، [«صحيح الجامع» (٧٨٧٥)].

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٣٧).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٣٣٨)، ومسلم (٢٩٣٦).

وقال ﷺ: «**الدجالُ أعور العين اليُسرى ... معهُ جنةٌ ونـارٌ، فنـارهُ جنةٌ وجنته نارٌ**»[1].

- وقال ﷺ: «**لأنا أعلمُ بما مع الدجال مِنه، معه نهران يجريان أحدُهما رأي العين ماءٌ أبيض، والآخرُ رأي العين نارٌ تأجَّجُ، فإمَّـا أدْرَكَـنَّ أحدٌ فليأت النهر الذي يـراهُ نـاراً ولـيُغمِّض، ثـم ليُطـأطِئ رأسَـهُ فيشربَ مِنهُ، فإنَّهُ ماءٌ باردٌ ...**»[2] الحديث.

ثالثاً: ومن فتنة الدجالِ: سرعةُ انتقاله في الأرض.

عباد الله! ومما أقدر اللهُ عليه الدجالَ ليكون فتنةً للناس؛ سرعـةُ انتقالِـهِ في الأرض، وأنه سـيتجول في أقطـار الأرض داعيـاً إلى الكفـر والـضلال، ولكن الله سيحولُ بينه وبين دخول مكة والمدينة، شرفهما الله.

- سـأل الـصحابة رضي الله عنهم رسـول الله ﷺ عـن سرعـة الـدجال في الأرض فقالوا: وما إسراعُهُ في الأرض؟
  فقال ﷺ: «**كالغيث استدبرتُهُ الريحُ**»[3].

- وقال ﷺ: «**ليس من بلدٍ إلا سيطؤُهُ الدجالُ إلا مكة والمدينة**»[4].

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٣٤).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٣٤).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٣٧).

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٨٨١)، ومسلم (٢٩٤٣).

- وقال ﷺ: « ... **وإنهُ لا يبقى شيءٌ من الأرض إلا وطئَهُ وظهر عليه إلا مكة والمدينة**»[1].

رابعاً: ومن فتنة الدجال: استجابة الشياطين لأوامره.

عباد الله! جاءَ الدجالُ لنشر الفساد والكفر والضلال في الأرض، والذين يستجيبون له هم شياطين الإنس والجن.

- يقول ﷺ: «**وإنَّ من فتنته أن يقول للأعرابيِّ: أرأيت إن بعثتُ لكَ أباكَ وأمَّكَ أتشهدُ أني ربُّكَ؟ فيقول: نعم. فيتمثل له شيطانان في صورةِ أبيهِ وأمِّهِ، فيقولان: يا بني اتَّبِعْهُ فإنه ربُّك ...**»[2].

خامساً: ومن فتنته: قتلُهُ للشاب المؤمن ثم إحياؤه إياه.

عباد الله! ومن فتنِ الدجال العظيمة قتلُهُ للشاب المؤمن الذي يرفض -بما عنده من العلم والعقيدة الراسخة- أن يعترف بألوهيةِ المسيح الدجال، غير مبالٍ بما يلحقه من الأذى والقتل في سبيل الله، وحتى بعد أن يحييه عدو الله الكذاب، ويهدده بالقتل ثانيةً إن لم يؤمن به، يقولُ له باستعلاءٍ وإيمانٍ صادقٍ: ما ازددتُ فيك إلا بصيرة، وهذه الهدايةُ والبصيرةُ إنما هي مستمدة من كتاب الله -عز وجل- وسنة نبيه ﷺ وما ورد فيهما من تحذير شديدٍ من أمثال هذه الفتنة وغيرها.

---

(١) **صحيح**: تقدم تخريجه (ص٣٣٠).

(٢) ما سبق.

- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يخرجُ الدجالُ فيتوجَّهُ قِبَلَهُ رجلٌ مِن المؤمنين، فتلقاهُ المسالحُ -قومٌ معهم سلاحٌ-، مسالِحُ الدجالُ، فيقولون لهُ: أين تعْمِدُ؟ فيقولُ: أعمدُ إلى هذا الذي خرج. قال: فيقولون له: أوما تُؤمن بربِّنا؟ فيقولُ: ما بربِّنا خفاءٌ. فيقولون: اقتُلُوه. فيقول بعضهم لبعضٍ: أليس قد نهاكم ربُّكُمْ أن تقتلوا أحداً دونَهُ.

قال: فينطلقون به إلى الدَّجال. فإذا رآهُ المؤمنُ قال: يا أيها الناسُ! هذا الدجالُ الذي ذكر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم. قال: فيأمر الدجالُ به فيُشْبَحُ، فيقول: خُذُوهُ وشُجُوهُ. فيُوسَعُ ظهرُهُ وبطنهُ ضرباً. قال: فيقول: أما تؤمن بي؟ قال: فيقولُ: أنتَ المسيحُ الكذابُ.

قال: فيؤمَرُ به فيُؤْشرُ بالمئشار من مَفرقِهِ حتى يُفرَّق بين رجليه.

قال: ثم يمشي الدجالُ بين القطعتين، ثم يقول له: قمْ فيستوي قائماً.

قال: ثم يقول له: أتؤمنُ بي؟ فيقولُ: ما ازددتُ فيك إلا بصيرةً.

قال: ثم يقولُ: يا أيها الناسُ! إنهُ لا يَفعلُ بعدي بأحدٍ من الناس.

قال: فيأخذُهُ الدجالُ ليذبَحهُ، فيُجعل ما بين رقبتهِ إلى ترْقُوتِهِ نُحاساً، فلا يستطيعُ إليه سبيلاً.

قال: فيأخذ بيديْه ورجْليْه فيقذفُ به، فيحسِبُ الناسُ أنما قَذَفهُ إلى النار، وإنما أُلقي في الجنة».

فقال رسول الله ﷺ: «**هذا أعظمُ الناسِ شهادةً عِند ربِّ العالمين**»[1].

عباد الله! أما السؤال الثالثُ: كيف ينجو المسلم من فتنةِ الدجال؟

- الدجالُ أكبرُ وأعظمُ وأخطرُ فتنةً على دين الناسِ ولا يمكن أبداً للإنسان أن ينجو من فتنتهِ إلا بما يلي:

أولاً: بالإيمان الصادق.

- قال ﷺ في وصف الدجال: «.. **مكتوبٌ بين عينيه كافرٌ يقرأُهُ كُلُّ مؤمنٍ كاتبٍ وغير كاتبٍ**»[2].
- وقال ﷺ: «**يخرُجُ الدجالُ فيتوجّهُ قِبَلَهُ رجلٌ من المؤمنين ..** »[3].

ثانياً: بالتمسك بالكتاب والسنة.

- أما التمسك بالكتاب فلقوله ﷺ عن الدجال: « ... **فمن أدرَكهُ منكمُ فليقرأْ عليه فواتح سُورةِ الكهفِ...**»[4].
- وقال ﷺ: «**مَنْ حفِظَ عَشرَ آياتٍ من أولِ سورة الكهفِ، عُصِمَ من فتنة الدجال**»[5].

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٣٨).
(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٣٤).
(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٣٨).
(٤) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٣٧).
(٥) صحيح: أخرجه مسلم (٨٠٩).

- وقال ﷺ: «**مَنْ قرأ العشرَ الأواخر من سورة الكهفِ، عُصِمَ من فتنة الدجال**»[1].

- وأما التمسك بالسنة فلقوله ﷺ عن الدجال: «**يأتي** -أي الدجالُ- **وهو مُحَرَّمٌ عليه أن يدخلَ نقابَ المدينةِ، فينتهي إلى بعض السِّباخ التي تلي المدينة، فيخرج إليه يومئذٍ رجلٌ هو خيرُ الناسِ، أو مِنْ خير الناس، فيقول لهُ: أشهدُ أنَّكَ الدجالُ الذي حدَّثنا رسُولُ الله ﷺ حديثهُ** -وهذا هو الشاهد يا عباد الله! أن الرجلَ تمسك بسنة رسول الله ﷺ وبما سَمَعَ وبما تعلم من رسول الله ﷺ، **فيقول الدجالُ: أرأيتم إن قتلتُ هذا ثم أحييتُهُ، أتشكونَ في الأمر؟ فيقولون: لا. قال: فيقتُلُهُ ثم يُحييه. فيقولُ حين يُحييه: والله! ما كنتُ فيك قطُّ أشدَّ بصيرةً مِنِّي الآنَ، قال: فيُريدُ الدجالُ أن يقتُلَهُ فلا يُسلّطُ عليه**»[2].

ثالثاً: العلم بصفات الدجالِ حتى نعرفه.

عباد الله! لقد وصف النبي ﷺ الدجالَ وصفاً دقيقاً ليعرفهُ المؤمنُ إذا رآه فيحذر منه، فالدجال أعور العينين، ومكتوبٌ بين عينيه كافِرٌ.

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٦/ ٤٤٦)، ومسلم (٨٠٩)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٢٣٥).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٨٨٢)، ومسلم (٢٩٣٨).

رابعاً: أن يبتعد المسلم عن وجه الدجال وعن طريقه.

- قال ﷺ: «**مَن سمع بالدجال فلينأ عنه** -أي: فليبعدْ عنه-، **فوالله! إن الرجل ليأتيه وهو يحسَبُ أنه مؤمنٌ، فيتّبعُهُ مما يبعثُ به من الشبهات**»[1].

ولذلك أيها المسلمُ في كل مكان إذا علمت وسمعت أن الدجال قد ظهر على وجه الأرض فعليك أن تبتعد عن طريقه خشية أن تفتتن بما معه من الشبهات، وقد أخبرنا رسول الله ﷺ أن الناس يهربون من وجه الدجال إلى الجبال، قال ﷺ: «**ليفرَّنَ الناسُ من الدجال في الجبال**»[2].

أيها المسلم! وإذا اضطررت لمواجهة الدجال فعليك أن تصدع بالحق، وأن تثبت على دينك، وأن تقول له: أنت الدجالُ الذي أخبرنا رسول الله ﷺ عنك، وعليك أن تبين لمن اتبعه بأن هذا هو الدجال، وإن قتلك وألقاك في ناره التي معه فإنما هي جنة.

خامساً: أن يثبت المرء على دينه.

- قال ﷺ: « ... **إنه** -أي: الدجال- **خارجُ خلَّةً** -أي: طريق- **بين الشام والعراق، فعاث** -أي: أفسدَ- **يميناً وعاث شمالاً، يا عباد الله! فاثبتوا ...**»[3] الحديث.

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٣١٩)، وأحمد (٤/ ٤٤١)، والحاكم (٤/ ٥٧٦)، [«صحيح الجامع» (٦٣٠١)].

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٤٥).

(٣) **صحيح**: مسلم (٢٩٣٧).

وتذكروا يا عباد الله! هذا الشابَ المؤمن الذي ينشره الدجالُ بالمنشار إلى قسمين ويمشي بينهما ثم يحيه ثم يقول له: أتؤمن بي؟ فيقول الشابُ: ما ازددتُ فيك إلا بصيرة.

سادساً: على المسلم أن يلتجئ إلى الله تعالى بالاستعاذة من فتنة الدجال.

- يقول ﷺ: «**إذا تشهدَ أحدُكم فليستعذ بالله مِن أربع يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال**»(١).

سابعاً: على المسلم إذا ظهر الدجالُ أن يذهب إلى مكة أو المدينة إن استطاع إلى ذلك سبيلاً.

وذلك لأن الدجال لا يدخل مكة ولا المدينة أبداً

- قال ﷺ: «**على أنقاب المدينة** -أي: على مداخل المدينة- **ملائكةٌ لا يدخلُها الطاعون ولا الدجالُ**»(٢).
- وقال ﷺ: «**وإنه** -أي: الدجال- **لا يبقى شيءٌ من الأرض إلا وطئهُ وظهر عليه، إلا مكة والمدينة، ولا يأتيهما مِن نقب من أنقابِها إلا لقيتهُ الملائكة بالسيوف صلتةً ...** »(٣).

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٥٨٨).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٨٨٠)، ومسلم (١٣٧٩).

(٣) **صحيح**: تقدم تخريجه (ص٣٣٠).

ثامناً: ينجو المسلم من فتنة الدجال بالأعمال الصالحة.

- قال ﷺ: «**بادروا بالأعمال ستاً: الدجال، والدخان، ودابة الأرض وطلوع الشمس من مغربها، وأمر العامة، وخُويصة أحدكم**»(1).
والمعنى: سابقوا ست آياتٍ دالةٍ على اقتراب يوم القيامة، فاعملوا قبل وقوع هذه الآيات وحلولها؛ فإن العمل بعد وقوعها وحلولها لا يُقبلُ.

عباد الله! من أين يخرج الدجالُ؟

يخرجُ الدجالُ من قِبلِ المشرق من بلادٍ فارسية يُقال لها: خراسان، ويظهرُ أمرُه للمسلمين عندما يكون بين الشام والعراق.

- قال ﷺ: «**الدجالُ يخرجُ من أرضٍ بالمشرق يقالُ لها خراسان**»(2).
- وقال ﷺ: «**إنه** -أي: الدجالُ- **خارجُ خَلَّةً** -أي: طريق- **بين الشام والعراق**»(3).

عباد الله! كم يمكثُ الدجال في الأرض؟

يمكث في الأرض أربعين يوماً.

(1) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٤٧).

(2) **صحيح**: أخرجه أخرجه الترمذي (٢٢٣٧)، وابن ماجه (٤٠٧٢)، وأحمد (١/ ٤)، [«صحيح الجامع» (٣٤٠٤)].

(3) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٣٧).

- سأل الصحابة رضي الله عنهم رسول الله ﷺ عن الدجال فقالوا: يا رسول الله! ما لبثهُ في الأرض؟ قال ﷺ: «**أربعون يوماً؛ يومٌ كسنةٍ، ويومٌ كشهرٍ، ويومٌ كجمعةٍ، وسائر أيامه كأيامكُم**». قالوا: يا رسول الله! فذلك اليومُ الذي كسنةٍ أتكفينا فيه صلاةُ يومٍ؟ قال: «**لا، اقدُروا له قَدْرَهُ**»(١).

عباد الله! من هم الذين يتبعونه من البشر؟

أتباع الدجال هم اليهود وعُبادُ الدنيا، وأهل الأهواء والضلال، قال ﷺ: «**يتبعُ الدجال مِن يهود أَصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالسة**»(٢).

- وأخبر رسول الله ﷺ عن الدجال وأنه يأتي القومَ: «**فيدعوهم** -أي: إلى الكفر والضلال- **فيؤمنون به ويستجيبون له** -لما يجدوا معه من الدنيا- **فيأمُرُ السماءَ فتمطرُ والأرضَ فتنبتُ، فتروحُ عليهم سارحِتُهُم** -أي: ماشيتُهم- **أطول ما كانت ذُرىً وأسبغهُ ضروعاً، وأمدَّهُ خواصر ...**»(٣).

عباد الله! أين يُقتَلُ الدجالُ؟ ومن الذي يقتله؟

يُقتلُ الدجالُ بباب لُدٍّ -وهي قرية بفلسطين- والذي يقتلُهُ هو عيسى ابنُ مريم عليه السلام.

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٣٧).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٤٤).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٣٧).

- قال ﷺ: « ... **فيطلُبُهُ** -أي: عيسى ابن مريم يطلب الدجال- **حتى يُدْرِكَهُ بباب لُدٍّ، فيقتُلُه ...** »(1).

وقال ﷺ: « ... **فبينما إمامُهم قد تقدَّم يصلي بهم** -أي: بالمسلمين- **الصبحَ، إذ نزل عليهم عيسى ابنُ مريم الصبحَ، فرجع ذلك الإمام** -وهو المهدي- **ينكص يمشي القهقريَّ ليتقدم عيسى، فيضعُ عيسى يدَهُ بين كتفيه، ثم يقول له: تقدم فصلِّ؛ فإنها لك أقيمت، فيصلي بهم إمامُهُم، فإذا انصرف** -أي: انصرف عيسى عليه السلام إلى بيت المقدس-.

قال عيسى: افتحوا الباب، فيفتحون ووراءَهُ الدجالُ، معه سبعون ألف يهوديٍّ، كُلهم ذو سيفٍ محلًّى وساجٍ، فإذا نظر إليه الدجالُ ذاب كما يذوبُ الملحُ في الماء وينطلق هارباً ... فيدركُهُ عند باب لُدٍّ الشرقيِّ فيقتلُهُ، فيهزمَ اللهُ اليهودَ، فلا يبقى شيءٌ مما خلق الله -عز وجل- يتواقى به يهوديٌّ، إلا أنطق الله ذلك الشيء، لا حجرٌ ولا شجرٌ ولا حائطٌ ولا دابة، إلا الغرقدة فإنها من شجرهم لا تنطق، إلا قال: يا عبدالله المسلم هذا يهوديٌّ فتعالَ اقتلْهُ»(2).

اللهم احفظنا من فتنة الدجال

---

(1) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٣٧).

(2) **صحيح**: (ذكر هذا الحديث متفرقاً في طيات الخطبة)، لقراءته كاملاً راجع [«صحيح الجامع» (٧٨٧٥)].

٢٨

(١٥) الفرار إلى الله تعالى
بمعرفةِ معجزات رسول الله ﷺ

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء]. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٢٨﴾ [سبأ].

•ويقول النبي ﷺ: «**والذي نفسُ محمدٍ بيده لا يسمعُ بي أحدٌ من هـذه الأمة يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ثم يموتُ ولم يؤمن بالذي أُرسلتُ به إلا كان مـن أصحاب النار**»(١).

عباد الله! انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة:٤٠] فنحن ما زلنا في صدد الحديث عن معجزات رسول الله ﷺ؛ ليهلـك مـن هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٥٣).

ومن معجزاته ﷺ: إخباره عن الفتن التي ستبتلى بها الأمةُ الإسلامية في المستقبل: ومنها **فتنة يأجوج ومأجوج**.

عباد الله! يأجوج ومأجوجُ فتنة عظيمة على البشرية، لا تقلُّ خطراً عن فتنة المسيح الدجال؛ فالدجالُ يدَّعي الألوهية، وهم يدَّعون قدرتهم على قتل أهل الأرض وأهل السماء، كما أخبرنا النبيُّ ﷺ عنهم أنهم يقولون: «**قهرنا أهلَ الأرض وعلونا أهل السماءِ**»(١).

إن خروج يأجوجَ ومأجوجَ علامةٌ من علاماتِ الساعةِ الكُبرى، كما قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد:١٨] -أي علاماتُها-.

- اطَّلع النبي ﷺ على أصحابه وهم يتذاكرون فقال: «**ما تذاكرون؟**». قالوا: نذكر الساعة. قال: «**إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عَشْرَ آياتٍ**»، فذكر ﷺ: «**الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ، ونزول عيسى ابن مريم ﷺ ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوفٍ: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن تطردُ الناس إلى محشرهم**»(٢).

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٤٠٨٠)، وأحمد (٢/ ٥١٠)، والحاكم (٤/ ٥٣٤)، [«الصحيحة» (١٧٣٥)].

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٠١).

عباد الله! وكلامنا عن يأجوج ومأجوج سيكون حول العناصر التالية:

العنصر الأول: يأجوج ومأجوج حقيقةٌ أم خيالٌ؟

العنصر الثاني: يأجوج ومأجوج قبل بناءِ السد وبعد بنائه.

العنصر الثالث: يأجوج ومأجوج وعيسى ابن مريم عليه السلام.

عباد الله! العنصر الأول: يأجوجُ ومأجوجُ حقيقة أم خيالٌ؟

أولاً: خروج يأجوجَ ومأجوجَ في آخر الزمان علامة من علامات الساعة الكبرى ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة.

- **أما في كتاب الله تعالى**: ففي قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦﴾ [الأنبياء]. وقوله تعالى في سورة الكهف: ﴿إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الكهف:٩٤].
- **وأما في سنة رسول الله ﷺ**: فقد أخبر ﷺ أن الساعة لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات: وذكر منها: «**يأجوج ومأجوج**».
- **أما الإجماعُ**: فقد أجمعت الأمة الإسلامية سلفاً وخلفاً أن خروج يأجوج ومأجوج في آخر الزمان حقٌّ لا ريب فيه.

عباد الله! فمن أنكر خروج يأجوج ومأجوج في آخر الزمان بعد هذه الأدلة فإنما هو زنديقٌ ضالٌّ جاهلٌ.

ثانياً: يأجوجُ ومأجوجُ من البشر من ذريـة آدم عليـه الـسلام، وهمـا أُمتـان كثيرتا العدد:

١- عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يقـول اللهُ -عز وجل- يا آدمُ! فيقولُ: لبيَّك! وسـعديك! والخـيرُ في يـديْك. قال: يقول: أخرج بعثَ النار** -أي: ميز أهل النـارِ مـن غـيرهم- **قال: وما بعثُ النار؟ قال: مِن كُلِّ ألفٍ تسعمائةٍ وتـسعةً وتـسعين.** قال: **فذاك حين يشيب الصغير،** ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج:٢] . قال: فاشتدَّ ذلك عليهم، قالوا: يارسول الله! أيُّنا ذاك الرجل؟فقـال: «**أبـشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألفا ومنكم رجـلٌ**». ثـم قـال رسـول الله صلى الله عليه وسلم: «**والذي نفسي بيده! إني لأطمعُ أن تكونوا رُبُـعُ أهـلِ الجنـة**» فحَمِدْنا الله وكبَّرنا، ثم قال: «**والـذي نفـسي بيـده! إني لأطمـعُ أن تكونوا ثُلُثَ أهلِ الجنة**» فحمدنا الله وكبرَّنا، ثم قال: «**والذي نفسي بيده إني لأطمعُ أن تكونوا شطر أهـل الجنـة، إن مَـثَلُكم في الأمـم كمثل الشعرةِ البيـضاء في جلـدِ الثـور الأسـود أو كالرّقمـة** -أي: العلامة- **في ذراع الحمار**»[1].

٢- وعن عمران بن حُصين رضي الله عنه قـال: كنـا مـع النبـي صلى الله عليه وسلم في سـفرٍ فتفاوت بين أصحابه في السير، فرفع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صوته بهـاتين

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٥٣٠)، ومسلم (٢٢٢).

الآيتين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١﴾ إلى قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ [الحج]. فلما سمع ذلك أصحابُهُ حثوا المطيَّ وعرفوا أنه عند قولٍ يقولُهُ.

فقال: «**هل تدرون أيُّ يومٍ ذلك؟**» قالوا: اللهُ ورسولُهُ أعلم. قال: «**ذلك يومٌ ينادي اللهُ فيه آدم فيناديه ربُّهُ فيقول: يا آدم! ابعثْ بعثَ النار فيقول: أي ربِّ وما بعثُ النار؟ فيقولُ: مِن كلِّ ألفٍ تسع مئة وتسعةٌ وتسعون إلى النار، وواحدٌ إلى الجنة**».

فيئسَ القومُ حتى ما أبدوا بضاحكة، فلما رأى رسول الله ﷺ الذي بأصحابه قال: «**اعملوا وأبشروا، فوالذي نفسُ محمدٍ بيده، إنكم لمعَ خليقتين ما كانتا مع شيء إلا كثَّرتاه يأجوج ومأجوج، ومن مات من بني آدم، وبني إبليس**». قال: فسُرِّي عن القوم بعضُ الذي يجدون، فقال: «**اعملوا وأبشروا؛ فوالذي نفسُ محمدٍ بيده ما أنتم في الناس إلا كالشامةِ في جنب البعير أو كالرَّقمة في ذراع الدابة**»(١).

٣- ومن الأدلة على كثرة يأجوج ومأجوجَ قوله ﷺ: «**سيُوقِدُ المسلمون من قِسِيِّ يأجوجَ ومأجوجَ ونشابِهم وأترستِهم سبع سنين**»(٢).

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣١٦٩)، وأحمد (٤/ ٤٣٥)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٤١٠)، [«صحيح الترمذي» (٢٥٣٤)].

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٤٠٧٦)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣/ ١٦٥)، [«صحيح الجامع» (٣٦٧٣)].

وهـذه أدوات حـربهم التـي يحـاربون بهـا فبعـد هلاكهـم، يوقـد المسلمون منها سبع سنين وهذا يدل على كثرتهم لكثرة أدواتهم.

العنصر الثاني: يأجوجُ ومأجوجُ قبل بناء السدِ وبعد بنائهِ.

عباد الله! كان قومُ يأجوجَ ومأجوجَ قبل بناء السدِ قوماً مفسدين في الأرض، يعتدون على الناس فأرسل اللهُ عبدَهُ ذا القرنين فبنى سدّاً منيعاً ليمنع فساد واعتداء يأجوج ومأجوج على الناس. قال تعالى في سورة الكهف: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ -أعطاه اللهُ جميع أسباب التمكين في الأرض فكانت رحلاته رحلة إلى المشرق ورحلة إلى المغرب ورحلة إلى السدين- إلى أن قال ربُّ العزة: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ -أي: الجبلين- ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾ -أي: سدًّا منيعاً- ﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ -أي: جيئوني بقطع الحديد العظيمة الضخمة- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ -أي: بين جانبي الجبلين - ﴿قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾﴾ -أي: النُحاس المذاب- ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾ -أي: لم يستطيعوا أن يعلوا على ظهرهِ لارتفاعه، وما استطاعوا خرقهُ لصلابته- ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ [الكهف:٨٣-٩٨].

عباد الله! بنى ذو القرنين السدَّ ومنـع خـروج يـأجوج ومـأجوج، ولكـن يأجوج ومأجوج يحاولون في كل يوم أن يخرجوا على الناس، ولقد أخبرنا ﷺ أنهم فتحوا فتحةً صغيرةً في عهدهِ -وهذا مؤشر ينذُرنا بالشر والخطر.

- تقول أُمُّ المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها: أن النبي ﷺ دخل عليها فزعاً يقولُ: «**لا إله إلا الله ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب فُتح اليومَ من ردْم يأجوج ومأجوج مثلُ هذه**» وحلق بإِصبعيهِ الإبهامَ والتي تليها.

قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله! أنهلِكُ وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم، إذا كثُر الخَبث**»(١).

عباد الله! وفي هذا تحذيرٌ من شؤم المعاصي، فالمعاصي إذا كثرتْ نزل الهلاك والدمار والذلُّ بالأمة، فليتق الله العصاة، وليتق الله الصالحون وليأمروا من حولهم بالمعروف ولينهوهم عن المنكر.

- قال ﷺ: «**إذا ظهر السوءُ في الأرضِ؛ أنزل اللهُ بأسه بأهل الأرض وإن كان فيهم قومٌ صالحون؛ يُصيبهم ما أصاب الناسَ، ثم يرجعون إلى رحمة الله ومغفرته**»(٢).

- وقال ﷺ: «**إذا ظهر الزنا والربا في قريةٍ، فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله**»(٣). وها هو الربا والزنا قد انتشر فلا تنسوا أن الله -عز وجل- قد أعلن الحرب على أكلة الربا.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٣٤٦)، ومسلم (٢٨٨٠).

(٢) **صحيح**: أخرجه البيهقي في «الشعب» (٦/ ٩٨)، وأبو نعيم (١٠/ ٢٣٠)، [«صحيح الجامع» (٦٨٠)].

(٣) **صحيح**: أخرجه الحاكم (٢/ ٤٣)، والطبراني في «الكبير» (١/ ١٧٨)، [«صحيح الجامع» (٦٧٩)].

عباد الله! يأجوج ومأجوجُ يحاولون الخروج كلَّ يومٍ من السدِّ، ولكنهم لن يخرجوا إلا بإذن الله وفي الوقت الذي يريده الله عز وجل.

قال ﷺ: «**إنَّ يأجوجَ ومأجوجَ يحفرون كُلَّ يومٍ حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فسنحفرهُ غداً، فيعيدهُ الله أشدَّ ما كان، حتى إذا بلغت مُدَّتهُم، وأرادَ اللهُ أن يبعثهم على الناسِ حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم ارجعوا فسنحفرُهُ غداً إن شاء الله تعالى، واستثنوا، فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس**»[1]. وذلك كما وصف ربنا جل وعلا خروجهم في كتابه: ﴿**وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۝٩٦**﴾ [الأنبياء].

عباد الله! فإذا خرج يأجوج ومأجوجُ من السدِّ أفسدوا في الأرض وهرب الناسُ من أمامهم ولم يقدر عليهم أحدٌ إلا الله، أخبرنا بذلك رسول الله ﷺ فقال: « ... **ويخرجون على الناس فيُنْشِفون الماءَ** -أي: يشربونه عن آخره-، **ويتحصَّنُ الناسُ منهم في حُصونهم، فيرمون بسهامِهم إلى السماء، فترجعُ عليها الدَّمُ .. فيقولون: قهرنا أهلَ الأرض وعلونا أهلَ السماء**»[2].

وفي حديث آخر يقول ﷺ: «**ويبعثُ اللهُ يأجوج ومأجوج وهم من كل حدبٍ ينسلون، فيمرُّ أوائلهُم على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها، ويمرُّ آخِرُهُم فيقولون: لقد كان بهذه مرةً ماء**»[3].

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣١٥٣)، وابن ماجه (٤٠٨٠)، وأحمد (٢/ ٥١٠)، [«الصحيحة» (١٧٣٥)].

(٢) انظر ما سبق.

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٣٧).

وفي رواية: «**ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخَمَرِ** -(والخمرُ): هو الشجر الملتفُّ الذي يستر من فيه-، **وهو جبلُ بيت المقدس. فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض، هَلُمَّ فلنقتُل من في السماء، فيرمون بنشابهم** -أي: سهامهم- **إلى السماء، فيُردُّ الله عليهم نشابَهُم مخضوبةً دماً**»(١).

عباد الله! إذا خرج يأجوج ومأجوجُ فأعلموا أنه قد أزفت الآزفة واقترب الوعدُ الحق؛ قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٩٧﴾ [الأنبياء].

عباد الله! في هذا اليوم يندم المفرط ويقول: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٥٦]، ويقول المفرط: ﴿يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤﴾ [الفجر]، ويقول المفرط: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ١٠٦ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ١٠٧﴾ [المؤمنون]، ويقولُ المفرط: ﴿يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٩٧﴾ [الأنبياء].

عباد الله! في هذا اليوم الناسُ فريقان: فريقٌ في الجنة، وفريقٌ في السعير.

فيا ابن آدم!

مثل وقوفك يوم العرض عُريانا ... مستوحشاً قلق الأحشاء حيرانا
والنار تلهب من غيظ ومن حنق ... على العصاة ورب العرش غضبانا

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٣٧).

اقرأ كتابك يا عبدي على مهل		فهل ترى فيه حرفاً غير ما كانا
لما قرأت ولم تنكر قراءته		إقرار من عرف الأشياء عرفانا
نادى الجليل خذوه يا ملائكتي		وامضوا بعبدٍ عصى للنار عطشانا
المجرمون غداً في النار يلتهبوا		والمؤمنون بدار الخلد سكانا

عباد الله! إن الكثير من الناس عن الموت والقبر والقيامة والجنة والنار غافلون، حتى لقد انطبق عليهم قول القائل:

أما والله لو علم الأنام		لما خلقوا ما هجعوا وناموا
لقد خلقوا لأمر لو رأته		عيون قلوبهم تاهوا وهاموا
ممات ثم قبر ثم حشر		وتوبيخ وأهوالٌ عظامُ
ليوم الحشر قد علمت رجال		فصلوا من مخافته وصاموا
ونحن إذا أمرنا أو نهينا		كأهل الكهف أيقاظٌ نيامُ

العنصر الثالث: يأجوجُ ومأجوجُ وعيسى ابنُ مريمَ عليه السلام.

عباد الله! بعد أن يتخلص الناسُ من فتنة الدجال وبعد أن يقتله اللهُ عز وجل على يدي عيسى ابن مريم عليه السلام.

وبينما عيسى عليه السلام جالسٌ مع أصحابِهِ الذين نجوا من فتنة الدجال يخبرهم عن درجاتهم في الجنة، وفجأةً يطلبُ عيسى من أصحابه وبوحي من السماء أن يحصنوا أنفسهم بجبل الطور، فقد أخرج اللهُ عباداً لا قِبَلَ لأحدٍ بقتالهم؛ وهم يأجوجُ ومأجوج.

يقول ﷺ: « ... **فيقتُلُه** -أي: يقتل عيسى ابنُ مريم الدجال- **ثم يأتي عيسى ابن مريم قومٌ قد عصمهُمُ الله منه** -أي: من الدجال- **فيمسحُ عن وجوههم ويُحدِّثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هم كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى عليه السلام: إني قد أخرجتُ عباداً لي، لا يدان لأحدٍ بقتالهم** -أي: لا قدرة ولا طاقة- **فحرِّزْ عبادي إلى الطور** -أي: ضمهم، واجعله لهم حرزاً- **ويبعثُ الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدبٍ ينسلون، فيمر أوائلُهُم على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها، ويمرُّ آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرةً ماءٌ، ويُحصرُ نبيُّ الله عيسى وأصحابُهُ، حتى يكون رأسُ الثورِ لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدِكُم اليوم، فيرغبُ نبيُّ الله** -أي: يدعو- **عيسى وأصحابُهُ فيُرسِلُ اللهُ عليهم النَّغَفَ** -وهو دود يكون في أنوف الإبل والغنم- **في رقابهم، فيصبحون فَرْسَى** -أي: قتلى- **كموت نفسٍ واحدةٍ**» -سبحان الله! يقتلهم الله بهذا الدود!

ألا تذكرون أن فرعون لَمَّا اعتز بأنهاره فقال: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ﴾ [الزخرف:٥١] أهلكه اللهُ في هذه الأنهار التي اعتز بها؟! وعادٌ عندما قالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت:١٥] حملهم الله في الهواء وأنزل كلاً منهم على رقبته فكانوا كأعجاز نخل خاوية، والله على كل شيء قدير-.

«**ثم يهبطُ نبيُّ اللهِ عيسى عليه السلام وأصحابُهُ إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبرٍ إلا ملأهُ زهمُهُم** -أي: دسمهم- **ونتنهُم، فيرغبُ نبيُّ**

الله عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الله -أي: بالدعاء- **فيرسلُ اللهُ طيراً كأعناق البُخت** -والبخت: جمالٌ طوال الأعناق- **فتحملهم فتطرحهم حيث شاء اللهُ، ثم يرسل اللهُ مطراً لا يكُنُّ منه بيت مدرٍ ولا وبرٍ، فيغسلُ الأرض حتى يتركها كالزَّلقةِ** -أي: كالمرآة- **ثم يُقال للأرض: أنبتي ثمرتك، ورُدِّي بركتك فيومئذ تأكلُ العصابةُ** -أي: الجماعة- **من الرُّمَّانة ويستظلون بقحفِها** -وهو المقعر من قشرها- **ويبارك في الرِّسل**-وهو اللبن- **حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفِئامَ** -الجماعة الكثيرة- **من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفِخذ من الناس** -أي: الجماعة من الأقارب -**فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبةً، فتأخذهم تحت آباطِهم، فتقبِضُ رُوح كلِّ مؤمن وكُلِّ مسلم، ويبقى شرارُ الناسِ، يتهارجون فيها تهارُج الحُمر** -أي: يجامع الرجال النساء علانية بحضرة الناس كما يفعل الحمير- **فعليهم تقوم الساعة**»[1].

اللهم ارزقنا توبةً نصوحاً قبل الموت

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٣٧).

٢٩

(١٦) الفرار إلى الله تعالى بمعرفةِ معجزات رسول الله ﷺ

عباد الله! يقول اللهُ -عز وجل- في كتابه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٢٨)﴾ [التوبة]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[الأعراف:١٥٨].

وقال ﷺ: «**والذي نفسُ محمدٍ بيده لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمة يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ثم يموتُ ولم يؤمن بالذي أُرسلتُ به إلا كان من أصحاب النار**»(١).

عباد الله! انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ [التوبة:٤٠] فنحن ما زلنا في صدد الحديث عن معجزات رسول الله ﷺ؛ ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٥٣).

عباد الله! ومن معجزاته ﷺ إخباره عن الفتن التي ستبتلى بها الأمة الإسلامية في المستقبل ومنها: **فتنة التفرق والاختلاف.**

عباد الله! لقد أخبر النبي ﷺ أن أمتهُ ستبتلى بداءِ الأُمم من قبلها، ألا وهو داءُ التفرقِ والاختلاف.

- قال ﷺ لأصحابه: «**إنكم تلْقون بعدي فتنةً وإختلافاً أو قال: اختلافاً وفتنة**»(1).

- وقال ﷺ لأصحابه في وصيته البليغة التي ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، وقالوا له: يا رسول الله! كأنها موعظة مودعٍ فأوصنا، قال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن أُمِّرَ عليكم عبدٌ حبشي؛ فإنهُ من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً ...**»(2) الحديث.

- وقال ﷺ: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقةً، فواحدةٌ في الجنة وسبعون في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعون في النار، وواحدةٌ في الجنة، والذي نفسُ محمدٍ بيده! لتفترقنَّ أمتي على ثلاثٍ وسبعين فرقةً؛ واحدةٌ في الجنة، وثنتان وسبعون في النار**»(3).

(1) **إسناده صحيح**: وهو جزء من حديث، أخرجه أحمد (٢/ ٣٤٤)، والحاكم (٤/ ٤٨٠)، وابن أبي شيبة (٦/ ٣٦٣) [«الصحيحة» (٣١٨٨)].

(2) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٣)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، [«صحيح الجامع» (٢٥٤٩)].

(3) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٢)، [«صحيح ابن ماجه» (٣٢٤١)].

- وقال ﷺ: «**ليأتينَّ على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل،** -والمراد أنها تفعل مثل ما فعلوا-... **وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملَّةً، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملّةً، كلهم في النار إلا ملةً واحدة**»، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»(١).

- وقال ﷺ: «**ألا إن مَن قبلكم من أهل الكتاب افترقُوا على ثنتين وسبعين ملةً، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاثٍ وسبعين، ثنتان وسبعون في النار، وواحدةٌ في الجنة، وهي الجماعة**»(٢).

- وقال ﷺ: «**سألتُ الله فيها ثلاثَ خصال فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدةً، سألتُهُ أن لا يُسحتكم** -أي: يستأصلكم- **بعذابٍ أصاب من كان قبلكم، فأعطانيها، وسألتُهُ أن لا يُسلطَ على بيضتكم عدواً فيجتاحها فأعطانيها، وسألتُهُ أن لا يُلبسكم شيعاً** -أي: يجعلكم فِرقاً مختلفين- **ويذيق بعضكم بأس بعضٍ** -أي: ألا يقتل بعضكم بعضاً- **فمنعنيها**»(٣).

عباد الله! وحديثنا عن فتنة التفرق والاختلاف سيكون حول العناصر التالية:

---

(١) **حسن**: أخرجه الترمذي (٢٦٤١)، والحاكم (١/ ٢١٨)، [«صحيح الجامع» (٥٣٤٣)].

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٥٩٧)، وأحمد (٤/ ١٠٢)، والحاكم (١/ ٢١٨)، [«صحيح الجامع» (٢٦٤١)].

(٣) **صحيح**: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٤/ ١٩٢)، [«صحيح الجامع» (٢٤٣٣)].

العنصر الأول: التفرق والاختلاف في ميزان الكتاب والسنة.

العنصر الثاني: أسباب الفُرقةِ والاختلاف.

العنصر الثالث: العلاج.

عباد الله! ونبدأ بالعنصر الأول: التفرق والاختلاف في ميزان الكتاب والسنة.

عباد الله! التفرق والاختلاف محرمٌ في ديننا.

التفرق والاختلاف يضعف الأمة.

التفرق والاختلاف يقوي الأعداء على الأمة.

التفرق والاختلاف يورث العداوة والبغضاء.

عباد الله! ومنعاً لذلك كله فقد جاءت الأدلة في الكتاب والسنة وأقوال الصحابة تحذر من التفرق والاختلاف، وتأمر بالاتحاد والاعتصام والاجتماع، ففي كتاب ربنا:

- يقول الله -عز وجل-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٢-١٠٣].
- وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران].

- وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى:١٣].

- وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم].

- وَبَرَّأَ ربنا -جل وعلا- ورسولَهُ ﷺ من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأنعام].

- وأخبرنا ربنا -جل وعلا- في كتابه أن المرحومين لا يختلفون ولا يكونون رأساً أو سبباً في الفرقة والاختلاف، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود].

عباد الله! أما في السنة: فقد حذر رسول الله ﷺ أمتهُ من التفرق والاختلاف وأمرهم بالاتحاد والاعتصام والاجتماع:

- فقال ﷺ: «**عليكم بالجماعة، وإياكم والفُرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو مع الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة** -أي: وسطها- **فليلزم الجماعة**»(١).

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢١٦٥)، والنسائي في «الكبرى» (٥/ ٣٨٨)، [«صحيح الجامع» (٢٥٤٦)].

- وقال ﷺ: «الجماعةُ رحمةٌ، والفُرقةُ عذابٌ»(١).
- وقال ﷺ: «ستكون بعدي هناتٌ وهناتٌ -أي: شدائد وعظائم- فمن رأيتموه فارق الجماعة، أو يُريدُ أن يُفرِّق أمر أمةِ محمدٍ كائناً من كان فاقتلوه فإن يد الله مع الجماعة، وإن الشيطان مع من فارقَ الجماعة يركض»(٢).
- وقال ﷺ: «إن الله -تعالى- يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً: فيرضى لكم أن تبعدوه ولا تُشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاهُ اللهُ أمركُم. ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»(٣).
- وقال ﷺ: «ولا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا»(٤).
- وقال ﷺ: «ما من ثلاثةٍ في قريةٍ ولا بدوٍ لا تُقام فيهم الصلاةُ إلا استحوذ عليهم الشيطانُ، فعليكم بالجماعة؛ فإنما يأكلُ الذئبُ القاصية»(٥).

---

(١) **حسن**: أخرجه أحمد (٤/ ٢٧٨)، والبيهقي في «الشعب» (٦/ ٥١٦)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١/ ٤٣)، [«صحيح الجامع» (٣١٠٩)].

(٢) **صحيح**: أخرجه النسائي (٤٠٢٠)، وابن حبان (٤٥٥٨)، [«صحيح الجامع» (٣٦٢١)].

(٣) **صحيح**: أخرجه الإمام مالك في «الموطأ» (رواية الليثي) (١٨١٦)، ومسلم (١٧١٥)، وأحمد (٢/ ٣٦٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٤٢)، [«صحيح الجامع» (١٨٩٥)].

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٤٧٦).

(٥) **حسن**: أخرجه أبو داود (٥٤٧)، والنسائي (٨٤٧)، وأحمد (٦/ ٤٤٦)، [«صحيح الجامع» (٥٧٠١)].

عباد الله! رسولنا ﷺ حارب التفرق والاختلاف، وحذر منه في سفره وحضره.

- يقول أبو ثعلبة الخشنيُّ: (كان الناسُ إذا نزلوا منزلاً تفرقوا في الشعاب والأودية، فقال رسول الله ﷺ: «**إن تفرُّقكُم في هذه الشعابِ والأودية إنما ذلك من الشيطان**». فلم ينزلوا بعد ذلك منزلاً إلا انضم بعضهم إلى بعض، حتى يُقال لو بُسِطَ عليهم ثوبٌ لعَمَّهُم)[1].
- ويدخلُ ﷺ المسجد يوماً فيراهم حِلَقاً كثيرةً، كل حَلْقةٍ في ناحيةٍ، فينهاهم عن ذلك قائلاً: «**مالي أراكم عزين؟**»[2] -أي: متفرقين فرقاً، ومتحلقين حِلقاً -يقول الراوي: كأنه يحبَّ الجماعة[3].
- وسمع ﷺ أصواتَ رجلين اختلفا في آية فخرج ﷺ عليهما يُعرَفُ في وجههِ الغضبُ فقال: «**إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب**»[4].

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٢٦٢٨)، وأحمد (٤/ ١٩٣)، والنسائي في «الكبرى» (٥/ ٢٦٩)، [«صحيح سنن أبي داود» (٢٢٨٨)].

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٤٣٠).

(٣) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٨٢٤)، [«صحيح أبي داود» (٤٠٣٩)].

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٦٦٦).

عباد الله! والصحابةُ ﷺ ومَنْ بعدهم من الأئمة يحذرون من التفرق والاختلاف، ويأمرون بالاتحاد والاعتصام والاجتماع.

- عن ابن عباس ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وفي قوله تعالى: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى:١٣] قال: أمرَ الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والتَّفرق[1].
- ولقيَ رجلٌ ابنَ عباسٍ ﷺ فقال: (ما تقولُ في سلاطين علينا يظلموننا ويشتمُوننا ويعتدون علينا في صدقاتنا، ألا نمنعُهم؟ قال ابنُ عباسٍ: لا. أعطهم، الجماعة الجماعة، إنما هلكت الأممُ الخالية بتفرقها، أما سمعت قول الله تعالى: -:﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣])[2].
- وعن ابن مسعودٍ ﷺ أنه كان يخطب فيقول: (يا أيها الناسُ! عليكم بالطاعةِ والجماعةِ، فإنها حبلُ الله الذي أمر به) [3].
- وعن عليٍّ ﷺ قال: (اقضوا كما كنتم تقضون، فإني أكرهُ الاختلاف حتى يكونَ للناس جماعةٌ، أو أموت كما مات أصحابي)[4].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٩١).

(٢) «الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٢٨٥).

(٣) «الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٢٨٥).

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٧٠٧).

العنصر الثاني: أسبابُ الفُرقةِ والاختلاف.

١ - الشيطان:

عباد الله! الشيطانُ يعملُ بالليل والنهار للتفريق بين الأحبة:

- عن جابر ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن إبليسَ يضعُ عرشهُ على الماء، ثم يبعث سراياهُ، فأدناهم منهُ منزلةً أعظمهم فتنةً، يجيءُ أحدُهُم فيقولُ: فعلتُ كذا وكذا، فيقول: ما صَنَعْتَ شيئاً، قال: ثم يجيء أحدُهُم فيقول: ما تركتُهُ حتى فرَّقت بينهَ وبين امرأته، قال: فيُدنيهِ مِنهُ ويقول: نِعْمَ أنت**»[1].
- ويقول ﷺ: «**إن تفرَّقكُم في الشعاب والأودية إنما ذلكم من الشيطان**»[2].
- وقال ﷺ: «**عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحدِ وهو من الاثنين أبعد ..**»[3] الحديث.
- وقال ﷺ: «**إن الشيطان قد أيسَ أن يعبُدَهُ المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم**»[4].

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٨١٣).

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٢٦٢٨)، والحاكم (٢/ ١٢٦)، والبيهقي في «السنن» (٩/ ١٥٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٢٧)].

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢١٦٥)، والنسائي في «الكبرى» (٥/ ٣٨٨)، [«الإرواء» (٦/ ٢١٥)].

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٨١٢).

٢- فساد العقيدة:

إذا رأيت في أمة الإسلام من يدعو غير الله، أو يستغيث بغير الله ويطوف بالقبور، أو يتوسل بالأولياء والصالحين -حتى نسي أحدهم ربه عز وجل- فاعلم أنهم قد تفرقوا شيعاً وأحزاباً، كما تراهم اليوم ولذلك يقول ربنا -جل وعلا-: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم].

٣- التحزب:

- قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].
- وقال تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [المؤمنون:].
- وقال ﷺ عن السبل القصيرة: «**هذه سبل على كل سبيل منها شيطان**»(١).

وقال ﷺ: «**من ادعى دعوى الجاهلية فإنه من جثا جهنم**».

فقال رجلٌ: يا رسول الله! وإن صلى وصام؟ قال: «**وإن صلى وصام، فادعوا بدعوى الله التي سماكم المسلمين المؤمنين، عباد الله**»(٢).

---

(١) **حسن**: إشارة إلى حديث أخرجه أحمد (١/ ٤٣٥)، والدارمي (٢٠٧)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٣٤٣)، [«المشكاة» (١٦٦)].

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٨٦٣)، وأحمد (٤/ ١٣٠)، وابن خزيمة (١٨٩٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٥٥٢)]، وهو جزء من حديث طويل.

والدعوة إلى التعصب الحزبي دعوة جاهلية، والدعوة إلى التعصب إلى جماعةٍ أو إلى شخصٍ أو إلى اسمٍ من دعوى الجاهلية، وهذه الدعوة تفرق الأمر وتورث العداوة والبغضاء.

لـمّا حدث ما حدث بين المهاجرين والأنصار في غزوة المريسيع، وقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**ما بالُ دعوى الجاهلية**»؟ قالوا: يا رسول الله! كسع رجلٌ من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال ﷺ: «**دعوها فإنها منتنة**»[1].

٤- دُعاة السوءِ والضلالَةِ:

- قال حذيفةُ لرسولِ الله ﷺ: هل بعد ذلك الخير -أي الذي فيه دخن- من شر؟ قال ﷺ: «**نعم، دعاةٌ على أبواب جهنم، من أجابَهُم إليها قذفوه فيها**». فقلت -أي: حذيفة رضي الله عنه-: يا رسول الله! صفهم لنا، قال: «**نعم، هم قومٌ من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا**».

قلتُ: يا رسول الله! فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامَهُم**». فقلتُ: فإن لم يكنْ لهم جماعةٌ ولا إمامٌ؟ قال: «**فاعتزل تلك الفرقَ كُلَّها** -وهذا هو الشاهد- **ولو أن تعضَّ على أصل شجرة حتى يُدرَكك الموت وأنت على ذلك**»[2].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٩٠٥)، ومسلم (٢٥٨٤).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).

٥- الخروج على ولاة الأمر:

عباد الله! الخروج على ولاة الأمر سببٌ للفُرقةِ والاختلاف فليحذر المسلمون أن يفعلوا كما فعل الخوارج وغيرهم من فِرَق الضلالة.

- فقد حذر النبيُّ ﷺ من ذلك وقال: «**من أتاكُم وأمْرُكُمْ جميعٌ** -أي: مُجتمِع- **على رجلٍ واحدٍ، يُريد أن يَشُقَّ عصاكمُ، أو يُفرّق جماعتكُم فاقتلُوه**»(١).
- وقال ﷺ: «**أيُّما رجل خرج يُفرِّقُ بين أُمتي فاضربُوا عنقَهُ**»(٢).

٦- الغلوُّ في الدين:

فكم من جماعة غلت في الدين فكفَّرت ولاة الأمر وكفّرت المجتمع وخرجت عليهم وفرقت الأمة، فاتقوا الله معشر الدعاة في أمة الإسلام، واتقوا الله معشر العلماء في أمة الإسلام، واتقوا الله معشر الأحزاب في أمة الإسلام، اللهم قد بلغت اللهم فاشهد، اللهم قد بلغت، اللهم فاشهد، اللهم قد بلغت اللهم فاشهد.

٧- الابتداع في الدين:

عباد الله! الابتداع في الدين سببٌ من أسباب التفرق والاختلاف، وانظروا إلى بدعة الخوارج والمعتزلة والشيعة والصوفية. وبدعة الخوارج هي أول بدعة خرجت في الأمة.

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٨٥٢).

(٢) **صحيح**: أخرجه النسائي (٤٠٢٣)، والطبراني في «الكبير» (١/ ١٨٦)،[«صحيح الجامع» (٢٧٢١)].

قال ﷺ: «**فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور ..** » فالبدعة سببٌ للتفرق والاختلاف.

العنصر الثالث: العلاج.

عباد الله! العلاج النافعُ بإذن الله للأمة الإسلامية لكي تتحد وتعتصم وتجتمع هو:

١ -الرجوع إلى الدين فهماً وعقيدةً وعبادةً وأخلاقاً.

قال تعالى: ﴿ **وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟** ﴾ [آل عمران: ١٠٣] وحبل الله هو: الدين.

وقال تعالى: ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ** ﴾ [الشورى:١٣]. وهو الإسلام.

قال ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعو إلى دينكم**»[1].

٢ - العقيدة الصحيحة والإيمان الصادق.

استجابة لقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾** ﴾ [الأنبياء] فالعبودية لله وحده، والاتباع للرسول ﷺ. وقال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ**

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٣٤٦٢)، والبيهقي في «السنن» (٥/ ٣١٦)، وأبو نعيم (٥/ ٢٣٧)، [«صحيح الجامع» (٤٢٣)].

﴿إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠]، وهذه الإخوة لا تتحقق إلا بين المؤمنين ليصبحوا كالبنيان في تماسكه وقوته وكالجسد الواحد في حساسيته وتعاطفه.

قال ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يَشُدُّ بعضُهُ بعضاً**» وشَبَّك بين أصابعه(١).

وقال ﷺ: «**مثلُ المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثلُ الجسد، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجسد بالسهر والحُمى**»(٢).

٣- اتباع سبيل المؤمنين.

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣]، وخط رسولُ الله ﷺ خطاً طويلاً وقال: هذا سبيل الله ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطاً قصيرةً وقال: هذه سبل على كل سبيلٍ منها شيطان يدعو إليها.

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء]

٤ – تقوى الله والسمع والطاعة لولاة الأمر والتمسك بالسنة والابتعاد عن البدعة.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾ [المؤمنون]

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٤٤٦)، ومسلم (٢٥٨٥).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦).

يقول العرباض بن سارية ﷺ: وعظنا رسول الله ﷺ موعظةً بليغةً وجلت منها القلوبُ، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظةُ مودِّع فأوصنا. قال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبدٌ، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة**»(1).

٥- الدعوة إلى الله على بصيرة.

فإذا عادت الأمة إلى دينها فهماً وعقيدة وعبادة وأخلاقاً عندها تَنْصُر الأمة ربها، وإذا نصرت الأمة ربها نصرها على أعدائها: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧﴾ [محمد].

اللهم رد المسلمين إلى دينك رداً جميلاً

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧)].

٣٠

(١٧) الفرارُ إلى الله تعالى بمعرفةِ معجزات رسول الله ﷺ

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ [الصف].

وقال ﷺ: «**والذي نفسُ محمدٍ بيده لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمة يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ثم يموتُ ولم يؤمن بالذي أُرسلتُ به إلا كان من أصحاب النار**»(١).

عباد الله! انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة:٤٠] فنحن ما زلنا في صدد الحديث عن معجزات رسول الله ﷺ؛ ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٥٣).

ومن معجزاته ﷺ: إخباره عن الفتن التي ستبتلى بها الأمة الإسلامية في المستقبل ومنها: **فتنة النساء.**

عباد الله! أخبر النبي ﷺ أن أمتهُ ستبتلى بفتنة النساء ولذلك حذر أمتّه منها.

- قال ﷺ: «**ما تركتُ بعدي فتنةً أضرَّ على الرجال من النساء**»(١).
- وقال ﷺ: «**إن الدنيا حلوةٌ خضِرةٌ، وإنَّ الله مُستَخلِفُكُم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**»(٢).
- وقال ﷺ: «**صنفان من أمتي من أهل النار لم أرهما بعدُ: نساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ مائلاتٌ مميلاتٌ، على رؤسِهنَّ أمثال أسنمة الإبل، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، ورجالٌ معهم أسياطٌ كأذناب البقر، يضربون بها الناس**»(٣).

وها قد وقع ذلك وظهر في الأمة، نساء كاسيات عاريات مائلات في مشيتهن مميلات تميل القلوب إليهن والأنظار.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٧٤٢).

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ٤٤٠)، ومسلم (٢١٢٨).

• وقال ﷺ: «**سيكون في آخر أمتي نساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ، على رؤوسهن كأسنمة البخت، العنوهن فإنهن ملعونات**»[1].

وها قد وقع في الأمة ما أخبر به رسول الله ﷺ.

عباد الله! أدلةٌ صحيحة صريحة يخبرُ فيها النبي ﷺ عن فتنة النساء وأن أمته ستُبتلى بها.

عباد الله! وحديثنا عن فتنة النساء، سيكون حول العناصر التالية:

العنصر الأول: المرأةُ فتنةٌ فاحذروها.

العنصر الثاني: الإسلامُ وفتنة النساء.

العنصر الثالث: لماذا حذّر الإسلام من فتنة النساء؟

عباد الله! أما العنصر الأول: المرأة فتنة فاحذروها.

المرأة من أخطر وأضرِّ الفتن على الرجل، كما قال ﷺ: «**ما تركتُ بعدي فتنةً أضرَّ على الرجال من النساء**».

والسؤال الذي يفرض نفسه علينا الآن هو: لماذا كانت المرأة فتنة؟

أولاً: لأن الرجل بطبيعتهِ يشتهي المرأة، فالله -عز وجل- خلق الرجل وجعل فيه ميلاً للمرأة، وعندما خلق المرأة جعل فيها ميلاً للرجل ﴿صُنْعَ

(١) **صحيح**: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٩/ ١٣١)، وفي «الصغير» (٢/ ١٢٧-١٢٨)، [«جلباب المرأة» (ص١٢٥)].

﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍ﴾ [النمل:٨٨] فالرجل يشتهي المرأة، بل المرأة في مقدمة الشهوات التي يشتهيها الرجل، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [آل عمران:١٤].

ثانياً: لأن المرأة إذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان -أي: زينها في أعين الرجال ولو كانت قبيحة-.

- قال ﷺ: «**المرأة عورةٌ، فإذا خرجت** -أي: من بيتها- **استشرفها الشيطان**»(١) -أي: زينها في أعين الرجال-....

ثالثاً: المرأةُ فتنةٌ لأنها تُقبلُ في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان فالرجل إذا نظر إليها من الأمام اشتهاها، وإذا نظر إليها من الخلف.

- قال ﷺ: «**إن المرأة تُقبلُ في صورة شيطانٍ، وتدبرُ في صورة شيطانٍ، فإذا رأى أحدكم امرأةً أعجبتهُ فليأتِ أهلهُ فإن ذلك يردُّ ما في نفسه**»(٢).

- وقال ﷺ: «**إن المرأة إذا أقبلت، أقبلتْ في صورةِ شيطان، فإذا رأى أحدُكمُ امرأةً فأعجبتهُ، فليأتِ أهلهُ، فإنَّ الذي معها مِثلُ الذي معها**»(٣).

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (١١٧٣)، [«صحيح الجامع» (٦٦٩٠)].
(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (٣/ ٣٣٠)، ومسلم (١٤٠٣).
(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي (١١٥٨)، وابن حبان (٥٥٤٦)، [«صحيح الجامع» (١٩٣٩)].

ولذلك منع الإسلام المرأة أن تصوم نافلة وزوجها شاهد إلا بإذنه، فقال ﷺ: «**لا يحلُّ للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد** -أي: حاضر- **إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه...**»(١).

وحذر الإسلام المرأة أن تمنع نفسها إذا طلبها زوجها لفراشه.

- فقال ﷺ: «**إذا دعا الرجلُ زوجتَهُ لحاجتِهِ فلتأتِهِ، وإن كانت على التنور**»(٢).

العنصر الثاني: الإسلامُ وفتنة النساء.

عباد الله! حرصاً من الإسلام على الرجال من أن يقعوا في فتنة النساء، وحفاظاً وحرصاً على النساء من الوقوع في شِباكِ الرجالِ جاء الإسلام بما يلي:

أولاً: حثَّ الإسلامُ على الزواج.

عباد الله! الزواج الشرعيُّ يمنعُ من فتنةِ النساء، ولذلك أمَر الإسلام بالزواج وحثَّ عليه.

قال تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء:٣]، وقال تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥١٩٥).

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (١١٦٠)، والنسائي في «الكبرى» (٥/ ٣١٣)، وابن أبي شيبة (٣/ ٥٥٨)، [«صحيح الجامع» (٥٣٤)].

﴿عَلِيمٌ ۝٣٢﴾ [النور]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢١﴾ [الروم]

وقد حثَّ النبيُّ ﷺ على الزواج:

- فقال ﷺ: «**إذا أتاكم من ترضون خلقهُ ودينهُ فزوِّجوهُ، إن لا تفعلوا تكنْ فتنةٌ في الأرض وفسادٌ عريض**»(١). -أي: فسادٌ كبير، والمعنى: يكثرُ الزنا، ويلحق العار بفاعليه، فيقع القتل والفتن.

- وقال ﷺ: «**إذا تزوج العبدُ فقد استكمل نصفَ الدين، فليتق الله في النصف الباقي**»(٢).

- وقال ﷺ: «**يا معشر الشباب! من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغضُّ للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاءٌ**»(٣).

- وقال ﷺ: «**انكحوا؛ فإني مكاثرٌ بكم**»(٤)، أي: مفاخر ومغالبٌ بكثرتكم الأمم يوم القيامة.

---

(١) **حسن**: أخرجه الترمذي (١٠٨٤)، وابن ماجه (١٩٦٧)، والحاكم (٢/ ١٧٩)، [«صحيح الجامع» (٢٧٠)].

(٢) **حسن**: أخرجه البيهقي في «الشعب» (٤/ ٣٨٢)، [«صحيح الجامع» (٤٣٠)].

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٠٦٦)، ومسلم (١٤٠٠).

(٤) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (١٨٦٣)، [«صحيح الجامع» (١٥١٤)].

- وقال ﷺ: «**تزوجوا فإني مكاثرٌ بكمُ الأمم، ولا تكونوا كرهبانية النصارى**»(١).
- وقال ﷺ: «**تزوجوا الودود الولود؛ فإني مكاثرٌ بكم**»(٢).
- وقال ﷺ: «**ثلاثةٌ حقٌّ على الله -تعالى- عونهم: المجاهدُ في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف**»(٣).
- وقال ﷺ: «**النكاحُ من سُنَّتي، فمن لم يعملْ بسُنَّتي فليس مني، وتزوجوا فإني مكاثرٌ بكم الأمم، ومن كان ذا طولٍ فلينكح، ومن لم يجد فعليه بالصيام، فإن الصومَ له وِجاءٌ**»(٤).

ثانياً: أمر الإسلامُ الرجال والنساء بغض البصر.

عباد الله! إطلاقُ البصر سببٌ للوقوع في فتنة النساء، ولذلك أمر الإسلام الرجال بغض البصر فقال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النور:٣٠].

وأمر النساء كذلك أن يغضضن أبصارهن قال تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور:٣١].

(١) **صحيح**: أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٧٨)، [«صحيح الجامع» (٢٩٤١)].
(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٢٠٥٠)، والنسائي (٣٢٢٧)، [«صحيح الجامع» (٢٩٤٠)].
(٣) **حسن**: أخرجه الترمذي (١٦٥٥)، والنسائي (٣٢١٨)، وابن ماجه (٢٥١٨)، [«صحيح الجامع» (٣٠٥٠)].
(٤) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (١٨٤٦)، [«صحيح ابن ماجه» (١٥٠٨)].

- فعن جرير بن عبدالله قال: (سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفُجَاءَةِ، فأمرني أن أصرف بصري)(١).
- وقال ﷺ لعليٍّ رضي الله عنه: «**يا علي! لا تُتبع النظرةَ النظرةَ، فإن لك الأولى وليست لك الآخرة**»(٢).

عباد الله!

كلُّ الحوادثِ مَبْداها منَ النظرِ ومعظمُ النار من مُسْتَصغر الشرر

والمرءُ ما دام ذا عينٍ يُقلِّبُها في أعينُ العِيْن موقوفٌ على الخطر

كم نظرةٍ فعلت في قلب صاحبها فعل السهام بلا قوسٍ ولا وترِ

يسُر ناظره ما ضر خاطرهُ لا مرحباً بسرورٍ جاء بالخطرِ

ثالثاً: منع الإسلام الاختلاط بين الرجال والنساء.

عباد الله! الاختلاطُ بين الرجال والنساء الأجانب سببٌ لكل شر، ولذلك منع الإسلامُ الاختلاط في البيوت والمدارس والجامعات وغيرها فقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْئَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب:٥٣].

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢١٥٩).

(٢) **حسن**: أخرجه أبو داود (٢١٤٩)، والترمذي (٢٧٧٧)، وأحمد (٥/ ٣٥٣)، [«صحيح الجامع» (٧٩٥٣)].

- وقال ﷺ: «**إياكم والدخول على النساء**» فقال رجلٌ من الأنصار: يا رسول الله! أفرأيت الحمو؟ -أي: أقارب الزوج- قال ﷺ: «**الحمو الموت**»(١).

عباد الله! إذا اقتربت المرأة من الرجلِ الأجنبي عنها وقع الشرُّ والدمارُ والفتنة، وإذا ابتعدت المرأة عن الرجل الأجنبي عنها كان الخير. يقول ﷺ: «**خيرُ صفوف الرجال أوَّلُها، وشرُّها آخرُها، وخير صفوف النساء آخرُها، وشرُّها أوَّلُها**»(٢).

فانظروا عباد الله! الشرُّ إذا اقترب الرجل من المرأة الأجنبية عنهُ، والخيرُ إذا ابتعدت المرأة عن الرجل الأجنبي عنها ولو كان ذلك في داخل المسجد.

رابعاً: منع الإسلام المرأة من أمور وهي:

١- أن ترقق صوتها، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾ [الأحزاب].

٢- أن تلفت أنظار الرجال إليها بحليّها، قال تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور].

٣- أن تتطيب إذا خرجت من بيتها حتى ولو كانت ذاهبةً إلى المسجد.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٢٣٢)، ومسلم (٢١٧٢).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٤٤٠).

- قال ﷺ: «**أيما امرأةٍ استعطرت، فمرت على قومٍ ليجدوا ريحها فهي زانيةٌ، وكلُّ عينٍ زانية**»(١).

- وقال ﷺ: «**أيما امرأةٍ أصابت بخوراً فلا تشهدْ معنا العِشاءَ الآخرة**»(٢).

- وقال ﷺ: «**أيما امرأةٍ تطيبت ثم خرجت إلى المسجد، لم تُقبلْ لها صلاةٌ حتى تغتسل**»(٣).

- وعن موسى بن يسار عن أبي هريرة: «أن امرأةً مرتْ به تعصف ريحها فقال: يا أمة الجبار. المسجدَ تريدين؟ قالت: نعم. قال: وله تطيبتِ؟ قالت: نعم، قال: فارجعي فاغتسلي فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من امرأةٍ تخرجُ إلى المسجد تعصف ريحها فيقبل الله منها صلاةً** -أي: لا يقبل- **حتى ترجع إلى بيتها فتغتسل**»(٤).

هذا وهي ذاهبة إلى بيت الله، فما بالنا بمن تعطرت وخرجت إلى الأسواق كاسية عارية؟! وأي فتنة في ذلك وأي دمار؟!!

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن خزيمة (١٦٨١)، وابن حبان (٤٤٠٧)، والبيهقي في «السنن» (٣/ ٢٤٦)، [«غاية المرام» (٨٤)].

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٤٤٤).

(٣) **حسن صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٤٠٠٢)، [«صحيح ابن ماجه» (٣٢٤٩)].

(٤) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (١١/ ٢٧١)، والبيهقي في «السنن» (٣/ ٢٤٥-٢٤٦).

خامساً: منع الإسلام المرأة من التبرج وأمرها بالحجاب.

- قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب:٣٣].

- وقال ﷺ محذراً من التبرج: «**سيكون في آخر أمتي نساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ على رؤوسهن كأسنمة البخت، العنوهن فإنهن ملعونات**». زاد في حديث آخر: «**لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا**»(١).

- وأمر الإسلامُ المرأة بالحجاب، فقال تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ [النور:٣١].

- وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٥٩)﴾ [الأحزاب].

عباد الله! والجلباب الشرعي الذي يرضاهُ اللهُ ورسوله هو الذي تتوفر فيه الشروط التالية:

١- أن يغطي جميع البدن.

٢- أن يكون واسعاً لا يصف.

٣- أن يكون سميكاً لا يشف.

---

(١) **صحيح**: تقدم تخريجه (ص٣٧١)، والزيادة عند مسلم (٢١٢٨).

٤- أن لا يكون مطيباً ولا معطراً.

٥- أن لا يكون زينة في نفسه.

٦- أن لا يشبه لباس الرجال.

٧- أن لا يشبه لباس الكافرات.

٨- أن لا يكون ثوب شهرة.

هذه الشروط يجب أن تتوفر في جلباب المرأة، وما عدا ذلك فهي عاصية لله -عز وجل- إن خرجت به.

العنصر الثالث: لماذا حذر الإسلام من فتنة النساء؟

عباد الله! حذر النبيُّ ﷺ أمتهُ من فتنة النساء، فقال ﷺ: «**فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**»(١).

وقال ﷺ: «**ما تركتُ بعدي فتنة هي أضرُّ على الرجال من النساء**»(٢).

عباد الله! أتدرون لماذا حذر الإسلامُ من فتنة النساء؟!

الجواب: لأنهُ إذا افتتن الرجالُ بالنساءِ، وافتتنت النساءُ بالرجال وقعت فاحشة الزنا في المجتمع.

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٧٤٢).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠).

عباد الله!

والزنا حرامٌ، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء]، وقال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ [النور].

الزنا من أكبر الذنوب بعد الشرك بالله وبعد القتل، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: سألتُ النبيَّ ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «**أن تجعل لله نـدّاً وهو خلقك**». قلت: إن ذلك لعظيم، قلت: ثم أي؟ قال: «**وأن تقتل ولـدك تخاف أن يَطعم معك**». قلت: ثم أي؟ قال: «**أن تُزاني حليلة جارك**»(١).

الزنا سَبَبٌ لخراب الديار، وسببٌ لنزول العذاب، يقول ﷺ: «**إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله**»(٢).

الزنا سببٌ لعذاب البرزخ وعذاب الآخرة.

لقد رأى رسول الله ﷺ في منامه «**مثل التنـور، أعـلاهُ ضـيقٌ، وأسـفلهُ واسعٌ، يتوقَّدُ تحتهُ ناراً فإذا اقترب ارتفعوا حتى كاد أن يخرجوا، فإذا خمـدت رجعوا فيها وفيها، رجال ونساء عراة. فقلـت:** -أي: الرسـول ﷺ- **مـن هذا؟... قيل: فَهُمُ الزناة**»(٣).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦).

(٢) **صحيح**: أخرجه الحاكم (٢/ ٤٣)، والبيهقي في «الشعب» (٤/ ٣٩٧)، [«صحيح الجامع» (٦٧٩)].

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٣٨٦).

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ [الفرقان].

عباد الله! الزنا يسودُ الوجوه البيضاء.

الزنا يطأطأ الرؤوس العالية.

الزنا يخرس الألسنة البليغة.

من أجل ذلك حذر الإسلام من فتنة النساء؛ حفاظاً على الأعراض والمجتمعات من فاحشة الزنا، فاتقوا الله في أنفسكم وفي مجتمعاتكم الإسلامية، اللهم قد بلغت اللهم فاشهد، اللهم قد بلغت اللهم فاشهد، اللهم قد بلغت اللهم فاشهد.

اللهم رد المسلمين إلى دينك رداً جميلاً

٣١

الفرار إلى الله تعالى من آفات اللسان

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الذاريات] في هذه الآية يأمرُ ربنا -جل وعلا- عبادَهُ جميعاً أن يفروا إليه: من الكفر إلى الإيمان، ومن الشرك إلى التوحيد، ومن المعاصي إلى الطاعات، ومن الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الهدى، ومن البدعة إلى السنة.

عباد الله! والفرار كما قلنا نوعان: فرارُ السعداء وفرارُ الأشقياء، فالأشقياء يفرون من الله إلى غيره، وأولئك خابوا وخسروا؛ فأين المفر والإله الطالبُ؟! والسعداءُ يفرون من الله إلى الله، لأنهم قد علموا وأيقنوا أنه لا ملجأ من الله إلا إليه.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع فرارِ السعداءِ إلى الله من آفات اللسان.

عباد الله! اللسانُ حجمهُ صغير، وشأنهُ عظيم، وجُرمهُ كبير.

اللسان هو بمثابة القائد الأعلى لأعضاء الجسد، فإن استقام استقامت سائر الأعضاء وإن اعوج اعوجت.

- قال ﷺ: «**إذا أصبح ابنُ آدم فإن الأعضاء تُكفرُ اللسان** -أي: تذل له وتخضع- **فتقولُ: اتق الله فينا، فإنما نحن بك فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا**»(١). صدقت يا رسول الله فإن الرجل إذا استقام لسانه استقام كله وإن اعوج لسانه اعوج كله.

عباد الله! وحديثنا عن آفات اللسان سيكون حول العناصر التالية:

العنصر الأول: خطورة اللسان.

العنصر الثاني: ألسنةٌ أصحابُها على خطر.

العنصر الثالث: العلاج.

العنصر الأول: خطورة اللسان.

عباد الله! باللسان ينطقُ الإنسان بالشهادتين فيدخل بذلك في الإسلام.

وباللسان ينطق الإنسان بكلمة الكفر فيخرج بذلك من الإسلام.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ [التوبة:٧٤].

---

(١) **حسن**: أخرجه الترمذي (٢٤٠٧)، وأحمد (٣/ ٩٥)، والبيهقي في «الشعب» (٤/ ٢٤٤)، [«صحيح الجامع» (٣٥١)].

باللسان يدخل الإنسان الجنة.

وباللسان يدخلُ الإنسان النار.

- قال ﷺ: «**من يضمن لي ما بين لحييه** -أي: اللسانُ- **وما بين رجليه** -أي: الفرج- **أضمن له الجنة**»(١). وهذا يبين مدى خطورة اللسان.
- وقال ﷺ: «**من وقاهُ اللهُ شرَّ ما بين لحييه** -أي: اللسان- **وشرَّ ما بين رجليه** -أي: الفرجُ- **دخل الجنة**»(٢). فانظروا عباد الله! كيف أن اللسان سببٌ لدخول الجنة.
- وقال ﷺ: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يَزِلُّ بها في النار أبعدَ مما بين المشرق**»(٣).
- وقال ﷺ: «**وإن العبدَ ليتكلمُ بالكلمة من سخط الله -تعالى- لا يُلقي لها بالاً يهوى بها في جهنم**»(٤).
- وقال ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «**ثكِلتكُ أُمُّكَ يا معاذ، وهل يكبُّ الناسَ في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم؟**»(٥).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٤٧٤).

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٤٠٩)، والحاكم (٤/ ٣٩٨)، وابن حبان (٥٦٧٣)، [«صحيح الجامع» (٦٥٩٣)].

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨).

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٤٧٨).

(٥) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وأحمد (٥/ ٢٣١)، [«الإرواء» (٤١٣)].

عباد الله! انظروا إلى خطورة اللسان، وكيف أنه سببٌ لدخول النار.

وإنه باللسان يتحصل الإنسانُ على رضا الله، وباللسان يحلُّ بالإنسان سخطُ الله.

قال ﷺ: «**إن الرجل ليتكلمُ بالكلمة من رضوان الله -تعالى- ما كان يظنُّ أن تبلغ ما بلغت؛ يكتبُ الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاهُ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظنُّ أن تبلغ ما بلغت، يكتبُ الله له بها سخطهُ إلى يوم يلقاهُ**»(١).

عباد الله! باللسان يُذكر الإنسان في الملأ الأعلى، وباللسان يُعرِّضُ الإنسانُ نفسَه للعنةِ الله وغضبهِ وعذابهِ، قال تعالى في الحديث القدسي: «**أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معهُ إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرتهُ في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرتهُ في ملإٍ خير منهم...**»(٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور].

عباد الله! ومن الأمثلة على خطورة اللسان:

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣١٩)، وابن ماجه (٣٩٦٩)، وأحمد (٣/ ٤٦٩)، [«الصحيحة» (٨٨٨)].

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

١- عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلتُ للنبيِّ ﷺ: حسبك من صفية -زوج النبي ﷺ- كذا وكذا -تعني أنها قصيرة- فقال النبي ﷺ: «**لقد قلت كلمة لو مُزجت بماء البحر لمزجته**»[1] -أي: غيرته-.

٢- يقولُ أبو هريرة رضي الله عنه: (سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين، فكان أحدُهما يُذنب والآخر مجتهدٌ في العبادة، فكان لا يزالُ المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول له: أقصر، فوجده يوماً على ذنبٍ فقال له أقصرْ.**

فقال: خلني وربي، أبُعثت عليَّ رقيباً؟

فقال: والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلُكَ الله تعالى الجنة.

فقُبض أرواحهما، فاجتمعا عند رب العالمين.

فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالماً؟ أو كنت على ما في يدي قادراً؟

وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي.

وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار».

قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده، لتكلم بكلمة أوبقت دنياهُ وآخرتَهُ)[2].

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٨٧٥)، والترمذي (٢٥٠٢)، [«صحيح الجامع» (٥١٤٠)].

(٢) **حسن**: أخرجه أبو داود (٤٩٠١)، [«العقيدة الطحاوية» (٣٦٤)].

٣- قال رجلٌ: يا رسول الله! إن فلانة يُذكر من كَثرة صلاتها وصدقتها وصيامها -أي: النافلة- غيرَ أنها تُؤذي جيرانها بلسانها قال ﷺ: «**هي في النار**».

قال: يا رسول الله! فإن فلانة يُذكر من قلة صيامها وصدقتها وصلاتها، وأنها تتصدقُ بالأثوارِ من الأقط ولا تُؤذي جيرانها بلسانها قال: «**هي في الجنة**»(١).

عباد الله! كم من مسلم يصلي، بل ويصلي في الصف الأول ويُؤذي الناس -حتى وهو في داخل المسجد- بلسانه؟! اتق الله يا عبد الله في لسانك فإن أمرهُ خطير.

٤- اطلع عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه إلى أبي بكر رضي الله عنه وهو يمد لسانه فقال: ما تصنعُ يا خليفة رسول الله؟ فقال أبو بكر: إن هذا أوردني الموارد إن رسول الله ﷺ يقول: «**ليس شيءٌ من الجسد إلا يشكو إلى الله اللسان على حدته**»(٢).

٥- وهذا ابن مسعود رضي الله عنه يقول وهو على الصفا: (يا لسانُ قل خيراً تغنم واسكت عن شرٍّ تسلم من قبل أن تندم).

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ٤٤٠)، والحاكم (٤/ ١٨٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١١٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥٦٠)].

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو يعلى (١/ ١٧)، والبيهقي في «الشعب» (٤/ ٢٤٤)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٧)، [«الصحيحة» (٥٣٥)].

قالوا: يا أبا عبدالرحمن! هذا شيءٌ تقوله أو شيءٌ سمعته؟ قال: لا بل سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه**»(١).

٦- وعن العوَّام بن حوشبٍ قال: (نزلتُ مرةً حيّاً، وإلى جانب ذلك الحيِّ مقبرةٌ، فلما كان بعد العصر انشقَّ فيها قبرٌ، فخرج رجلٌ رأسه رأسُ الحمارِ، وجسدهُ جسدُ إنسانٍ، فنهق ثلاث نهقات ثم انطبق عليه القبر، فإذا عجوزٌ تغزل شعراً أو صوفاً، فقالت امرأةٌ: ترى تلك العجوز؟ قلتُ: ما لها؟ قالت: تلك أمُّ هذا. قلتُ: وما كان قصتهُ؟ قالت: كان يشربُ الخمر، فإذا راح تقول له أُمُّه: يا بنيَّ اتق الله إلى متى تشربُ هذا الخمر؟ فيقول لها: إنما أنت تنهقين كما ينهق الحمار! قالت: فمات بعد العصر. قالت: فهو ينشقُّ عنه القبرُ بعد العصر، كلَّ يوم فينهقُ ثلاث نهقات، ثم ينطبق عليه القبر)(٢).

العنصر الثاني: ألسنةٌ أصحابُها على خطر.

أولاً: ألسنةُ الذين يخوضون في الباطل ويأكلون لحوم الناس.

عباد الله! على الذين يخوضون في الباطل بألسنتهم ويأكلون لحوم الناس أن يتقوا الله لأن ذلك حرامٌ بل هو سببٌ من أسباب دخول النار.

(١) **حسن**: أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠/ ١٩٧)، والبيهقي في «الشعب» (٤/ ٢٤٠)، [«صحيح الجامع» (١٢٠١)].

(٢) **حسن موقوف**: [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥١٧)].

قال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ [المدثر].

- وقال ﷺ: «**لما عُرِج بي مررتُ بقوم لهم أظفارٌ من نحاسٍ يخمشون وجوههم وصدورهم فقلتُ: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم**»(١).

ثانياً: ألسنة النَّـمّامين.

عباد الله! على النمامين -الذين ينقلون الكلام ليفسدوا بين الأحبة- أن يتقوا الله في ألسنتهم؛ لأن النميمة حرامٌ.

- قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [القلم].
- وقال ﷺ: «**لا يدخلْ الجنة نمام**»(٢).
- وقال ﷺ عندما مرَّ بقبرين: «**أما إنهما ليُعَذَّبَان، وما يُعذبان في كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله**»(٣).
- وقال ﷺ: «**خيارُ عباد الله الذين إذا رؤوا ذُكِرَ الله، وشرارُ عباد الله المشَّاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة ...**»(٤) الحديث.

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٨٧٨)، وأحمد (٣/ ٢٢٤)، والطبراني في «الأوسط» (١/ ٧)، [«صحيح الجامع» (٥٢١٣)].

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢١٦)، ومسلم (٢٩٢).

(٤) **حسن لغيره**: أخرجه أحمد (٤/ ٢٢٧)، والبيهقي في «الشعب» (٥/ ٢٩٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٢٤)].

ثالثاً: ألسنة الذين يغتابون المسلمين ويسهرون على نهش أعراضهم.

عباد الله! على الذين يغتابون المسلمين أن يتقوا الله في ألسنتهم؛ لأن الغيبة حرام، وليعلموا أنهم على خطرٍ عظيم.

- قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات].

- وقال ﷺ: «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبَهُ! لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع اللهُ عورته، ومن تتبع اللهُ عورته، يفضحه ولو في جوف بيته**»[1].

- ويقولُ جابرٌ رضي الله عنه: كنا عند النبي ﷺ فهبت ريحٌ منتنة، فقال الرسول ﷺ: «**أتدرون ما هذه الريحُ؟ هذه ريحُ الذين يغتابون المؤمنين**»[2]. فالويل الويل للذين يسهرون على لحوم الأبرياء.

رابعاً: ألسنة الكذَّابين.

عباد الله! على الكذابين الذين يكذبون على الله وعلى رسوله ﷺ وعلى الناس، وعلى أنفسهم أن يتقوا الله؛ لأن الكذب حرامٌ وطريقٌ إلى النار.

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٨٨٠)، وأحمد (٤/ ٤٢٤)، والبيهقي في «الشعب» (٧/ ١٠٨)، [«صحيح الجامع» (٧٩٨٤)].

(٢) **حسن**: أخرجه أحمد (٣/ ٣٥١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٣٣)، وأبو نعيم (٨/ ١٢٥)، [«غاية المرام» (٤٢٩)].

قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ۝١٠﴾ [البقرة].

- وقال ﷺ: «... **وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزالُ الرجلُ يكذبُ ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذَّاباً**»[(١)].

- وقال ﷺ: «**آيةُ المنافقُ ثلاث: إذا حدَّثَ كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤْتُمِنَ خان**»[(٢)].

خامساً: ألسنةُ الذين يشهدون الزور.

عباد الله! على الذين يشهدون الزور أن يتقوا الله في أنفسهم؛ فإن شهادة الزور حرامٌ، وهي من أكبر الكبائر.

قال تعالى: ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ۝٣٠﴾ [الحج].

وقال تعالى في وصف عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ [الفرقان].

- قال ﷺ: («**ألا أُنبئكم بأكبر الكبائر**» قلنا: بلى يا رسول الله. قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**» وكان متكئاً فجلس، فقال: «**ألا وقول الزور وشهادة الزور ألا وقول الزور وشهادة الزور**» فما زال يقولها حتى قلت: لا يسكت)[(٣)].

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٠٩٥)، ومسلم (٥٩).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٩٧٦)، ومسلم (٨٧).

سادساً: ألسنةُ الذين يُكفِّرون المسلمين ويستحلون دماءهم.

عباد الله! على الذين يكفرون المسلمين بغير حقٍّ أن يتقوا الله، فإن تكفير المسلمين حرام.

- قال ﷺ: «**كلُّ المسلم على المسلم حرام؛ دمهُ ومالهُ وعرضهُ**»(١).
- وقال ﷺ: «**لا يرمى رجلٌ رجلاً بالفسوق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبُهُ كذلك**»(٢).
- وقال ﷺ: «**أيما رجل قال لأخيه: يا كافر! فقد باءَ بها أحدُهما**»(٣).

سابعاً: ألسنةُ الذين يقولون على الله بغير علم.

عباد الله! على الذين يقولون على الله بغير علم ويفتون للناس بلا دليل شرعي أن يتقوا الله في أنفسهم وفي الناس؛ فإن القول على الله بغير علمٍ حرام، ونذكرهم بأنهم راجعون إلى الله.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [النحل].

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٠٤٥).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠).

- وقال ﷺ: «**إن الله لا يقبضُ العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يُبق عالماً اتخذ الناسُ رؤُوساً جُهَّالاً فسُئِلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**»[1].

هذه ألسنةٌ أصحابها في خطر، فيجب عليهم أن ينتبهوا قبل فوات الأوان، وقبل أن يندموا في وقت لا ينفع فيه الندم.

العنصر الثالث: العلاج.

عباد الله! اللسانُ حجمهُ صغير، وجُرمُه كبير، وآفاتُهُ كثيرةٌ فمن أراد أن يتخلص من آفات اللسان فعليه بهذا العلاج.

أولاً: الصمت.

- قال ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**»[2].

ثانياً: إمساك اللسان عن الخوض في الباطل.

- عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلتُ: يا رسول الله! ما النجاةُ؟ قال ﷺ: «**أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك**»[3].

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧).

(٣) **صحيح لغيره**: أخرجه الترمذي (٢٤٠٦)، وأحمد (٥/ ٢٥٩)، والبيهقي في «الشعب» (١/ ٤٩٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٧٤١)].

- وعن سفيان بن عبدالله ﷺ قال: قلتُ يا رسول الله! حدثني بأمر أعتصم به. قال: «**قل ربِّي الله، ثم استقم**». قلتُ: يا رسول الله! ما أكثر ما تخاف عليَّ؟ فأخذ بلسان نفسِه ثم قال: «**هذا**»(١).

- ويقول معاذٌ ﷺ قلتُ: يا رسول الله! أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار؟

قال ﷺ: «**لقد سألت عن عظيم! وإنه ليسيرٌ على من يسره الله -تعالى- عليه**». -وبعد أن أخبره بأركان الإسلام ودله على أبواب الخير. قال ﷺ-: «**ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟**». قلت: بلى -يا رسول الله- فأخذ بلسانه وقال: «**كُفَّ عليك هذا**». قلتُ: يا نبي الله! وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟

قال: «**ثكلتك أمُّك يا معاذ! وهل يكبُّ الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم؟**»(٢).

ثالثاً: إشغال اللسان بما يرضي الله من قراءة القرآن، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإصلاح بين الناس.

قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء].

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٣٩٧٢)، والترمذي (٢٤١٠)، وأحمد (٣/ ٤١٣)، [«صحيح ابن ماجه» (٣٢٢٣)].

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وأحمد (٥/ ٢٣١)، [«صحيح ابن ماجه» (٣٢٢٤)].

- وكان ابن عباس رضي الله عنه يأخذ بلسانه ويقول: (ويحك! قل خيراً تغنم أو أمسك عن شرٍّ تسلم، وإلا والله ستندم).

رابعاً: أن يرطب المسلم لسانَهُ بذكر الله.

- جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ يقول: يا رسول الله! إن شرائع الإسلام قد كثرت عليَّ، فأنبئني بشيء أتشبثُ به -أي: أتمسك به- فقال ﷺ: «**لا يزالُ لسانُك رطباً من ذكر الله عز وجل**»(1).

ابن آدم! رطبْ لسانك بذكر الله، لأن الله -عز وجل- يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب].

خامساً: على الإنسان أن يتذكر القبر، فاللسان سببٌ لعذاب القبر، وعليه أن يتذكر الحساب، فاللسان يجعل الإنسان يوم القيامة من المفلسين.

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة].

- قال ﷺ: «**ما منكم من أحدٍ إلا سيكلمه الله، ليس بينه وبينه ترجمان**»(2).

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٣٧٥)، وابن ماجه (٣٧٩٣)، وأحمد (٤/ ١٨٨)، [«صحيح ابن ماجه» (٣٠٧٥)].

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٥١٢)، ومسلم (١٠١٦).

ابن آدم!

مثل وقوفك يوم العـرض عُريانـا مستوحشاً قلـق الأحـشاء حيرانـا
والنار تلهب من غيظ ومـن حنـق على العصاة ورب العرش غضبانا
اقرأ كتابك يـا عبـدي عـلى مهـل فهل ترى فيه حرفـاً غـير مـا كانـا
لمـــا قـــرأت ولم تنكـــر قراءتـــه إقرار مـن عـرف الأشـياء عرفانـا
نادى الجليل خـذوه يـا ملائكتـي وامضوا بعبدٍ عصى للنار عطـشانا
المجرمـون غـداً في النـار يلتهبـوا والمؤمنـون بـدار الخلـد سـكانا

اللهم انصرنا على ألسنتنا وانصرنا على أعدائنا

٣٢

الفرار إلى الله تعالى من أمراض القلوب

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الذاريات] في هذه الآية يأمرُ ربنا -جل وعلا- عبادَهُ جميعاً أن يفروا إليه من أسباب الهلاك إلى أسباب النجاة. ومن أسباب النجاة عند الله يوم القيامة: **القلبُ السليمُ**.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء].

عباد الله! والفرارُ كما قلنا نوعان: فرارُ السعداءِ وفرارُ الأشقياء، فالأشقياءُ يفرون من الله إلى غيره، وأولئك خابوا وخسروا؛ فأين المفر والإله الطالب؟! والسعداءُ يفرون من الله إلى الله؛ لأنهم قد علموا وأيقنوا أنه لا ملجأ من الله إلا إليه.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع فرارِ السعداءِ إلى الله من أمراض القلوب.

عباد الله! تكلمنا في الجمعة الماضية عن فرار السعداء إلى الله -تعالى- من آفات اللسان، وتبين لنا أن اللسان بمثابة القائد الأعلى لأعضاء الجسد؛ وأنه إذا استقام استقامت وإن اعوج اعوجت. وكلامنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- عن القلب، والقلب في الجسد كالراعي في رعيته، إذا صلح صلح الجسدُ كلهُ، وإذا فسد فسد الجسدُ كلهُ.

عباد الله! فالإنسانُ إذا صَلَحَ قلبهُ ولسانُهُ صلح كلُّهُ وأصبح من خير الناس، وإذا فسد قلبُهُ ولسانُهُ فسد كلُّهُ وأصبح من شرِّ الناس.

- ولقد سُئِلَ ﷺ: من خيرُ الناس؟

فقال ﷺ: «**خيرُ الناسِ ذو القلب المخمومِ واللسان الصادق**».

قيل: ما القلب المخموم؟

قال: «**هو التقيُّ النقيُّ الذي لا إثم فيه ولا بغيَّ ولا حسد**»[1].

- وعن خالد الرَّبعي قال: (كان لقمانُ عبداً حبشاً نجاراً، فقال له مولاهُ: اذبح لنا شاةً فذبحها.

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٤٢١٦)، والبيهقي في «الشعب» (٤/ ٢٠٥)، [«صحيح الجامع» (٣٢٩١)].

قال له: أخْرِجْ لنا أطيبَ مضغتين فيها فأخرج اللسانَ والقلبَ، ثم مكث ما شاء الله ثم قال له مولاهُ: اذبح لنا شاةً، فذبحها قال له: أخرِجْ لنا أخبثَ مضغتين فيها فأخرج اللسان والقلب، فقال مولاه: أمرتُكَ أن تُخرجَ أطيب مضغتين فيها فأخرجتَهُما، وأمرتُك أن تُخرج أخبث مضغتين فيها فأخرجتهُما!

فقال لقمان: إنه ليس من شيءٍ أطيب منهما إذا طابا، ولا أخبث منهما إذا خبثا)[1].

فالإنسانُ يا عباد الله بقلبه ولسانه، فإن صلحا صلح الإنسان كلهُ، وإذا فسدا فسد الإنسان كلُّهُ، ولذلك أخبرَ النبيُّ ﷺ أن خير الناس من كان صدوقَ اللسان سليمَ القلب.

عباد الله! وكلامنا عن أمراض القلوب سيكون حول العناصر التالية:

العنصر الأول: أهميةُ القلبِ بالنسبة للإنسان.

العنصر الثاني: قلوبٌ أصحابُها على خطرٍ.

العنصر الثالث: كيف تُصلحُ قلبك.

العنصر الرابع: نداءٌ فيه تذكيرٌ وتحذيرٌ ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

---

(١) انظر: «الطبري» (٦٧، ٦٨/ ٢١).

العنصر الأول: أهمية القلب بالنسبة للإنسان:

أولاً: سعادةُ الإنسان وشقاوته، وحياتُهُ وموتُهُ تتوقف على القلب.

- قال ﷺ: «**ألا وإنَّ في الجسد مضغةً إذا صلحتْ صلح الجسد كلُّهُ، وإذا فسدتْ فسدَ الجسدُ كلُّهُ، ألا وهي القلبُ**»(١).

ثانياً: القلب هو محلُ النيات التي بها تُصلحُ الأعمال وتقبل عند الله أو ترد وتبطلُ.

- قال ﷺ: «**إنما الأعمالُ بالنيات، وإنما لكل امرئٍ ما نوى**»(٢)، فالنية محلها القلب.

ثالثاً: القلب هو محل نظر الله –تعالى.

- قال ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»(٣).

رابعاً: القلب هو محلُ التقوى.

- سُئِلَ ﷺ عن القلب المخموم فقال: «**هو التقيُّ النقيُّ، لا إثم فيه ولا بغي ولا غلَّ ولا حسد**»(٤).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

(٤) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٤٢١٦)، والبيهقي في «الشعب» (٤/ ٢٠٥)، [«صحيح ابن ماجه» (٣٤١٦)].

وقال ﷺ: «**التقوى هاهنا**» ويشير إلى صدره ثلاث مرار.[1]

خامساً: القلبُ هو محل القرآن: تدبراً وفهماً وحفظاً.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ -أي: القرآن- ﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء].

وقال تعالى عن القرآن: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت:٤٩].

وقد عاب الله -عز وجل- على الذين لا يستخدمون قلوبهم وعقولهم في تدبر القرآن، فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد].

سادساً: القلبُ من أعظم الوسائل لطلب العلم الشرعي الذي به سعادةُ الإنسان في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل].

العنصر الثاني: قلوبٌ أصحابُها على خطر:

أولاً: القلوب الميتة.

إن صاحب القلب الميت على خطر، وهذا الإنسان قبرٌ يدبُّ على الأرض، يشقى في الدنيا والآخرة، وذلك لأن هذا القلب لا حياة به؛ فهو

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

لا يعرف ربه، ولا يعبدهُ، بل هو منقطع لشهواتِهِ ولذاته، فهو متعبد لغير الله حباً وخوفاً، ورجاءً ورضى وسخطاً، وتعظيماً وذلاً، إن أحبَّ فلهواه، وإن أبغض فلهواه، وإن أعطى فلهواه، وإن منع منع لهواه، فالهوى إمامُهُ، والشهوة قائدهُ، والجهل سائقهُ، والغفلة مركبه.

يقول الله -عز وجل: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان]، وقال تعالى: -: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية].

عباد الله! مخالطة صاحب هذا القلب سُقم، ومعاشرته سمٌ، ومجالسته هلاك؛ فإنه على خطرٍ عظيم ومن جالسه كان على خطر أيضاً، وقد توعد الله -عز وجل- أصحاب هذه القلوب بالويل فقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الزمر].

وأعد الله جنهم لأصحاب هذه القلوب، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾ -أي: ولقد خلقنا لجنهم- ﴿كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف].

ثانياً: القلوبُ المريضة.

إن صاحب القلب المريض على خطرٍ عظيم؛ وذلك لأن هذا القلب به حياةٌ وبه علةٌ، فله مادتان؛ تمدهُ هذه مرةً وهذه أُخرى وهو لما غلب عليه

منهما، إن غلب عليه مرضُهُ التحق بالقلب الميت القاسي، وإن غلب عليه صحتُهُ التحق بالقلب السليم.

عباد الله! والقلوب تمرض وتموت بسبب الفتن، فتنُ الشهوات، وفتن الشبهات، وهما أساسُ كلِّ شرٍّ.

قال الله -عز وجل- عن فتنة الشهوات: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب:٣٢].

وهذا هو مرض الشهوة، مثل المرض بفتنة النساء.

وقال الله -عز وجل- عن فتنة الشبهات: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة:١٠].

وقال تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الحج:٥٣]، وهذه هي فتنة الشبهات.

عباد الله! كم من الناس أصبح قلبه عبداً لشهواته؟ وكم من الناس أصبح قلبه عبداً للشبهات التي تُلْقى عليه؟ ونحن نعيش في فتنٍ كقطع الليل المظلم تموج بالناس كموج البحر.

- يقول النبيُّ ﷺ: «**تُعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأي قلبٍ أشربَها نُكت فيه نكتةٌ سوداء، وأي قلبٍ أنكرها نُكِتَ فيه نكتةٌ بيضاء، حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا، فلا**

تضره فتنة ما دامت السموات والأرض. والآخر أسودَ مُرْبادّاً كالكوز مُجَخِّياً، لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً إلا ما أُشرِبَ من هواه»(١).

العنصر الثالث: كيف تصلحُ قلبك؟

أولاً: بالإيمان الصادق .. بالعقيدة الصحيحة.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن].

ثانياً: بالقرآن الكريم حفظاً وفهماً وتدبراً.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يونس]، وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء:٨٢].

ثالثاً: بذكر الله.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد].

- وقال تعالى معاتباً المؤمنين: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد].

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٤٤).

رابعاً: بالدعاء.

عباد الله! العبدُ إذا التجأ إلى ربه بالدعاء ليُصلح له قلبه، أصلح اللهُ له قلبه وذلك كما علمنا ربنا جل وعلا -في كتابه فقال: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران].

وقد علمنا النبي ﷺ في سنته ذلك أيضاً.

- قال ﷺ: «**اللهم إني عبدك وابنُ عبدك وابنُ أمتك، ناصيتي بيدك ماضٍ فيّ حكمك، عدلٌ فيّ قضاؤك، أسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي**»(١).
- ويقول ﷺ: «**رب أعني ولا تعن عليَّ، وانصرني ولا تنصر عليَّ، وامكر لي ولا تمكر علي ... ربي تقبل توبتي واغسل حوبتي، وأجب دعوتي وثبت حجتي، واهد قلبي، وسدد لساني، واسلل سخيمة قلبي**»(٢).

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٣٩١)، وابن حبان (٩٦٨)، والطبراني في «الكبير» (١٠/ ١٦٩)، وأبو يعلى (٩/ ١٩٨)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٨٢٢)].

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (١٥١٠)، والترمذي (٣٥٥١)، وابن ماجه (٣٨٣٠)، وأحمد (١/ ٢٢٧)، [«صحيح الجامع» (٣٤٨٥)].

- ويقول ﷺ: «**اللهم إني أسـألك أن ترفـع ذكـري، وتـضع وزري، وتصلح أمري، وتطهر قلبي، وتحصن فرجي، وتنور قلبي، وتغفـر لي ذنبي**»(١).

خامساً: بذكر الموت والقبر والبعث والنشور، وذكر الوقوف بـين يـدي الله للحساب والجزاء.

- قال ﷺ: «**أكثروا من ذكر هاذم اللذات: الموت**»(٢).
- وقال ﷺ: «**كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها؛ فإنها ترِقُّ القلب، وتدمع العين، وتذكر الآخرة**»(٣).

ولكن الكثير من الناس عن الموت والقبر والبعث غافلون، وحالهم كما قال القائل:

أمـــا والله لـــو علـــم الأنـــام ... لمـا خلقـوا لمـا هجعـوا ونـاموا
لقــد خلقــوا لأمــر لــو رأتــه ... عيــون قلــوبهم تــاهوا وهــاموا
ممـــات ثـــم قـــبر ثـــم حـــشر ... وتـــوبيخ وأهـــوالٌ عظـــامُ

---

(١) **صحيح**: أخرجه الحاكم (١/ ٧٠١)، والطبراني في «الأوسط» (٦/ ٢١٤)، وقـال الحـاكم: هـذا حديث **صحيح الإسناد** ولم يخرجاه، وقال الذهبي في «التلخيص»: **صحيح**.

(٢) **صـحيح**: أخرجـه الترمـذي (٢٣٠٧)، والنـسائي (١٨٢٤)، وابـن ماجـه (٤٢٥٨)، وأحمـد (٢/ ٢٩٢)، [«صحيح الجامع» (١٢١٠)].

(٣) صحيح: أخرجـه الحـاكم (١/ ٥٣٢)، والبيهقـي في «الـشعب» (٧/ ١٥)، [«صـحيح الجـامع» (٤٥٨٤)].

ليوم الحشر قد علمت رجال فصلوا من مخافته وصاموا
ونحن إذا أُمرنا أو نُهينا كأهل الكهف أيقاظٌ نيامُ

العنصر الرابع: نداءٌ فيه تذكيرٌ وتحذيرٌ؛ ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيّ عن بينة.

عباد الله! فِروا إلى الله -تعالى- من أمراض القلوب؛ فإنه لن ينجو من عذاب الله يوم القيامة إلا صاحب القلب السليم.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء].

فِروا إلى الله تعالى من أمراض القلوب؛ فإن القلب نعمةٌ من نعم الله التي لا تُعد ولا تحصى والله سائلنا عنها يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء].

فِروا إلى الله تعالى من أمراض القلوب؛ فإن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يُقلبُها كيف يشاء.

- قال ﷺ: «**إن قلوب بني آدم كلَّها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد، يُصرِّفُهُ حيث يشاء**»(١).
- وقال ﷺ: «**يا أمَّ سلمة! إنه ليس آدميٌّ إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله، فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ**»(٢).

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٦٥٤).

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٥٢٢)، وأحمد (٦/ ٣١٥)، والطيالسي (١٦٠٨)، [«صحيح الجامع» (٧٨٥٤)].

ولذلك كان ﷺ يكثر من الدعاء بهداية القلوب

- فيقول ﷺ: «**اللهم مصرف القلوب صرِّف قلوبنا على طاعتك**»(١).
- ويقول ﷺ: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**»(٢).

فِروا إلى الله تعالى من أمراض القلوب، فإن الله تعالى توعد أصحاب القلوب القاسية بالعذاب الأليم في النار.

قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الزمر].

ولقد أعد الله جهنم لأصحاب هذه القلوب.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾ -أي: ولقد خلقنا لجنهم- ﴿كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف].

فليتق الله كل منا في قلبه، وليعلم كلٌّ منا أنه لن ينجو يوم القيامة من عذاب الله إلا من أتى ربه بقلب سليم.

اللهم طهر قلوبنا

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٦٥٤).

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢١٤٠)، وأحمد (٣/ ١١٢)، والحاكم (١/ ٧٠٧)، [«صحيح الجامع» (٧٩٨٧)].

٣٣

الفرار إلى الله تعالى
من أسباب الذلةِ إلى أسباب العزةِ.
ومن أسبابِ الذّل: الربا.

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠﴾ [الذاريات] في هذه الآية يأمرُ ربنا -جل وعلا- عبادَهُ جميعاً أن يفروا إليه من المعاصي إلى الطاعات.

عباد الله! والفرارُ كما قلنا نوعان: فرارُ السعداءِ وفرارُ الأشقياء، فالأشقياءُ يفرون من الله إلى غيره، وأولئك خابوا وخسروا؛ فأين المفر والإله الطالب؟! والسعداءُ يفرون من الله إلى الله؛ لأنهم علموا وأيقنوا أنه لا ملجأ من الله إلا إليه.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع فرارِ السعداءِ إلى الله -تعالى- **من أسباب الذلةِ والهوان إلى أسباب العزةِ والكرامة** لأنهم قد علموا أن العزة بيد الله -عز وجل- وحدهُ.

قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر:١٠]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون].

عباد الله! ومن أسباب الذِلة للفردِ والجماعةِ والأمةِ: التعامل بالربا.

- قال ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعينة** -وهي نوع من أنواع الربا- **وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد؛ سلط اللهُ عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**»(١). ولذلك أمر الله -عز وجل- عباده المؤمنين أن يفروا إليه من جريمة الربا التي هي سببٌ للذل والهوان.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾ [البقرة].

عباد الله! وكلامنا عن جريمة الربا سيكون حول العناصر التالية:

العنصر الأول: الربا حرام.

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٣٤٦٢)، والبيهقي في «السنن» (٥/ ٣١٦)، [«الصحيحة» (١١)].

العنصر الثاني: الإسلام وجريمة الربا.

العنصر الثالث: رسالة إلى المرابين فيها تذكيرٌ وتحذيرٌ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

العنصر الأول: الربا حرامٌ.

عباد الله! الربا لغة: الزيادة، قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [الحج:٥]، وربت: أي زدات.

والربا شرعاً: الزيادة في الدَّيْن على رأس المال، قلّت أو كثرت.

عباد الله! والربا حرامٌ بالكتاب والسنة وإجماع الأمة.

ففي كتاب ربنا:

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ [البقرة:٢٧٥].

وفي سنة نبينا ﷺ:

- في حجةِ الوداع وعلى مسمعٍ من جميع الصحابةِ رضي الله عنهم حرَّم النبي ﷺ الربا، فقال: « **إن دماءكم وأموالكم حرامٌ عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا كلُّ شيءٍ من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوعٌ، ودماءُ الجاهلية موضوعةٌ، وإن أول دمٍ أضع**

من دمائنا دمُ ابن ربيعة بن الحارث، كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هُذَيل، وربا الجاهلية موضوعٌ، وأول ربا أضع ربانا، ربا عباسِ بن عبدالمطلب، فإنه موضوعٌ كله[1]».

- وقال ﷺ: «**اجتنبوا السبعَ الموبقات**»... -فذكر-: «**وأكل الربا**»[2].
- وقال ﷺ: «**الربا ثلاثةٌ وسبعون باباً، أيسرها مثل أن ينكح الرجلُ أمَّهُ**»[3].
- وقال ﷺ: «**درهم ربا يأكله الرجلُ، وهو يعلم، أشدُّ عند الله من ستّةٍ وثلاثين زنية**»[4]. فليحذر الذي يعمل في بنوك الربا، والذي يبني بيتاً من الربا، والذي يشتري سيارة من الربا.
- وفي حديث الرؤيا الطويل: قال ﷺ: «**فانطلقنا فأتينا على نهرٍ أحمر مثلْ الدمِ وإذا في النهر رجلٌ سابحٌ يسبحُ وإذا على شط النهر رجلٌ قد جمع عندهُ حجارةً كثيرةً وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عندَهُ الحجارة فيفغر له فاهُ فيُلقمُهُ حجراً**

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٢١٨).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

(٣) **صحيح**: أخرجه الحاكم (٢/ ٤٣)، والبيهقي في «الشعب» (٤/ ٣٩٤)، [«صحيح الجامع» (٣٥٣٩)].

(٤) **صحيح**: أخرجه أحمد (٥/ ٢٢٥)، والدارقطني (٣/ ١٦)، والبيهقي في «الشعب» (٤/ ٣٩٣)، [«صحيح الجامع» (٣٣٧٥)].

فينطلقُ يسبحُ ثم يرجعُ إليه كلما رجع إليه فغر لهُ فاهُ فألقمهُ حجراً.
قال: قلتُ لهما: من هذان؟ فقيل له: إنه آكلُ الرِّبا»(1).

عباد الله! أدلة من كتاب ربنا ومن سنة نبينا تحرم الربا، ومع ذلك كم من المسلمين ما زال متورطاً في الربا حتى اليوم؟! أما تخاف من أن ينزل بك الموت وأنت آكل للربا؟!

العنصر الثاني: الإسلامُ وجريمة الربا.

عباد الله! الإسلام دينٌ عظيمٌ ما ترك شيئاً يُقربُنا من رضا اللهِ والجنةِ إلا وأمرنا به، وما ترك شيئاً يُقربنا من الشيطان والنار إلا وحذرنا منه، ولما كان الربا سبباً للذل والهوانِ والدمارِ جاء الإسلامُ يحاربُ الربا ويطارد المرابين في كل مكان.

ففي كتاب ربنا -جل وعلا-:

أولاً: يتوعد الله -عز وجل- المرابين بالنار الحامية.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (130) وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (131) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (132)﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (275)﴾ [البقرة].

---

(1) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٠٤٧).

ثانياً: هدد الله المرابين وأعلن الحرب عليهم.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (٢٧٩)﴾ [البقرة].

وهذه الحرب على الأعصاب وعلى الصحة وعلى الأولاد، وبتسليط الأعداء علينا.

ثالثاً: بشَّر الله المرابين بمحق أموالهم ولو بعد حين، وبشرهم بحياة الهمِّ والغمِّ والضنك، فيمشي أحدُهم في الدنيا كالمصروع، ويبعثُ يوم القيامة من قبره كالذي مسه الشيطان.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٢٧٥) يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦)﴾ [البقرة].

- وقال ﷺ: «**الربا وإن كثُرَ فإن عاقبتهُ تصير إلى قل**»(١).

عباد الله! وفي سنة نبينا ﷺ:

أولاً: يخبرنا ﷺ أن من اقترب من الربا معلون.

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٣٩٥)، والحاكم (٢/ ٤٣)، والطبراني في «الكبير» (١٠/ ٢٢٣)، [«صحيح الجامع» (٣٥٤٢)].

- يقول جابر رضي الله عنه: «**لعن رسول الله ﷺ آكل الربا ومُوكلهُ وكاتبهُ وشاهديه، وقال: هم سواءٌ**»(١).

ثانياً: وأخبرنا النبيُّ ﷺ أن الربا سببٌ لنزول العذاب على الأمة.

- قال ﷺ: «**إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله**»(٢) وها قد انتشر الزنا والربا في الأمة وكأنهم أعلنوا الحرب على الله!! فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثالثاً: أخبر النبيُّ ﷺ أن آكل الربا كالذي ينكح أمه.

- فقال ﷺ: «**الربا ثلاثة وسبعون باباً أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه**»(٣).

رابعاً: الربا سببٌ للذل والهوان، كما سمعتم قال ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ...**»(٤)، ومع ذلك نرى كثيراً من الناس يتعاملون بالربا، ويأكلون الربا ونسوا الله -عز وجل- فأعلن الله عز وجل الحرب عليهم.

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٥٩٨).

(٢) **صحيح**: أخرجه الحاكم (٢/ ٤٣)، والبيهقي في «الشعب» (٤/ ٣٩٧)، [«صحيح الجامع» (٦٧٩)].

(٣) **صحيح**: تقدم تخريجه (ص٤١٣).

(٤) **صحيح**: تقدم تخريجه (ص٤١١).

العنصر الثالث: رسالةٌ إلى المرابين فيها تذكيرٌ وتحذيرٌ؛ ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيّ عن بينة:

١ - أيها المرابي! اتق الله في نفسك وفي أولادك وأهلِكَ فإنك مسئولٌ عنهم يوم القيامة أمام الله، قال ﷺ: «**كلُّ جسد نبت من سُحتٍ فالنار أولى به**»(١).

وقال ﷺ: «**كل راعٍ مسئول عن رعيته**»(٢).

ولقد كانت المرأة الصالحة في الصدر الأول من الإسلام تقول لزوجها إذا خرج إلى السوق: اتق الله فينا ولا تأتينا بطعام من حرام فإننا نصبرُ على الجوع في الدنيا ولا نصبر على نار جهنم يوم القيامة.

٢ - أيها المرابي! اعلم أَنك راجع إلى الله وواقف بين يديه ومسئولٌ عن مالِك من أين اكتسبته وفيمَ أنفقته.

قال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ۝٢٤﴾ [الصافات]، وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٢٨١﴾ [البقرة].

وقال ﷺ: «**ما منكم مِنْ أحدٍ إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه، فلا يرى إلا ما قدم من عمله، وينظر أشأم منه، فلا يرى إلا**

---

(١) **صحيح**: أخرجه البيهقي في «الشعب» (٥/ ٥٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٦٥)، [«صحيح الجامع» (٤٥١٩)].

(٢) **صحيح**: [«صحيح الجامع» (٤٥٢٦)].

ما قدم، وينظر بين يديه، فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة، ولو بكلمة طيبة»[1].

- وقال ﷺ: «**لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسأَلَ عن أربع** -وذكر منها- **وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه**»[2]. فهل تجهزت للإجابة عن هذه الأسئلة يا عبد الله؟

ابن آدم!

مثل وقوفك يوم العرض عُريانا ... مستوحشاً قلق الأحشاء حيرانا
والنار تلهب من غيظ ومن حنق ... على العصاة ورب العرش غضبانا
اقرأ كتابك يا عبدي على مهل ... فهل ترى فيه حرفاً غير ما كانا
لما قرأت ولم تنكر قراءته ... إقرار من عرف الأشياء عرفانا
نادى الجليل خذوه يا ملائكتي ... وامضوا بعبدٍ عصى للنار عطشانا
المجرمون غداً في النار يلتهبوا ... والمؤمنون بدار الخلد سكانا

٣- أيها المرابي! اعلم أن التوبة تقبل قبل الموت، وقبل طلوع الشمس من مغربها، ولن تقبل إذا نزل بك الموت.

قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [النساء:١٨].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٥١٢)، ومسلم (١٠١٦).

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٤١٧)، والدارمي (٥٤٠)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٦٠)، [«صحيح الجامع» (٧٣٠٠)].

• وقال ﷺ: «**إن الله -عز وجل- ليقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»(1).

٤- أيها المرابي! احذر الدنيا؛ فإن حلالها حساب وحرامها عذاب، وقد حذر الله عز وجل من الدنيا.

فقال تعالى: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ۝٥﴾ [فاطر].

وحذر النبيّ ﷺ أمته من الدنيا، فقال ﷺ: «**فاتقوا الدنيا واتقوا النساء**»(2).

وقال ﷺ: «**إن لكل أمةٍ فتنة، وفتنة أمتي المال**»(3).

اللهم رد المسلمين إلى دينك رداً جميلاً

---

(١) **حسن**: أخرجه الترمذي (٣٥٣٧)، وابن ماجه (٤٢٥٣)، وأحمد (٢/ ١٣٢)، [«صحيح ابن ماجه» (٣٤٤٩)].

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٧٤٢).

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣٣٦)، وأحمد (٤/ ١٦٠)، والحاكم (٤/ ٣٥٤)، [«الصحيحة» (٥٩٢)].

٣٤

الفرار إلى الله تعالى
من أسباب الهزيمة إلى أسباب النصر

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠﴾ [الذاريات] في هذه الآية يأمرُ ربنا -جل وعلا- عبادَهُ جميعاً أن يفروا إليه من المعاصي التي هي سببٌ لكلِّ شرٍّ إلى الطاعات التي هي سببٌ لكل خيرٍ.

والفرار كما قلنا نوعان: فرارُ السعداء وفرارُ الأشقياء، فالأشقياء يفرون من الله إلى غيره، وأولئك خابوا وخسروا؛ فأين المفر والإله الطالبُ؟! والسعداءُ يفرون من الله إلى الله؛ لأنهم قد علموا وأيقنوا أنه لا ملجأ من الله إلا إليه.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع فرارِ السعداءِ إلى الله -تعالى- **من أسبابِ الهزيمة إلى أسبابِ النصر**.

عباد الله! ... أتدرون لماذا فرَّ السعداءُ إلى الله -تعالى- من أسباب الهزيمة إلى أسباب النصر؟

الجواب:

أولاً: لأنهم قد علموا وأيقنوا أن النصرَ على الأعداء يأتي من عند الله وحدَهُ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة]، وقال تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [آل عمران].

ولذلك فقد امتن الله على عباده المؤمنين أنه هو الذي ينصرُهم فقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنفال].

فالسعداء يعلمون أن النصر من عند الله وحده وليس مِنَ الشرق ولا من الغرب ولا من فرقِ الضلال؛ لأنَّ الشرَّ لا يأتي بخيرٍ أبداً ولا يأتي بنصرٍ أبداً.

ثانياً: لأنهم قد علموا وأيقنوا أن النصر على الأعداء لا يكون إلا بعد الابتلاءِ والتمحيص والشدةِ والصبر.

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾ [يوسف]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنعام]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [آل عمران].

وفي غزوة الخندق يقول الله -عز وجل- ممتناً بنعمته؛ بأنْ نصر المسلمين على الكفار: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب].

ويصف لنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه هذه الشدة فيقول: (لقد رأيتُنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب، وأخذتنا ريح شديدة وقُرٌّ، فقال رسول الله ﷺ: «**ألا رجل يأتيني بخبر القوم، جعله الله عز وجل معي يوم القيامة؟**» فسكتنا، فلم يُجبه منّا أحد، ثم قال: «**ألا رجل يأتيني بخبر القوم،**

جعله الله عز وجل معي يوم القيامة؟». فسكتنا، فلم يُجبه منا أحد، ثم قال: «**ألا رجل يأتينا بخبر القوم، جعله الله عز وجل معي يوم القيامة؟** » فسكتنا، فلم يجبه منا أحد، فقال: «**قُم يا حذيفة! فأْتنا بخبر القوم**» -يقول حذيفة-: فلم أجد بُدًّا إذ دعاني باسمي أن أقوم ...)[1].

ومع هذه الشدة يصف لنا ربنا -جل وعلا- المؤمنين الصادقين فيقول: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب].

نعم، عندها جاءَ الفرجُ والنصرُ من عند الله، قال تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ [الأحزاب].

ثالثاً: فرَّ السعداءُ إلى الله -تعالى- من أسبابِ الهزيمة إلى أسبابِ النصر، لأنهم قد علموا وأيقنوا أن لله في نصر المؤمنين على أعدائهم سنناً لا تتبدلُ ولا تتغيرُ ولا تتحول.

قال تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الأحزاب]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [فاطر].

عباد الله! وسُنن الله في نصر المؤمنين على أعدائهم هي:

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٧٨٨).

السنةُ الأولى: قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم].

السنةُ الثانية: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١].

السنة الثالثةُ: قوله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد].

أما السنةُ الأولى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

عباد الله! إن نصرَ الله -عز وجل- لدينه ولعبادِه المؤمنين آتٍ لا محالة، وإن التمكين للإسلام في الأرض سيتم بعزِّ عزيزٍ أو بذلِّ ذليلٍ، هذا وعدُ الله سبحانه والله ُلا يُخلفُ الميعاد.

يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر]، ويقول تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور:٥٥]، ويقول سبحانه: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة]، وقال عزّ من قائل: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء].

كما أن الوعدَ بنصرة دين الله -عز وجل- جاءَ على لسان رسول الله ﷺ:

فقال ﷺ: «**إن الله زوى لي الأرضَ، فرأيتُ مشارِقَها ومغارِبها، وإن أمتي سيبلغُ ملكُها ما زُوِيَ لي منها**»(١).

- وقال ﷺ: «**ليبلغن هذا الأمرُ ما بلغَ الليلُ والنهارُ، ولا يتركُ اللهُ بيت مَدرٍ ولا وبرٍ إلا أدخلَه اللهُ هذا الدينَ بعزّ عزيزٍ أو بذلّ ذليلٍ؛ عِزّاً يعزُّ اللهُ به الإسلامَ وذُلاً يذلُ به الكفرَ**»(٢).
- وقال ﷺ: «**تكون النبوةُ فيكم ما شاءَ اللهُ أن تكونَ ثم يرفعها اللهُ إذا شاءَ أن يرفعَها، ثم تكون خلافةٌ على منهاج النبوة فتكونُ ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافةٌ على منهاج النبوة، ثم سكت**»(٣).

عباد الله! وهذه السنةُ وهذا الوعدُ من الله لعبادهِ المؤمنين لابدَّ أن يكون؛ لأن الله وعدَ بذلك، واللهُ سبحانه وتعالى لا يخلفُ وعدَه، ولكن متى يتحققُ هذا الوعدُ؟ الجواب: إذا حقق المسلمون السنة الثانية.

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٨٨٩).

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ١٠٣)، والحاكم (٤/ ٤٧٧)، والبيهقي في «السنن» (٩/ ١٨١)، [«الصحيحة» (٣)].

(٣) **حسن**: أخرجه أحمد (٤/ ٢٧٣)، [«الصحيحة» (٥)].

والسنةُ الثانية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ **[الرعد:١١]**

عباد الله! وهذه السنةُ هي مفتاحُ النصر والتمكين، وهي المدخلُ الوحيدُ لتغيير واقعنا المعاصر الأليم، وذلك لأن الله قضى أنهُ لا يغيرُ أحوالَ قومٍ أو أمةٍ حتى يبدأوا هم فيغيروا ما بأنفسهم ويصلحوا أحوالهم، فيغيرُ اللهُ ما بهم ويأخذ بأيديهم ويعينهم.

وهذا يعني أنه متى تأخرَ نصرُ الله -عز وجل- مع الحاجةِ الماسةِ إليه فإن هناكَ أسباباً في تأخره ولا شك، ومن أهم هذه الأسباب أن الذين يطلبون وينتظرون نصر الله تعالى لم يغيروا ما بأنفسهم بعد.

فإن الله -عز وجل- يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد:١١]، ويقول سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الأنفال:٥٣].

عباد الله! انطلاقاً من هذه الآيات فرَّ السعداءُ إلى الله من أسباب الهزيمة إلى أسباب النصر.

فَفَروا من الكفر إلى الإيمان، ومن الشرك إلى التوحيد، ومن الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الهدى، ومن المعاصي إلى الطاعات.

وذلك لأنهم علموا وأيقنوا أن المعاصي سببٌ للهزيمة، بل هي سببٌ لتحويل النصر إلى هزيمة، وذلك كما حدث في غزوة أحد، فبعد أن انتصر المسلمون على أعدائهم وبسبب مخالفة من بعض الرماة هُزم المسلمون.

قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران:١٦٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ۖ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [آل عمران:١٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ (٣٠)﴾ [الشورى]، وقال تعالى: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء:٧٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [الروم:٣٦].

السنةُ الثالثة: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم (٣٨)﴾ **[محمد]**

عباد الله! بالجمع بين السنة الأولى والثانية تظهر لنا معالم هذه السنة، فإن الناس إذا لم يغيروا ما بأنفسهم، فهل معنى ذلك أن نصر الله -عز وجل- لن يأتي؟

والجواب: كلا، فلا بد أن يأتي نصرُ الله -عز وجل- كما تقرر ذلك في السنة الأولى، ولكن يقف في سبيل ذلك عدم الأخذ بالسنة الثانية من التغيير.

وفي هذه الحالة تأتي سنة الله -عز وجل - الثالثة والمتضمنة تبديل من رفضوا تغيير ما بأنفسهم وما في واقعهم بجيلٍ يحبهم الله -عز وجل- ويحبونه، أذلةٍ على المؤمنين أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله لا يخافون في الله لومة لائم، وهؤلاء يحققون بذلك أسباب النصر، فينزل الله -عز وجل- عليهم نصره ويشرفهم به.

وذكْر هذا كثير في كتاب الله -عز وجل- حيث يقول سبحانه: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد]، وقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [التوبة]، ويقول جل شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة].

عباد الله! في هذه الآية يخبرنا ربنا -جل وعلا أن حزب الله هو الغالبُ وهو المنتصر.

عباد الله! وحزب اللهِ الذي أخبرنا الله عنه في هذه الآية يحبه اللهُ ويحبون الله، وحزبُ اللهِ الغالبُ المنتصرُ هو كل من كان وليهُ اللهُ ورسولُهُ والذين آمنوا، وفي مقدمة هؤلاء المؤمنين أصحاب محمدٍ ﷺ، فحزبُ الله هو المحبُّ لله ولرسولهُ وللصحابة ﵃؛ وذلك لأنّ حب الصحابةِ دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيان، من أحبهم أحبه الله ولا يحبهم إلا مؤمن، ومن أبغضهم أبغضه الله ولا يبغضهم إلا منافق زنديق.

- قال ﷺ: «**آيةُ الإيمان حبُّ الأنصار، وآيةُ النفاق بغضُ الأنصار**»(١).

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٧)، ومسلم (٧٤).

- وقال ﷺ: «**الأنصار لا يُحبهم إلا مؤمنٌ، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبَّهُ الله، ومن أبغضهم أبغضه الله**»(١).

عباد الله! فحزبُ الله الغالبُ المنتصرُ هم الذين يحبون المؤمنين وفي مقدمتهم أصحابُ محمد ﷺ، وفي مقدمة الصحابة أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

وحزبُ الله الغالب المنتصر هم الذين لا يسبونَ الصحابة.

- قال ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي**»(٢)، وفي رواية: «**لا تسبوا أحداً من أصحابي**»(٣).

- وقال ﷺ: «**لعن الله من سبَّ أصحابي**»(٤).

- وقال ﷺ: «**من سبَّ أصحابي، فعليه لعنةُ اللهِ، والملائكةِ والناسِ أجمعين**»(٥).

عباد الله! فرَّ السعداءُ إلى اللهِ -عز وجل- من أسباب الهزيمة إلى أسباب النصر وذلك بالأمور التالية:

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٧٨٣)، ومسلم (٧٥).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٥٤١).

(٤) **حسن**: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ٤٣٤)، وفي «الأوسط» (٧/ ١١٤-١١٥)، [«صحيح الجامع» (٥١١١)].

(٥) **حسن**: أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢/ ١٤٢)، [«صحيح الجامع» (٦٢٨٥)].

أولاً: الالتجاءُ إلى الله -تعالى- وحدهُ بقولهم: ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [(1)]).

قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنبياء].

ونصرَ اللهُ نبيه والذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابتهم القروح والجراح: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران].

ثانياً: الالتجاء إلى الله بالدعاء.

كما علمنا ربنا -جل وعلا- في آخر سورة البقرة فقال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة].

وكما علمنا النبي ﷺ، فكان ﷺ في غزواته يلتجئ إلى الله بالدعاء كما حدث في غزوة بدرٍ، والأحزاب، وحُنين، فقال ﷺ في بعض أيامه التي

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٥٦٣).

لقي العدو فيها: «**اللهم مُنزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم**»(١).

ثالثاً: أن ننصر اللهَ في أنفسنا ويكون ذلك بالعقيدة الصحيحة وبالمنهج الصحيح والعمل الصالح وبمحبة أصحاب محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾ [محمد].

رابعاً: بالاتحاد والاعتصام وعدم التفرق والاختلاف، فالاتحاد قوة والتفرق ضعف:

قال تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران:١٠٣].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٤٥ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٤٦﴾ [الأنفال].

خامساً: الإعدادُ الإيماني والمادي كما أمر الله -عز وجل في قوله: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾ [الأنفال:٦٠].

سادساً: الصبرُ وعدم الاستعجال كما أمر اللهُ رسولَه ﷺ، وكما صبر الرسل من قبله، فقال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ﴾ [الأحقاف:٣٥].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٠٢٥)، ومسلم (١٧٤٢).

وبذلك أمر النبي ﷺ أصحابه:

يقول خباب رضي الله عنه: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسِّدٌ بُردةً لـهُ في ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصِرُ لنا ألا تدعو لنا؟

فقال: «**قد كان من قبلكم يُؤخذُ الرجل فيحفرُ لـهُ في الأرض فيجعلُ فيها، فيُجاء بالمنشار فيوضعُ على رأسهِ فيُجعلُ نصفين، ويمشطُ بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصدُّهُ ذلك عن دينه، والله لَيتمَّنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخافُ إلا اللهَ والذئبَ على غنمه، ولكنكم تستعجلون**[1]».

اللهم رد المسلمين إلى دينك رداً جميلاً

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٩٤٣).

٣٥

الفرار إلى الله تعالى من أسباب الخسران والندم إلى أسباب الفوزِ والسعادةِ

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠﴾ [الذاريات] في هذه الآية يأمرُ ربنا -جل وعلا- عبادَهُ جميعاً أن يفروا إليه من المعاصي التي هي سببٌ لكل شرٍّ إلى الطاعات التي هي سببٌ لكلِّ خيرٍ.

والفرار كما قلنا نوعان: فرارُ السعداء وفرارُ الأشقياء، فالأشقياء يفرون من الله إلى غيره، وأولئك خابوا وخسروا؛ فأين المفر والإله الطالبُ؟! والسعداءُ يفرون من الله إلى الله؛ لأنهم قد علموا وأيقنوا أنه لا ملجأ من الله إلا إليه.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع فرارِ السعداءِ إلى الله تعالى **من أسبابِ الخُسْرانِ والندمِ إلى أسبابِ الفوزِ والسعادةِ.**

عباد الله! أتدرون لماذا فرَّ السعداءُ إلى اللهِ -تعالى- من أسبابِ الخُسْرانِ والندمِ إلى أسبابِ الفوزِ والسعادة؟

الجواب:

أولاً: لأنهم وجدوا أن الخاسر يندمُ:

١- عند الموت: قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون].

٢- عندما يُحْملُ على الأعناقِ إلى المقابر تقول روحهُ: يا ويلها أين تذهبون بها؟!

٣- يوم القيامة: قال تعالى: ﴿وَجِا۟ىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ [الفجر]، وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف]، وقال تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٥٦].

٤- وإذا تطايرت الصحف وأخذ كتابه بشمال فحاله كما قال سبحانه: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ

﴿٢٧﴾ [الحاقة]، ويقول الله -عز وجل- عن هؤلاء: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾ [الزمر].

٥- إذا وَقفوا على النار ندموا كذلك، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام].

٦- إذا دخلوا النار ندموا أيضاً، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر]، وقال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [المؤمنون]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ [الملك].

ثانياً: فرَّ السعداءُ إلى الله -تعالى- من أسباب الخُسْرانِ والندمِ إلى أسباب الفوز والسعادةِ لأنهم وجدوا الفائزين يسعدون ويُبشَّرون ويفرحون:

١- عند الموت، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت].

٢- وعندما يُحمَلُ أحدهم على الأعناقِ إلى المقابر تقولُ رُوحهُ: قدموني، قدموني، فهو يعلم ماذا فعل، وماذا له عند الله، والفائز ليس كالخاسر.

٣- ثم إن الفائزَ يسعد يوم القيامة إذا تطايرت الـصحف وأخـذ كتابـه بيمينه فيقـول: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ٢١﴾ [الحاقة].

٤- والفائز يسعد إذا دخل الجنة، قال تعـالى عـن أهـل الجنـة: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ٧٤﴾ [الزمر]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٤٢ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٤٣﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿أَفَمَا نَحۡنُ بِمَيِّتِينَ ٥٨ إِلَّا مَوۡتَتَنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ٥٩ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٠ لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ ٦١﴾ [الصافات].

عباد الله! وها أنا أضعُ بين أيديكم أسـبابَ الخـسرانِ وأسـبابَ الفـوزِ؛ ليهلك من هلك عن بينة ويحيا مـن حـي عـن بينـة، وأقـول هـذا في وقـت اشتدت فيه الفتن.

عباد الله! أما أسبابُ الخسران فهي:

أولاً: الكفر بالله.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٥﴾ [المائدة]، قال تعالى: ﴿فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗاۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ إِلَّا خَسَارٗا ٣٩﴾ [فاطر].

ثانياً: الشرك بالله.

قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر]، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء].

ثالثاً: الانضمام لحزب الشيطان.

قال تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾ [النساء].

رابعاً: اتخاذ غير الإسلام ديناً.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران:١٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران].

خامساً: عبادة الله عز وجل على حرف كما يفعل الكثير من الناس.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾ [الحج].

سادساً: طاعةُ الكافرين.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [آل عمران].

سابعاً: الارتدادُ عن دين الله.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾ [المائدة]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة].

ثامناً: اتباعُ غيرِ سبيلِ المؤمنين.

وفي مقدمة المؤمنين أصحابُ محمدٍ ﷺ، وفي مقدمة الصحابة رضي الله عنهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

عباد الله! اعلموا أن اتباع سبيلِ الصحابة من المهاجرين والأنصار هو سببُ الفوز في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة].

عباد الله! ومن يتبعْ سبيلاً غيرَ سبيلِ الصحابةِ رضي الله عنهم فهو من الخاسرين في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف].

عباد اللهّ! وأمّا أسبابُ الفوز فهي:

أولاً: الإيمانُ الصادقُ والعملُ الصالحُ.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾ [البروج]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾﴾ [الجاثية].

ثانياً: الجهاد في سبيل الله.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [التوبة]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [الصف].

ثالثاً: طاعة الله ورسوله.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

رابعاً: تقوى الله.

قال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾﴾ [النبأ]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور].

عباد الله! وهكذا يتبين لنا أن الناس عند الموت فريقان: خاسرٌ وفائزٌ، ويتبين لنا أيضاً أن الناسَ يومَ القيامةِ فريقان: فائز وخاسِرٌ، فالذين دخلوا الجنة هم السعداءُ الفائزون، والذين دخلوا النار هم الأشقياءُ الخاسرون.

قال تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحشر].

عباد الله! تعالوا بنا لنستمع إلى نداء الفائزين (أصحاب الجنة) على الخاسرين (أصحاب النار)؛ لعلنا نعتبر ونستيقظ من غفلتنا:

قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأعراف].

عباد الله! واستمعوا إلى نداءِ الخاسرين على الفائزين، وتأملوا ما فيه من الندم والحسرة:

قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأعراف].

عباد الله! من أراد منكم أن يكون من الفائزين فعليه بما يلي:

أولاً: أن يعبدَ اللهَ وحده لينجو من الشرك، قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦]. **إذا دعوت فادعُ الله وحده، وإذا ذبحت فاذبح لله وحده، وعلِّق قلبك بالله وحده.**

ثانياً: عليه أن يتبع الرسول ﷺ وحده لينجو من البدع، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧].

وقال ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أَبى**» قالوا: يا رسول الله ومن يَأْبى؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أَبى**»(١).

ثالثاً: أن يسلك سبيل الصحابة وحدهُ لينجو من سُبل الضلال، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء].

فاستجيبوا لقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة].

وتنبّهوا لقوله ﷺ: «**وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة**» قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه**

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٢٨٠).

وأصحابي»[1]. اللهم قد بلغت اللهم فاشهد، اللهم قد بلغت، اللهم فاشهد، اللهم قد بلغت اللهم فاشهد.

(١) **حسن**: أخرجه الترمذي (٢٦٤١)، والحاكم (١/ ٢١٨)، «السنة» للمروزي (٥٩)، [«صحيح الجامع» (٥٣٤٣)].

٣٦

الفرار إلى الله تعالى من البدعة إلى السنة

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠﴾ [الذاريات] في هذه الآية يأمرُ ربنا -جل وعلا- عبادَهُ جميعاً أن يفروا إليه من المعاصي التي هي سببٌ لكل شرٍّ وإلى الطاعاتِ التي هي سببٌ لكل خير.

والفرار كما قلنا نوعان: فرارُ السعداء وفرارُ الأشقياء، فالأشقياء يفرون من الله إلى غيره، وأولئك خابوا وخسروا؛ فأين المفر والإله الطالبُ؟! والسعداءُ يفرون من الله إلى الله؛ لأنهم قد علموا وأيقنوا أنه لا ملجأ من الله إلا إليه.

عباد الله! وموعُدنا في هذا اليومِ -إن شاء الله تعالى- مع فرار السعداء إلى الله -تعالى- **من البدعة إلى السنة.**

عباد الله! أتدرون لماذا فرَّ السعداءُ إلى الله -تعالى- من البدعة إلى السنة؟

الجواب:

أولاً: لأن البدعة أعظم شراً من المعصية.

عباد الله! المعصية سببٌ للذلِّ، وسببٌ للهزيمة، وسببٌ للخسران وسببٌ للهلاك في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ [الأنعام:٦].

عباد الله! فالبدعة شرٌّ ووبالٌ على الفردِ والجماعةِ والأمة أكثر من المعصية.

- قال شيخُ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (.. والبدعة شرٌّ من المعصية، كما قال سفيان الثوري: البدعة أحبُّ إلى إبليسَ من المعصية، فإنَّ المعصية يُتابُ منها، والبدعةُ لا يُتابُ منها)[1].

عباد الله! فالشيطان يعملُ بالليل والنهار لينقل الإنسان من الإيمان إلى الكفر، ومن التوحيد إلى الشرك كما قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ﴾ [الحشر:١٦]، فإن عجز عن ذلك انتقل الشيطانُ إلى المرحلة الثانية وهي أن ينقلَ الإنسان من السنة إلى البدعة، فإن عجز عن ذلك انتقل إلى المرحلة الثالثة، وهي أن ينقل الإنسان من الطاعة إلى المعصية.

(١) «مجموع الفتاوى» (١١/ ٤٧٢).

عباد الله! واستدل شيخُ الإسلام على أن البدعة شرٌّ من المعصية بحديثين من السنة.

الأول: استدل بحديث الرجل الذي كان يشربُ الخمر وكلما أُتيَ به إلى النبي ﷺ جلده الحدَّ فلعنهُ رجلٌ فقال: اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به! فقال النبي ﷺ: «**لا تلعنوه فوالله ما علمت إنهُ يُحبُّ الله ورسولَهُ**»(١).

عباد الله! وفي هذا مثالٌ للعاصي، فمع أنهُ يشرب الخمرَ إلا أنه كان يحبُّ الله ورسوله.

الحديث الثاني: الرجل الذي اعترض على قسمة النبيّ ﷺ حينما كان النبيُّ ﷺ يُقسّمُ المال، فجاءه رجلٌ كث اللحية، مشرف الوجنتين، غائر العينين، ناتئ الجبين، محلوق الرأس، فاعترض على قسمة الرسول ﷺ، فقال الرسول ﷺ: «**إن من ضئضئ هذا** -أي: من نسله- **قوماً يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**»(٢).

عباد الله! وفي هذا مثالٌ للمبتدعة، فمع أنهم يجتهدون في العبادة بالليل والنهار، إلا أنهم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية، فالبدعة شرٌّ من المعصية، والمبتدعُ شرٌّ من العاصي، من أجل ذلك فرَّ السعداء إلى الله تعالى من البدعة إلى السنة.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٧٨٠).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٤٣٢)، ومسلم (١٠٦٤).

ثانياً: فرَّ السعداءُ إلى الله -تعالى- من البدعة؛ لأنه قد جاء التحذيرُ من البدعة في الكتاب والسنة وأقوال السلف من الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان.

ففي كتاب الله:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣] وهذه السُّبُل التي يحذرنا ربنا -جل وعلا- من أن نسلكها هي سُبُل أهل البدع والأهواء والضلال، على كلِّ سبيلٍ منها شيطانٌ يدعو إليها.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران:١٠٦]

يقول ابنُ عباس رضي الله عنهما: (فأما الذين ابيضّت وجوههم فأهلُ السنةِ والجماعةِ، وأما الذين اسودتْ وجوههم فأهلُ البدعِ والضلالة).

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء] ففي الآية تحذيرٌ من البدعة والمبتدعة.

وفي سنة رسول الله ﷺ:

فلقد جاءت الأحاديث العديدة عن رسولِ الله ﷺ تحذرُ من البدعِ والابتداعِ في الدين.

- قال ﷺ: «**من أحدثَ في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»(١).

- وقال ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»(٢).

- وكان ﷺ: إذا خطب احمَّرت عيناه، وعلا صوتُهُ، واشتد غضبُهُ حتى كأنه منذرُ جيشٍ يقول: «**أما بعد، فإن خيرَ الحديث كتاب الله، وخيرَ الهدي هديّ محمد -ﷺ- وشرُّ الأمورِ محدثاتُها، وكل بدعة ضلالة**»(٣). وزاد النسائي: «**وكل ضلالة في النار**»(٤).

- وقال ﷺ في موعظته التي وعظ بها أصحابه بعد صلاة الفجر، فقالوا له: كأنها موعظة مودع فأوصنا، فبعد أن أوصاهم بتقوى الله والسمع والطاعة قال لهم: «**وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كلَّ محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»(٥).

- وقال ﷺ: «**فمن رغب عن سنتي فليس مني**»(٦).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٧١٨).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٨٦٧).

(٤) **صحيح**: أخرجه النسائي (١٥٧٨)، وابن خزيمة (١٧٨٥)، وأبو نعيم (٣/ ٢٢٠)، [«خطبة الحاجة» (ص٢٦)]

(٥) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، والحاكم (١/ ١٧٦)، [«صحيح الجامع» (٢٥٤٩)].

(٦) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

عباد الله! وجاءت الآثار عن الصحابة والأئمة ومَنْ بعدهم يحذرون من البدعة والمبتدعة.

- يقول ابن مسعود: (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم) (١).
- ويقول ابن عمر رضي الله عنهما: (كلُّ بدعةٍ ضلالة وإن رآها الناس حسنة)(٢).
- وسمع ابنُ عمر رجلاً عطس فقال: (الحمدُ لله والسلامُ على رسول الله. فقال له: ليس هكذا علمنا رسولُ الله ﷺ، علمنا أن نقول: الحمد لله على كل حال)(٣) أي: لم يقل وليصل أحدكم على رسول الله.
- وقال الإمام مالك رحمه الله: (من ابتدع في الإسلام بدعةً يراها حسنة فقد زعم أن محمداً خان الرسالة، لأن الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [المائدة])(٤).
- وجاءَ رجلٌ إلى الإمام مالك فقال له: من أين أُحرم؟

---

(١) **صحيح موقوف**: أخرجه الدارمي (٢١٠)، والبيهقي في «الشعب» (٢/ ٤٠٧)، [«الاعتصام» للشاطبي (١/ ١٢٥)/ تحقيق الشيخ مشهور].

(٢) **صحيح موقوف**: أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١/ ٩٢)، [«أحكام الجنائز» (ص٢٥٨)].

(٣) **صحيح موقوف**: أخرجه الترمذي (٢٧٣٨)، والحاكم (٤/ ٢٩٥)، والبيهقي في «الشعب» (٧/ ٢٤)، [«الإرواء» (٣/ ٢٤٥)].

(٤) «الابتداع» (١٧١)، «السنن والمبدعات» (٦).

قالَ له: (من ذي الحليفة، من حيثُ أحرمَ رسول الله ﷺ).

فقالَ الرجل: إني أريد أن أُحرم من المسجد -أي: النبوي- من عندِ القبرِ.

قال له: (لا تفعلْ، فإني أخشى عليك الفتنة).

فقال الرجل: أيّ فتنةٍ هذه؟ إنما هي أميالٌ أزيدُها.

فقال له: (وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلةٍ قصرَّ عنها رسولُ الله ﷺ؟، إني سمعت الله -عز وجل- يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور])[1].

عباد الله! وجاءت الأدلة أيضاً تحذر من مصاحبة المبتدعة ومن مجالستهم والاستماع إليهم.

- يقول ابن عباس رضي الله عنهما: (لا تجالسوا أهلَ الأهواء -وهم المبتدعة- فإن مجالستَهم ممرضةٌ للقلوب)[2].
- وقال سعيد بن جبير رحمه الله (لأن يصحبَ ابني فاسقاً سارقاً سُنيّاً، أحبُّ إليَّ من أن يصحبَ عابداً مبتدعاً»[3].
- وقال الفضيلُ بنُ عياض: (مَن أعانَ صاحبَ بدعةٍ فقد أعان على هدم الإسلام)[4].

---

(١) أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٢٦)، وابن بطة في «الإبانة» (٩٨).

(٢) الآجري (٦١).

(٣)«الإبانة الصغرى» (١٣٢).

(٤) «تبليس إبليس» (١٤٠).

- وقال أبو إدريس الخولاني: (لأن أرى في المسجدِ ناراً لا أستطيعُ إطفاءَها أحبُّ إليَّ من أن أرى فيه بدعةً لا أستطيعُ تغييرَها) (١).

ثالثاً: فرَّ السعداءُ إلى الله -تعالى- من البدعةِ؛ لأنّ عمل المبتدع مردودٌ عليه

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف].

- وقال ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»(٢).
- وقال ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»(٣).

رابعاً: ولأن المبتدعَ محرومٌ من التوبةِ ما دام مصراً على بدعتهِ.

- قال ﷺ: «**إنَّ الله حجب التوبة عن كلِّ صاحبِ بدعةٍ حتى يدعَ بدعته**»(٤).

خامساً: لأنّ المبتدع لا يَردُ حوضَ النبيِّ ﷺ يومَ القيامةِ ولا يحظى بشفاعته.

- يقول ﷺ: «**أنا فرطكم على الحوض، ليُرفعن إليَّ رجالٌ منكم حتى إذا أهويتُ لأناولهم اختُلجُوا دوني، فأقول: أي ربِّ أصحابي؟**

(١) «الاعتصام» (١/ ٨٢).
(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).
(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٧١٨).
(٤) **صحيح**: أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤/ ٢٨١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٥٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٥٤)].

يقول: **لا تدري ما أحدثوا بعدك»**[1]. وفي رواية: «**إنك لا تدري ما بدلوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدل بعدي»**[2].

سادساً: لأنّ المبتدعَ يحمل إثمهُ وإثم من عمل ببدعته إلى يوم القيامة.

- يقول الله تبارك وتعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل:٢٥].
- وقال ﷺ: «**... ومن سنَّ في الإسلام سنةً سيئةً، كان عليه وزرها، ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»**[3].

سابعاً: لأن المبتدع ملعون من الله ومن الملائكة ومن الناس أجمعين.

- يقول ﷺ: «**المدينة حَرَمٌ فمن أحدث فيها حَدَثاً، أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبل منه يوم القيامة عدلٌ ولا صَرْفٌ»**[4].

ثامناً: لأن المبتدعُ لا يزداد ببدعته من الله إلا بعداً.

انظرو إلى النبي ﷺ ماذا قال في الخوارج المبتدعة، قال: «.. **يحقر أحدكم صلاته مع صلاته، وصيامه مع صيامه، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»**[5].

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٠٤٩).
(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٠٥٠)، (٧٠٥١)، ومسلم (٢٢٩١).
(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٠١٧).
(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٣٧١).
(٥) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٩٣٣)، ومسلم (١٠٦٤).

وقال أحد الصالحين: (ما ازداد صاحبُ بدعةٍ اجتهاداً إلا ازداد من الله بعداً) (١).

عباد الله! أما السعداءُ فقد فروا إلى التمسك بسنةِ رسول الله ﷺ بسبب ما يلي:

أولاً: لأنه قد جاء في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ الأمرُ بالتمسك بسنةِ رسول الله ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧]، وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور].

- وقال ﷺ: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن أُمِّر عليكم عبدٌ حبشيٌّ، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ**» (٢).
- وقد جاءت الآثار عن الصحابة ومن بعدهم تأمرُ بالتمسك بالسنةِ وبمحبةِ أهل السنة ومصاحبتهم.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: (من كان مستناً فليستن بمن قد مات، أولئك أصحابُ محمد ﷺ كانوا خير هذه الأمة، أبرَها قلوباً، وأعمقها علماً،

(١) «حلية الأولياء» (٣/ ٩).

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، والحاكم (١/ ١٧٤)، [«صحيح الجامع» (٢٥٤٩)].

وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لـصحبة نبيـه ﷺ ونـصرة دينـه فتـشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم فهم كانوا على الهدى المستقيم)»[1].

وقال أبو بكر ﷺ: (لستُ تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمـلُ بـه إلا عملتُ به، فإني لأخشى إن تركتُ شيئاً من أمره أن أزيغ)[2].

وهذا الفـاروق عمـر ﷺ يُقبـل الحجـر الأسـود ويقـول: (والله إني لأُقَبِّلُكَ، وإني أعلم أنك حجرٌ، وأنك لا تضر ولا تنفـع، ولـولا أني رأيـت رسول الله ﷺ قَبَّلَكَ ما قبَّلتُك)[3].

ثانياً: لأن في التمسك بالسنة الهُدى وفي مخالفتها الضلالُ.

قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾﴾ [المؤمنون]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ۚ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور:٥٤].

- وقال ﷺ: «**لكل عملٍ شِرّةٌ، ولكل شِرَّةٌ فترةٌ، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك**»[4].
- وقال ﷺ: «**تركتُ فيكم مـا إن اعتـصمتم بـه فلـن تـضلوا أبـداً، كتاب الله وسنة نبيه**»[5].

---

(١) انظر كتاب «لماذا اخترت المنهج السلفي» سليم الهلالي.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٠٩٣)، ومسلم (١٧٥٩).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٥٩٧)، ومسلم (١٢٧٠).

(٤) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ٢١٠)، وابن حبان (١١)، [«ظلال الجنة» (٥١)].

(٥) **صحيح**: أخرجه الحاكم (١/ ١٧١)، والبيهقي في «السنن» (١٠/ ١١٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٤٠)].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ۝٣٦﴾ [الأحزاب].

- ويقول ابن مسعود رضي الله عنه: (ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم) (١).

ثالثاً: لأن في التمسكِ بالسنةِ النجاة وفي مخالفتها الهلاك.

- قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١﴾ [الأحزاب].

- وقال ﷺ: «**إنما مثلي ومثلُ ما بعثني اللهُ به كمثل رجلٍ أتى قوماً فقال: يا قوم، إني رأيتُ الجيش بعينيَّ، وإني أنا النذير العريان، فالنجاءَ، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكَذَّبَتْ طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبَّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذَّب بما جئت به من الحق**»(٢).

- وقال ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**» قالوا: يا رسول الله ومن يأبى ؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**»(٣).

- وقال ﷺ: «**لقد تركتكم على مثل البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ بعدي عنها إلا هالك**»(٤).

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٦٥٤).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٢٨٣)، ومسلم (٢٢٨٣).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٢٨٠).

(٤) **صحيح**: أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٤٨)، [«ظلال الجنة» (٤٨)].

- وقال الزهري رحمه الله (الاعتصام بالسنة نجاة؛ لأن السنة كما قال الإمام مالك: مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك).

عباد الله! من ابتدع في الدين أو استهزأ بسنةِ رسول رب العالمين هلك في الدنيا والآخرة، ومن تمسك بالسنةِ وعضّ عليها بالنواجذ نجا في الدنيا والآخرة.

عباد الله! ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان يجهرون بعداوةِ أهل البدعةِ، ولقد كانوا يهجرونهم في الله، ومن الأمثلة على ذلك:

١- عن سالم بن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: (أن عبدَ الله بنَ عمرَ قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**لا تمنعوا نساءكُمُ المساجد إذا استَأْذَنَّكُمْ إليها**».

قال: فقال بلالُ بنُ عبدالله بن عمر: والله لنمنعُهنَّ.

قال: فأقبل عليه عبدالله فسَبَّه سَبّاً سيئاً، ما سمعته سَبَّهُ مثله قط. وقال: أخبرك عن رسول الله وتقول: والله لنمنعُهُنَّ!) [(١)].

٢- وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه: (أن قريباً لعبدالله بن مُغَفَّل خَذَفَ. قال: فنهاه وقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الخذف.

وقال: «**إنها لا تصيدُ صيداً، ولا تَنْكَأُ عدواً، ولكنها تكسرُ السنَّ وتفقأُ العين**» قال: فَعَادَ. فقال: أحدثك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنه ثم تخذِف! لا أكلمك أبداً)[(٢)].

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٤٤٢).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٤٧٩)، ومسلم (١٩٥٤).

٣- وعن ابن عباس رضي الله عنهما (أنه كان يفتي بجواز التمتع بالعمرة إلى الحج فيقالُ له: لكنَّ أبا بكرٍ وعمر يقولان بخلاف قولِك، فيشتدُّ غضبهُ ويقول: يوشك أن تُرجموا بحجارة من السماء أقول: قال الله، قال رسول الله، وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟!)[1].

عباد الله! وقد عجلَ الله العقوبة لمن ردَّ السنةَ أو استهزأ بها ومن الأمثلة على ذلك:

١- عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن أباه حدّثه: (أن رجلاً أكل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «**كُلْ بيمينك**» فقال الرجل: لا أستطيعُ. فقال صلى الله عليه وسلم: «**لا استطعت**» ما منعه إلا الكبر، قال: فما رفعها إلى فيه)[2].

٢- وعن أبي يحيى الساجي قال: (كُنا نمشي في أزقة البصرة إلى باب بعض المحدثين -أي: في طريقهم لطلب العلم- فأسرعتُ المشي- وكان معَ رجلٍ منهم رجل ماجن في دينه فقال: ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة لا تكسروها (كالمستهزئ) فما زال في موضعه حتى جفت رجلاه وسقط)[3].

(١) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١٩٥).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٠٢١).

(٣) «بستان العارفين» للنووي (ص٩٢).

٣- وقال ابن حجر عن بعض المحدِّثين: (أنه رحلَ إلى دمشق لأخذ الحديث عن شيخ مشهورٍ بها، فقرأ عليه جملة لكنه كان يجعلُ بينه وبينه حجاباً، ولم ير وجهه، فلما طالت ملازمته له، ورأى حرصَهُ على الحديث كشف له الستر، فرأى وجهه وجه حمار.

فقال له: احذر يا بنيَّ أن تسبق الإمامَ، فإني لما مرَّ بي في الحديث استبعدتُ وقوعَه، فسبقت الإمام، فصار وجهي كما ترى)[1].

(١) «فتح الملهم شرح صحيح مسلم» (٢/ ٦٤).

٣٧

الفرار إلى الله تعالى
من طاعة الشيطان إلى طاعة الرحمن

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾ [القيامة]، ويقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الذاريات].

عباد الله! الأشقياء يفرون من الله إلى غيره، وأولئك خابوا وخسروا؛ فأين المفر والإله الطالبُ؟! والسعداءُ يفرون من الله إلى الله، لأنهم علموا وأيقنوا أنه لا ملجأ من الله إلا إليه.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع فرارِ السعداءِ إلى الله **من طاعةِ الشيطانِ إلى طاعة الرحمن**.

عباد الله! أتدرون لماذا فرَّ السعداءُ إلى الله -تعالى- من طاعةِ الشيطانِ إلى طاعةِ الرحمن؟

الجوابُ:

أولاً: لأنَّ حزبَ الشيطانِ هم الخاسرونَ، وحزبَ اللهِ هم المفلحونَ الغالبون.

قال الله تعالى عن حزب الشيطان: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾ [النساء].

- وقال تعالى عن حزب الله: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة].

عباد الله! فحزبُ الشيطان هم الخاسرون، وحزبُ اللهِ هم المفلحون الغالبون من أجل ذلك فرَّ السعداءُ إلى اللهِ -تعالى- من طاعةِ الشيطان إلى طاعةِ الرحمن.

ثانياً: لأنَّ الشيطان يُضِلُّ حزبهُ ويدعوه إلى عذاب السعير، والله -عز وجل- يهدي حزبهُ ويدعوه إلى جناتِ النعيم.

ولنبين لكم حال الحزبين:

أ- حزب الشيطان.

قال رب العزة في كتابه عن الشيطان وحزبه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾ [فاطر]، وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ٣ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ٤﴾ [الحج]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ٢١﴾ [لقمان]، وقال تعالى: ﴿ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ ٩٠ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ ٩١ وَقِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٩٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلۡ يَنصُرُونَكُمۡ أَوۡ يَنتَصِرُونَ ٩٣ فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ٩٤ وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ ٩٥ قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ ٩٦ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٨ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٩٩ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ ١٠١ فَلَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠٢ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٠٣ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٤﴾ [الشعراء].

عباد الله! وها هو الشيطان مع حزبهِ في نار جهنمَ يخطب فيهم ويتبرأُ منهم.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠

﴿بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم].

ب- حزب الله.

عباد الله! إنّ اللهُ -عز وجل- يهدي حزبه، ويدعوهم إلى دار السلام ويعدهم جناتِ النعيم.

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس]، وقال تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾﴾ [الزمر]، وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الزمر]، وقال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأعراف].

عباد الله!

والناس يوم القيامة فريقان: فريق في الجنة وهو حزب الله، وفريق في السعير وهو حزب الشيطان.

فيا ابن آدم!

مثل وقوفك يوم العرض عُريانا   مستوحشاً قلق الأحشاء حيرانا
والنار تلهب من غيظ ومن حنق   على العصاة ورب العرش غضبانا

اقـرأ كتابـك يـا عبـدي عـلى مهـل   فهل تـرى فيـه حرفـاً غـير مـا كانـا
لمـــا قـــرأت ولم تنكـــر قراءتـــه   إقـرار مـن عـرف الأشـياء عرفانـا
نـادى الجليـل خـذوه يـا ملائكتـي   وامضوا بعبدٍ عـصى للنـار عطـشانا

المجرمون (وهم حزب الشيطان) غداً في النار يلتهبـوا

والمؤمنون (وهم حزب الله) بدار الخلـد سـكانا

يقول الله -عز وجل- في الحديث القدسي: «**أعددْتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر**». قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شِئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[1] [السجدة:١٧].

وقال النبي ﷺ: «**إن الله يقول لأهل الجنة: يـا أهـل الجنـة، فيقولُـونَ: لبَّيك ربنَا وسَعْدَيْك، والخيرُ في يديك، فيقولُ: هل رضيتم؟ فيقولون: ومـا لنا لا نرضى؟ يا رب! وقد أَعطيتنَا ما لم تُعطِ أحداً مِنْ خَلقِـكَ. فيقـولُ: ألا أعطيكمُ أفضلَ من ذلك؟ فيقولون: يـا رب وأيُّ شيءٍ أفـضلُ مـن ذلـك؟ فيقولُ: أُحِلَّ عليكم رِضْواني، فلا أسخطُ عليكم بعدهُ أبداً**»[2].

عباد الله! لـَمَّا علم الـسعداءُ أن الـشيطانَ يُـضلِلُ حزبَـهُ ويـدعوهم إلى عذاب السعير، وعلموا أن الله عز وجل يهدي حزبهُ ويـدعوهم إلى جنـاتِ النعيم فرُّوا من طاعة الشيطان إلى طاعة الرحمن.

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٧٧٩)، ،مسلم (٢٨٢٤).
(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٥١٨)، ومسلم (٢٨٢٩).

ثالثاً: لأنَّ الشيطان يأمرُ بكل شرٍّ وينهى عن كلِّ خير، ولأنَّ الله -تعالى- يأمرُ بكل خيرٍ وينهى عن كل شرٍّ.

قال ربُّ العزة في كتابه محذراً من الشيطان:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢١﴾ [النور].

ففي هذه الآية دليلٌ على أن الشيطانَ يأمرُ بالفحشاء والمنكر.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ١٦٩﴾ [البقرة].

ففي الآية دليلٌ على أن الشيطان يأمرُ بالسوء والفحشاء، ويأمر بالقول على الله بغير علم.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١﴾ [المائدة].

في هذه الآية دليل على أن المعاصي من أمر الشيطان وعمله، ودليل على أنه يصد عن الصلاة وعن ذكر الله.

وقال تعالى على لسان الهدهد لما قال لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ٢٢ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا

يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾﴾ [النمل].

ففي هذه الآيات دليلٌ على أن الشيطان يأمرُ بعبادةِ غير الله.

وقال تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الحشر].

ففي الآية دليلٌ على أن الشيطان يأمرُ الإنسان بالكفر.

وقال تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ اللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾ [النساء].

- وقال ﷺ: «**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم**»(١).
- وقال ﷺ: «**إن الشيطان يحضرُ أحدَكُم عند كلِ شيءٍ من شأنه...**»(٢) الحديث.

ففي الآية والأحاديث دليلٌ على أن الشيطان يأمرُ بكل شرٍّ، ويأمرُ بتغيير خلق الله، فالنمصُ مثلاً حرامٌ وهو من عمل الشيطان، وحلقُ اللحية حرام وهو من طاعة الشيطان.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٠٣٨)، ومسلم (٢١٧٥).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٠٣٣).

وقال تعالى: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص].

- وقال ﷺ: «**إن الشيطان قال: وعزتِكَ يا ربِّ لا أبرحُ أُغوي عبادكَ ما دامتْ أرواحُهُم في أجسادهم، فقال الربُّ: وعزتي وجلالي لا أزالُ أغفرُ لهم ما استغفروني**»(١).

- ففي الآية والحديث دليلٌ على أن الشيطان يعمل بالليل والنهار لإغواء بني آدم.

وقال تعالى عن الشيطان: ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف].

- وقال ﷺ: «**إن الشيطان قعد لابن آدمَ بأطرقِهِ، فقعد لهُ بطريق الإسلام فقال: تُسلِم وتذرُ دينَكَ ودين آبائِكَ وآباء آبائك؟! فعصاهُ فأسلم، ثم قعدَ لهُ بطريق الهجرةِ، فقال: تُهاجِرُ وتدعُ أرضَك وسماءكَ وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطِّول! فعصاهُ فهاجر، ثم قعد لهُ بطريق الجهادِ فقال: تجاهدُ فهو جهدُ النفس والمال فتقاتلُ فتقتلُ فتُنكحُ المرأةُ ويقسمُ المالُ؟! فعصاهُ فجاهد،**

(١) حسن: أخرجه أحمد (٣/ ٢٩)، والحاكم (٤/ ٢٩٠)، وأبو يعلى (٢/ ٥٣٠)، [«صحيح الجامع» (١٦٥٠)].

فمن فعل ذلك كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، ومن قتل كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقاً على الله أن يدخلهُ الجنة، وإن وقصته دابتهُ كان حقاً على الله أن يدخله الجنة»(1).

عباد الله! فالشيطانُ يأمرُ بكل شر يقربُ من سخط الله والنار، وينهى عن كل خير يقربُ من رضا الله والجنة، ولهذا فقد قعد لابن آدم في جميع طرق الخير يصده عنها.

عباد الله! ولكن الله -عز وجل- يأمرُ عبادَهُ بكل خير وينهاهم عن كل شر.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة].

من أجل ذلك فرّ السعداء إلى الله -تعالى- من طاعة الشيطان.

عباد الله! أعلن الشيطان عداوته لآدمَ وذريته من اللحظة الأولى التي خلق الله فيها آدم.

---

(1) **صحيح**: أخرجه النسائي (٣١٣٤)، وأحمد (٣/ ٤٨٣)، وابن حبان (٤٥)، [«صحيح الجامع» (١٦٥٢)].

قال تعالى عن الشيطان: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الإسراء].

عباد الله! فحذر الله آدم من عداوة الشيطان له، فقال تعالى: ﴿يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴿١١٧﴾﴾ [طه].

وحذر ربُّنا -جل وعلا- ذرية آدم من عداوة الشيطان لهم، فقال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ۗ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأعراف].

وحذر ربُّنا -جل وعلا- عبادَه جميعاً من الشيطان:

فقال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر:٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ [الإسراء]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾﴾ [مريم]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يس]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الزخرف].

عباد الله! مع كل هذا التحذيرِ من طاعةِ الشيطان، انظروا معي إلى حالنا اليوم: الله -عز وجل- يأمر بالحجاب، والشيطان يأمر بالتبرج والسفور، فكم من الناس أطاع الله؟ وكم من الناس أطاع الشيطان؟!

الله -عز وجل- ينهى عن الفحشاء والمنكر، والشيطان يأمر بالفحشاء والمنكر، فكم من الناس أطاع الله؟ وكم من الناس استجاب للشيطان؟!

الله -عز وجل- يأمر بالجود والكرم، والشيطان يأمر بالبخل والشح، قال تعالى: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ ﴾ [البقرة]، فكم من الناس استجاب لله؟ وكم من الناس استجاب للشيطان؟!

اللهُ -عز وجل- أمر عبادَهُ بالصلاة، والشيطان يصدُّ عن الصلاة، فكم من الناس استجاب لله؟ وكم من الناس استجاب للشيطان؟!

الله -عز وجل- ينهى عن النمص وتغيير خلق الله، والشيطان يأمر بتغيير خلق الله، فكم من الناس استجاب لله؟ وكم من الناس استجاب للشيطان؟!

الله -عز وجل- ينهى عن شرب الخمر أُم الخبائثِ، والشيطان يزينها ويأمر بشربها، فكم من الناس استجاب لله؟ وكم من الناس استجاب للشيطان؟!

الله -عز وجل- يأمر بحبِّ الصحابة رضي الله عنهم ويأمر بالتمسك بهديهم وفي مقدمتهم أبو بكر وعمر، والشيطان يأمر ببغض الصحابة وفي مقدمتهم أبو بكر وعمر.

الله -عز وجل- يأمر بالتمسك بالسنة ، والشيطان يأمر بالبدعة.

فاتبعوا ما أمركم الله به تفلحوا، ولا تتبعوا أوامر الشيطان فتندموا.

٣٨

الفرار إلى الله تعالى
من أسبابِ اللعنةِ إلى أسبابِ الرحمة

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٥) يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (٦) فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٩) يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (١٠) كَلَّا لَا وَزَرَ (١١) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (١٢) يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١٣) بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ (١٥)﴾ [القيامة]، ويقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠)﴾ [الذاريات].

عباد الله! والفرارُ كما قلنا نوعان: فرارُ السعداء، وفرارُ الأشقياءِ، فالأشقياء يفرون من الله إلى غيره، وأولئك خابوا وخسروا؛ فأين المفر والإله الطالبُ؟! والسعداءُ يفرون من الله إلى الله؛ لأنهم قد علموا وأيقنوا أنه لا ملجأ من الله إلا إليه.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع فرارِ السعداءِ إلى الله -تعالى- **من أسبابِ اللعنةِ إلى أسبابِ الرحمةِ.**

عباد الله! (اللعنُ هو الطردُ والإبعادُ عن رحمةِ الله، فإذا قيـل: لعنـهُ اللهُ؛ فالمعنى: طردَهُ وأبعدَهُ عن رحمتِهِ، وإذا قيـل: اللهـم العـنْ فلانـاً؛ فـالمعنى: أَبْعِدْهُ عن رحمَتِكَ واطردْهُ عنها) (١).

عباد الله! واللعنُ من الخلقِ يكونُ بمعنى: السبِّ والدعاءِ.

عباد الله! وها أنا أضعُ أمامكم أسبابَ استحقاق العبد للعن؛ لتبتعـدوا عنها وتحذروها، وليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

عباد الله! ومن أسباب اللعن:

أولاً: الكفرُ بالله.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ [البقرة].

ثانياً: الشرك بالله.

قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأعراف].

(١) «القول المفيد» الشيخ محمد صالح العثيمين (١/ ٢٨٥).

عباد الله! وأظلمُ الخلقِ من كان كافراً أو مشركاً، قال تعالى عن الكفار: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البقرة]. وقال عن المشركين: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان].

وقال ﷺ: «**لعن اللهُ من ذبحَ لغيرِ الله**»(١). والذي يذبحُ لغير الله عز وجل مشركٌ، لأن الله عز وجل قال: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام].

ثالثاً: النفاقُ ومرضُ القلب.

قال تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾﴾ [الأحزاب]، وقال تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة].

رابعاً: قطيعةُ الرحمِ وعقوقُ الوالدين.

قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد]، وفي الآية دليلٌ على أن قاطعَ الرحم ملعون.

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٩٧٨).

عباد الله! قاطعُ الرحم ملعون، قاطعُ الرحم لا يدخل الجنة، قال ﷺ: «**لا يدخلُ الجنة قاطعٌ**»(١).

عباد الله! والعاقُ لوالديه ملعون، قال ﷺ: «**لعنَ اللهُ من لعنَ والديه**»(٢). وفي لفظ: «**لعن اللهُ من سبَّ والديه**»(٣).

عباد الله! قال ﷺ: «**إنَّ من الكبائر أن يلعنَ الرجلُ والديه**». قيل يا رسولَ الله: وكيف يلعنُ الرجلُ والديه؟ قال ﷺ: «**يسُبُّ الرجلُ أبا الرجلِ فيسُبُّ أباهُ ويسُبُّ أُمَّهُ**»(٤).

خامساً: سَبُّ الصحابة رضي الله عنهم.

قال ﷺ: «**لعن الله من سبَّ أصحابي**»(٥).

وقال ﷺ: «**من سبَّ أصحابي، فعليه لعنة اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين**»(٦).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٩٨٤)، ومسلم (٢٥٥٦).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٩٧٨).

(٣) **صحيح**: وهو جزء من حديث أخرجه أحمد (١/ ١٠٨)، وابن حبان (٤٤٠٠)، والحاكم (٤/ ٣٩٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٤٢١)].

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٩٧٣)، ومسلم (٩٠).

(٥) **حسن**: أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢/ ٤٣٤)، وفي «الأوسط» (٧/ ١١٤-١١٥)، [«صحيح الجامع» (٥١١١)].

(٦) **حسن**: أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢/ ١٤٢)، [«صحيح الجامع» (٦٢٨٥)].

عباد الله! لقد حذر النبيُّ ﷺ من سبِّ الصحابةِ ﷺ فقال ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده! لو أن أحدكم أنفقَ مثلَ أُحُدٍ ذهباً ما أدرك مُدَّ أحدِهم ولا نصيفَهُ**»[1].

عباد الله! وكيف نسبُّ الصحابة ﷺ وهم خيرُ الناس بعد رسول الله ﷺ!! وسبهم من الكفر والنفاق والطغيان.

قال ابن مسعودٍ ﷺ: (إن الله نظرَ في قلوبِ العبادِ فوجدَ قلبَ محمدٍ ﷺ خيرَ قلوبِ العبادِ، فاصطفاهُ لنفسه، وابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العبادِ بعد قلب محمدٍ ﷺ فوجدَ قلوبَ أصحابهِ خيرَ قلوبِ العباد، فجعلهم وزراءَ نبيه يقاتلون عن دينه)[2].

وقال أيضاً: (من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحابُ محمدٍ ﷺ كانوا والله أفضلَ هذه الأمةِ، وأبرَها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم).

ويقول الإمام الطحاوي رحمه الله في «عقيدته»: (ونحبُّ أصحابَ رسول الله ﷺ ولا نفرطُ في حبِّ أحدٍ منهم، ولا نتبرأ من أحدٍ منهم،

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠).

(٢) **حسن موقوف**: أخرجه أحمد (١/ ٣٧٩)، والطبراني في «الكبير» (٩/ ١١٢)، وفي «الأوسط» (٤/ ٥٨)، و[«الطحاوية» (ص٣٦١)].

ونبغضُ مَنْ يبغضُهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهُم إلا بخير، وحبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيان).

سادساً: الابتداع في الدين.

- قال ﷺ: «**لعن اللهُ من آوى مُحْدِثاً**»(١)، والإحداثُ يشملُ الإحداثَ في الدينِ، كالبدع التي أحدثها أهلُ البدعِ والأهواءِ، ويشملُ أيضاً الإحداثَ في الأمر كالجرائمِ وشبهها، فمن آوى محدثاً فهو ملعون، وكذا من ناصره.

عباد الله! إن في هذا الحديث تحذيراً من البدع والإحداث في الدين، وقال ﷺ: «**إياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة**».

سابعاً: السرقة.

- قال ﷺ: «**لعن اللهُ السارِقَ يَسرِقَ البيضةَ فتُقطعُ يَدُهُ، ويسرِقُ الحبلَ فَتُقطعُ يَدُهُ**»(٢).

كيف لا؟ والله -عز وجل- يقول: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المائدة].

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٩٧٨).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٧٨٣)، ومسلم (١٦٨٧).

ثامناً: الاقترابُ من جريمة الربا.

• قال جابر رضي الله عنه: «**لعن رسول اللهُ ﷺ آكِلَ الربا، ومُوكِلَهُ، وكاتبَهُ، وشاهديه، وقال: هم سواءٌ**»(١).

كيف لا؟ والله -عز وجل- يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [البقرة].

كيف لا؟ والنبي ﷺ يقول: «**درهم ربا ...**»، ويقول ﷺ: «**الربا بضعٌ وسبعون باباً ...**».

تاسعاً: الاقتراب من الخمر، أم الخبائثِ.

• قال ﷺ: «**لعن اللهُ الخمرَ، وشارِبَها، وساقِيها، وبائِعها، ومُبتَاعها، وعاصِرَها، ومعتصِرَها، وحامِلَها، والمحمُولةَ إليه وآكِلَ ثمنِها**»(٢).

كيف لا؟

والله -عز وجل- يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة].

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٥٩٨).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٣٦٧٤)، وأحمد (٢/ ٩٧)، والحاكم (٢/ ٣٧)، [«صحيح الجامع» (٥٠٩١)].

كيف لا؟ والنبي ﷺ يقول: **«الخمرُ أمُّ الخبائثِ، فمن شَرِبَها لم تُقبلْ صلاته أربعين يوماً، فإن مات وهي في بطنِهِ مات ميتةً جاهليةً»**(١).

وقال ﷺ: **«الخمرُ أُمُّ الفواحشِ، وأكبرُ الكبائرِ، من شرِبها وقع على أمه وخالتهِ وعمته»**(٢).

عاشراً: الرشوة.

- يقول ﷺ: **«لعن اللهُ الراشي، والمرتشي في الحكم»**(٣).
- وقال ﷺ: **«لعنةُ الله على الراشي والمرتشي»**(٤).

عباد الله! الرشوةُ حرام، وهي أكلٌ لأموالِ الناس بالباطل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقرة:١٨٨].

الحادي عشر: المُحَلِّلُ والمُحَلَّلُ لهُ.

- قال ﷺ: **«لعنَ اللهُ المحلِّل والمحلَّلَ لهُ»**(٥).

---

(١) **حسن**: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤/ ٨١-٨٢)، والدارقطني (٤/ ٢٤٧)، [«صحيح الجامع» (٣٣٤٤)].

(٢) **حسن**: أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/ ١٦٤)، وفي «الأوسط» (٣/ ٢٧٦)، [«صحيح الجامع» (٣٣٤٥)].

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ٣٨٧)، والترمذي (١٣٣٦)، وابن حبان (٥٠٥٣)، [«صحيح الجامع» (٥٠٩٣)].

(٤) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٢٣١٣)، وأحمد (٢/ ١٩٠)، وعبدالرزاق في «مصنفه» (٨/ ١٤٨)، وابن الجعد في «مسنده» (٢٧٦٧)، [«صحيح الجامع» (٥١١٤)].

(٥) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٢٠٧٦)، وابن ماجه (١٩٣٦)، والترمذي (١١١٩)، وابن الجارود في «المنتقى» (٦٨٤)، [«الإرواء» (١٨٩٧)].

عباد الله! المُحَلِّلُ هو: التيسُ المستعار.

والمُحَلَّل له: هو الرجلُ الذي طلق امرأَتَهُ ثلاثاً فبانت منه بينونة كُبرى، فلا تحلُّ لهُ إلا بعد أن تنكح زوجاً غيرهُ، فيقومُ المحلِّلُ (وهو التيس المستعار) بالزواج من هذه المرأةِ ليُحلِلها لزوجها الأول، وهذا نكاحٌ باطلٌ.

• قال ﷺ: «**ألا أخبركمْ بالتَّيس المستعار؟ هو المحِلُّ، فلعن اللهُ المحِلَّ والمحَلَّلَ لهُ**»[1].

الثاني عشر: الظلمُ.

قال تعالى: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾ [هود]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ٥١ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٥٢﴾ [غافر].

الثالث عشر: الذي يأتي امرأَتُهُ في دبُرها.

• قال ﷺ: «**ملعونٌ من أتى امرأةً في دُبُرهَا**»[2].

عباد الله! الذي يأتي امرأَتَهُ في دُبُرها ملعون، كيف لا والنبي ﷺ يقول: «**إن الله تعالى لا يستحي من الحقِّ؛ لا تأْتُوا النساءَ في أدبارِهنَّ**»[3].

---

(١) **حسن**: أخرجه ابن ماجه (١٩٣٦)، والحاكم (٢/ ٢١٧)، والبيهقي في «السنن» (٧/ ٢٠٨)، [«صحيح الجامع» (٢٥٩٦)].

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٢١٦٢)، وأحمد (٢/ ٤٧٩)، [«صحيح الجامع» (٥٨٨٩)].

(٣) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (١٩٢٤)، وأحمد (٥/ ٢١٣)، والنسائي في «الكبرى» (٥/ ٣١٦)، [«صحيح الجامع» (١٨٥٢)].

• وقال ﷺ: «لا ينظرُ اللهُ إلى رجل جامع امرأته في دُبُرها»(١).

• وقال ﷺ: «إتيانُ النساءِ في أدبارِهن حرامٌ»(٢).

• وقال ﷺ: «إن الله ينهاكمُ أن تأتوا النساءَ في أدبارِهن»(٣).

الرابع عشر: المرأةُ التي تأبى على زوجها.

• قال ﷺ: «إذا دعا الرجل امرأتَهُ إلى فراشه فأبتْ أن تجيءَ لعنتها الملائكة حتى تُصبح»(٤).

• وقال ﷺ: «إذا باتت المرأةُ هاجرةً فراشِ زوجها لعنتها الملائكةُ حتى تُصبح»(٥).

• وقال ﷺ: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان عليها لعنتها الملائكةُ حتى تصبح»(٦).

الخامس عشر: المغيِّراتُ لخلق الله.

• قال ﷺ: «لعن الله الواشماتِ، والمستوشماتِ، والنامصاتِ، والمتنمصاتِ، والمتفلجاتِ للحسُنِ، المُغيرات خلق الله»(٧).

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (١٩٢٣)، وأحمد (٢/ ٣٤٤)، [«صحيح الجامع» (٧٨٠٢)].

(٢) **صحيح**: أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (٥/ ٣١٩)، [«صحيح الجامع» (١٢٦)].

(٣) **صحيح**: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤/ ٩٠)، والنسائي في «الكبرى» (٥/ ٣١٨)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ٤٣)، [«صحيح الجامع» (١٩٢١)].

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥١٩٣).

(٥) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥١٩٤)، ومسلم (١٤٣٦).

(٦) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٢٣٧)، ومسلم (١٤٣٦).

(٧) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٨٨٦)، ومسلم (٢١٢٥).

- وقـــال ﷺ: «**لعـــن اللهُ الواصِـــلةَ والمــستوصِلةَ، والواشـــمةَ والمُستوشِمة**»(١).

عباد الله! التي تعتدي على وجهها وتغيرُ خلـقَ اللهِ ملعونـة، كيـف لا؟ وهي قد أطاعت في فعلها ذلك الشيطان الذي قـال: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ [النساء:١١٩].

السادس عشر: التشبهُ بالرجال من النساءِ، وبالنساءِ من الرجال

- فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (لعـن رسـول الله ﷺ المتـشبّهين مـن الرجالِ بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجالِ)(٢).
- وعنه رضي الله عنهما أيضاً قـال: (لعـن النبـي ﷺ المُخنثـين مِـنَ الرجـالِ، والمترجِّلاتِ من النساء)(٣).

عباد الله! وها أنا أضعُ أمامكم أيضاً أسبابَ الرحمةِ لتعملوا بها، فمنها:

أولاً: الإيمانُ بالله.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾ [النساء].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٩٣٧)، ومسلم (٢١٢٤).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٨٨٥).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٨٨٦).

ثانياً: طاعةُ اللهِ ورسولهِ والأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة]، وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النور].

ثالثاً: الإحسانُ.

قال تعالى: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف].

عباد الله! والإحسانُ هو أعلى درجات الدين، وهو كما عرفهُ النبي ﷺ: **«أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراهُ فإنهُ يراك»**[1].

رابعاً: التقوى.

قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦].

خامساً: القرآنُ حفظاً وتدبراً واتباعاً.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام].

سادساً: الاستغفارُ.

قال تعالى: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [النمل].

---

(١) **صحيح**: إشارة إلى حديث أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨).

كيف لا؟ والاستغفارُ هو مفتاحُ كل خير قال تعالى: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح].

سابعاً: الإصلاحُ بين الناس.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات].

كيف لا؟ والرسول ﷺ يقول: «**أفضلُ الصدقةِ إصلاحُ ذات البَين**»(١).

- وقال ﷺ لأبي أيوب رضي الله عنه: «**ألا أدُلُك على صدقةٍ يحبُّها اللهُ ورسولُه؟ تُصلِحَ بين الناس إذا تباغضوا وتفاسدوا**»(٢).

ثامناً: رحمةُ الخلق.

- قال ﷺ: «**لن تُؤمنوا حتى تَرْحَمُوا**» قالوا: يا رسولَ الله كُلُّنَا رحيمٌ قال: «**إنه ليسَ بِرَحْمَةِ أحدِكُم صاحِبَهُ، ولكنَّها رحمةُ العامَّةِ**»(٣).

- وقال ﷺ: «**الراحِمُون يرْحَمُهُم الرحمنُ -تبارك وتعالى- ارحموا من في**

(١) **صحيح لغيره**: أخرجه البيهقي في «الشعب» (٧/ ٤٩٠)، و«مسند عبد بن حميد» (٣٣٥)، وفي «مسند الشهاب» للقضاعي» (٢/ ٢٤٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨١٧)].

(٢) **حسن لغيره**: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٤/ ١٣٨)، و«مسند عبد بن حميد» (٢٣٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٢٠)].

(٣) **حسن لغيره**: [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٥٣)].

الأرض، يرحمْكم من في السماءِ»[1].

• وقال ﷺ: «**من لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ**»[2].

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤)، وأحمد (٢/ ١٦٠)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٥٦)].

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٠١٣)، ومسلم (٢٣١٨).

٣٩

الفرار إلى الله تعالى من الأخلاق السيئة إلى الأخلاق الحسنةِ

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٥) يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (٦) فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٩) يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (١٠) كَلَّا لَا وَزَرَ (١١) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (١٢) يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١٣) بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ (١٥)﴾ [القيامة]، ويقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠)﴾ [الذاريات].

عباد الله! والفرارُ كما قلنا نوعان: فرارُ السعداء، وفرارُ الأشقياءِ، فالأشقياء يفرون من الله إلى غيره، وأولئك خابوا وخسروا؛ فأين المفر والإله الطالبُ؟! والسعداءُ يفرون من الله إلى الله؛ لأنهم قد علموا وأيقنوا أنه لا ملجأ من الله إلا إليه.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع فرارِ السعداءِ إلى الله -تعالى- **من الأخلاق السيئةِ إلى الأخلاقِ الحسنةِ.**

عباد الله! اهتم الإسلامُ بالأخلاق اهتماماً كبيراً يظهرُ لنا ذلك من كتاب ربنا ومن سنةِ نبينا ﷺ.

ففي كتاب ربنا:

أمرَ اللهُ -عز وجل- عبادَهُ بالأخلاقِ الحسنةِ وحذرهم من الأخلاقِ السيئةِ، قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف].

فهذا أمر من الله -عز وجل- لرسوله ﷺ أن يتعامل بالأخلاق الحسنة مع الجاهلين ، فهذه آيةٌ جامعةٌ لمكارم الأخلاق.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل]. وهذا أمرٌ بالتمسك بالأخلاق الحسنة، ونهيٌ عن الأخلاق السيئة.

قال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء:٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة:٨٣]، أمرٌ بالأخلاقِ الحسنةِ.

وقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾.....﴾ [الفرقان]، دعوةٌ إلى الأخلاقِ الحسنة وتحذيرٌ من الأخلاق السيئة.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت]. دعوة إلى حسن الخلق حتى مع العدو.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ إلى أن قال لقمان وهو يعظُ ولدَهُ فيأمُرُهُ بالأخلاق الحسنة ويحذرهُ من الأخلاق السيئة: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان].

أمرٌ بالأخلاق الحسنة وتحذيرٌ من الأخلاق السيئة؛ فإن صاحب الخلق السيء فيه شر على نفسه وشر على زوجته وعلى أولاده وعلى الأسرة وعلى خلق الله وعلى مجتمعه، لكن صاحب الخلق الحسن فيه خير على نفسه وخير على زوجته وعلى أولاده وعلى الأسرة وعلى خلق الله وعلى مجتمعه.

عباد الله! وفي سنة نبينا ﷺ يظهرُ الاهتمامُ بالأخلاق الحسنةِ أيضاً.

أولاً: من أحاديثه ﷺ -التي فيها حثٌّ على الأخلاقِ الحسنةِ وتحذيرٌ من الأخلاق السيئة-.

- قال ﷺ: «**أكملُ المؤمنين إيماناً أحسَنُهُمْ خُلقاً**»[1].

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢)، وأحمد (٢/ ٥٢٧)، [«صحيح الجامع» (١٢٣٠)].

- وقال ﷺ: «**إن خيارَكم أحاسِنُكُمْ أخلاقاً**»(١).
- وقال ﷺ: «**البرُّ حُسْنُ الخُلُقِ، والإثمُ ما حَاكَ في صدْرِكَ وكَرِهتَ أن يَطَّلِعَ عليه الناسُ**»(٢).
- وقال ﷺ لأبي ذر ﷺ: «**اتق الله حيثما كنت، واتبع السيئةَ الحسنةَ تمحُها، وخالِقْ الناسَ بخلُقٍ حسنٍ**»(٣).
- وقال ﷺ: «**لا يؤمنُ أحدُكُم حتى يُحبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه**»(٤).
- وقال ﷺ: «**أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك**»(٥)، نقول لأعداء الإسلام الذين امتلأت قلوبهم حسداً على رسول الله: هذه هي أخلاق رسول الله ﷺ.

ثانياً: من دعائِه ﷺ: فقد كان ﷺ كثيراً ما يدعو الله عز وجل أن يُحسِّنَ خُلُقَهُ، مع أنه ﷺ أحسن الناس خُلقاً.

فكان ﷺ يقول في دعائه: «**اللهم كما حسَّنتَ خَلْقِي؛ فَحَسِّنْ خُلُقِي**»(٦).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٠٣٥)، ومسلم (٢٣٢١).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٥٥٣).

(٣) **حسن**: أخرجه الترمذي (١٩٨٧)، وأحمد (٥/ ١٥٣)، والدارمي (٢٧٨٧)، [«المشكاة» (٥٠٨٣)].

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥).

(٥) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٣٥٣٥)، والترمذي (١٢٦٤)، وأحمد (٣/ ٤١٤)، والحاكم (٢/ ٥٣)، [«صحيح الجامع» (٢٤٠)].

(٦) **صحيح**: أخرجه أحمد (٦/ ٦٨)، وأبو يعلى (٩/ ١١٢)، والبيهقي في «الشعب» (٦/ ٣٦٤)، [«الإرواء» (٧٤)].

- ويقولُ ﷺ: «... **واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنِها إلا أنت، واصرفْ عني سيئها لا يصرفُ عني سيئها إلا أنتَ**»[1].

- وقال ﷺ: «**اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خيرُ من زكاها أنت وليها ومولاها**»[2].

- فيجب علينا أن نتعامل مع الجاهلين كما تعامل نبينا ﷺ معهم كما أمره ربه بقوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف].

ثالثاً: ومن بعثته ﷺ.

عباد الله! لقد بُعث النبي ﷺ ليتممَ مكارِمَ الأخلاقِ ويأمرَ بها

- قال ﷺ: «**إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مكارِمَ الأخلاق**»، وفي رواية: «**صالح الأخلاق**»[3].

- عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: (لَمَّا بلغَ أبا ذرٍّ مَبْعثُ النبي ﷺ قال لأخيه: اركبْ إلى هذا الوادي فاعْلَمْ لي عِلْمَ هذا الرجلِ الذي يزعُمُ أنهُ نبيٌّ يأتيهِ الخبرُ مِنَ السماءِ، واسمع من قوله ثم ائتني،

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٧٧١).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٧٢٢).

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ٣٨١)، والحاكم (٢/ ٦٧٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٣)، [«الصحيحة» (٤٥)].

فانطلق الأخُ حتى قدِمَهُ وسَمِعَ من قوله ثم رجع إلى أبي ذرٍّ فقال له: رأيته يأمرُ بمكارِمِ الأخلاقِ ...)[1] الحديث.

فيا أعداء الإسلام! هذا هو رسولنا ﷺ الذي تتهمونه بالإرهاب، فإنه بُعث ليتمِّمَ مكارم الأخلاق و ليتمِّمَ صالح الأخلاق، وليأمر بمكارم الأخلاق.

رابعاً: من أخلاقه ﷺ.

عباد الله! كان ﷺ أحسن الناس خُلُقاً.

ويشهدُ له بذلك ربُّهُ الذي خلقَهُ، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم] وكفى بالله شهيداً.

وتشهدُ له زوجته وحبيبته أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها عندما سُئلت عن خُلق رسول الله ﷺ فقالت: (فإن خُلُقَ نبي الله ﷺ كان القرآن)[2].

ويشهد له أصحابهُ رضي الله عنهم، يقول أنسٌ رضي الله عنه (خدمتُ النبي ﷺ عشرَ سنين، فما قالَ لي: أفٍّ، ولا لِـمَ صنعتَ؟ ولا ألا صنعتَ؟)[3] وعنه رضي الله عنه قال: (كان رسولُ الله ﷺ أحسن الناسِ خُلُقاً)[4]، وقال أنس رضي الله عنه أيضاً:

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٨٦١)، ومسلم (٢٤٧٤).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٧٤٦).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٠٣٨)، ومسلم (٢٣٠٩).

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٢٠٣)، ومسلم (٢١٥٠).

(ما مسستُ حريراً ولا ديباجاً ألين من كف النبي ﷺ ولا شممتُ ريحاً قط أو عَرْفاً قط أطيب من ريح أو عَرْف النبي ﷺ) (١).

خامساً: من فعلهِ ﷺ

عباد الله! لقد ضرب رسول الله ﷺ لأمتهِ أروع الأمثلةِ في حسن الخلق ومن الأمثلة على ذلك:

١- يقول أبو هريرة رضي الله عنه (بال أعرابيٌّ في المسجد، فثار إليه الناسُ ليقعوا به فقال لهم رسولُ الله ﷺ: «**دعوه، وأهريقوا على بوله ذنوباً من ماء أو سجلاً من ماء، فإنما بعثتم مُيَسِّرين ولم تبعثوا مُعَسِّرين**» (٢).

٢- ويقول أنس بن مالك رضي الله عنه: (إن كانت الأمةُ من إماءِ أهل المدينةِ لتأخذُ بيدِ رسولِ الله ﷺ فتنطلقُ به حيثُ شاءت) (٣).

٣- وتقول عائشة رضي الله عنها: (وضع النبيُّ ﷺ صبياً في حجره يُحَنِّكُهُ فبالَ عليه، فدعا بماءٍ فأتبعه) (٤) إنها أخلاق النبوة!

٤- ويقول أنس رضي الله عنه: (كنت أمشي مع رسولِ الله ﷺ وعليه رداءٌ نجرانيٌّ غليظُ الحاشيةِ، فأدركه أعرابيٌّ فجبذه بردائه جبذة شديدة

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٥٦١)، ومسلم (٢٣٣٠).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦١٢٨).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٠٧٢).

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٠٠٢).

نظرتُ إلى صفحةِ عنق رسول الله ﷺ وقد أثرَّت بها حاشيةُ الرداءِ من شدةِ جَبْذَتِهِ، ثم قالَ: يا محمدّ مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفتَ إليه رسول الله ﷺ فضحِكَ، ثم أمر له بعطاءٍ) (1).

٥- ويقول ابن مسعودٍ ؓ: (لما كان يومُ حنين آثـَرَ رسولُ الله ﷺ ناساً في القسمةِ، ... فقالَ رجلٌ: والله إن هذه لقسمةٌ ما عُدِلِ فيها، وما أُريدَ فيها وجهُ الله، قال: فقلتُ: والله لأُخبرنَّ رسولَ الله ﷺ فأتيتهُ فأخبرتهُ بما قال: فتغير وجهه حتى كان كالصِرف، ثم قال: «**فمن يعدلْ إن لم يعدلِ اللهُ ورسولهُ؟**» ثم قال: «**يرحم اللهُ موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر**» (2).

سادساً: من تربيته ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم:

١- يقول عقبةُ بنُ عامرٍ ؓ: لقيت رسول الله ﷺ فقال لي: «**يا عقبةُ! صلْ مَنْ قطعكَ، وأعطْ مَنْ حرمَكْ، واعف عمن ظلمك**»(3).

٢- عن أبي هريرة ؓ: أن رجلاً قال: يا رسول الله! إن لي قرابةً أصلُهم ويقطعوني، وأحسنُ إليهم ويسيئون إليّ، وأحلُمُ عليهم

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٠٨٨)، ومسلم (١٠٥٧).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٣٣٦)، ومسلم (١٠٦٢).

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ١٥٨)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٢٦٩)، والبيهقي في «الشعب» (٦/ ٢٦٠)، [«الصحيحة» (٨٩١)].

ويجهلون عليَّ، فقال ﷺ: «**لئن كنت كما قلت فكأنما تُسِفُّهُم المل** -وهو الرماد الحار- **ولا يزالُ معك من الله ظهيرٌ عليهم ما دمتُ على ذلك**»[1].

٣- وهذا الفاروقُ عمر رضي الله عنه يضرب لنا أروعَ الأمثلةِ في حسن الخلق عندما دخل عليه رجلٌ فقال له: (هي يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزلَ، ولا تحكم بيننا بالعدلِ، فغضب عمرُ حتى همَّ أن يوقع به فقال له الحر بن قيس: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف]، وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمرُ حين تلاها عليه، وكان وقَّافاً عند كتاب الله)[2].

عباد الله! أتدرون لماذا فرَّ السعداءُ إلى اللهِ -تعالى- من الأخلاقِ السيئةِ إلى الأخلاق الحسنةِ؟

الجواب:

أولاً: لأنَّ حسن الخلقِ يجعلُك من أحباب الله، وإذا كنتَ من أحبابه عز وجل، استجاب لك إن دعوته، ولا يعذبك في النار أبداً.

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٥٥٨).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٦٤٢).

• جاءَ ناسٌ من الأعراب إلى رسول الله ﷺ فقالوا: أي الناسِ أحبُّ إلى الله يا رسول الله؟! فقال ﷺ: «**أحبُّ الناسِ إلى الله أحْسَنُهُمْ خُلُقاً**»[1].

ثانياً: لأنّ حسن الخلق يثقلُ الميزانَ يومَ القيامة.

• قال ﷺ: «**ما من شيءٍ يوضعُ في الميزان أثقلُ من حسن الخلق**»[2].

والله -عز وجل- يقول: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾﴾ [الأعراف].

ثالثاً: لأن حسن الخلق طريق إلى الجنة.

• سُئِلَ رسولُ الله ﷺ عن أكثرِ ما يُدخلُ الناسَ الجنة؟ فقال: «**تقوى الله وحسنُ الخلقِ**»[3].

رابعاً: لأن حسن الخلق يرفعُ الدرجات في الجنة.

• قال ﷺ: «**إن المؤمن ليُدرك بحسن خلقه درجةَ الصائمِ القائمِ**»[4].

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن حبان (٤٨٦)، [«صحيح ابن حبان» / ط - بيت الأفكار].

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٠٠٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٠)، وأبو نعيم (٧/ ٣٠٩-٣١٠)، [«صحيح الجامع» (٥٧٢٦)].

(٣) **حسن**: أخرجه الترمذي (٢٠٠٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٩٤)، والطيالسي (٢٤٧٤)، والبيهقي في «الشعب» (٥/ ٥٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٧٢٣)].

(٤) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٧٩٨)، وأحمد (٦/ ٩٠)، والحاكم (١/ ١٢٨)، [«صحيح سنن أبي داود» (٤٠١٣)].

خامساً: لأن حسن الخلق يُدني صاحبه من النبي ﷺ يومَ القيامة.

- قال ﷺ: «**إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسِنُكُم أخلاقاً**»(١).

سادساً: لأنَّ حسنَ الخلقِ يحوِّل العدو إلى صديق حميم.

- قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت].

سابعاً: لأن حسن الخلق يجعل صاحبه من أفضل المؤمنين، ومن خيار الناس.

- سئل رسول الله ﷺ: أي المؤمنين أفضل؟ فقال ﷺ: «**أحسنهم خلقاً**»(٢).

- وقال ﷺ: «**إن خياركم أحاسنكم أخلاقاً**»(٣).

ثامناً: لأن حسن الخلق سبب لعفو الله وغفرانه.

- قال ﷺ: «**أُتي اللهُ تعالى بعبدٍ من عبادهِ آتاه الله مالاً فقال له: ماذا عملتَ في الدنيا؟ -قال: ولا يكتمون الله حديثاً- قال: يا ربِّ!**

---

(١) **حسن**: أخرجه الترمذي (٢٠١٨)، وأبو نعيم (٣/ ١١٤)، [«صحيح الجامع» (٢٢٠١)].

(٢) **حسن**: أخرجه ابن ماجه (٤٢٥٩)، والطبراني في «الكبير» (١٢/ ٢٥٤)، والبيهقي في «الشعب» (٦/ ٢٣٥)، [«صحيح ابن ماجه» (٣٤٥٤)].

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٠٣٥)، ومسلم (٢٣٢١).

آتيتني مالك، فكنت أُبايعُ الناس، وكان من خلقي الجوازُ، فكنت أتيسرُ على الموسِرِ وأُنظِرُ المعسر، فقال الله عز وجل! أنا أحق بذا منك، تجاوزوا عن عبدي»(١).

عباد الله! فرَّ السعداءُ إلى الله -تعالى- من الأخلاق السيئة إلى الأخلاق الحسنة فتحصلوا على سعادة الدنيا والآخرة.

عباد الله! ولكن كيف يُحسِّنُ المسلمُ خُلُقَهُ؟

أولاً: بعبادته لله وحدهُ لا شريك له، وذلك لأن جميع العبادات تربي المسلمَ على حسن الخلق، فمثلاً:

١- الصلاة، يقول الله -عز وجل-: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ [المعارج]، -وهذه أخلاقٌ ذميمةٌ سيئة- ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾ [المعارج] وهذه أخلاق حسنة.

٢- الزكاة، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة:١٠٣].

٣- الصيام، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٣٩١)، ومسلم (١٥٦٠).

- وقال ﷺ: «... **والصيام جُنةً، وإذا كان يومُ صومِ أحدِكُم فلا يرفُثْ ولا يصْخَبْ، فإنْ سابَّهُ أحدٌ أو قاتَلَهُ فليقُلْ: إني امرؤٌ صائمٌ...**»(١).

- وقال ﷺ: «**من لم يدعْ قولَ الزورِ والعملَ به فليسَ لله** -عز وجل- **حاجةٌ في أن يدعَ طعامَه وشرابه**»(٢).

- وقال ﷺ: «**ليس الصيامُ من الأكل والشربِ، إنما الصيامُ من اللغو والرفثِ، فإن سابَّك أحدٌ أو جَهِلَ عليك فقل: إني صائمٌ إني صائمٌ**»(٣).

- وعن ابن عباسٍ قال: (كان رسولُ الله ﷺ أجودَ الناس، وكان أجودَ ما يكونُ في رمضان حين يلقاهُ جبريل، وكان يلقاهُ في كلِّ ليلةٍ مِنْ رمضانَ فيُدَارِسُهُ القرآن، فَلَرَسُولُ الله ﷺ أجودُ بالخيرِ من الريح المرسلةِ)(٤).

عباد الله! فشهر رمضان هو مدرسة الأخلاق: صيامٌ وقيامٌ، جودٌ وكرمٌ، صدقةٌ وزكاة، إمساكٌ للسان عن قول الزور والكذب والسبِّ

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٩٠٣).

(٣) **صحيح**: أخرجه ابن خزيمة (١٩٩٦)، والحاكم (١/ ٥٩٥)، والبيهقي في «السنن» (٤/ ٢٧٠)، [«صحيح الجامع» (٥٣٧٦)].

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨).

والشتم، وإطلاقُ للسان في قراءة القرآن وذكر الله. وكل ذلك من الأخلاق الحسنة، فمن أراد أن يحسِّنَ خُلُقَهُ فليجتهد في عبادة الله في كل الأوقات عامة، وفي شهر رمضان خاصة.

٤- وكذلك الحجُّ مدرسةٌ في الأخلاق.

- قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة:١٩٧].

- وقال ﷺ: «**من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**»[(١)].

ثانياً: بمصاحبة ومجالسة الصالحين الذين عُرفوا بحسن الخلق، وذلك لأن النبي ﷺ قال: «**إنما العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم**»[(٢)].

- وقال ﷺ: «**لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامَك إلا تقي**»[(٣)].
- وقال ﷺ: «**الرجل على دين خليله فلينظر أحدُكم من يخالل**»[(٤)].
- وقال ﷺ: «**إنما مثلُ الجليس الصالح وجليسِ السوءِ، كحامل المسكِ، ونافخِ الكير، فحاملُ المسكِ، إما أن يُحذِيَكَ، وأما أن تبتاع**

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٥٢١)، ومسلم (١٣٥٠).

(٢) **حسن**: أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣/ ١١٨)، والبيهقي في «الشعب» (٧/ ٣٩٨)، وأبو نعيم (٥/ ١٩٨)، [«الصحيحة» (٣٤٢)].

(٣) **حسن**: أخرجه أبو داود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣٩٥)، وابن حبان (٥٥٥)، [«صحيح الجامع» (٧٣٤١)].

(٤) **حسن**: أخرجه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨)، وأحمد (٢/ ٣٣٤)، والحاكم (٤/ ١٨٨)، [«صحيح الجامع» (٣٥٤٥)].

منه، وإما أن تجدَ منه ريحاً طيباً، ونافخ الكير إما أن يُحرق ثيابك، وإما أن تجدَ منه ريحاً خبيثة»(١).

ثالثاً: الإلحاحُ في الدعاء، والتأسي برسول الله ﷺ، وذلك لأن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خُلقاً ومع ذلك كان يكثرُ من دعائه: «**اللهم أحسنت خَلقي فأحسن خُلقي**»(٢)، ويقول: «**اللهم... واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت ...** »(٣).

ونحن أمرنا الله أن نتأسى به ﷺ في كل شيء.

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١].

رابعاً: أن يتعرَّفَ المسلم على أضرارِ الأخلاق السيئة على صاحبها في الدنيا والآخرة فهذا يدفعه إلى تحسين خلقه، فمثلاً:

- قال رجل: يا رسول الله! إن فلانة يذكر من كثرة صلاتها وصدقتها وصيامها غير أنها تُؤذي جيرانها بلسانِها قال: «**هي في النار**» قال: يا رسول الله! فإن فلانة يُذكر من قلةِ صيامها وصلاتها وأنها تتصدَّقُ بالأثوار من الأقط، ولا تؤذي جيرانها، قال: «**هي في الجنة**»(٤).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٥٣٤)، ومسلم (٢٦٢٨).

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (٦/ ٦٨)، [«الإرواء» (١/ ١١٥)].

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٧٧١).

(٤) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ٤٤٠)، والحاكم (٤/ ١٨٤)، والبخاري في «الأدب» (١١٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥٦٠)].

- وقال ﷺ: «**وإنَّ سوءَ الخُلُقِ يُفسِدُ العملَ كما يُفسد الخلُّ العَسَلَ**»[1].

عباد الله! فلْنَفِر إلى الله -تعالى- من الأخلاق السيئة إلى الأخلاق الحسنة.

اللهم حَسّن أخلاقنا.

(١) حسن: [«الصحيحة» (٩٠٦)].

٤٠

الفرارُ إلى الله تعالى
من أعمال الشرِّ إلى أعمال الخيرِ

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾ [القيامة].

- ويقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الذاريات].

عباد الله! والفرارُ كما قلنا نوعان: فرارُ السعداء، وفرارُ الأشقياءِ، فالأشقياء يفرون من الله إلى غيره، وأولئك خابوا وخسروا؛ فأين المفر والإله الطالبُ؟! والسعداءُ يفرون من الله إلى الله؛ لأنهم قد علموا وأيقنوا أنه لا

ملجأ من الله إلا إليه، ومن الأمثلة على هؤلاء: كعب بن مالك وصاحباه، قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [التوبة].

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع فرارِ السعداءِ إلى الله -تعالى- **من أعمالِ الشرِ (المعاصي) إلى أعمال الخير (الطاعات).**

- يقولُ ﷺ: «**إذا كان أولُ ليلةٍ من شهرِ رمضان صُفدتْ الشياطينُ ومردةُ الجن، وغُلِقتْ أبوابُ النارِ، فلم يُفتح منها بابٌ، وفُتحت أبوابُ الجنةِ فلم يُغلق منها بابٌ، وينادي منادٍ: يا باغي الخيرِ أقبل، ويا باغي الشرِ أقصر، وللهِ عُتقاءُ من النارِ وذلك كلَّ ليلةٍ**»(١).

عباد الله! والناسُ في شهرِ رمضانَ فريقان:

١- فريقٌ يفرُّ إلى الله -تعالى- بأعمال الخير، ويسارعُ إليها ليلاً ونهاراً، وأولئك هم الفائزون المفلحون.

قال تعالى في وصفهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء].

---

(١) **حسن**: أخرجه الترمذي (٦٨٢)، وابن ماجه (١٦٤٢)، وابن خزيمة (١٨٨٣)، والحاكم (١/ ٥٨٢)، [«صحيح الجامع» (٧٥٩)].

٢- وفريقٌ فرَّ من الله إلى هواهُ وشيطانهِ فهو يسارعُ إلى أعمال الشرِّ، وأولئك هم الخاسرون.

يقول الله -عز وجل- في وصفهم: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٠ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ٥١﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ٣١﴾ [فاطر].

عباد الله! فالناس في رمضان وفي غير رمضان فريقان:

فريقٌ يُسارعُ بالليل والنهار إلى أعمالِ الخير.

وفريقٌ يسارعُ بالليل والنهار إلى أعمالِ الشرِّ.

ونقول لهؤلاء وهؤلاء: اعملوا ما شئتم فإن الله -عز وجل- يقول:

﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٤٦﴾ [فصلت]، ويقول سبحانه: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ١٥﴾ [الجاثية]، ويقول سبحانه: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ٨٩ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٩٠﴾ [النمل].

- ويقول ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه، فلا يرى إلا ما قدّم، وينظر أشأم منه، فلا**

يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه، فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار، ولو بشق تمرة، ولو بكلمة طيبة»[1].

- ويقول الله -عز وجل- في الحديث القدسي: «**يا عبادي إنما هي أعمالكم أُحصيها لكم ثم أوفِّيكُم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غيرَ ذلك فلا يلُومَنَّ إلا نفسه**»[2].

وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف]، وقال تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الجاثية].

ابن آدم!

مثل وقوفك يوم العرض عُريانا ... مستوحشاً قلق الأحشاء حيرانا
والنار تلهب من غيظ ومن حنق ... على العصاة ورب العرش غضبانا
اقرأ كتابك يا عبدي على مهل ... فهل ترى فيه حرفاً غير ما كانا
لما قرأت ولم تنكر قراءته ... إقرار من عرف الأشياء عرفانا
نادى الجليل خذوه يا ملائكتي ... وامضوا بعبدٍ عصى للنار عطشانا
المجرمون غداً في النار يلتهبوا ... والمؤمنون بدار الخلد سكانا

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٥١٢)، ومسلم (١٠١٦).
(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

عباد الله! انطلاقاً من قوله ﷺ: «**إذا كان أولُ ليلةٍ من شهر رمضانَ ... ينادي منادٍ: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشرِّ أقصر**».

فهذه رسالة نوجهُهُا إلى السعداء الذين فروا إلى الله -تعالى- بالإقبالِ على أعمال الخير فيها تبشيرٌ لهم وتذكير لغيرهم.

- فيا باغي الخير أقبل فها قد جاء شهر رمضان، شهر الصيام والقرآن.

قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة:١٨٥]

- وقال ﷺ: «**كلُّ عملِ ابن آدمَ يضاعف الحسنةُ عشرِ أمثالِها إلى سبعمائة ضعفٍ قال الله -عز وجل-: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزى به، يدع شهوته وطعامَه من أجلي، للصائم فرحتان: فرحةٌ عند فطره، وفرحةٌ عند لقاء ربه، وَلَخُلُوفُ فِيهِ أطيب عند الله من ريح المسك**»(١).

- وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: أتيت إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله! مُرني بأمر ينفعُني اللهُ به. فقال ﷺ: «**عليك بالصيامِ، فإنهُ لا مِثْلَ له**»(٢).

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١١٥١).

(٢) **صحيح**: أخرجه النسائي (٢٢٢١)، والبيهقي في «السنن» (٤/ ٣٠١)، والطبراني في «الكبير» (٨/ ٩١)، [«صحيح سنن النسائي» (٢٠٩٧)].

- وقال ﷺ «**الصيامُ والقرآن يشفعان للعبدِ يومَ القيامة، يقولُ الصيام: أيّ ربِّ منعته الطعام والشهوة فشفِّعني فيه، ويقول القرآن: منعتهُ النوم بالليل، فشفِّعني فيه، قال: فيُشَفّعان**»(١).

* فيا باغي الخير أقبل فهذا هو شهرُ رمضان، شهرُ الصيام الذي فيه تُغْفَرُ الذنوب والخطايا.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ﴾ -ماذا أعد الله لهم؟: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب].

- وقال ﷺ: «**من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**»(٢).

- وقال ﷺ: «**الصلواتُ الخمسُ، والجمعةُ إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفراتٌ ما بينهن، إذا اجتنب الكبائر**»(٣).

- وصعدَ النبيّ ﷺ المنبر فقال: «**آمين، آمين آمين**» قيل: يا رسول الله: إنك صعدت المنبر فقلت: آمين آمين آمين. فقال: «**إن جبرائيل**

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ١٧٤)، وأبو نعيم (٨/ ١٧١)، والحاكم (١/ ٧٤٠)، [«صحيح الجامع» (٣٨٨٢)].

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٨)، ومسلم (٧٦٠).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٣٣).

عَلَيْهِ السَّلَامُ **أتاني فقال: من أدركَ شهرَ رمضانَ فلم يُغْفَرْ له فدخل النـار؛ فأبعده الله، قل: آمين. فقلت: آمين ...**»(١).

* يا باغي الخير أقبل هذا هو شهر رمضان، شهرٌ يُستجابُ فيه الدعاء.

- قال ﷺ: «**ثـلاثُ دعـواتٍ لا تُـردُّ: دعـوةُ الوالـدِ لولـدهِ، ودعـوةُ الصائمِ، ودعوةُ المسافر**»(٢).
- وقال ﷺ: «**إن لله تبارك وتعالى عتقاءَ في كلِّ يومٍ وليلـةٍ -يعنـي في رمضان-، وإن لكلِّ مسلمٍ في كلِّ يومٍ وليلةٍ دعوةً مستجابةً**»(٣).

* يا باغي الخير أقبل فهذا هو شهر رمضان، طريقك إلى الجنة.

- قال ﷺ وهو يخطب في حجـة الـوداع: «**اتقـوا الله ربكُـم وصـلُّوا خمـسَكُم، وصُـومُوا شـهركُمْ، وأدُّوا زكـاة أمـوَالِكُمْ، وأطيعـوا ذا أمركُم؛ تدخلو جنَّة ربِّكُم**»(٤).
- وقال ﷺ: «**إن في الجنةِ باباً يُقالُ له الرَّيَّانُ، يدْخُلُ مِنهُ الصائمون يـوم القيامة لا يدخل منهُ أحدٌ غيرُهُم، يُقالُ: أين الصائمون؟ فيقومـون لا يدخُلُ منهُ أحدٌ غيرُهُم فإذا دخلوا أُغلِق فلم يَدْخُلْ منهُ أحدٌ**»(٥).

---

(١) **حسن صحيح**: أخرجه ابن خزيمة (١٨٨٨)، وابن حبان (٩٠٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٤٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٩٩٧)].

(٢) **حسن**: أخرجه البيهقي في «السنن» (٣/ ٣٤٥)، [«صحيح الجامع» (٣٠٣٢)].

(٣) **صحيح لغيره**: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦/ ٢٧٥)، وأبـو نعـيم (٨/ ٢٨٣)، [«صـحيح الترغيب والترهيب» (١٠٠٢)].

(٤) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٦١٦)، وأحمد (٥/ ٢٥١)، والحاكم (١/ ٥٢)، [«الصحيحة» (٨٦٧)].

(٥) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٨٩٦)، ومسلم (١١٥٢).

* يا باغي الخير أقبل هذا هو شهر رمضان، حصنٌ لك من النار.

- قال ﷺ: «**الصيامُ جُنةٌ، وحِصنٌ حصين من النارِ**»(١).
- وقال ﷺ: «**من صامَ يوماً في سبيلِ الله؛ زحزحَ اللهُ وَجْهَهُ عن النارِ بذلك اليومِ سبعينَ خريفاً**»(٢).
- وقالَ ﷺ: «**مَنْ صام يوماً في سبيل الله؛ جعلَ اللهُ بينه وبين النارِ خندقاً كما بين السماءِ والأرض**»(٣).

*يا باغي الخير أقبل هذا هو شهر رمضان، شهر قيام الليل وفيه وليلة القدر

- قال ﷺ: «**من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**»(٤).
- قال ﷺ: «**من قام ليلةَ القدرِ إيماناً واحتساباً؛ غفر له ما تقدم من ذنبه**»(٥).
- ويقول أنس رضي الله عنه دخلَ رمضانُ فقالَ ﷺ: «**إن هذا الشهرَ قد حضركم وفيه ليلةٌ خيرٌ من ألف شهرٍ، من حُرِمَها فقد حُرمَ الخيرَ كله، ولا يُحْرَمُ خيرَها إلا محرومٌ**»(٦).

---

(١) **حسن**: أخرجه أحمد (٢/ ٤٠٢)، والبيهقي في «الشعب» (٣/ ٢٨٩)، [«صحيح الجامع» (٣٨٨٠)].

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (١٦٢٢)، والنسائي (٢٢٤٤)، وابن ماجه (١٧١٨)، وأحمد (٢/ ٣٠٠)، [«صحيح الجامع» (٦٣٣٤)].

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي (١٦٢٤)، والطبراني في «الكبير» (٨/ ٢٣٥)، وفي «الأوسط» (٤/ ٤٦)، وفي «الصغير» (١/ ١٦١)، [«صحيح الجامع» (٦٣٣٣)].

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٧)، ومسلم (٧٥٩).

(٥) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٠١٤)، ومسلم (٧٦٠).

(٦) **حسن صحيح**: أخرجه ابن ماجه (١٦٤٤)، [«صحيح ابن ماجه» (١٣٤١)].

* يا باغي الخير أقبل هذا هو شهرُ الجودِ والكرمِ والإيثار

قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر:٩]، وقال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الإنسان]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾ [البقرة].

- وقال ﷺ: «**إن الله كريم يحب الكرم**»(١).
- وقال ﷺ: «**إن الله كريم يحب الكرماء**»(٢).
- وقال ﷺ: «**إن الله تعالى جواد يحب الجود**»(٣).
- (وكان رسول الله ﷺ أجودَ الناسِ وكان أجودَ ما يكونُ في رمضان حين يلقاه جبريل)(٤).

* يا باغي الخير أقبل هذا هو شهر رمضان، شهر التقوى، وتأمل كيف بدأ اللهُ -عز وجل- آياتِ الصيامِ بذكر التقوى أيضاً وختمها بالتقوى فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ

---

(١) **صحيح**: وهو جزء من حديث أخرجه الحاكم (١/ ١١١)، والطبراني في «الكبير» (٦/ ١٨١)، والبيهقي في «الشعب» (٦/ ٢٤٠)، [«صحيح الجامع» (١٨٠١)].

(٢) **صحيح**: [«صحيح الجامع» (١٨٠٠)].

(٣) **صحيح**: أخرجه البيهقي في «الشعب» (٧/ ٤٢٦)، وأبو نعيم (٥/ ٣٢)، [«صحيح الجامع» (١٧٤٤)].

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨).

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة]. وختمها فقال: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [البقرة].

عباد الله! في شهر رمضان يتحصل الإنسان على زاده الذي هو خير الزاد، وهو ما ينفعه في دنياهُ وفي آخرته قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ [البقرة:١٩٧].

ففي الدنيا: يجعل الله له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:١-٢].

وأما في آخرته: فيكفر الله -تعالى- عنه سيئاتِه ويعطيه أجراً عظيماً.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾﴾ [الطلاق].

وينجو الإنسان بالتقوى على الصراط أيضاً.

قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم].

وبالتقوى تسكن يا باغي الخير الجنة، وهل أُعدت الجنةُ إلا للمتقين؟!

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الحجر]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾﴾ [الطور]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾﴾ [القمر].

فيا باغي الخير!

تــزود مــن معاشــك للمعــاد وقـــم لله واجمـــع خـــير زاد

ويا باغي الخير!

تزود من التقوى فإنـك لا تـدري إذا جَنّ ليل هل تعـيش إلى الفجـر

عباد الله! وهذه رسالةٌ نوجهُها إلى العصاةِ الـذين يـسارعون إلى أعـمالِ الشرِّ فيها تحذيرٌ وتذكير، فنقول:

*يا باغي الشرِّ أقصر فإن الموت يأتي بغتة.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [الجمعة]، وقال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء:٧٨].

- وقال جبريل عليه السلام لرسولنا صلى الله عليه وسلم: «**يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقهُ، واعمل ما شئت فإنك مجزيٌ به**»(١).

*يا باغي الشر:

لا شيء ممـا تـرى تبقـى بـشاشته يبقـى الإلـه ويفنـى المـالُ والولـد

(١) حسن: أخرجه الحاكم (٤/ ٣٦٠)، والطبراني في «الأوسط» (٤/ ٣٠٦)، والبيهقي في «الشعب» (٧/ ٣٤٨)، [«صحيح الجامع» (٤٣٥٥)].

* يا باغي الشر أقصر فإن الله يراك، أما تستحي من الله؟ قال تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤٠﴾ [فصلت].

• ويقول النبي ﷺ لأصحابه: «**استحيوا من الله حق الحياء**» قلنا: يا نبي الله! إنا لنستحي والحمد لله. قال: «**ليس ذلك ولكن الاستحياءَ من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى، وتحفظ البطن وما حوى، وتتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء**»(1).

* يا باغي الشر أقصر فإن الملائكة تراك، ألا تستحي من الملائكة؟

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ۝١٢﴾ [الانفطار]، وقال تعالى: ﴿إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ۝١٧ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ۝١٨﴾ [ق].

* يا باغي الشر أقصر وإلا فإنكَ ستندمُ:

١- ستندم عند الموت، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝٩٩﴾ [المؤمنون]

٢- ستندم يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ﴾ [سبأ:٣٣].

٣- ستندم يوم القيامة إذا تطايرت الصحف وأخذت كتابك بشمالك، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ۝٢٥﴾ [الحاقة].

---

(1) **حسن لغيره**: أخرجه الترمذي (٢٤٥٨)، وأحمد (١/ ٣٨٧)، والحاكم (٤/ ٣٥٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٧٢٤)].

٤ – وستندم إذا وقفت على باب جهنم، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنعام:٢٧].

٥ – وستندم إذا دخلتَ النارَ، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [المؤمنون]، وقال تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [السجدة]، وقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر].

* يا باغي الشر أقصر وتب إلى الله، فإن الله يَقبلُ التوبةَ من عبادهِ.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الشورى].

ويقول الله -عز وجل- لعباده: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور].

* يا باغي الشر أقصر وتب إلى الله فإن الله يغفر الذنوب جميعاً.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر].

وقال تعالى: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه].

وقال رب العزة في الحديث القدسي: «**يا عبادي! إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم**»[1].

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٥٧٧)، وهو جزء من حديث.

٤١

الفرار إلى الله تعالى
من منعِ الزكاةِ إلى إخراج الزكاة

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ۝٥ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ
الْقِيَامَةِ ۝٦ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ
رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣ بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ۝١٥﴾
[القيامة].

ويقول سبحانه في كتابه: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠﴾ [الذاريات].

عباد الله! والفرارُ كما قلنا نوعان: فرارُ السعداء، وفرارُ الأشقياءِ، فالأشقياء يفرون من الله إلى غيره، وأولئك خابوا وخسروا، فأين المفر والإله الطالبُ؟! والسعداءُ يفرون من الله إلى الله؛ لأنهم قد علموا وأيقنوا أنه لا ملجأ من الله إلا إليه.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع فرارِ السعداءِ إلى الله -تعالى- **من منعِ الزكاةِ إلى إخراجِ الزكاة.**

عباد الله!

المال الذي بأيدينا هو مالُ الله، قال تعالى: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [النور:٣٣].

المال الذي في أيدينا هو زينة الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف:٤٦].

والإنسانُ بطبيعته يحبُّ المالَ حباً شديداً، قال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ [الفجر].

وقال تعالى في وصفِ الإنسانِ: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [العاديات].

والمالُ فتنةٌ عظيمةٌ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [التغابن].

- وقال ﷺ: «**إنّ لكلِّ أمةٍ فتنةً وفتنةُ أمتي المال**»[(١)].

عباد الله! الناسُ مع المال ينقسمون إلى فريقين:

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣٣٦)، وأحمد (٤/ ١٦٠)، والحاكم (٤/ ٣٥٤)، [«صحيح الجامع» (٢١٤٨)].

١- فريقٌ عرفوا أنَّ المالَ الذي بأيديهم هو مـالُ الله فـاتقوا الله في هـذا المالِ وأدوا حق الله فيه فأخرجوا الزكاة وهؤلاء هم السعداء.

٢- وفريقٌ افتتنوا بالمالِ فلم يتقوا الله فيـه، وبخلـوا بالزكـاة ومنعوهـا وهؤلاء شقوا بأموالهم في الدنيا والآخرة.

عباد الله! أتدرون لماذا فرَّ السعداءُ إلى الله -تعالى- مـن منـعِ الزكـاةِ إلى إخراج الزكاة.

الجوابُ:

أولاً: لأن الله فرضَ عليهم الزكاة.

قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة:١٠٣].

وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [التوبة].

- ولما أرسلَ رسولُ الله ﷺ معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن قال له: «**إنك تأتي قوماً من أهلَ الكتـاب، فـادعهم إلى شـهادة أن لا إلـه إلا الله وأني رسولُ اللهِ، فإنْ هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن اللهَ افـترض علـيهم خمسَ صلواتٍ في كلِّ يومٍ وليلةٍ، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فـإن**

هم أطاعوا لذلك، فإياك وكرائمَ أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»(١).

ثانياً: لأن الزكاة هي الركنُ الثالثُ من أركان الإسلام.

- قال ﷺ: «بني الإسلامُ على خمس: شهادةِ أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاءِ الزكاة، وحج البيتَ، وصوم رمضان»(٢).

ولذلك حاربَ الصديقُ الذين منعوا الزكاة وفرقوا بينها وبين الصلاة.

ثالثاً: لأنَّ إخراج الزكاةَ طريقٌ إلى الجنة.

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾﴾ إلى أن قال ربنا -جل وعلا-: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ [الذاريات].

رابعاً: لأن إخراج الزكاة سببٌ لنزول الرحمةِ على العباد.

قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٩).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

خامساً: لأنَّ إخراج الزكاة سببٌ للتمكين في الأرض.

قال تعالى: ﴿ **ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ** ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج].

سادساً: لأن إخراج الزكاة يطهرُ النفسَ والمالَ.

قال تعالى: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا**﴾ [التوبة:١٠٣]، وقال تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا** ﴿٩﴾ **وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا** ﴿١٠﴾﴾ [الشمس]، وقال تعالى: ﴿**وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ** ﴿٩﴾﴾ [التغابن].

- وقال ﷺ: «**اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشحَّ أهلكَ مَنْ كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءَهم واستحلوا محارمهم**»(١).

سابعاً: لأنّ الله أعدَّ لمانعِ الزكاةِ عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة.

❊أما عذاب الدنيا:

١- حرمانُ المطر.

- قال ﷺ: «**يا معشرَ المهاجرين خمسٌ إذا ابتليتم بهنَّ وأعوذُ بالله أن تدركوهنَّ**». -وذكر منها:- «**ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائمُ لم يمطروا**»(٢).

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٥٧٨).

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٤٠١٩)، والحاكم (٤/ ٥٨٢)، والطبراني في «الأوسط» (٥/ ٦١)، [«الصحيحة» (١٠٦)].

- وقال ﷺ: «**ولا منع قومٌ الزكاة؛ إلا حَبَس اللهُ عنهم القَطْرَ**»(١).

٢- حرمان المالِ.

عباد الله! المالُ كما قلنا هو مالُ الله فمن أدى حقهُ بإخراج زكاته زاد ماله وبقي لصاحبه، ومن منعَ الزكاةَ زالَ ماله من بين يديه.

- قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم].

- وقال ﷺ: «**ما من يومٍ يصبحُ العبادُ فيه إلا ملكان ينزلان، فيقولُ أحدُهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقولُ الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً**»(٢).

- وقال ﷺ: «**ما منع قومٌ الزكاة؛ إلا ابتلاهم اللهُ بالسنين**»(٣).

٣- حياة الضنك والهم والغم.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل].

---

(١) **صحيح لغيره**: أخرجه الحاكم (٢/ ١٣٦)، والبيهقي في «الشعب» (٣/ ١٩٦)، والطبراني في «الأوسط» (٥/ ٢٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٧٦٣)].

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).

(٣) **صحيح لغيره**: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥/ ٢٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٧٦٣)].

*أما عذابُ مانعِ الزكاة في الآخرة

فقد قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة].

يفسر لنا ذلك النبي ﷺ فيقول: «**ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يومُ القيامةِ صُفِّحت له صفائحَ من نارٍ، فأُحمي عليها في نار جهنم فيُكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما ردَّتْ أعديت له، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يُقضى بين العبادِ، فيرى سبيله، إما إلى الجنة وإما إلى النار**»(١).

- ويقول ﷺ: «**منْ آتاه الله مالاً فلم يؤدِّ زكاته، مُثِّلَ له ماله شجاعاً أقرع، له زبيبتان يُطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه يعني بشدقيه يقول: أنا مالك أنا كنزك!**» ثم تلا ﷺ هذه الآية: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠](٢).

- وقال ﷺ: «**مانع الزكاة يومَ القيامةِ في النار**»(٣).

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٩٨٧).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٥٦٥).

(٣) **حسن صحيح**: أخرجه الطبراني في «المعجم الصغير» (٢/ ٥٨)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٧٦٢)].

- وقال ﷺ للمرأة التي دخلت عليه ومعها ابنتُها في يدها مسكتان غليظتان من ذهبٌ: (فقال لها: «**تُعطين زكاة هذا؟**». قالت: لا -يا رسول الله-! قال ﷺ: «**أيسُرُّكِ أن يُسَوِّرَكِ اللهُ بِهِمَا يومَ القيامة سِوَارَيْنْ من نارٍ**». قال: فخَلَعَتْهُمَا، فألقَتْهُما إلى النبي ﷺ وقالت: هُما لله -عز وجل- ولرسولِهِ)(١).
- وتقولُ عائشة ؓ: دخل عليَّ رسولُ الله ﷺ، فرأى في يديَّ فتخاتٍ من وَرِقٍ، فقال ﷺ: «**ما هذا يا عائشة؟**».

فقلتُ: صنعتُهُنَّ أتزيَّنُ لكَ يا رسول الله؟ قال ﷺ: «**أتَؤَدِّينَ زكاتَهُنَّ؟**».

قلت: لا، أو ما شاء الله!. قال: «**هي حَسْبُكِ مِنَ النارِ**»(٢).

فيا عباد الله! فروا إلى الله -تعالى- من منع الزكاة إلى إخراج الزكاة لأنكم راجعون إلى الله وموقوفون بين يديَّ الله وسائلكم عن أموالكم.

واعلموا عباد الله! أن للعلماء في زكاة حُلي المرأة قولان:

القول الأول: قالوا: لا زكاة في حُلي المرأة.

القول الثاني: قالوا: فيه الزكاة وفي كلِّ عام إذا بلغ النصاب وحال عليه الحول، وهذا هو القول الراجح الذي دلَّ عليه الدليلُ من الكتاب والسنة.

---

(١) **حسن**: أخرجه أبو داود (١٥٦٣)، والترمذي (٦٣٧)، والنسائي (٢٤٧٩)، وأحمد (٢/ ٢٠٤)، والدارقطني (٢/ ١١٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٧٦٨)].

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (١٥٦٥)، والدارقطني (٢/ ١٠٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٧٦٩)].

عباد الله! أما زكاةُ الفطرِ: وهي الزكـاة التـي يُخرجهـا المـسلم في نهايـة رمضان:

١-فحكمها: واجبةٌ.

- يقول ابن عمر رضي الله عنهما: (فرض رسولُ الله ﷺ زكـاة الفطـرِ صـاعاً من تمر أو صاعاً من شـعير عـلى العبـدِ والحـرِ، والـذكر والأنثـى، والصغيرِ والكبير من المسلمين)[1].

٢-حكمتُها: هي طُهرةٌ للصائم من الرفث واللغو، وطعمةٌ للمساكين.

- يقول ابن عباس رضي الله عنهما: (فرضَ رسولُ الله ﷺ زكاة الفطر طُهـرةٌ للصائمِ من اللغو والرفثِ، وطعمةٌ للمساكين)[2].

٣- قَدرُها: صاعٌ من طعامِ أهل البلد.

- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (كُنا نُخرجُ زكـاة الفطـر -أي: على عهد رسول الله ﷺ- صاعاً من طعام أو صاعاً مـن شـعير أو صاعاً من تمر، أو صاعاً من أقط، أو صاعاً من زبيب)[3].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٥٠٣)، ومسلم (٩٨٤).

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (١٦٠٩)، وابن ماجه (١٨٢٧)، والدارقطني (٢/ ١٣٨)، [«صحيح الجامع» (٣٥٧٠)].

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٥٠٦)، ومسلم (٩٨٥).

٤- **وقتُها**: قبل صلاة العيد ويجوز إخراجُها قبل العيدِ بيومٍ أو يومين عند الحاجة.

- قال ابن عباس رضي الله عنهما: (فمن أدَّاها قبل الصلاةِ فهي زكاةٌ مقبولة، ومن أدَّاها بعد الصلاة فهي صدقةٌ من الصدقات)[1].

---

(١) **صحيح**: (تقدم تخريجه (ص٥٢١) هامش (٢).

٤٢

الفرار إلى الله تعالى
من الغفلةِ إلى اغتنام الفرص

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٥) يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ
الْقِيَامَةِ (٦) فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٩) يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (١٠) كَلَّا لَا وَزَرَ (١١) إِلَى
رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (١٢) يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١٣) بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ (١٥)﴾
[القيامة]، ويقول سبحانه: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠)﴾ [الذاريات].

والفرارُ كما قلنا نوعان: فرارُ السعداء، وفرارُ الأشقياءِ، فالأشقياء يفرون من الله إلى غيره، وأولئك خابوا وخسروا؛ فأين المفر والإله الطالبُ؟! والسعداءُ يفرون من الله إلى الله، لأنهم قد علموا وأيقنوا أنه لا ملجأ من الله إلا إليه.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع فرارِ السعداءِ إلى الله -تعالى- **من الغفلةِ إلى اغتنامِ الفرصِ**.

عباد الله! أتدرون لماذا فرَّ السعداءُ إلى الله -تعالى- من الغفلةِ إلى اغتنامِ الفرصِ؟

الجواب:

أولاً: لأنهم علموا أن الغفلةَ منعتْ كثيراً من الناس من الاستعداد للقاءِ الله.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس]، وقال تعالى: ﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾﴾ [الروم]، وقال تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ -أي: في الدنيا في دار العمل- ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [ق].

عباد الله! الناظرُ إلى كثير من الناسِ -إلا من رحم ربي- يراهم في غفلةٍ عن الموتِ، والقبر والحشرِ والحسابِ والجنة والنار كما قال القائل:

أمـــا والله لـــو علـــم الأنـــام ... لمـا خلقـوا لمـا هجعـوا ونـاموا
لقـد خلقـوا لأمـر لـو رأتـه ... عيـون قلـوبهم تـاهوا وهـاموا
ممـات ثـم قـبر ثـم حـشر ... وتـوبيخ وأهـوالٌ عظـامُ
ليـوم الحـشر قـد عملـت رجـال ... فـصلوا مـن مخافتـه وصـاموا

ونحـــن إذا أمرنـــا أو نهينـــا كأهــل الكهــف أيقــاظٌ نيــامُ

ثانياً: لأنهم وجدوا أهلَ الغفلةِ يندمون في وقتٍ لا ينفعُ فيه الندم.

عباد الله! الغافلُ يندم عند الموت، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآ﴾ [المؤمنون:٩٩-١٠٠]، وقال تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠﴾ [المنافقون].

الغافلُ يندمُ إذا بُعث من قبره، قال تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٥٢﴾ [يس].

الغافلُ يندمُ في أرض المحشر، قال تعالى: ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٩٧﴾ [الأنبياء].

الغافلُ يندمُ إذا وضع الكتاب، قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ٤٩﴾ [الكهف].

الغافلُ يندمُ إذا وقف على أبواب جهنم، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٧ بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٢٨﴾ [الأنعام].

الغافل يندمُ إذا دخل النار، قال تعالى: ﴿وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ٣٧﴾ [فاطر].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [السجدة]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾ [الملك].

ثالثاً: لأنهم وجدوا الغفلةَ سبباً لدخول النار.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس].

رابعاً: لأنهم وجدوا أن اللهَ عز وجل يحذرُ في كتابهِ من الغفلةِ.

قال تعالى لرسولهِ ﷺ محذراً من الغفلةِ: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف]، وقال تعالى لعباده محذراً من الغفلة: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف].

عباد الله! السعداءُ فروا إلى الله -تعالى- واغتنموا الفرص وذلك:

أ- لأن الله -عز وجل- أمرهم في كتابهِ باغتنام الفرصِ والمسارعة إلى فعل الخيرات.

- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج].

- وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة:١٤٨].
- وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران]
- وقال تعالى: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد].

ب- ولأن النبي ﷺ أمرهم في سنتهِ باغتنام الفرص والمسارعة إلى فعل الخيرات

- قال ﷺ لرجلٍ وهو يعِظُهُ: «**اغْتَنِمْ خَمْساً قبلَ خَمْسٍ: حياتك قبل مَوتِك، وصحَّتَك قبلَ سقَمك، وفراغَكَ قبل شُغلِكَ، وشبابَك قبلَ هَرَمِكَ، وغِنَاكَ قبل فقرِكَ**»(١).
- وقال ﷺ: «**بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبحُ الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا**»(٢).

عباد الله! من أجل ذلك فرَّ السعداءُ إلى الله -تعالى- من الغفلةِ إلى اغتنام الفرصِ.

---

(١) **صحيح**: أخرجه الحاكم (٤/ ٣٤١)، والبيهقي في «الشعب» (٧/ ٢٦٣)، [«صحيح الجامع» (١٠٧٧)].

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (١١٨).

عباد الله! ومن الفرص التي يجبُ على العاقل أن يغتنمها: شهر رمضان عامةً والعشر الأواخر منهُ خاصةً -والتي تبدأ من اليوم- وذلك لقوله ﷺ: **«إذا كانَ أولُ ليلةٍ من شهر رمضانَ صُفدتْ الشياطينُ ومردةُ الجنِ، وغُلقت أبوابُ النار، فلم يفتح منها بابٌ، وفُتحتْ أبوابُ الجنة فلم يُغلقَ منها بابٌ، وينادي منادٍ كل ليلة: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاءُ من النارِ وذلك كلَّ ليلةٍ»**[1].

عباد الله! وهذا هو حالُ النبي ﷺ في رمضانَ عامةً وفي العشر الأواخر منهُ خاصةً:

- يقول ابن عباس رضي الله عنهما: (كانَ رسولُ الله ﷺ أجودَ الناسِ، وكان أجودَ ما يكونُ في رمضان حين يلقاهُ جبريلُ، وكان يلقاهُ في كلِّ ليلةٍ من رمضانَ فيُدارِسُه القرآن، فلَرسولُ الله ﷺ أجودُ بالخير من الريحِ المُرسلة)[2].
- وتقول عائشة رضي الله عنها: (كان رسولُ الله ﷺ إذا دخلَ العَشْرُ -أي: الأواخِرُ من رمضان- أحيَا الليلَ، وأيقظَ أهلهُ، وجَدَّ وشَدَّ المِئزَرَ)[3]، وهذا كنايةٌ عن الاجتهاد في العبادة واعتزال النساء.

---

(١) **حسن**: أخرجه الترمذي (٦٨٢)، وابن ماجه (١٦٤٢)، والحاكم (١/ ٥٨٢)، وابن حبان (٣٤٢٦)، [«صحيح الجامع» (٧٥٩)].

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٠٢٤)، ومسلم (١١٧٤).

- وتقولُ أيضاً رضي الله عنها: (كان رسولُ الله ﷺ يجتهدُ في العَشْرِ الأواخِرِ، ما لا يجتهدُ في غيره)[1].

عباد الله! هذا هو حال رسول الله ﷺ في رمضانَ عامةً وفي العشرِ الأواخر خاصة، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، والله -عز وجل- يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب:٢١].

فيا باغي الخير أقبل واغتنم هذه الفرص:

أولاً: فرصة الصيام.

- قال ﷺ: «**من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**»[2].

ثانياً: فرصةُ القيام.

- قال ﷺ: «**من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**»[3].

ثالثاً: فرصةُ تلاوةِ القرآنِ؛ فرمضان هو شهر القرآن.

قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة:١٨٥].

- وقال ﷺ: «**من قرأ حرفاً من كتاب الله فلهُ به حسنةٌ، والحسنةُ بعَشْرِ أمثالِها، لا أقول: ﴿الٓمٓ﴾ حرفٌ، ولكن ألفٌ حرفٌ، ولامٌ حرفٌ، وميمٌ حرفٌ**»[4].

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١١٧٥).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٩٠١)، ومسلم (٧٦٠).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٧)، ومسلم (٧٥٩).

(٤) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٩١٠)، والبيهقي في «الشعب» (٢/ ٣٤٢)، [«المشكاة» (٢١٣٧)].

- وقال ﷺ: «**الصيامُ والقرآن يشفعان للعبد يومَ القيامة، يقول الصيام: أيّ ربِّ منعتُهُ الطعام والشهوة فشفِّعني فيه. ويقول القرآن: منعتهُ النومَ بالليل،فشفِّعني فيه، قال: فيُشفَّعان**»(١).

رابعاً: فرصة الاعتكافِ.

قال تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة:١٨٧].

- ويقول ابن عمر رضي الله عنهما: (كان رسول الله ﷺ يعتكِفُ العَشْرَ الأواخرَ من رمضان) (٢).

خامساً: فرصة الدعاء.

عباد الله! رمضان هو شهرُ الدعاء، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]، وهذه الآية جاءت بين آيات الصيام، فالآيةُ التي قبلها هي قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾، والآية التي بعدها هي قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾.

وهذا يدل على أن الدعاء مستجابٌ من الصائم في شهر رمضان، كيف لا؟ ورسول الله ﷺ يقول: «**ثلاثُ دعواتٍ مستجاباتٌ: دعوةُ الصائمِ، ودعوةُ المظلومِ، ودعوةُ المسافر**»(٣).

---

(١) **حسن صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ١٧٤)، والحاكم (١/ ٧٤٠)، والبيهقي في «الشعب» (٢/ ٣٤٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٩٨٤)].

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٠٢٥)، ومسلم (١١٧١).

(٣) **صحيح**: أخرجه البيهقي في «الشعب» (٣/ ٣٠٠)، [«صحيح الجامع» (٣٠٣٠)].

وقال ﷺ: «**ثلاثُ دعواتٍ لا تُردُّ: دعوةُ الوالدِ لولده، ودعوةُ الـصائم، ودعوةُ المسافر**»(١).

سادساً: فرصةُ تفطير الصائم

•يقول ﷺ: «**من فطَّرَ صائماً، كان لهُ مِثلُ أجرهِ، غيرَ أنهُ لا يـنقصُ مـن أجرِ الصائم شيءٌ**»(٢).

سابعاً: فرصةُ إحياء ليلةِ القدر.

عباد الله!

- ليلةُ القدر تلتمسُ في الليالي الوتريةِ مـن العـشرِ الأواخـر مـن شـهر رمضان -والتي بدأت من اليوم-.
- ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر فيها تتنزلُ الملائكة.
- ليلةُ القدرِ سلامٌ حتى مطلع الفجرِ ينزلُ فيها جبريل عليه السلام.
- ليلة القدر يُفرق فيها كلُّ أمرٍ حكيم.

يقول الله -عز وجل- في وصفها: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ۝٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ

(١) **حسن**: أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٣٤٥)، [«صحيح الجامع» (٣٠٣٢)].

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٨٠٧)، وابن ماجه (١٧٤٦)، وأحمد (٤/ ١١٤)، [«صحيح الجامع» (٦٤١٥)].

﴿٥﴾ [القدر]، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾﴾ [الدخان].

- ويقول ﷺ في وصفها: «**إن هذا الشهر قد حضركُم وفيه ليلةٌ خيرٌ من ألفِ شهرٍ، من حُرِمَها فقد حُرِمَ الخيرَ كُلَّهُ ولا يُحْرَمُ خيرَها إلا محرومٌ**»(١).
- وقال ﷺ: «**من قامَ ليلة القدرِ إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**»(٢).
- وتقول عائشة رضي الله عنها: (قلتُ: يا رسول الله! أرأيتَ إن علمتُ أي ليلةٍ ليلةُ القدر؛ ما أقولُ فيها؟

قال: «**قولي: اللهم إنك عَفوٌّ تُحِبُّ العفوَ فاعفُ عني**»(٣).

عباد الله! على العاقل أن يغتنم هذه الفرصة وهي ليلةُ القدر، وقد أمرنا النبي ﷺ أن نلتمسها في الوتر من العشر الأواخر من رمضان.

- تقول عائشة رضي الله عنها: (كان رسول الله ﷺ يجاور -أي: يعتكف- في العشر الأواخر من رمضان ويقول: «**تحرَّوا (وفي رواية: التمسوا) ليلة القدر (وفي رواية: فاطلبوها في الوتر منها) في العشر الأواخر من رمضان**»(٤).

---

(١) **حسن صحيح**: أخرجه ابن ماجه (١٦٤٤)، [«صحيح ابن ماجه» (١٣٤١)].

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٠١٤)، ومسلم (٧٦٠).

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٥١٣)، وابن ماجه (٣٨٥٠)، وأحمد (٦/ ١٧١)، [«صحيح الجامع» (٤٤٢٣)].

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٠٢٠)، ومسلم (١١٦٥)، (١١٦٩).

٤٣

الفرار إلى الله تعالى
من دعاء الأمواتِ إلى دعاءِ الحي الذي لا يموت

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝٦ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥﴾ [القيامة].

ويقول الله -عز وجل-: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠﴾ [الذاريات].

عباد الله! والفرارُ كما قلنا نوعان: فرارُ السعداء، وفرارُ الأشقياءِ، فالأشقياء يفرون من الله إلى غيره، وأولئك خابوا وخسروا؛ فأين المفر والإله الطالبُ؟! والسعداءُ يفرون من الله إلى الله؛ لأنهم قد علموا وأيقنوا أنه لا ملجأ من الله إلا إليه.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع فرارِ السعداءِ إلى الله -تعالى- **من دعاء الأمواتِ إلى دعاءِ الحي الذي لا يموت.**

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر]، وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الحج].

عباد الله! أتدرون لماذا فرَّ السعداءُ إلى الله -تعالى- من دعـاءِ الأمـواتِ إلى دعاءِ الحيِّ الذي لا يموت؟

الجوابُ:

أولاً: لأن دعاءَ الأمواتِ حرامٌ وشركٌ وضلالٌ وهم لا ينفعون ولا يضرون.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحج]، وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [فاطر]، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الأحقاف].

ثانياً: لأن الله وحدهُ هو الذي يستجيبُ الدعاء.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة:١٨٦]، وقال تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النمل]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا

﴿يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ (106) وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ۚ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (107)﴾ [يونس]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠].

ثالثاً: لأن الدعاءَ عبادةٌ والعبادة لا تُصْرَفُ إلا للهِ وحدهُ.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (60)﴾ [غافر].

- وقال ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**»(١).

رابعاً: لأن اللهَ أمرَ عبادهُ بدعائه وحثّهم على ذلك، والنبيُّ ﷺ أمر أمته بدعاءِ الله وحده وحثهم عليه.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]، وقال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (14)﴾ [غافر]، وقال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (55) وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ (56)﴾ [الأعراف].

- ويقول ربُّ العزة في الحديث القدسي: «**يا ابن آدم! إنك ما دعوتني ورجوتني؛ غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي**»(٢).

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، وأحمد (٤/ ٢٦٧)، [«صحيح الجامع» (٣٤٠٧)].

(٢) **حسن لغيره**: وهو جزء من حديث أخرجه الترمذي (٣٥٤٠)، وأحمد (٥/ ١٦٧)، والدارمي (٢٧٨٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٦١٦)].

- ويقول أيضاً في الحديث القدسي: «**يا عبادي! لو أن أولكم وآخِرَكم وإنسَكم وجنّكم قاموا في صعيد واحدٍ فسألوني، فأعطيتُ كلَّ إنسانٍ مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما يَنقُصُ المخيطُ إذا أُدخلَ البحر**»(١).

- ويقول أيضاً: «**أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني**»(٢).

- وقال أيضاً: «**قَسّمْت الصلاةَ بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل**»(٣).

عباد الله! أدلةٌ كثيرةٌ يأمرُ فيها ربُّنا -جل وعلا- عبادهُ أن يدعوهُ لأنهُ سبحانهُ هو الغني وهو وحدهُ الذي يستجيب الدعاء من عبادهِ.

- قال تعالى: ﴿**وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ**﴾ [النساء:٣٢].

- وقال ﷺ: «**إذا سألَ أحدُكُم فليكثرْ؛ فإنما يسألُ ربه**»(٤).

عباد الله! ورسُولُنا ﷺ يأمرُ أمتهُ بدعاءِ الله وحدهُ ويحثُّهم عليه.

- قال ﷺ: «**ليس شيءٌ أكرمَ على الله من الدعاء**»(٥).

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٦٧٥).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٣٩٥).

(٤) **صحيح**: أخرجه ابن حبان (٨٨٦)، [«الصحيحة» (١٣٢٥)].

(٥) **حسن**: أخرجه الترمذي (٣٣٧٠)، وابن ماجه (٣٨٢٩)، وأحمد (٢/ ٣٦٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧١٢)، [«صحيح الأدب المفرد» (٥٤٩)].

- وقال ﷺ: «**إن الله حييٌّ كريمٌ، يستحي إذا رفعَ الرجلُ إليه يديهِ أن يردّهُمَا صِفراً خائبتين**»(١).
- وقال ﷺ: «**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة**»(٢).
- وقال ﷺ: «**مَنْ لم يسألِ اللهَ يغضبْ عليه**»(٣).

ابن آدم!

لا تَسْأَلَنَّ بُنَيّ آدمَ حاجةً ... وسل الذي أبوابه لا تُحْجَبُ
اللهُ يغضبُ إن تركتَ سؤالَهُ ... وبُنَيُّ آدم حين يُسأل يغضبُ
فالزَمْ مُساءَلة الإلهِ فإنما ... في فضلِ رحمةِ ربِّنا نتقلَّبُ

خامساً: لأنهم وجدوا أن الدعاءَ ينفعُ مما نزلَ ومما لم ينزل.

كيف ولا والله -عز وجل- هو الذي أمرَ بالدعاءِ ووعدَ بالإجابة فقال سبحانه وتعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

- والنبيُّ ﷺ يقول: «**إن الدعاءَ ينفعُ مما نزلَ ومما لم ينزلْ، فعليكم عباد الله! بالدعاء**»(٤).

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥٦)، وابن ماجه (٣٨٦٥)، والبيهقي في «السنن» (٢/ ٢١١)، [«صحيح الجامع» (١٧٥٧)].

(٢) **حسن**: أخرجه الترمذي (٣٤٧٩)، والحاكم (١/ ٦٧٠)، [«صحيح الجامع» (٢٤٥)].

(٣) **حسن**: أخرجه الترمذي (٣٣٧٣)، والبخاري في «الأدب» (٦٥٨)، وأبو يعلى (١٢/ ١٠)، [«صحيح الترمذي» (٢٦٨٦)].

(٤) **حسن لغيره**: أخرجه الترمذي (٣٥٤٨)، والحاكم (١/ ٦٧٠)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٣٤)].

- وقال ﷺ: «**لا يَرُدُّ القضاءَ إلا الدعاء، ولا يزيدُ في العمر إلا البر**»(1).
- وقال ﷺ: «**ما من مسلم يدعو بدعوةٍ ليس فيها إثمٌ ولا قطيعةُ رحم؛ إلا أعطاه اللهُ بها إحدى ثلاث: إما أن يُعَجِّلَ له دعوته، وإما أن يدخرّها له في الآخرة، وإما أن يَصرفَ عنه من السوء مثلها**»؛ قالوا: إذاً نُكثر؟! قال: «**الله أكثر**»(2).

عباد الله! ومن الأمثلة على أن الدعاءَ ينفعُ مما نزلَ ومما لم ينزل.

١- نوح عليه السلام دعا على قومه فاستجاب اللهُ له.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الصافات]، وقال تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ [الأنبياء:٧٦]، وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾﴾ [القمر].

٢- موسى عليه السلام دعا ربهُ فاستجاب له، وانتفع عليه السلام بدعائه.

قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ

(١) **حسن**: أخرجه الترمذي (٢١٣٩)، والطبراني في «الكبير» (٦/ ٢٥١)، والبزار (٦/ ٥٠١)، [«صحيح الجامع» (٧٦٨٧)].

(٢) **حسن صحيح**: أخرجه أحمد (٣/ ١٨)، والحاكم (١/ ٦٧٠)، وابن الجعد (٣٢٨٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٣٣)].

عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾ [القصص].

٣- أيوب عليه السلام دعا ربه فاستجاب له.

قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء].

٤- يونس عليه السلام دعا ربه فاستجاب له ونجاه من الغم.

قال تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء].

٥- زكريا عليه السلام دعا ربه فاستجاب الله له.

قال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء].

٦- ودعا رسولُنا ﷺ ربهُ في غزوة حنين فقال: «**اللهم مُنْزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم**»[(١)] فاستجاب الله لهُ ونصرهُ على أعدائه وغنم منهم غنائم كثيرة.

٧- والفاروق عمر رضي الله عنه دعا ربه فقال: (اللهم ارزقني شهادةً في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك ﷺ) [(٢)]، فاستجاب الله له ورزقه الشهادة ودفن مع رسول الله ﷺ في غرفة عائشة رضي الله عنها.

٨- وسعدُ بن أبي وقاص رضي الله عنه الذي دعا على من ظلمه وكذب عليه فاستجاب اللهُ له، قال سعدٌ رضي الله عنه: (اللهم إن كان عبدُك هذا كاذباً قام رياءً وسمعةً، فأطل عمره، وأطل فقره، وعرِّضه للفتنَ) فاستجاب اللهُ، فيمن ظلمه. يقول الراوي: فأنا رأيته -أي: ذلك الظالم- بعدُ قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه ليتعرض للجواري في الطرق يغمزهنَّ)[(٣)].

٩- وسعيد بن زيد رضي الله عنه دعا على امرأةٍ كذبت عليه وادعت أنه أخذ أرضها فقال رضي الله عنه: (اللهم إن كانت كذابة فأعم بصرها، واجعل قبرها في دارها. قال -الراوي-: فرأيتها عمياء تلتمس الجُدُرَ تقول:

(١) **صحيح**: إشارة إلى حديث أخرجه البخاري (٢٩٦٦)، ومسلم (١٧٤٢).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٨٩٠).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٥٥).

أصابتني دعوة سعيد بن زيد، فبينما هي تمشي في الدار مَرَّت على بئـر في الدار فوقعت فيها، فكانت قبرها)(١).

عباد الله! من أجل ذلك فرَّ السعداء إلى الله -تعالى- من دعاء الأموات الذي هو حرامٌ وشركٌ ولا ينفع ولا يضر إلى دعاء الحي الذي لا يموت فإنه ينفعُ مما نزل ومما لم ينزل.

عباد الله! ادعوا الله، واسألوه واغتنموا شهر رمضان بهذا الدعاء.

١- أن يتقبل منكم الصيام والقيام.

٢- أن ينصرنا على أعدائه

٣- أن يجعلنا من أهل القرآن

ابن آدم! إذا أردت أن يستجيب الله لك فعليك بما يلي:

أولاً: أطبْ مطعمك.

لقول النبي ﷺ: «**إن الله -تعالى- طيبٌ لا يقبلُ إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمرَ به المرسلين فقال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١﴾ [المؤمنون] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة:١٧٢] **ثم ذكر الرجل يطيلُ السفرَ أشعث أغبر، يمدُّ يديه إلى السماء: يا**

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٦١٠)..

رب! يا رب! ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذِيَ بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟!»[1].

ثانياً: اترك المعاصي عامة والشرك خاصةً، وذلك لأن:

١ – الشرك ظلمٌ عظيم.

٢ – الشرك إثمه كبير.

٣ – لأن الشرك لا يغفره الله أبداً.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨].

٤ – لأن الشرك من أعظم الذنوب.

قال ﷺ عندما سأله ابن مسعود فقال: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال ﷺ: «**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**»[2].

٥ – لأن الشرك من أكبر الكبائر.

قال ﷺ: «**ألا أُنبئكم بأكبر الكبائر؟**» قلت: بلى يا رسول الله! قال: «**الإشراك بالله...**»[3].

٦ – لأن الشرك سبب لدخول النار، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة].

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٠١٥).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٩٧٦)، ومسلم (٨٧).

٧- لأن الشرك يحبط العمل:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾[الزمر]

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام].

٤٤

الفرار إلى الله تعالى من الجهل إلى العلم

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٥) يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (٦) فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٩) يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (١٠) كَلَّا لَا وَزَرَ (١١) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (١٢) يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١٣) بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ (١٥)﴾ [القيامة].

ويقول الله -تعالى-: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠)﴾ [الذاريات].

عباد الله! والفرارُ كما قلنا نوعان: فرارُ السعداء، وفرارُ الأشقياءِ، فالأشقياء يفرون من الله إلى غيره، وأولئك خابوا وخسروا؛ فأين المفر والإله الطالبُ؟! والسعداءُ يفرون من الله إلى الله لأنهم قد علموا وأيقنوا أنه لا ملجأ من الله إلا إليه.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع فرارِ السعداءِ إلى الله -تعالى- **من الجهل إلى العلم**.

عباد الله! العلم الذي فرَّ إليه السعداء هو علـم الكتـاب والـسنة وهـو العلم الشرعي، والجهل الذي فرّ منه السعداء هو الجهـل بالكتـاب والـسنة ولو كان أحدهم يحمل أعلى شهادات الدنيا، لأن الله -عـز وجـل- يقـول: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الأعراف].

عباد الله! أتدرون لماذا فرَّ السعداءُ إلى الله -تعالى- من الجهل إلى العلم؟

الجوابُ:

أولاً: لأنّ الجهلَ سببٌ لكلِّ شرٍّ، وسببٌ لجميعِ المعاصي والذنوب، فمثلاً:

١- الشرك بالله يقعُ في الأمة بسبب الجهلِ، ولا يقعُ في الشركِ إلا جاهلٌ.

- ولذلك لمّا طلبَ النبيُّ ﷺ من كفارِ مكة أن يعبدوا الله وحدَهُ لا شريكَ له، قالوا له: نعبد إلهك يوماً وتعبدُ آلهتنا يومـاً فوصـفهم اللهُ عز وجل بالجهل، لأن هذا الكلام لا يخرج إلاّ من جاهل؟!

قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الزمر:٦٢-٦٧].

- ولما طلبَ قـومُ موسـى مـن موسـى أن يجعـلَ لهـم إلهـاً رمـاهم موسى بالجهل.

قال تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا

كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [الأعراف].

٢- التبرج والسفور الذي نراهُ في شوارع المسلمين وقع بسبب الجهل، فالمتبرجة التي تبيعُ لحمها رخيصاً في الشوارع جاهلة، والرجل الذي يسمحُ لزوجتهِ وأختهِ وأمهِ أن تبيع لحمها رخيصاً في الشوارع جاهلٌ، وذلك لأن الله -عز وجل- جعل التبرج جاهلية.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣].

٣- الزنا.

عباد الله! الزنا فاحشةٌ لا يقترفها إلا جاهلٌ.

قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [يوسف].

٤- اللواطُ.

عباد الله! اللواطُ فاحشةٌ لا يقعُ فيها إلا جاهلٌ.

قال تعالى على لسان لوطٍ عليه السلام: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النحل].

٥- الحكم بغير ما أنزل الله.

عباد الله! الذي يرفضُ حكمَ الله ويرضى بالحكم بغير ما أنزلَ الله جاهلٌ.

قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة].

عباد الله! فجميعُ المعاصي تقعُ في الأمة بسبب الجهل، فآكل الربا جاهلٌ، وشاربُ الخمرِ جاهلٌ، وتاركُ الصلاة جاهلٌ، وقاطعُ الرحم جاهلٌ، والذي يرجع بعد رمضان إلى المعاصي والذنوب جاهلٌ والذي يمنع زكاة مالهِ جاهلٌ.

ثانياً: لأنّ الجاهلَ بجهله يقتلُ نفسَه، ويقتل غيره، ويدمرُ أمتَهُ.

عباد الله! والدليلُ على أن الجاهل يقتلُ نفسه.

- يقول ﷺ: «**كان فيمن كان قبلكم رجلٌ قتل تسعةً وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدُلَّ على راهبٍ، فأتاه فقال: إنه قتلَ تسعةً وتسعين نفساً، فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمَّلُ به مائة ...**»[1] الحديث.

- والدليل على أن الذي يفتي بغير علم يقتلُ غيره.

عن جابر رضي الله عنه قال: خرجنا في سفرٍ، فأصابَ رجلاً منا حجرٌ فشجّهُ في رأسه ثمّ احتلم فسأل أصحابهُ: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا: ما نجدُ لك رخصةً وأنت تقدر على الماء، فاغتسل فمات، فلما قدمنا على

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦).

النبي ﷺ أخبر بذلك فقال: «**قتلوه قتلهم الله، ألا سَألوا إذْ لم يعلموا فإنما شفاءُ العيِّ السؤال، إنما كان يكفيه أن يتيمم**»[1].

- والدليلُ على أنّ الجاهلين الذين يُفتون بغير علم يدمرون أمتهم.

قال ﷺ: «**إنّ اللهَ لا يقبضُ العلمَ انتزاعاً ينتزعه منَ العباد، ولكن يقبضُ العلمُ بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبق عالماً اتخذ الناسُ رُؤوساً جُهّالاً، فسُئِلُوا، فأفتوا بغير علمٍ فضلوا وأضلوا**»[2].

ثالثاً: لأنهم وجدوا أن الله -عز وجل- حذَّر في كتابه من الجهل ومن الجهلةِ.

قال -تعالى- لنوحٍ عليه السلام: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ٤٦﴾ [هود].

وقال تعالى لرسولنا ﷺ: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ٣٥﴾ [الأنعام].

- وأمرَ الله -عز وجل- رسوله أن يُعْرِضَ عن الجاهلين، فقال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف].

رابعاً: لأنهم وجدوا أن العِلمَ يرفعُ صاحبه إلى أفضل المنازل، ووجدوا أن الجهل ينزل بصاحبه إلى أخبث المنازل.

---

(١) **حسن**: أخرجه أبو داود (٣٣٦)، والبيهقي في «السنن» (١/ ٢٧٧)، والدارقطني (١/ ١٨٩)، [«صحيح أبي داود» (٣٢٥)].

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

- قال ﷺ: «وأحدِّثُكم حديثاً فاحفظوه، إنما الدنيا لأربعةِ نفرٍ: عبدٍ رزقهَ اللهُ مالاً وعلماً، فهو يتقي فيه ربهُ، ويصلُ فيه رحمهُ ويعملُ لله فيه حقاً فهذا بأفضل المنازل، وعبدٍ رزقه اللهُ تعالى علماً ولم يرزقهُ مالاً، فهو صادقُ النية يقولُ: لو أنّ لي مالاً لعمِلتُ بعملِ فُلانٍ فهو بنيته، فأجرُهما سواءٌ، وعبدٍ رزقهُ الله مالاً ولم يرزقهُ علماً، يخبطُ في مالهِ بغير علمٍ، لا يتقي فيه ربَّهُ، ولا يصلُ فيه رَحِمَهُ، ولا يعملُ لله فيه حقاً، فهذا بأخبثِ المنازل، وعبدٍ لم يرزقْهُ اللهُ مالاً ولا علماً فهو يقولُ: لو أن لي مالاً لعمِلْتُ فيه بعملِ فلانٍ، فهو بنيته، فوزرُهما سواء»[1].

خامساً: لأنهم وجدوا أنّ الله -عز وجل- لم يسوِ في كتابه بين أهلِ العلمِ وأهل الجهل.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩]، فأهلُ العلم أحياءٌ، وأهلُ الجهل أمواتٌ، والعالمُ كالبصير، والجاهلُ كالأعمى كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ﴾ [الرعد:١٩].

وقال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا﴾ -أي: بالجهل- ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ -أي: بالعلم- ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام]

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣٢٥)، وأحمد (٤/ ٢٣١)، [«صحيح الجامع» (٣٠٢٤)].

سادساً: لأنهم وجدوا أن العلم يرفعُ صاحبهُ في الدنيا وفي الآخرة.

قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾ [المجادلة:١١]، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنعام].

- وقال ﷺ: «**إن الله -تعالى- يرفع بهذا الكتابِ أقواماً ويضعُ به آخرين**»(١).
- وقال ﷺ: «**يُقالُ لصاحبِ القرآنِ: اقرأْ وارق ورتلْ كما كُنتَ تُرتِّلُ في الدنيا؛ فإن منزِلتَكَ عندَ آخِرِ آيةٍ تقرؤها**»(٢).

سابعاً: لأنهم وجدوا أن العلم يُثبِّتُ صاحبهُ على الحق عند اشتداد الفتن.

عباد الله! إن الفتنة إذا ماجت في الناس موجَ البحر عرفها العالِمُ وحذرَ الناسَ منها، أما الجاهلُ فلا يَعْرِفها إلا إذا أدبرت، فهذا قارون افتتن بالمال ولما خرجَ بالمال على الناس افتتن الجهلةُ به وبماله، أما أهلُ العلمِ فلم يفتتنوا بفتنةِ المال بل إنهم حذروا الناس منها.

قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٨١٧).

(٢) **حسن صحيح**: أخرجه أبو داود (١٤٦٤)، والترمذي (٢٩١٤)، وأحمد (٢/ ١٩٢)، والحاكم (١/ ٧٣٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٤٢٦)].

﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ٨٠ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ٨١ وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٢﴾ [القصص].

ثامناً: لأنهم وجدوا أن العلمَ سببٌ لسعادةِ الدنيا والآخرة.

عباد الله! -فالعلمُ يورثُ الخشية في القلوب.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨].

- والعلم طريقٌ إلى الجنة، وهو ميراث الأنبياء، وسببٌ لكل خير وجميع المخلوقات تستغفر للعالِم.
- قال ﷺ: «**مَنْ سلك طريقاً يطلبُ فيه علماً، سلكَ اللهُ به طريقاً من طرق الجنة، وإنّ الملائكة لتضعُ أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع، وإن العالم ليستغفرُ له مَنْ في السموات، ومَنْ في الأرضِ، والحيتان في جوفِ الماءِ، وإنّ فضلَ العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإنّ العلماء ورثةَ الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍ وافرٍ**»[1].

قال عليٌّ رضي الله عنه: (العلمُ خيرٌ من المالِ؛ العلمُ يحرسُكَ وأنت تحرسُ المال، والعلمُ حاكمٌ والمالُ محكومٌ عليه، والمالُ تُنقِصُهُ النفقة، والعلمُ يزكو بالنفقة)

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وأحمد (٥/ ١٩٦)، [«صحيح الجامع»(٦٢٩٧)].

وقال رجلٌ لولدهِ: (يا بُنَيَّ عليك بالعلم، فإنك إن افتقرت كان لك مالاً، وإن استغنيت كان لك جمالاً).

وقال بعض السلف: (إذا أردت الدينا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردت الدنيا والآخرة فعليك بالعلم)

تاسعاً: لأنهم وجدوا أن الإسلام هو دين العلم، ووجدوا أن الله عز وجل يأمرُ في كتابه بالعلم ويحثُّ عليه، ووجدوا أن رسول الله ﷺ في سنته يأمرُ بالعلم ويحثُّ عليه.

عباد الله! الإسلام دين العلم ولم يأمر ربُّنا -جل وعلا- رسوله ﷺ أن يطلب مزيداً من أي شيءٍ إلا من العلم.

قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه]، وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد].

وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ اقْرَأْ ﴾ قبل أن يقول له: ﴿بَلِّغْ﴾ وقبل أن يقول له: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾ [المدثر]

وقال تعالى للمؤمنين: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة].

عباد الله! فهذه أدلة تدل على فضل العلم أولاً قبل القولِ والعملِ والتبليغ والدعوة إلى الله تعالى؛ فإن الله -عز وجل- يقول: ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ [يوسف:١٠٨].

- ويقول ﷺ: «**طلبُ العلم فريضةٌ على كل مسلم**»(١).
- وقال ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»(٢).
- وقال ﷺ: «**إنَّ الدنيا ملعونةٌ ملعونٌ ما فيها إلا ذكـرَ اللهِ -تعـالى- وما ولاه وعالماً أو متعلماً**»(٣).
- وقال ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقةٍ جاريةٍ أو علمٍ يُنتفع به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له**»(٤).
- وقال ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجلٌ آتاه الله مـالاً فَـسُلِّطَ عـلى هلكتهِ في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويُعلِّمها**»(٥).
- وقال ﷺ: «**من جاء مسجدي هذا لم يأته إلا لخير يتعلمه أو يُعلِّمهُ فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله**»(٦).
- وقال ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعَلَّمه**»(٧).

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٢٢٤)، والطبراني في «الكبير» (١٠/ ١٩٥)، وفي «الأوسط» (١/ ٧-٨)، وفي «الصغير» (١/ ١٦)، والبيهقي في «الشعب» (٢/ ٢٥٣)، [«صحيح الجامع» (٣٩١٣)].

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧).

(٣) **حسن**: أخرجه الترمذي (٢٣٢٢)، وابن ماجه (٤١١٢)، [«صحيح الجامع» (١٦٠٩)].

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٦٣١).

(٥) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٦).

(٦) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٢٢٧)، وأحمد (٢/ ٤١٨)، والبيهقي في «الشعب» (٢/ ٢٦٣)، [«صحيح الجامع» (٦١٨٤)].

(٧) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٠٢٧).

«اللهم إني أسألك علماً نافعاً ورزقا وطيباً وعملاً متقبلاً»

«اللهم انفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني وزدني علماً»

٤٥

الفرارُ إلى الله تعالى من النار إلى الجنة

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾﴾ [القيامة].

ويقول سبحانه: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الذاريات].

عباد الله! والفرارُ كما قلنا نوعان: فرارُ السعداء، وفرارُ الأشقياءِ، فالأشقياء يفرون من الله إلى غيره، وأولئك خابوا وخسروا؛ فأين المفر والإله الطالبُ؟! والسعداءُ يفرون من الله إلى الله؛ لأنهم قد علموا وأيقنوا أنه لا ملجأ من الله إلا إليه.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع فرارِ السعداءِ إلى الله -تعالى- **من النار إلى الجنةِ.**

عباد الله! أتدرون لماذا فرَّ السعداءُ إلى الله -تعالى- من النار إلى الجنة، من الجحيم إلى النعيم المقيم، من دار الشقاء إلى دار السعادة، من دار البوار إلى دار القرار؟

الجوابُ:

أولاً: لأن الله تعالى أخبرنا في كتابه أن الناسَ يومَ القيامة فريقان: فريقٌ في الجنةِ دار النعيم، وفريقٌ في النار دار الجحيم.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾ [الشورى]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الروم].

ابن آدم

مثل وقوفك يوم العرض عُريانا ... مستوحشاً قلق الأحشاء حيرانا
والنار تلهب من غيظ ومن حنق ... على العصاة ورب العرش غضبانا
اقرأ كتابك يا عبدي على مهل ... فهل ترى فيه حرفاً غير ما كانا
لما قرأت ولم تنكر قراءته ... إقرار من عرف الأشياء عرفانا
نادى الجليل خذوه يا ملائكتي ... وامضوا بعبدٍ عصى للنار عطشانا

المجرمـون غـداً في النـار يلتهبـوا   والمؤمنـون بـدار الخلـد سـكانا

من أجل ذلك فرّ السعداء من النار إلى الجنة، ولقد أخبرنا ربنا أن الذين دخلوا الجنة هم الفائزون، والذين دخلوا النارَ هم الخاسرون.

قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۚ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحشر]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران]، قال تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [العنكبوت]

وأخبرنا عز وجل أن الذين دخلوا الجنة هم السعداء، والذين دخلوا النار هم الأشقياء.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۖ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هود].

من أجل ذلك فرَّ السعداءُ إلى الله تعالى من دار الأشقياء الخاسرين إلى دار السعداء الفائزين.

ثانياً: فرَّ السعداءُ إلى الله -تعالى- من النارِ إلى الجنةِ: لأن الله -عز وجل- حذّرهم في كتابه من النار وخوّفهم من عذابها.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم]، وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ٢٤﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ١٤ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ١٥﴾ [الليل].

عباد الله! لقد خوَّف الله عبادَهُ من النار ليفروا منها إلى الجنة.

قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١٥ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ١٦﴾ [الزمر].

عباد الله! وخوَّف النبيُّ ﷺ أمتهُ من النار وحذرهم منها: فقال ﷺ: «**يُؤتى بجنهمَ يومئذ** -أي: يوم القيامة- **لها سبعونَ ألفَ زِمامٍ، مع كُلِّ زمامٍ سبعونَ ألفَ ملكٍ يجُرونها**»(1).

وعندها يندم المفرط في وقت لا ينفع فيه الندم، قال تعالى: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر:٢٣].

- وقال ﷺ: «**إن أهونَ أهلِ النارِ عذاباً يومَ القيامة لرجلٌ يوضعُ في أخْمصِ قدميه جمرتان يغلي منهما دماغُهُ، [ما يرى أن أحداً أشدُّ منه عذاباً، وأنه لأهوَنُهم عذاباً]**»(2).

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٨٤٢).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٥٦١)، ومسلم (٢١٣).

- وقال ﷺ: «يُؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النارِ يومَ القيامة، فيُصْبَغُ -أي: يغمس- في النار صبغةً، ثم يُقال: يا ابنَ آدم! هل رأيتَ خيراً قطُّ؟ هل مرّ بك نعيمٌ قطُّ؟ فيقولُ: لا والله يا ربّ! ويُؤتى بأشدِّ الناسِ بُؤْساً في الدنيا من أهل الجنة، فيُصبغ صبغةً في الجنة، فيقالُ له: يا ابن آدم! هل رأيتَ بُؤساً قط؟ هل مرّ بك شدةٌ قط؟ فيقول: لا والله يا رب! ما مرَّ بي بُؤسٌ قط، ولا رأيت شدةً قط»(١).

وقال ﷺ: «ما منكم من أحدٍ إلا وسيكلمه ربه ليس بينه وبينه تُرجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدَّم من عمله، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة ولو بكلمة طيبة»(٢).

ثالثاً: فرَّ السعداء إلى الله -تعالى- من النار إلى الجنة: لأن النارَ أعدها اللهُ لتعذيب المجرمين، وأعدَّ لهم فيها عذاباً أليماً.

قال تعالى: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ (٤١) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٢) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (٤٣) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ (٤٤)﴾ [الرحمن]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (٧٤)﴾ [طه]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (٧٤) لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٥) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ (٧٦) وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٨٠٧).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٥١٢)، ومسلم (١٠١٦).

رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الزخرف]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ [القمر].

عباد الله! النارُ أعدها اللهُ لتعذيب المجرمين الذين بارزوا الله بالمعاصي، وأعدَّ لهم فيها عذاباً أليماً.

- فطعامهم فيها الزقوم، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الدخان].
- وشرابُهم فيها الحميم والصديد، قال تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾ [محمد]، قال تعالى: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ [إبراهيم].
- ولباسهم فيها النار قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ [الحج]، وقال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾﴾ [إبراهيم].

رابعاً: فرَّ السعداءُ إلى الله -تعالى- من النار إلى الجنة: لأنهم علموا أن أهل النارِ يندمون في وقت لا ينفع فيه الندم، ويطلبون من الله أن يردهم إلى الدنيا ليعملوا صالحاً ولكن بعد أن فات الأوان.

- قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٖ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر].

- وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾﴾ [الأحزاب].

- وقال تعالى: ﴿ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمٗا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [المؤمنون].

- وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُۖ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام].

خامساً: فرَّ السعداءُ إلى الله -تعالى- من النار إلى الجنة: لأن الجنة هي دارُ السلام والله يدعو عبادَهُ إليها، وهي دارُ المتقين، وهي دارُ المحسنين، وهي دار الأمن والأمان، وهي دار الخلود.

قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس]، وقال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ ﴾ [يونس:٢٦]، وقال تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [االرحمن].

عباد الله! الجنة دارُ الأمن والأمان.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الدخان].

الجنة هي دار الخلود من دخلها لا يخرج منها أبداً، ولا يموت، ولا يهرم.

قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحجر]، وقال تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الأعراف].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله! حدِّثْنا عن الجنة، ما بناؤها؟ قال: «**لَبِنَةٌ ذهبٍ، ولَبِنَةٌ فضةٍ، وملاطُها المِسْكُ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوتُ، وتُرابُها الزعفران، مَنْ يدْخُلُها يَـنْعَمُ ولا يبْـأَسُ، ويَخْلُدُ؛ لا يموتُ، لا تبلى ثيابُه، ولا يَفْنى شبابُه**»[(1)].
- ويقول صلى الله عليه وسلم: «**يُنادي منادٍ: إن لكم أن تَصِحُّوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشِبُّوا فـلا تَهْرَمُـوا أبـداً، وإن لكم أن تنعُمُوا فلا تبأَسُوا أبداً**»[(2)].

سادساً: فرَّ السعداءُ إلى الله -تعالى- من النار إلى الجنة: لأن الله أعدَّ لأهل الجنةِ من النعيم ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر.

---

(١) **حسن لغيره**: أخرجه أحمد (٢/ ٣٠٤)، والترمذي (٢٥٢٦)، وابن حبان (٧٣٤٤)، والطيالسي (٢٥٨٣)، والبيهقي في «الشعب» (٥/ ٤٠٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧١١)].

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٨٣٧).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**قال اللهُ تبارك وتعالى: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ**» قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾ [السجدة:١٧] (١).

عباد الله! تعالوا بنا لنستمعَ إلى وصفِ نعيم الجنة كما جاء في كتاب ربنا -جلا وعلا-:

• أما بالنسبة لطعام أهل الجنة فقد قال تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ٢٠ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ٢١﴾ [الواقعة].

• أما بالنسبة لشراب أهل الجنة فقد قال تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ٢١﴾ [الإنسان]، وقال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ١٧ بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ ١٨ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا وَلَا يُنزِفُونَ ١٩﴾ [الواقعة].

• أما لباسُ أهل الجنة وزينتهُم فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٢٣﴾ [الحج].

• أما نساءُ أهلِ الجنة فإنهن الحور العين: قال تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ ٧٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧١ حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ٧٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧٣ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ٧٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧٥﴾ [الرحمن]، وقال تعالى: ﴿فِيهِنَّ

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٧٧٩)، ومسلم (٢٨٢٤).

﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝٥٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٧ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٥٨﴾ [الرحمن]، وقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ۝٤٩﴾ [الصافات].

ويصف لنا رسول الله ﷺ هذه الخيمة التي فيها الحور العين.

فيقول: «**إن للمؤمن في الجنة لخيمةً من لؤلؤةٍ واحدةٍ مجوفةٍ، طولُها ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضُهم بعضاً**»(١).

عباد الله! ويصف لنا رسول الله ﷺ نساء أهل الجنة، فيقول ﷺ: «... **ولو أن امرأة من أهل الجنة اطَّلَعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحاً، ولنصيفُها على رأسها خيرٌ من الدنيا وما فيها**»(٢).

عباد الله! أما مساكن أهل الجنة فهي القصورُ والغرفُ الآمنة.

قال تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ۝٢٠﴾ [الزمر]، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ۝١٠﴾ [الفرقان]، وقال تعالى: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [التوبة:٧٢]، وقال تعالى: ﴿وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ۝٣٧﴾ [سبأ].

ويصف لنا رسول الله ﷺ هذه الغرف فيقول ﷺ: «**إن في الجنة غرفاً يُرى ظاهرُها من باطنها، وباطنُها من ظاهرها، أعدها الله -تعالى- لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام، وصلى بالليل، والناس نيام**»(٣).

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٨٣٨).
(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٧٩٦).
(٣) **حسن**: أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٣)، وابن حبان (٥٠٩)، والطبراني في «الكبير» (٣/ ٣٠١)، [«صحيح الجامع» (٢١٢٣)].

سابعاً: فرَّ السعداءُ إلى الله -تعالى- من النار إلى الجنـة: لأن الله أخـبرهم في كتابه عن سعادةِ أهلِ الجنةِ في الجنة.

عباد الله! أهلُ الجنة هـم أسـعدُ النـاسِ، ويظهـرُ ذلـك مـن كلامهـم، ومجالسهم، بعد أن مَنَّ اللهُ عليهم بدخول الجنة.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الزمر]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ﴿٣٥﴾﴾ [فاطر].

وقال تعالى عن أهل الجنة: ﴿فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾﴾ إلى أن قال ربُّ العزة عنهم: ﴿أَفَمَا نَحۡنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوۡتَتَنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الصافات].

وقال تعالى عن أهل الجنة: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖۖ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴿٢١﴾ وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ﴿٢٣﴾

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور].

عباد الله! من أجل ذلك وللحصول على السعادة الأبدية فرَّ السعداءُ إلى الله تعالى من النار إلى الجنة.

عباد الله! وبهذه الخطبة نكون قد انتهينا من سلسلة حياة السعداء في الفرار إلى الله تعالى.

عباد الله! وختمنا هذه السلسلة بالفرار إلى الله تعالى من النار إلى الجنة سائلين الله -عز وجل- أن ينجينا وإياكم من عذاب النار وأن يجعلنا وإياكم من أهل الجنة.

الفهارس العامة

- فهرس الآيات
- فهرس الأحاديث والآثار
- فهرس الموضوعات

الآيـــات

البقرة

النساء

الأنعام

الأعـراف

هـود

يوسـف

الأنبيـاء

المؤمنون

النـور

الفرقان

القصص

العنكبوت

الـروم

لقـمان

السجـدة

يس

الصافات

الأحقاف

محمد

الفتح

الحجرات

ق

الذاريات

الطـور

النجـم

القمـر

الرحمـن

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الموضوعات